
Bibliotheca Alexandrina





المعارك الأدبية

في مصر منذ ١٩١٤ ، ١٩٣٩

أنور الجندى

١٩٨٣

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
[illegible]

رقم الايداع ٨٢/٣٧١٤
الرقم الدولى ٥ ـ ٠٠٢٠ ـ ٠٥ ـ ٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

تمثل « المعارك الأدبية » قطاعا حيا من قطاعات الحياة الفكرية في الأدب العربي له خطورته وأهميته في مجالات النثر والشعر واللغة العربية والقومية العربية ومفاهيم الثقافة ونقد الكتب .

وقد دارت هذه المعارك بين المحافظين والمجددين ، ثم دارت بين المجددين أنفسهم ، متطرفيهم ومعتدليهم ، وقد انتظمت موضوعين هامين : معركة مفاهيم الثقافة ومعركة مفاهيم الأدب وكان أبرز أعلامها في معسكر المحافظين أحمد زكي باشا وفريد وجدي والرافعي ومحمد أحمد الغمراوي وشكيب أرسلان ورشيد رضا وفي معسكر المجددين: العقاد والمازني وزكي مبارك وهيكل وطه حسين وسلامه موسى

أولا : معركة مفاهيم الثقافة

بدأت هذه المعارك منذ وقت مبكر منذ عام ١٩١٤ برسالة منصور فهمي التي قدمها للدكتوراه في باريس وهاجم فيها الإسلام وموضوعها « حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها » وقد كتبها تحت إشراف أستاذ يهودي هو « ليفي بريل »

وكانت هذه الرسالة فاتحة اتجاه أطلق عليه من بعد « تيار التغريب » سار فيه كثيرون : من بينهم طه حسين ومحمود عزمي وسلامه موسى وعلى عبد الرازق وإسماعيل أدهم وعبد العزيز فهمي ولطفي السيد .

وقد شمل هذا التيار مهاجمة (١) القومية العربية والوحدة العربية (٢) مقاومة اللغة العربية والدعوة إلى العامية (٣) الدعوة للكتابة العربية بالحروف اللاتينية (٤) مهاجمة الخلافة والإسلام والدين بصفة عامة (٥) إتهام العرب بالتخلف العقلي وهي نظرية « رينان » (٦) النزعة اليونانية واعتبار اليونان أساتذة العرب

(٧) تصارع الثقافات الفرنسية والانجليزية (٨) إثارة الاتهامات حول القرآن والأنجيل والتوراه بالشك فى نصوصها والحملة على رسول الإسلام والحضارة الإسلامية (٩) تغليب الجانب الأسطورى على السيرة المحمدية (١٠) الدعوة إلى الأدب المكشوف (١١) معارك الفن للفن (١٢) الدعوة إلى نقل الحضارة خيرها وشرها ما يحمد منها وما يعاب (١٣) إنكار فضل العرب على الحضارة (١٤) الدعوة إلى الفرعونية .

ولقد كان هذا هو أبرز جوانب المعارك الأدبية التى يمكن القول بأنها دارت حول « مفاهيم » الثقافة والفكر والحضارة والأدب فى خلال أربع تيارات واضحة هى المحافظة والتجديد ثم التغريب والعودة إلى الأصالة وقد دلت هذه المعارك على يقظة المحافظين وما أسموا دعاة القديم ، فقد هبوا عندما قاوموا تمصير اللغة العربية أو مذاهب التجزئة والقوميات الضيقة أو الفرعونية أو الفينيقية أو غيرها ، أو الشعر الجاهلى أو أراء التغريب أو الالحاد أو التهوين من شأن الدين فى المجتمع أو الفكر أو فضل العرب على الحضارة وقد كانوا أصدق إيماناً وأقرب إلى الحق وأبعد عن الانحراف .

غير أن الخطر فى الأمر أن معارضة دعوات التغريب والاندفاع نحو الغرب والتطرف والانحراف لم يلبث أن ظهر من جانب المدرسة الحديثة نفسها ، فقد تمزقت هذه المدرسة التى تعلمت فى أوربا — وفى فرنسا فى الأغلب — وانقسمت على أساس تطور فكرى وتحول عقائدى ، فقد كان دعاتها فى أول الأمر من أشد المتحمسين للحضارة الأوربية ، غير أنهم اكتشفوا مدى الخبيئة التى تكمن وراء إطلاق هذه الدعوة ، حينما شاهدوا الفوارق البعيدة بين شعارات الحضارة الغربية وبين واقعها وتصرفاتها الفعلية فى العالم العربى والإسلامى ، هنالك استدقت معان جديدة فى نفوس هؤلاء المفكرين جعلتهم يقفون وقفة النظر والتأمل غابت فيها عاطفة الإيمان بالوطن والتراث وحق أمتهم عليهم ، وقد بلغ بهم الاعتقاد حد الإيمان بأن هذه المذاهب التغريبية لن تصل بهم إلى خلق أمة جديدة أو فكر

جديد ، هنالك قاوموا زملاءهم، ووقفوا يعارضونها : وفى مقدمة هؤلاء الدكتور هيكل ومنصور فهمى وزكى مبارك .

فقد عارض هيكل طه فى كتابه الأساطير على أنها جزء من سيرة الرسول ، وعارض ساطع المصرى وزكى مبارك وعبد الرحمن عزام آراء التجزئة والفرعونية وعارض توفيق دياب الأدب المكشوف وعارض منصور فهمى التقليد الخالص ، وعارض فليكس فارس نظريات التغريب فى الثقافة ، وعارض زكى مبارك النزعة اليونانية ، وعارض المازنى الكتابات الإباحيه وترجمة القصص الفرنسيه المكشوفه

كما كشف منصور فهمى الذى تحول عن آرائه فى الاسلام التى أثبتها فى اطروحة الدكتوراه (١٩١٤) كشف عن تجربة الثقافة الغربية بالنسبة للمبعوثين العرب ، فقد ذهب إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه فى الفلسفة فوقع تحت سيطرة أستاذ يهودي دفعه إلى مهاجمة الإسلام هجوما قاسيا إرضاء لنزعات المستشرقون الفرنسيون .

وقد فعل طه حسين مثل ذلك عندما وقع تحت سيطرة دور كهايم وماسنيون فهاجم أهل المغرب المجاهدين فى أطروحة الدكتوراه عن (ابن خلدون) التى تقدم بها للسربون ، واتهمهم بالتأخر والجمود وعدم القدرة على تلقى الحضارة الغربية التى تقدمها إليهم فرنسا .

ولم يفلت من ذلك القيد إلا الدكتور زكى مبارك الذى عارض آراء المستشرقين وأصر على رأيه ولقى فى سبيل ذلك عنتا لحقه حتى نهاية حياته وإن كان قد أخطأ فى فهم القرآن (المعركة فى كتابنا المساجلات) .

ومع ذلك فقد إعترف أحد المستشرقين بحقيقة التبعية الفكرى حين قارن بين أراء طه حسين فى « الشعر الجاهلى » وأراء زكى مبارك فى « النثر الفنى » قال : إذا قرأنا افكر طه حسين قلنا هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فلما عاد زكى مبارك وعارض اتجاه التغريب لقى العنت فى الجامعة وفصله طه حسين وظل شقيا بنزعته التحررية إذ قاوم كثيراً من اهداف التغريب حين دعا إلى التعليم فى كلياته

الجامعة باللغة العربية ، ودعا إلى الوحدة العربية وهاجم أزاء التغريب فى الثقافة والتعليم والإسلام والعرب .

وقد انتصرت الفكرة العربية الصحيحة بعد قليل فى عودة منصور فهمى وعودة هيكل ومحمود عزمى والمازنى اللذين كان لزيارتهما للبلاد العربية أثرها فى إيمانهم بالوحدة العربية .

وإذا كان أغلب هذه المعارك التى سجلناها قد دارت فى صحف مصر فإن كتاب العالم العربى المبرزون قد اشتركوا فيها وإنما كانت تمثل قطاعاً من الحياة الفكرية فى مصر فإنها فى الحق صورة متكاملة صادقة لجميع المعارك الفكرية التى دارت فى العالم العربى كله .

فقد كانت خطط التغريب متشابهة ودعوته متماثلة بين الاستعمارين الفرنسى والبريطانى اللذين سيطرا على العالم العربى فى هذه الفترة ،

فإذا ذهبنا نبحث فى دوافع المعارك الأدبية لم نجدها خالصة لوجه الفكر وإنما وقع أغلبها تحت سيطرة دافعين كبيرين :

(١) الخصومات السياسية . (٢) الخلافات الشخصية .

ذلك أن الخلاف بين المعسكرات السياسية قد جعل طائفة من الكتاب تنحاز إلى هذا الجانب وطائفة تنحاز إلى الجانب الآخر ، وكان لهذا أثره ، ولذلك كانت أغلب أحكام هذه المعارك تدل على التناقض ، فالرأى هنا مقيد بوجهة نظر وظرف معين ، فإذا اختلف هذا الظرف تغير الرأى ومثال ذلك فى معارك أمارة الشعر (١) والقومية العربية والتغريب وقليلا ماترى الانصاف السنى جزى

---

(١) كتب الدكتور طه حسين فى الجمهورية ١٩٥٦ يقول : أحب أن أؤكد أنى لم أبايع العقاد بإمارة الشعر وما كان لى أن أبايعه لأنى لم أكن شاعراً ، إقرأ معركة الشعر فى الفصل الثامن .

عليه المازنى فى العودة إلى الحق معركته مع عبد الرحمن شكرى أو زكى مبارك فى رجوعه عن آرائه فى «الغزالى» فإذا ذهبت استقصى أعنف المعارك لقلت أنها معركة الرافعى مع العقاد وطه حسين . ومعركة زكى مبارك مع طه حسين ثم أحمد أمين . والأولى فى جانب منها شخصى والثانية شخصية محضة . فقد كان الرافعى يطمع فى أن يلى منصب أستاذ الأدب العربى فى الجامعة واستأثر طه حسين بهذا المنصب ، وكانت لقمة العيش حين فصل طه حسين زكى مبارك من الجامعة مصدر معركته الكبرى .

وقد كانت هذه المعارك — على كل حال — خيراً للأدب فقد حثت على التجويد وفتحت باب السجال والنقد ومعارضة الآراء على نحو شيق حقا ، كشفت عن حقيقة النفوس ، وطبائعها ، وأبان عن الزيف والصحيح .

ويمكن القول بأن الكتاب المجددون كانوا فى أول الأمر يغايظون الجماهير لكسب الشهرة ثم أرغمتهم السياسة على مسايرة الجماهير وتملقها كما حدث فى كتابة حياة محمد للدكتور هيكل . أو الرضوخ لآراء المستشرقين حين تحول أحمد أمين للدعوة إلى العامية ومهاجمة الأدب العربى القديم وقد جرت بعض هذه المعارك بأسلوب بالغ العنف ، ملىء بالهجاء المقذع ، وربما كان للسياسة والمعارك الحزبية أثرها فى تلوث أقلام الكتاب . وعندى أن لأحمد زكى باشا أثر كبير فى قيادة هذا الاتجاه ، فقد عرف بالعنف والسخرية البالغة واصطناع ألفاظ مثيرة ، وتأثر بهذا الرجل : طه حسين والعقاد وزكى مبارك وهم الثلاثة الذين كانوا أعنف كتاب النقد العربى المعاصر .

وقد كشف أحمد أمين فى بعض المعارك عن الكتاب الذين بدأوا حياتهم فى جرأة وجرية ثم تخاذلوا من بعد وتعودوا المجاراة بدلا من المقاومة والمداراة بدلا من الصراحة وفضلوا السلامة .

ثانيا : معركة مفاهيم الأدب

أما معركة « مفـــاهيم الأدب » بدأت حول الأسلوب عام ١٩٢٣ بين

الرافعي وطه حسين ثم تناولت غاية الأدب ،واتصلت بالأسلوب والمضمون ، والفن للفن والفن للمجتمع . ومذهبي الأدب : بين الرافعي والعقاد ، والتراث القديم . والنقد والتقريظ . ومعارك مفاهيم اللغة .

وقد قامت هذه المعارك على أساس مهاجمة الأسلوب القديم المغرق في السجع والمقدمات والألفاظ القاموسية ، وحول غلبة العناية باللفظ على العناية بالمضمون .

وقد وقف شكيب أرسلان والرافعي في صف الدفاع ووقف سلامه موسى وطه حسين في صف الهجوم .

وكانت حجة المدافعين : حماية اللغة العربية من أعجمية العامية التي كانت هدف الدعوة التي أثيرت واستشرت ، غير أن المعركة انكشفت عن تقارب في الأساليب وهو ما أطلق عليه الأسلوب التلغرافي :

وجرى مثل هذا في مفهوم الشعر : فكانت معركة أنصار الرافعي وأنصار العقاد . وكانت دعوة العقاد والمازني وشكري قد بدأت منذ العشرينات من هذا القرن ، ثم انفصل شكري الذي هاجم زميله المازني في أول كتاب للمذهب وهو : (الديوان) ثم تنكر المازني لشعره ووقف العقاد وحده يدافع عن الشعر الجديد وتصدى له الرافعي في هجوم عنيف . ثم كانت معارك تجديد اللغة بإحياء الألفاظ القاموسية التي تسد حاجة الحضارة وقد نشبت بين أحمد زكي باشا ومحمد مسعود وكان لها طابع العنف .

ثالثا : طابع المعارك الأدبية

ومن أبرز هذه المعارك ما قام من جانب واحد ؛ فمعركة كتاب الشعر الجاهلي ومستقبل الثقافة مع طه حسين قامت من جانب معارضيه وحدهم ، وكذلك معركة « لقمة العيش » التي أثارها الدكتور زكي مبارك ومعركته مع أحمد أمين :

وقد برزت فى هذه المعارك عبارات عجيبة مثيرة : منهاقول زكى مبارك : لقد ظن طه حسين أنه انتزع اللقمة من فم أطفالى فليعلم حضرته أن أطفالى لو جاعوا لشويت طه حسين وأطعمتهم من لحمه ولكنهم لن يجوعوا ما دامت أرزاقهم بيد الله .

أو قوله لأحمد أمين : لعل أحمد أمين يريد امرأة فيلسوفة لها عرقوب كشهر الصوم فى الطول . ولها عين كعين العميصاء تعينه على سهر الليلى إلى أن يبزغ « فجر الإسلام » .

أو قوله لعبد الله عفيفى إذا دخل الأزهر وقفت لقدومه قواعد النحو صفا صفا فكانت المنصوبات فى جانب ، والمرفوعات فى جانب وقد تصدمه (المجرورات) من شماله إذا دخل من الباب الذى كان يسمى باب المزينين .

ويقول عن كتابات لطفى السيد : هى لفظ مركب مفيد بالوضع العربى .

ويقول الرافعى فى نقده لطه حسين : مهد طه لرأيه بأن أعلن لشيخ الأزهر ولعلماء الدين أنه مثلهم مسلم . ثم قال و « الفرق بينى وبين الشيوخ أنى مسلم حقاً أفهم الإسلام على وجهه » فيا أرض إبلعى فهذا مستنقع لارجل .

ومن هذا ما يذكره توفيق الحكيم عن معركته مع طه حسين بعد انتهائها : إن الخصومة بينى و بين طه حسين كانت خصومة أدبية صرف ولكن الدكتور طه أراد أن يقحم فيها عنصر السياسة ليظهرنى فى صورة (يهوذا) ويظهر نفسه فى صورة المسيح .

ولعل مما يذكر هنا أن آراء توفيق الحكيم التى عرضها فى مساجلاته مع طه حسين (ص ٥٥٩) هى آراء « رينان » التى رددها من قبل إسماعيل أدهم أحمد فى مساجلته مع فيلكس فارس (ص ١٠٥) وقد عارضها الدكتور طه حسين حين عرضها توفيق الحكيم (عام ١٩٣٤) ثم عاد فرددها فى كتابه مستقبل الثقافة (ص ٣٨٨) وفى معركته ضد العرب والقومية (ص ١٧ و ٥٨) ..

وقد هاجم العقاد والمازني وطه حسين الشاعر شوقي هجوما عنيفا ثم غير كل من طه حسين والمازني رأيهما في الشاعر الكبير وظل العقاد على رأيه القديم .

ومما يلفت النظر هجوم أحمد زكي باشا شيخ العروبة على زكي مبارك مستهلا مقاله على هذا النحو « إلى الطفل الميمون نجل الدكتور زكي مبارك : ويقول له : إنك تكتب باسم أبيك فتارة تخطىء وتارة تصيب » ولعل من المعارك المثيرة ما ذكره مصطفى عبد الرازق في محاضرة عن ذكرى رينان الذي هاجم العرب ورماهم بأعنف التهم — واحتفلت به الجامعة المصرية — وفي هذه المحاضرة قرر المحاضر : إن جمال الدين الأفغاني تطور فكره في أقل من ثلاث سنوات بعد مقابلته لرينان فغير رأيه في الدين وأعلن أن الإسلام كان عدواً للعلم والعقل والمدنية

ومما يذكر هنا أيضا أن زكي مبارك الذي هاجم كثيرا من الأدباء وساقهم بقلم مرير الهجاء قد تراجع أمام السباعي بيومي الذي كال لمبارك الصاع صاعين (ص ٤٤١) وهناك معركة أخرى لم تكتمل ضاع فيها زكي مبارك ضياعا مؤلما ، تلك هي معركة وحدة الوجود وآرائه في القرآن التي شبب أوارها محمد احمد الغمراوي ودريني خشبة في الرسالة وصمت ازائها زكي مبارك صمتا محزنا (١) .

ومن فنون المتناقضات في النقد الأدبي ما أحصاه الدكتور صلاح المنجد على الدكتور زكي مبارك (الرسالة ٣ فبراير ١٩٤١) من أن مبارك نقد أحمد أمين في الرسالة (١٠ يوليه ١٩٣٩) وقال عنه (أن هذا الأستاذ لم يؤت أسلوبا خاصا وأنه ما كان في يوم من الأيام أديبا وأن أحمد أمين ليس له أسلوب) ثم عاد بعد ذلك فكتب في الرسالة أيضا (١١ نوفمبر ١٩٤٠) فقال « يجب الاعتراف بأن لأحمد أمين أسلوبا وبأن لهذا الأسلوب شخصية تتميز بالسهولة والوضوح » .

ومن مبالغات النقد ماذكره زكي مبارك من أن الشيخ عبد العزيز البشرى اتصل به تليفونيا وقال له — إن إخوته مهتاجون لنقده والدهم (الشيخ سليم

---

(١) أوردنا هذه المعركة في كتابنا (المساجلات) .

البشرى) وانهم سيقتلونه على باب داره . وقال زكى مبارك : إنه يستطيع أن يسوق للمعركة ألف نبوت من سنتريس .

وقد جرى النقد الهادىء المنمق بين طه حسين وهيكل أمداً طويلا ثم تحول إلى العنف من جانب طه حسين عندما كشف هيكل دسائس التغريب وعارض اتجاه طه حسين فى استغلال الأساطير فى كتابة السيرة .

أما المازنى وطه حسين فقد كان بينهما سجال دائم وخصومة خفية ، ظل طه حسين صامتا ازائها حتى هاجم المازنى فى معركة ديوان (أنات حائرة) لعزيز أباظه على نحو رمزى عنيف هنالك تدخل الدكتور زكى مبارك لكشف أسراره وتفسير مضامينه (ص ١٢٢) .

أما المعارك الأدبية بين طه حسين والعقاد فقد كانت يسيرة ، كان طه حسين يخشى قلم العقاد فلم يعرض له إلا لماما وفى حذر شديد ، وعند ما انضم طه حسين إلى الوفد كان العقاد أكبر من يخشاه ، لذلك أسرع مع مناسبة تكريم العقاد فأعلن أنه امير للشعر وكان قد سبق فقال بعد وفاة شوقى ان إمارة الشعر انتقلت إلى العراق ، وليس اعجب فى جانب النقد ولا اروع من تعليق الرافعى على راى طه حسين فى نقل إمارة الشعر إلى العقاد حين وصفها (ص ٥٤٠) بقوله : إنما اراد طه فى سخريته ان يقول : فإن لم تثبتوا ان فيكم من استطاع ان يخلف شوقى فاصبروا واصبروا حتى يكون العقاد اميركم .

وهكذا تمضى المساجلات الأدبية بين الهدوء والثورة ، وبين العنف والعمق ، وبين التجرد والهوى لتمثل صورة العصر نفسه بما فيه من اضطراب وقلق وتحول

ولا نعتقد اننا قد المنا إلماما كاملا بالمعارك الأدبية فى هذا العصر ، وإنما نقلنا صورة موجزة امينة لهذه المعارك فى غير ميدان السياسة التى سنختص بها كتابنا « الصحافة والسياسة » .

ولقد سبقت هذه المعارك معركتين كبيرتين : الأولى بين إبراهيم اليازجى

وفارس الشدياق وقد دارت حول اللغة وبلغت فيها عبارات الهجاء حدا مريرا . ومعركة تحرير المرأة التى استطارت بعد نشر قاسم امين فصول كتابه فى المؤيد ثم صدوره قبل نهاية القرن (١٨٩٨) وقد امتدت طويلا ، وانشئت من اجلها الصحف والفت الكتب فضلا عن المقالات المتعددة .

ولاشك ان هذه المعارك تعطى صورة صادقة لحيوية المفكرين والكتاب العرب فى اعمالهم بالبحث والتجديد وحماية القيم وتطوير المفاهيم فى الفكر العربى المعاصر بما تحقق على نحو لا بأس به(١٩٥٩) ؟

كان لنا وقد أعدنا طبع هذه الرسالة أن نذكر أننا أصدرنا حلقة أخرى تحت اسم « الساجلات والمعارك الأدبية » تضم حوالى ٥٠ معركة أدبية أخرى فى نفس الفترة التى تبدأ من أوائل القرن حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وقد إحتفظنا فى هذه الطبعة الثانية بنصوص الطبعة الأولى دون أى تعديل أو إضافة (١٩٨٢) .

الفصل الأول

معارك الوحدة والتجزئة

(١) معركة الوحدة العربية

طه حسين وعبد الرحمن عزام ومحب الدين الخطيب وعبد الله عفيفي وزكي مبارك وفتحي رضوان وزكي إبراهيم وعلي الجندي وحسن صبحي ومحمد كامل حسين وسلامة موسى

(٢) مصر بين العربية والفرعونية

الزيات وهيكل وعنان ومحمود سيف الدين الايراني

(٣) موركة العروبة والمصرية

ساطع الحصري وطه حسين والتنوخي

١ — معركة الوحدة العربية

هذه أضخم معركة فكرية عن القومية العربية جرت عام ١٩٣٣ ، أثارها الدكتور طه حسين بتعبير جاء ضمن إحدى مقالاته فى جريدة كوكب الشرق قال فيه :

« إن المصريين قد خضعوا لضروب من البغض وألوان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين » .

ولقد هبت العاصفة بعد هذه العبارة واستمرت أكثر من ثلاث شهور وقود الصحف على اختلاف ألوانها فى مصر والبلاد العربية . وقد حمل لواء مساجلة الدكتور طه : عبد القادر حمزة صاحب جريدة البلاغ واشترك فيها عدد كبير من الكتاب ، لم يقف فى صف الدكتور طه فيها غير حسن صبحى و محمد كامل حسين وسلامة موسى ووقف فى الجانب الآخر عبد الرحمن عزام ومحب الدين الخطيب وعبد الله عنيفى وفتحى رضوان وزكى مبارك وزكى ابراهيم وعلى الجندى .

ولقد نشر المقطم يوم ٦ سبتمبر ١٩٣٣ خبراً مؤداه بأن أعضاء الجمعيات الثقافية والأدبية فى دمشق بعد أن درست مقال الدكتور طه ، قررت « أن تنتهج حيال الدكتور نهج النازى الألمانى تجاه الكتب المعاكسة للقومية العربية . وأنهم قرروا دعوة الجمعيات العربية الأدبية والسياسية فى العراق وفلسطين وجميع الأقطار العربية إلى مقاطعة كتب الدكتور . وأن هذه الطريقة ستتبع أيضاً مع كل كاتب مصرى يطعن فى القومية العربية ويشجع الروح الشعوبية » .

وكتب المقطم فى افتتاحية (٧ سبتمبر ١٩٣٣) قال :

لسنا من موافقى الدكتور طه حسين على كل ما يروى فى بحوثه ونظرياته . ولكن مع هذا لا يسعنا إلا أن نقول لإخواننا أدباء دمشق وأعضاء جمعياتها الثقافية أن روح الأكراه الذى يشتم من قرارهم لا يطابق الرغبة البادية فى جميع البلدان إلى التعاون والاقناع وبيان فوائد التضافر .

ونشرت المقطم يوم ١٢ سبتمبر ١٩٣٣ بيان الشباب فى سورية بصدد كتب الدكتور طه حسين ثم كتب نفتحى رضوان إلى معروف الارناؤوط صاحب جريدة فتى العرب يدافع عن طه حسين ولكنه اعترف بموقف الدكتور طه فقال :

« أن إحراق كتب طه حسين لأنه واحد من الذين يهونون من أمر العرب ويصغرون من شأنهم ، ويرفعون الصوت بالدعوة التى يكرهونها من الكراهية إلا وهى الفرعونية » .

ونشرت جريدة فتى العرب فى دمشق تقول : بنى هذا القرار الذى سينفذ فى البلاد العربية كافة على إعتداءات ماضية ترجع إلى الكتاب الذى ألفه الدكتور طه حسين تحت عنوان « فى الأدب الجاهلى » والمقال الذى نشره فى كوكب الشرق ضد العرب ويهدف القرار إلى إخراج مؤلفات طه حسين من المكاتب واعتبارها ممنوعة التداول فى البلاد العربية لمخالفتها روح القومية المنتشرة فى بلاد العرب وتهجم صاحبها على حرمة التاريخ وعيبه فى ذكريات الأجداد الذين حرروا العنصر المصرى من سياط الفاتحين وأعطوه لغة قوية وديانة مرضية وحضارة لا تقاس بها حضارات العالم القديمة .

وكتبت البلاغ ترد على جريدة فتى العرب (٧ سبتمبر ١٩٣٣) وتقول : كنا نحب للزميلة أن لا يزل قلمها .. كالذى قالته عن تحرير العنصر المصرى من سياط الفاتحين فإن السخط على قلة الدكتور طه لا يجوع قذف الأمة المصرية فى وجهها بهذه العبارة على أننا نؤثر أن نغضى عن ذلك .

ثم بدأت المعركة بصورة جدية بمقال عبد الرحمن عزام « أليست مصر عربية » .

وتوالت المساجلة واشترك فيها عدد من كتاب القومية العربية وعدد من خصومها وكتب سلامة موسى يحرض على الفرعونية مقالا تحت عنوان :

« دماء الفراعنة تجرى فى عروقنا جميعاً » البلاغ ٨ أكتوبر ١٩٣٣ وأنكر زكى مبارك وجود الثقافة الفرعونية وصلاحيتها للحياة ، وهذه هى أبرز معالم المعركة : التى تعد من أهم المعارك القومية العربية الفكرية إذ كانت مصر فى هذه الفترة تحجب عن الأمة العربية ويشغلها الاستعمار بمذاهب متعددة ودعوات مختلفة من الفرعونية إلى التغريب بينما كانت سورية تحمل لواء القومية العربية ، غير أن هـذه الصيحة ما كادت تعلن حتى هب المؤمنون بعظمة الأمة العربية وأمجادها ووقفوا فى وجهها وقفة أدالت منها ومن دعاتها وحطمت شراعها .

٢ — البلاغ — أليست مصر عربية : عبد الرحمن عزام — ٣٣/٨/٢٩

فى سياق مقال للدكتور طه حسين استوقفنى العبارة الآتية : وهم — يريد المصريين — قد خضعوا لضروب من البغض وألوان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين » .

والدكتور طه رجل له فى العلم بالتاريخ مقام معلوم فهل له أن يتفضل بذكر بعض الحوادث التى تدخل العرب المسلمين فى زمرة البغاة المعتدين ، فقد قيل لنا عن دخول العرب إلى مصر إنه كان استخلاصا لأهلها من البغى والعدوان وإنقاذاً لها من الضلال . وقد جاء إليها العرب دعاة إلى دين جديد أصبح دين الكثرة العظمى من أهلها . هذا الدين سوى بين الراعى والرعية وقرر أنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى فهل يتفضل الدكتور طه حسين فيصحح معلوماتنا التاريخية عن الفتح العربى .

ثم ذكر الدكتور كيف رد المصريون أهل البغي والعدوان وكيف أفنوهم في أنفسهم وحشر العرب في زمرة الذين أفناهم المصريون والواقع أن كل الأمم التي بغت على مصر قد فنيت فيها إذا انتصر المصريون عليها ولا يستثنى من أهل البغض الذين يشير إليهم الدكتور طه حسين إلا العرب : أليس ذلك لأنهم لم يكونوا بغاة ولا معتدين .

لقد قبل المصريون دين العرب وعادات العرب ولسان العرب وحضارة العرب وأصبحوا عربا في طليعة العرب والذي نعلمه من البحث عن أنساب أقاليم مصرية بأكلها أن أكثرية دماء أهلها ترجع إلى العرق العربي وأن فرداً واحداً من تسعين في المئة من سكان مصر لا يستطيع أن ينكر أن عروقه تجرى فيها الدماء العربية والواقع الملموس أن مصر الآن من جسم الأمة العربية في مكان القلب فهل يتفضل الدكتور طه حسين ببيان المعنى الذى يريده حينما يقرر أن العرب فنوا في مصر وانهزموا .

ثم قد فنى في مصر جميع الفاتحين من أهل البغى والعدوان وكسبت مصر أبديا الأمة الوحيدة التي جاءت تحمل راية الإسلام ولا تقصد بغيا ولا عدوانا . تلك هي الأمة العربية وتلك هي أمتها التي تنتسب إليها وتفخر بتاريخها ثم أي شيء في العلم يتحول ، والشئون والحوادث تفعل فعلها في كل بقعة من الأرض وفي كل شعب من الشعوب .

والأمة المصرية الحالية إلا بقية من الأمة القديمة من الفراعنة . وبعض من مر بمصر في العصور المختلفة . قد غمرها جميعا سيل من الهجرة والدين وأصبح واديها مزدهراً بالسلالة التي صبغتها الدماء وسادت بها الديانة العربية والعرف العربي واللغة والثقافة فإنه يستطيع أن يقنع أي مصري آخر بأن العرب كانوا من البغاة المعتدين الذين أفناهم المصريون . وأخيرا ألا يعلم

الدكتور طه أن علاقات الأمم الإسلامية فى حكم مصر وحكم الأمم الإسلامية لم تكن علاقات قهر عنصرى واستعمار كما هى مع الانجليز . فإذا أنكرنا مصر العربية وتجاهلنا وجودها وانكرنا كذلك العربية فى الشام والعراق وأفريقيا وتجاهلنا وجودها فى تلك الأقطار فماذا يبقى فيها غير حجارة صامتة وأمم بائدة وأرض لا أهل لها .

ماذا بقى من أشور وفينيقية وفرعون وقرطاجنه غير ما أبقاه العرب فى أنفسهم وغير الأمة الحية التى تمتد الآن من المحيط إلى المحيط . ونحن إنما ننتسب بصفة عامة إلى تلك الأمة الحية الوارثة للأرض المبثوثة فيها .

٢ – البلاغ : عبد القادر حمزة — ٧ سبتمبر ١٩٣٣

لعل الدكتور طه يكون قد فطن إلى خطئه ولذلك رأيناه أحجم عن السكر إلى الموضوع وآثر السكوت . والإنسان غير معصوم . وكل امرىء يخطىء ويزل . ورد المخطىء إلى الصواب ليس طريقه أن تحرق كتبه أو تنفيها من المكاتب أو تطاردها أو تفعل بها ما يشبه هذا . فما يدحض الرأى إلا بالرأى ... والآراء تتنازع كما يتنازع الرأى ولا يبقى منها إلا الذى هو أقوى وأصلح وماعرفنا كاتبا اضطهد ولو بحق إلا كانت النتيجة عكس المروم .

وليس من حق أحد أن يمنع كاتبا من الأدلاء برأى ولو كان خطأ ولكن من حق كل قادر على ذلك أن ينقد هـــذا الرأى بالحجة القائمة والبرهان اللائح ..

وليس يعتبر العرب فى كثير أو قليل أن يخطىء طه أو غيره فى حقهم ولكنه يضير قضية العرب أن يلجأ إلى مثل هذه الأساليب .

٣ — البلاغ : محمد خياط الفلسطيني : مصر والعرب — ٣٣/٩/٨

ألا إن السانحة التي بدرت من الدكتور طه كانت الفتيلة التي ألهبت شعور السوريين فوقفوا تلك الوقفة واندفعوا ذلك الاندفاع . على أن كلمة الدكتور طه ليست من الخطورة بمكان لولا أن سبقتها حوادث أخرى تجرعها السوريون على مضض واحتملوها من اخوانهم المصريين وإن نسى السوريون فلن ينسوا موقف البعض من الأمة العربية ودعوتهم الفرعونية التي حاولوا فيها قطع كل صلة لمصر بالعالم الإسلامي والتي منيت بالفشل وباءت بالخسران

وإن كتاب الدكتور طه (في الأدب الجاهلي) لا يزال دويه يدوى في سوريا إلى الآن إلا أن قلة وسائل الدعاية والنشر حالت دون إظهار رأى الغالبية منهم فيه .

ثم ماهي الجناية التي جناها العرب على مصر ، انهم قدموا لها هذا الدين الإسلامي الحنيف ، وهذا اللسان العربي المبين فغدا المصريون والعرب سواء لافرق بين المصري والعربي فانتشرت الأخوة والمحبة .

على أن ما كتبته جريدة « فتى العرب » لم يكن فيا عدا الإشارة إلى الضرب بالسياط — وهو مالا يقر الكاتب عليه إلا عتبا على الدكتور طه حسين أولى بأدباء مصر أن يتقبلوه بنية حسنة .

وأعود فأقول أن السوريين لم يغضبوا لكلمة الدكتور طه فقط وإنما هذه الكلمة أذكرتهم بما كتبه بعض الكتاب المصريين قبل الدكتور طه خاصاً بالفرعونية أو الشعوبية وأن السوريين ليقفوا لهؤلاء الكتاب بالمرصاد ليحولوا دون تسرب آرائهم السامة إلى نفوس الشبيبة العربية .

وبعد فليست هذه الحملة موجهة إلى مصر فمصر عربية على الرغم من المتفرعنين ولكنها موجهة إلى كل من ذكر العرب بالسوء .

٤ ـ رأى طه حسين فى العرب : رد طه حسين : كوكب الشرق ٩/٩/٣٣

كتب الأستاذ عبد الرحمن عزام ذلك الفصل الذى نشرته له البلاغ مدافعا عن العرب ولم يهاجمهم أحد زائداً عن كرامتهم ولم يغض منها أحد، مثبتا المجدهم ولم ينكره عليهم أحد .

فصديقى عبد الرحمن عزام يعلم حق العلم . أنى لست من خصوم العرب، ولا من المنكرين لما كان لهم من مجد مؤثل وعز باق على الزمان . وهو يعلم حق العلم أنى لست خصما للنهضة العربية الحديثة . ولا لهذه الدعوة التى بذيعها العرب إلى وحدتهم القومية بأى شكل من أشكالها لأنى تحدثت إليه فى ذلك غير مرة .

إن شك فى شىء فلا يستطيع أن يشك فى أنى أبعد الناس عن الإساءة إلى العرب أو الإزورار عنهم .

وقد أثار مقال عبد الرحمن عزام حركة أو شيئا يشبه الحركة فى دمشق .

ورأت « البلاغ » لذة غريبة فى أن تطيل الحديث حول هـذا الشر فتنشر ماقالته صحيفة من صحف دمشق ثم تنتظر يوما حتى إذا كان الغد لفقت مانشرته هذه الصحيفة ثم أخذتَ تناقش هذه الصحيفة بعد أن تقرر أن الدكتور طه أخطأ خطأ عظيما فما فى ذلك شك وأنه لذلك أحجم عن الرد على الأستاذ عبد الرحمن عزام .

ولعل البلاغ قد فهمت عنى ولعل صديقى عبد الرحمن عزام قد كان أسرع

معها إلى الفهم وإلا فإن صديقى عبد الرحمن عزام والذين يكتبون فى صحيفة البلاغ ليسوا من الجهل بالتاريخ والغفلة عن حقائقه بحيث يعتقدون أن حكم العرب فى مصر قد كان كله خيراً و براً وعدلا وانصافا وقد برىء من الجور والحيف وخلص من البغى والطغيان ، هذا كلام يقوله العامة وأشباه العامة فأما المثقفون وفى مقدمتهم صديقى عبد الرحمن عزام وكتاب البلاغ فيعلمون حق العلم إن حكم العرب لمصر كان فى الخير أول الأمر حين حمل إلى مصر الإسلام ولكن بعد ذلك كان كحكم العرب لجميع البلاد الإسلامية مزاجا من الخير والشر والعدل والجور وقد ضاقت مصر به وثارت عليه وجدت فى الثورة .

وعفا الله عن قوم يريدون شيئاً فيسلكون إليه طريق الذود عن العرب والدفاع عن الأحساب والأنساب لأنهم لا يستطيعون أن يسلكوا إليه طريقه الواضح المستقيم .

٤ — البلاغ (مصر والعرب) : ابراهيم المازنى ١٩٣٣/٩/٩

ساء الدكتور طه أن يقول فى معرض الدفاع عن حرية الرأى أنه أخطأ ما فى ذلك شك ، وقد حاول أن يبين أنه لم يخطىء فنفى عنا الجهل بالتاريخ وبرأنا من الغفلة عن حقائقه .

أو هو لم ينف ذلك ولكنه نفى أن يكون من الجهل والغفلة يجب أن نعتقد « أن حكم العرب فى مصر قد كان كله خيراً وبراً وعدلا وانصافا قد برىء من الظلم والحيف وخلص من البغى والطغيان » هذا كلام يقوله العامة وأشباه العامة فأما المثقفون وفى مقدمتهم صديقى عبد الرحمن عزام وكتاب البلاغ فيعلمون حق العلم أن حكم العرب لمصر كان فيه الخير أول الأمر حين

حل إلى مصر الإسلام ولكن بعد ذلك كان لحكم العرب لجميع البلاد الإسلامية مزاجا من الخير والشر ومن العدل والجور .

فنقول لصديقنا الدكتور طه أننا لانحتاج إلى علم خاص بالتاريخ لنعرف أن حكم الإنسان للانسان يكون فيه الخير والشر والعدل الجور . وأن كل أمة قديمة أو حديثة فى كل مكان من هذه الأرض لقيت هذه الألوان من حكامها . .

والدكتور طه لم يقل هذا وإنما قال إن مصر ابتليت بالبغى والعدوان من الفرس والعرب وغيرهم ، فمعنى أن هذه خلاصة الرأى الذى انتهى إليه الدكتور طه فى حكمهم لمصر وأن كفة الشر والجور رجحت عنده فاستحق عهدهم فى مصر أن يذكر مقرونا بالبغى والعدوان ليس إلا .

ومن هنا نرى أن دفاع الدكتو طه عن كلمته لا ينهض وتسويغه لها لايستقيم وما كنا لنعنى بهذا الجدل لولا أن الدكتور طه كره أن يقال عنه أنه أخطأ كأنما هو معصوم فذهب يكابر ولو اعترف واعتذر لكان ذلك أكرم له وأمثل به فى رأينا .

٥ — البلاغ : أليست مصر عربية (عبد الرحمن عزام)

تناول عزام فى مقاله هذا الرد على عبارة الدكتور طه وهى :

« أنه قد فنى فى مصر جميع الفاتحين » قال :

عبارة الدكتور طه تطوى فى نفسها معنيين : الأول أن فتح العرب لمصر وحكمهم لها كان بغيا وعدوانا كفتح الرومان والفرس والفرنسيين وغيرهم .

والثانى أن مصر ردتهم عنها ! إذ أفنتهم فيها كما فعلت بغيرهم.

ولو[1] أن هذه المعانى قالها رجل غير صديقى الدكتور طه وكان له من المكانة فى نفسى ما للدكتور طه لناقشته فى الحال فيها ، لأننى كما يعلم الدكتور طه رجل يؤمن بعروبية مصر ، ويرى فى تاريخ العرب مثلا عليا ويضع الوحدة العربية بين ناظريه أسمى غايات الحياة .

.. فإما أن يكون الدكتور طه حسين لا يرى رأيى فى عربية مصر يقولا فى الوحدة العربية وله كامل الحرية فيما يعتقده وليس لأحد أن يحاول اضطهاده فى عقيدته ، أما أننا على تمام الاتفاق ، فهذا هو الجوهر فى الأمر .

لقد دلتنى تجارب عشرين سنة فى السياسة ومخالطة الشعوب والقبائل المجاورة لمصر فى الجنوب أو الغرب أو الشرق على وحدة جوية ، فما شعرت فى وجودى جنوبى حلفا بأننى غريب عن إخوانى السودانيين بل كانت عزتى فيهم صادرة عن الشعور بالوحدة التى تقوم على نسب مشترك وأدب مشترك ولسان مشترك ، وفى برقة ما كنت أظن إلا أننى فى عشيرتى وفى فلسطين لا يجد المصرى نفسه إلا فى قومه الأقربين ، ذلك كله جلى ملموس .

أما كيف صارت هذه الوحدة وكيف أصبحت مصر عربية وفى مكان القلب من جسم الأمة العربية فذلك مافعلته آلاف السنين ، فقد أندمجت مصر فى الأمة العربية بحيث أضحى قيام الفكرة العنصرية على غير هذا الأساس منافياً للحقيقة الواقعة والدعوة إلى الباطل ، لقد فعلت آلاف السنين فعلها لأن مما لاشك فيه أن امتزاج العرب بقدماء المصريين واشتراكهم مع العرب فى أرومة واحدة هو قول يؤيده ما بين الهيروغليفية والعربية من التشابه القوى ، وقد

---

(١) البلاغ ١١ سبتمبر ١٩٣٣ .

كان العرب يدعون خؤوله قدماء المصريين لهم قبـــل ظهور الإسلام بقرون طويلة .

وإذا كانت الرسالة المحمدية قد وجدت بين شعوب العنصر السامى وأخرجت لنا وحدة جنسية تشملها لغة مشتركة وعرف متحد فأصبحت بذلك وسط سبعين مليونا متقاربين فما هو وجه المصلحة فى التنا كر أو الدعوة إلى عزلة مصر عن الأمة العربية .

ليست الوطنية العزيزة الجانب هى التى تقوم على الغيرة المحلية أو الطائفية بل هى التى تقسم للغيرة على العنصر بأ كله كرمز لنوع من البشر له وجود خاص وبين أجزائه تعارف خاص ويستند إلى أدب مشترك ولغة مشتركة وتاريخ يهتز بترديده ويطرب لذكراه ويثير حميته ، ويدفعه إلى الاستبسال والغلاب . . .

ذلك هو أساس الوحدة العربية فى الأمة التى تمتد من المحيط إلى المحيط فليذهب إذن دعاة الفرعونية فى مصر أو الفينقية فى سوريا أو الأشورية فى العراق حيث شاءوا فإذا استطاعوا أن يستنهضوا قرية واحدة باسم الأمم التى فنيت فى أهل العربية فإنهم يستطيعون أن يقيموا شعوبيتهم على أساس عميق .

أما الدعوة باسم العربية فإنها تستنهض سبعين مليونا فى أفريقيا وآسيا وتجد فى تاريخ العرب وأبطالهم مايثير الناس جميعاً .

حدثوا ماشئتم عن خوفوا أو مينا فهل تجدون فى الناس انصاتا ، ثم حدثوهم عن عمر أو عمرو أو أبى عبيدة أو خالد أو سعد من فاتحى مصر وسوريا والعراق أفلا تجدون إنصاتا كانصات البنين للآباء ، هذا هو أصلهم الذين يعترفون به وهذا هو أصلهم الذى أنكروه فما معنى الشعوبية فى مصر

الحديثة أو فى غيرها من الأقطار العربية على أساس يفكره أهلها ولا يطمئنون إليه .

ذلك هو وجه الخلاف بينى وبين من يدعون إلى غير الوحدة العربية فإن كان الدكتور طه منهم فلن يمنع هذا الخلاف .

• • •

أما الشق الخاص بتاريخ الفتح العربى أو ما بعد الفتح من نوع الحكم فإن الدكتور طه لم يوضح لنا فيه شيئاً بل زاد الأمر غموضاً بالإشارات إلى ثورات للمصريين واستقلال عن السلطان العربى ، ونحن لا نعلم أى الثورات أو الاستقلالات يقصد .

ومع ذلك ليس هذا جوهريا إلا إذا أراد به إبعادنا عن الحقيقة التى نريدها وهى « عربية مصر » الحديثة، مصر الحية التى تناهض الإنجليز لتدفعهم عن هذا الوادى ، وإذا لم تدفعهم عن مصر الحديثة فهل تستطيع الأصنام القائمة على جوانبه ضراً ولا نفعاً .

٦ — البلاغ : القومية العربية ومكانة مصر منها : محب الدين الخطيب

نعم[١] إن المصرى مصرى ، ولكن مع أنه مصرى هو عربى ، فمصر وطنه والعربية جنسيته المنبثقة من لغته وثقافته ، بل من أربعة عشر قرنا على الأقل من تاريخه القومى كما أن العراقى عراقى وهو مع ذلك عربى ، وكما أن السورى سورى وهو مع ذلك عربى .

مصر وطن المصرى المحبوب ، وهو وادى النيل ، ولكنه مكان ضيق

---

(١) البلاغ : ١٢ سبتمبر ١٩٣٢ .

لأمة بعيدة المطمح تضرب بآمالها آفاق الأرض وتخترق بهمتها أجواز السماء ، وهنالك ناس تخفق قلوبهم مع قلبه وتغضب نفوسهم للمغضوب من حقه ، وتحس عواطفهم باخوته ، هم الذين يقرؤن مؤلفاته إذا ألف ، ويترنمون بقصائده إذا نظم وبأناشيده إذا غنى و . .

ومفخرة مصر أحمد كمال باشا رحمة الله أنه لم يخرج من هذه الدنيا حتى ترك وراءه معجما يبلغ حمل جمل وضع فيه جميع ماعرفه البشر من الكلمات فى لغة مصر القديمة المكتوبة بالخط الهيروغليفى وكان هو يفسر لغة مصر القديمة بلغة مصر الحديثة (العربية) ويجد فى العربية فى مقابل بعض الألفاظ المصرية القديمة ألفاظا شبيهة بها لفظا ومعنى .

وقد حمل هذا الاكتشاف على انعام النظر فى هذا الأمر ومازال به حتى تبين له أن أكثر من نصف اللغة التى كان يستعملها قدماء المصريين هى شبيهة بمثلها فى العربية لفظا ومعنى ، زد على ذلك أنها شبيهة بالعربية المصرية التى نستعملها اليوم ، ولو أن العربية المعاصرة لقدماء المصريين والتى كانت تستعمل فى سيناء وجزيرة العرب قبل أربعة آلاف سنة — أى قبل أن تتزين العربية بإعراب أواخر الكلم — دونت يومئذ فى معجم ، أو لو أن فى جزيرة العرب نيلا كالنيل الذى فى مصر يجلب إلى أهلها ثروة كالثروة التى كانت لفراعنة مصر فتمكنوا بهذه الثروة من إقامة أهرام وآثار ينقشون لغتهم عليها لثبت لأحمد كمال باشا ولكل إنسان على وجه الأرض أن لغة مصر القديمة هى لغة جزيرة العرب لا تختلف إحداها عن الأخرى إلا بالامالات وبعض المترادفات فهما لهجتان من لغة واحدة كما هى الحال اليوم تماما بلا أدنى فرق .

إن الإسلام أوصل العربية إلى أوربا وآسيا وأفريقيا ، وكانت العربية

فى بعض القرون لغة السوق والمدرسة فى أسبانيا وإيران كما ترى هى لغة السوق والمدرسة فى مصر والشام والعراق والمغرب .

فلما ضعفت سلطة الدولة العربية تقلصت العربية عن البلاد غير السامية ، ولكنها رسخت فى البلاد السامية وصارت عنوان قومية واحدة من الموصل إلى رباط الفتح .

.. بل أن « مينا » وهو عنوان مجد مصر الفرعونية رجل أسيوى جاء إلى مصر من آسيا .

لاشك أنه جاء عن طريق سينا العربية أو من جبال وأودية أخرى وراء سينا وأعمق فى العروبة ، وماذا يمنع من القول بأن مينا ابن جزيرة العرب !
إن جزيرة العرب تغذى مصر بأبنائها من قبل مينا ، ومن بعد مينا ومن قبل عمر بن العاص ومن بعد عمر بن العاص ، وأن فرعون نفسه كانت تجول فى عروقه دماء غير قليلة من الدماء التى كانت تجول فى عروق عدنان .

ومصر تتكلم العربية منذ أربع عشر قرنا ومع ذلك لايزال يوجد فيها من يريد أن يقول أنه غير عربى ، وأكثر القائمين بالقضية التركية فى الأناضول يرجعون بأنسابهم إلى الجركس والكرد أو اللاز أو الارناؤوط ولم يتكلموا التركية إلا من مائة سنة أو مائتى سنة بالأكثر ومع ذلك يعتزون بالتركية فهل مائة السنة أو المائتان كافية ليكون القوم هناك أوفياء للغة التركية إلى هذا الحد والأربعة عشر قرنا التى مضت على العروبة فى مصر غير كافية لتجعل مصر — تعلن من غير خوف ولا إحجام — أنها عربية .

إن الحلقوم الكبير الذى أراد منذ مائة عام أن يبتلع الشرق الإسلامى خاف هذه اللقمة وخاف أن يغص بها . فبث ببراعة مدهشة نزعة القوميات التى صدعت المجامع الإسلامية ومزقتها . ثم وقف أمام القومية العربية فهابها ورآها

لقمة من شأنها أن يغص بها . فاخترع ببراعة هذه الوطنيات بل حاول فى بعض الأحيان تمزيق العربية نفسها بالدعوة إلى كتابة اللهجات العامية فى كل قطر وجعلها لغات أدبية . » وهل إحياء عنوان (الأشوريين) فى العراق بعد أن أماتته القرون وإحياء العرف البربرى فى شمال أفريقيا وتأليف كتب نحو وصرف للغة البربرية إلا حلقات من سلسلة برنامج موسوم ونحن نضع أعناقنا فى هذه السلسلة لنختنق بها . ونحسب أنها حلية نتجمل بها ، هل أنبه إلى أن الإدارة بفلسطين أرادت قبل سنين أن تحى إسم (فينيقيا) وتطلقة على المقاطعة الشمالية الغربية هناك .

أجتهد الإنجليز وصنائعهم من عهد بعيد :أن يوهمو النشء المصرى بأن وجود العربية والإسلام فى مصر إنما هو أحتلال كالاحتلال الفارسى واليونانى والرومانى والفرنسى والإنجليزى .

والمعنى الحقيقى للاحتلال أن تستولى دولة على بلد وتتصرف فى مرافقة وتبقيه غريبا عنها . هكذا كان حال الفرس واليونان والرومان قبل دخول مصر فى الإسلام . وهكذا كان حال أحتلال الفرنسيين ثم أحتلال الإنجليز فهم يترفعون عن الامتزاج بالأمة المصرية ولا يساوونها بهم ولا يخطر فى بالهم أن يعتبروها منهم .

أما العرب ففى عشرين سنة فقط أختلطوا بالمصرين واتحدوا معهم بالدين واللغة والثقافة وصار لهم وعليهم وتولى أبناء مصر جميع مرافق الحكم والإدارة .

فالذى قال عن المصريين (أنهم خضعوا لضروب من البغض وألوان من العدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسين . إلخ فقد خالف الحقيقة بما نسب إليهم من ضروب البغض وألوان العدوان .

وإذا كان أراد المتصرفين فى إدارة بعد ذلك مـــدة الأمويين والعباسيين والفاطميين فلا شك أن الذى كان يتولى ذلك فى مصر إنما هم المصريين أنفسهم .

ولقد قال جوستاف لوبون (ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب) لأن التاريخ ما عرف أمة تخلط الأمم بنفسها وتجعل لها ما لها وعليها ما عليها كما عرف ذلك من العرب

٧ — البلاغ : مكان مصر من العرب والقومية والعربية . عبد القادر حمزة[1]

الفكرة البارزة هى أن للمصرى وطنا أول هو مصر ووطنا ثانيا هو القومية العربية وهذا تحديد نظن أن جميع المصريين يوافقون عليه فى جملته ولكنهم يحبون أن لا يدخل عليه شىء من الغلو فى جزئياته .

... لا نكران إذن أن العنصر السامى أتصل بمصر منذ آلاف من السنين وأن العرب لما فتحوا مصر أعطوها الدين الإسلامى واللغة والثقافة العربية ولكن لا نكران أن كل ذلك لا يسلخ للمصريين من جنسيتهم المصرية وبيئتهم المصرية وتاريخهم المصرى . فالمصريون على هذا مصريون بوطنهم وجنسيتهم وتاريخهم . وهم فى الوقت نفسه عرب بدينهم وبلغتهم والهوى الصادق الذى يحملونه لإخوانهم العرب شرقا وغربا .

ولكن من شاء أن يسمى القومية العربية وطنا ثانيا للمصريين بعد وطنهم مصر ، ذلك مالا نتنازع فيه ولا مصلحة لنا فى أن نتنازع فيه .. ولكن على أن يكون مفهوما أننا إذا ذكرنا وطننا الأول مصر لم يكن المعنى أن هذا

---

(١) البلاغ ١٣ سبتمبر ١٩٣٢ .

الوطن نشأ منذ الفتح الإسلامى فقط بل نشأ قبل ذلك بألوف من السنين . فهذا الماضى كله هو مجموع الذكريات ومجموع الآلام والآمال التى يتألف من بعضها الوطن ويتولد الشعور الوطنى .

فالذى يريد من المصريين أن ينسوا ماضيهم هذا البعيد وأن يقفوا منه عند الفتح الإسلامى وحده إنما يريد ظلما لهم وشططا وخروجا على القواعد الطبيعية .

ولهذا لا نفهم هذه الكراهية التى تبدو على بعض دعاة العربية لذكرى الفراعنة يتحدث بها المصريون فيما يتحدثون عن ماضى بلادهم ويستلهمونها ما يلهمه كل ماضى مجيد من سمو المطمح وعزة النفس ومضاء العزيمة . وهل يكون معقولا أن يشيد الأوربيون جميعا والأمريكيون أيضاً بهذا الماضى حتى ليأتون ألوفا كل سنة ليشاهدوا آثاره . . . ثم ينكره المصريون أو يهملونه .

لعل هذه الكراهية التى تبدو على بعض دعاة العربية لذكرى الفراعنة إنما تنشأ عن فهم أن تنسلخ عن هوها العرب فهذا الخوف لا محل له بعد أن صارت مصر عربية الدين عربية اللغة منذ أربع عشر قرونا .

٨ — ثقافة مصر هل تكون عربية أم فرعونية[1] : عبد الله حفيفى

طلعت علينا فى الأيام الأخيرة فكرة ضارة تدعو إلى الفرعونية وتريدها أن تسود ثقافتنا وتفكيرنا قائلين أن ذلك هو مجد الخلود . وسؤدد الأجيال . وأن الرجوع بمصر وبأهلها إلى عهد الفراعنة الشداد ووثنيتهم البالية هو سبيل القوة والعظمة ووسيلة الجاه والحياة وما دروا أنهم بذلك يطالبوننا بالجمود

(١) البلاغ ١٦ سبتمبر ١٩٢٣ .

والفكر أن لهذا التراث المجيد الطاهر الذى ورثناه عن آبائنا العرب الكرام والذى جاء إلى يتوجهما الدين الإسلامى الحنيف بسهولته وعظمته وبقوته السامقة التى أبادت دولا وثلت عروشا وحطمت تيجان واكتسحت جيوش الأمم من حولها حتى نشرت بنودها الخافقة على مشارق الأرض ومغاربها فكانت بذلك رسالة مقدسة أنقذت العالم من شرور الطغاة وأذاقت من جبروت المستبدين وأبادت عبادات لا يرضاها العقل ولا تتفق مع الكرامة وسمت بالإنسانية إلى ذروات المجد والعزة فإذا بالبشر هو البشر والرجل هو الرجل والمرأة هى المرأة فى منازل الحياة ينعمون بحقوقهم ويؤدون واجبهم نحو الخالق القاهر ونحو الجنس البشرى يتجهون للعزة الآلهية بالتقديس والعبودية .

٩ — لا فرعونية ولا عربية بعد اليوم : فتحى راضوان[1] :

إذ قيل أمصر فرعونية أم عربية وجدت الباحثين لا يبحثون بوسائل الأثبات العلمية فرعونيتها أو عربيتها ، أى غلبة الروح الفرعونية على الروح العربية فى مصر بل يفاضلون بين مجد الأمتين .. ويقرنون الدين فى هذه المفاضلة .

فمن رأى منهم أن العرب أعظم مجدا وأبقى على التاريخ قال مصر عربية ومن آمن بالحضارة الفرعونية ورأى فيها أكمل الإنسانية قال مصر فرعونية .

فإذا دار البحث عن أى الأمتين أعظم أثراً وأسمى رسالة : العرب الذين أنطلقوا من شبه الجزيرة القاحلة الجرداء بعد أن كانوا تائهين فى أعطافها وأطرافها يحملون مشعل الهدى ويهدون الأمم جميعا إلى الحق والخير ويبفون لقومهم بدين جديد .

أم الفراعنة الذين حيث فى أرضهم أولى حضارات العالم ثم قويت حتى

---

(١) البلاغ — ١٩ سبتمبر ١٩٣٣ .

سارت ثم أنطلقت تعم الدنيا وتشمل العالم وتترك فى كل قطراً أثراً وفى كل شعب آية من آيات عمقها وإتساع مداها ، إذا دار البحث حول هذه النقطة وإتجه هذا الاتجاه .. كان واجب الباحثين أن يقصروا بحثهم على العرب لا على الاسلام ووجب أن يفاضلوا بين العرب قبل الإسلام وبعده لا العرب قبله فحسب .

أما الذين يريدون أن يمزجوا العرب بالإسلام فهم يخطئون محجة الصواب لأنهم بذلك ينقصون عن عظمة هذا الدين يكسب به السمو والشرف كل من إنتسب إليه .

ثم خلص من هذا إلى أن قال :

« .. الفرعونية والعربية موضوع يجب أن يهجر لأنه فى جملته وتفصيله سبة وعار . عار أن يختلف المصريون هكذا فى معرفة أصولهم وأنسابهم. عار أن يرتفع صوت كاتب عظيم ليقرر أن مصر فرعونية ويرتفع من الجهة الأخرى كاتب عظيم ليقرر أن مصر عربية . وكلاهما يعيشان فى مصر ويتنشقان هواءها ويشربان من مائها .

لا فارق بين الكاتبين ، وإنما هناك شبهة دست علينا . ولا أدرى من المسئول عنها : ولكن أغلب الظن أن المسئول هنا هم المستعمرون الذين يريدون أن يقسموا تاريخ مصر قسمين . فيفسدوا وحدة تاريخ هذه الأمة العظيمة ويقلبوا أبناءها إلى معسكرين يتناوشان ويتنازعان وتبدو منهما الألفاظ النابية والتلويحات السكريهة . وكان الأولى أن يتعاونوا على إبراز جلال هذا التاريخ .

١٠ — الثقافة العربية والثقافة الفرعونية: زكى مبارك

مصر اليوم لغتها العربية ودينها الإسلام،فمن يدعوها إلى إحياء الفرعونية يدعوها أيضاً إلى نبذ اللغة العربية أو يدعوها إلى إعتقاد أن اللغة العربية لغة دخيلة. ويدعوها أيضاً إلى أن تذهب مذهب الفراعنة فى فهم الأصول الدينية.

نحن اليوم فى عهد إنتقال ومن الواجب أن تكون خطواتنا رشيدة موفقة وليس من الرشد والتوفيق أن نمكن للمترددين من المضى فى غيهم والمترددون فى مصر هم الحيارى الذين لا يدرون مكان القومية المصرية فهم تارة فراعنة وتارة عرب .

واللغة العربية هى لغة المصريين وكيف لا تكون كذلك وقد كانت أداة التفاهم فى وادى النيل نحو ثلاثة عشر قرنا وقد يصعب على الباحث أن يثبت أن المصريين فى عهود التاريخ ظلوا يتكلمون لغة واحدة فى مثل هذا المدى من الزمان .

ونحن حين نتكلم العربية وندين بالإسلام لا نحتاج إلى من يذكرنا بأننا عرب ، فنحن عرب لغة ودينا ولكننا مصريون وطنا والذى يطالبنا بغير ذلك إنما يكابر فى الواقع وقد كان مفهوما منذ أزمان طويلة أن مصر لها وجود خاص وتاريخ العرب حافل بشواهد هذا القول . والمصرى لا يمتنع من القول بالوحدة العربية .

وهذه الوحدة تتمثل اليوم فى الصلات الأدبية التى تجمع بين مصر وبين المغرب والشام والحجاز واليمن والعراق . أما الوحدة السياسية فأمل ضعيف ،

---

(١) البلاغ ـ ٢٢ سبتمبر ١٩٣٣ .

وليس من النافع أن نسير فى البقاع المصرية لنستقصى ما بقى من الموسيقى الفرعونية فهذه رجعة ضائعة النتائج وإنما الواجب أن ندرس الموسيقى الحاضرة، موسيقى الغرب المثقف ثم نضيف إلى أصواتنا وألحاننا ما يزيدها قوة إلى قوة.

... بينت أنه لا يربطنا بالعرب غير اللغة والدين . ونحن فيما عدا ذلك أبناء هذا الزمان . أى والله نحن أبناء هذا الزمان فلتكن ثقافتنا موجهة إلى الأصول الحديثة فى العلوم والآداب والفنون ، ولقد كان الفراعنة من أعرف أهل زمانهم بالطب ولكن من الخرق أن نفكر اليوم فى تجربة وصفات المصريين .

إن التطلع إلى الوراء محنة وصرف الوقت فى التشبث بالمدنيات البائدة خسار وضلال ولا ينبغى لنا أن نفكر فى الحضارة القديمة إلا بقدر ما يوقظ النعرة القومية .

ومن الخرافات التى يرددها شباب اليوم أن مصر قد تكون عربية دينا ولغة ولكنها فرعونية دما . وهذه فكرة وهمية فإن مصر كانت قد اندمجت فى القومية الإسلامية وصاهرت الناس من جميع الأجناس وهى بطبيعة موقعها الجغرافى ملتقى لأهل الشرق والغرب فليس فيها دم خالص إلا فى القرى السحيقة التى حرمها الجهل والفقر من الاتصال بالوافدين إلى البلاد من مختلف الجنسيات

وبعد فنحن نعيش فى مصر ونتكلم لغة العرب وندين بالإسلام .

١١ — ثقافة مصر يجب تكون مصرية : زكى إبراهيم

كان من رأى الأستاذ عبد الله عفيفى أن تكون ثقافة المصريين عربية

البلاغ — ١٢ سبتمبر ١٩٣٣ .

وقد نحا فى التدليل على صحة رأية ناحية الدين الإسلامى .. وإسترسل فى هذه النعرة ، نعرة الدين لكى يصل إلى قلب الجمهور .

على أن القضية لا دخل للدين فيها مطلقا فالمسألة ثقافة . والثقافة كما فسرها حسن صبحى هى كل ما يحيط بالمجموع . هى الظاهرة المتأصلة فى نفس كل منا . هى الطابع الذى يسم الأمة ، ولكل أمة طابعها .

وقد برهن حسن صبحى على أن للمصريين ثقافة خاصة نحسها فى الغيط عند الفلاح وفى الطريق على السحنة العامة .. وفى الريف .وفى الغناء والأنغام .

إن لمصر ثقافة قديمة مازالت هى ثقافتها إلى اليوم فما معنى تغييرها وإبدال ثقافة عربية جديدة بها تحتاج فى تعلمها إلى الوقت الطويل . لنا لغة خاصة مكتسبة من العربية ، نعم أنها ليست عربية فصيحة ولكنها ليست فرعونية أيضا .

وليست مصر وحدها التى تدين بالإسلام فهناك الترك والفرس والهند والأفغان والكرد وغيرهم من الأمم . ومع ذلك لم يفكروا فى تغيير ثقافاتهم بثقافات عربية ولا فى أستبدال لغتهم بلغة عربية ، بل لم يفرضوا تعليم أبنائهم العربية كلغة إضافية، إذن ما بالكم تريدون أن ترغب عن مصريتنا إلى العربية ونحن كباقى من ذكرت من الأمم لنا لغة وثقافة وطابع لن نستطيع عنها بديلا .

على أن ليس المسألة فيها فرعونية ولا فرعون . لأنها هى : هل ينبغى للمصريين أن يكون لهم ثقافة مصرية خاصة وطابع مصرى خاص . أو أن تكون ثقافتهم عربية . وأن يكونوا مطبوعين بالطابع العربى .

وما كان يدور بخلدى أن دعاة العربية سيتناولون للمسألة عن طريق الدين فلقد بحت أصواتنا من قولنا (مصر للمصريين) فهل تريدون بعد ما عانينا من نصب وقدمنا من تضحية أن نقول « مصر للغرب » أللهم لا ، فهذا ما لا يرضاه أحد .

١٢ — مصر عربية ولن تكون غير ذلك : على الجندى

الفرق بين الفرعونية والدين فى الواقع كالفرق بين الموت والحياة ، والعدم والوجود ...

لقد إنتهى هذا الصراع الأدبى بفوز العربية فوزاً ظاهراً ولكن يؤسفنا أن أشياع الفرعونية لم يعترفوا بأنهم غلبوا على أمرهم .

إن من الخير لنا أن نوحد جهودنا لترقية ثقافتنا العربية التى عرفنا بها وعرفت بنا ، كرهنا أم رضينا بدل أن نسلك شعابا متباينة تستنفد قوتنا ولا تفضى بنا إلا إلى الفرقة والدمار .

ليست الثقافة كما يظنون ثوبا يلبسه صاحبه متى شاء ويخلعه متى أراد وإلا لكان من السهل على الأمم جميعا أن تصبح أسرة مؤتلفة متساوية الدرجة.

ماذا تريدون بالثقافة الفرعونية ، وأين هى وماذا بقى منها .

إن إشقاءنا العرب لا يسوموننا شططا هم لا يحبون لنا أن ننكر أجدادنا الأول أو أن نبرأ من ماضينا المجيد ، لا يريدون منا أكثر من أن نكون مسلمين دينا ، عربا لغة، تظلنا الثقافة المتحدة وتجمعنا الآمال والآلام المشتركة،

(١) البلاغ — ٢٧ سبتمبر ١٩٣٢ .

لا يريدون أكثر من أن نكون عضوا عاملا فى الجسم العربى القومى،لا بل رأسا لذلك الجسم أو قلبا له .

أتريدون أن ننسى شعراءنا من المهلهل إلى شوقى ،أكتفاء بشعر بنتاءور إن صح أنه من الشعراء ، أتريدون أن ننسى أسماءنا ونتسمى برمسيس وتحتمس ..

١٣ — مصر بين الفرعونية والعربية

مناظرة بين عبد الله عفيفى وحسن صبحى

١ — عبد الله عفيفى : نحن عرب .

إن مصر الحاضرة عربية لا فرعونية، البلاد عربية لأن دينها الإسلام وقد أنزل القرآن الكريم باللغة العربية .

الثقافة العربية عقيدة قوية تفيض بالحيوية وليست آتية من الفتح والغزو . ليس فى تمسكنا بها غضا على مصريتنا إذ أنها لقوتها وحيويتها أن كثيراً من الأمم القوية أغارت على البلاد العربية ولكنها مع ذلك دفعت إلى التثقف بالثقافة العربية ، وأستشهد على صحة ذلك بالحبشة حينما أغارت على بلاد اليمن وفتحتها بكثرة العدد وقوة العدد. فإنها أندمجت فيها وأصبحت خلية من خلايا الثقافة العربية وأنها هى الثقافة التى صمدت أربعة عشر قرنا فى وجه الغزاة الفاتحين من الأمم القوية كالبربر والمماليك والأتراك مما يثبت قوتها وخلودها .

والعربى الثقافة قوى بشمائله قوى بدينه يؤثر فيمن حوله مضطراً إياهم إلى الأندماج فى ثقافته .

مالنا نريد أن نتحول عن ثقافة تمتد حدودها حول ضفاف بحر الروم إلى

ثقافة عفت وبادت، إننا حين نوازن بين الثقافتين ، نوازن بين وجود وعدم؛ وأستنكر هذا التمرد وهذه الشرعة فى إعتزال عن العالم العربى وفى التى يقول بنوها : نحن عشراؤكم وأخوانكم وأنتم زعماؤنا .

ونحن عرب بلغتنا وديننا ، تربطنا وسائر أخواننا من بنى الشرق آصرة الدين آصرة اللغة وللدعوة إلى الفرعونية معناها قطيعة الأخوان وهى ضارة بالوطنية .

أما هذه الصيحة المنافسة من وراء قبور الفراعنة فلا يجب أن يتأذى بها إخواننا لأن الإسلام واللغة والأدب عوامل قوية تحول دون تحقيقها .

الحضارة الحديثة مدينة إلى اللغة العربية لأنها قرنت بين القديم والحديث.

٢ — حسن صبحى : الوجهة الفرعونية التى يجب أن تتجه اليها ثقافتنا

قالت البلاغ تلخص محاضرته .

رجع إلى تاريخ مصر منذ ٧ آلاف عام حينما كانت قبائل متفرقة جاءت من جهات متعددة ثم وحدتها الظروف المماثلة وأكسبتها ثقافة أخرجت لنا الحضارة المصرية الأولى التى أشرقت بنورها على ما عرف من العالم فى ذلك الحين:

وعرج إلى مصر وإنتاجها الفكرى العظيم « هذا الإنتاج الذى نعرفه بالثقافة » فذكر كيف صمد — محتفظا بشخصيته — أحقابا وأجيالا طويلة تعاقبت على مصر خلالها غزاة وفاتحون « منهم الكلدانيون الذين أتوا من العراق ومنهم الملكة نفرتيتى وحاولوا أن يقضوا عليه فقضى عليهم وسرعان ما تحولت الموجة الفكرية الكلدانية إلى موجة ثقافية مصرية .

ومنهم الأشوريون ، ومنهم الرومان المتعجرفون الذين أرادوا أن يؤثروا في الثقافة المصرية بقوتهم الغشوم فكان جزاؤهم الفشل والخذلان والطرد .

وأخيراً جاء العرب بثقافتهم الخاصة إذ كانت لهم ثقافة وأندمجوا في الثقافة المصرية كالسكرات الحمراء ودفعتها إلى التقدم والمدنية والرقى .

ولكنها لم تتغلب عليها قط إذ أنها ما زالت محتفظة بطابعها المصرى حتى الآن فى نواح متعددة من الحياة فى مصر ، ومن السهل على المرء أن يميز آثارها فى البيت المصرى الصميم وفى الأغانى الشعبية القومية العامية التى يرددها الفلاحون بل فى اللغة العربية التى نتكلم بها الآن .

وأن عشر اللغة التى نتكلم بها هيروغليفى ، مثل نون الوقاية وكاف الخطاب والفعل أدى فهذه كلها ألفاظ تعود بأصلها إلى الهيروغليفية .

وأنتقل إلى الثقافة المصرية الدينية فذكر أن المصريين نشأوا جاهلين كالعرب ولكنهم مع ذلك عبدوا الخالق فى صور عديدة، ومعنى هذا أنهم عرفوا فكرة التوحيد فى الإسلام وفكرة التثليث فى المسيحية .

وعاد فقال إن الأرغول والناى بشكل القيثارة والدف هذه كلها أدوات مصرية فرعونية قديمة .

١٤ — لا فرعونية ولا عربية : محمد كامل حسين[1]

ذهب بعضهم إلى أن هذه الثقافة يجب أن تكون فرعونية وقال البعض أن ثقافة مصر يجب أن تكون عربية خالصة .

أما هؤلاء الذين يريدون لمصر الثقافة الدينية فلا نتفق معهم أيضاً فى

هذا الرأى . فطبيعة مصر تختلف إختلافا طبيعيا عن طبيعة بلاد العرب .

والحياة المصرية، تختلف عن حياة العرب وللمصريين عقلية خاصة تختلف أيضا عن عقلية العرب فكل الظروف تدل على أن المصريين يختلفون عن العرب فى أشياء كثيرة وإن كان المصريون والعرب كما يقول البعض من أصل واحد إذ أنهم أتصلوا ببعض أتصالا يكاد تاما حتى حينما دخل العرب مصر وهاجرت قبائل عربية إليها وأستوطنوا بها نرى الحياة التى كانوا يحيونها قبل دخولهم مصر تتغير ويصبحون كالمصريين فى كل شىء والثقافة العربية نفسها التى حملوها إلى مصر أختلفت فى كثير عن الثقافة العربية فى البلاد الأخرى :

ثم أن اللغة العربية التى يدرسونها لمصر محدودة لا تتعدى اللغة والشعر وبعض القصص ، أما العلوم الأخرى من فلسفة ومنطق وغيرها فلم يكن للعرب حظ منها وإنما عرفها المسلمون بعد الفتوح الاسلامية .

كل الذين يسمون الثقافة الإسلامية بالثقافة العربية قد أخطأوا فى هذه التسمية لأن هذه الثقافة أشتملت على العلوم وأفكار ليست عربية فى شىء كما أن القائمين بها كثرتهم من غير العرب .

ولكن هذه الثقافة الإسلامية لا تكفى وحدها لأن تكون ثقافة مصر بعد أن رأيت هذا الجمود الذى حل برجال الأزهر نتيجة اتخاذهم الثقافة الإسلامية وحدها دون غيرها .

ثم عمدنا إلى الثقافات الأجنبية المختلفة التى كلف بها المصريون وأحبوها.

---

(١) كوكب الشرق ـــ ٢ | ١٠ / ١٩٣٣ .

١٥ — هذا الوطن المصرى : سلامة موسى

لسنا فى دعوتنا إلى درس الفراعنة رجعيين لا بل نحن ندرس هذه الحضارة بروح يقرب جداً من الروح الدينى فإننا نزداد صلاحا بهذا الدرس إذ نجد فيها الأسباب الكبيرة لأن يحب بعضنا بعضا . فنحن أسرة قد عشنا فى هذا الوادى أكثر من عشرة آلاف سنة وليس فينا مصرى واحد كائنة ما كانت البقعة التى يعيش فيها إلا وفيه قطرة من الدم الذى جرى فى رمسيس وخوفو ومنقرع وأخناتون .

ولكن بعض الناس يتهموننا بما يسمونه (الفرعون) وهذه اللفظة لم تجر قط على قلم واحد من الكتاب المصريين فى صدد الدفاع عنها وإنما هم اخترعوها لكى يشتمون نها ، وقد بلغ السخف بأحدهم أن يقف فى منبر مصرى ويشتمنا على هذه الفرعونية المزعومة ويسب الفراعنة . وهم يقصدون بالفرعونية أننا نريد أن نجحد العرب ونرجع بالناس إلى ديانة الفراعنة وأنظمتهم ، وهـــــذا سخف لا يعرفونه هم أنفسهم ولكنهم يتوسلون به للطعن فينا .

ثم يدعون علينا الدعاوى فى الكراهية لوحدة العرب بل يتهموننا بخدمة الاستعمار بتفتيت الوحدة .

وليس فى العالم كله صحف تدافع عن الأقطار العربية وتعنى بأخبارها كالصحف المصرية ، ولكن مجهود هذه الصحف لا يعترف به إذ هى لا تكتب فى الليل والنهار عن الوحدة العربية ولا تنغمس فى دعاية تعترف أنها تعد الآن سخيفة وأن الوقت لم يحن لها.

كلا أيها الاخوان لا تلومنا على الزهو بالفراعنة لأن لنا حقاً فى هـذا الزهو يعترف به العالم كله .

١٦ — عربية مصر : سعيد حيدر (١)

أريد أن أطمئن الأستاذ صاحب البلاغ بأن دعاة القومية العربية لا يسيئهم ولا يضيرهم مطلقا أن تستلهم مصر — فى جهودها لتبوؤ مكانتها السامية بين الأمم — مجد الفراعنة . لأن هؤلاء الدعاة يعلمون أن كبار علماء الآثار والعاديات يكادون يجمعون على أن أصل الفراعنة ومنشأهم بلاد العرب وأن مباحث اشتقاق اللغات تكاد تقرر أن لغة الفراعنة واللغة العربية شقيقتان ، وأن المصريين القدماء والعرب سامية وأن الهكسوس عرب خلص.

إنما الذى يسىء دعاة القومية العربية ويضيرهم هو سعى بعض أعلام الكتاب فى مصر لإسدال ستر النسيان على تراث مصر من مجد آبائهم من العرب ، ذلك المجد الخالد الذى قد لا يضاهيه مجد آخر ولا يضارعه حافز نحو العلاء وانصرافهم بكليتهم إلى إدعاء فرعونية مصر والقول بأن العرب غرباء أجانب جاءوها غزاة فاتحين فأضروا بها وأخروها من سلم الحضارة العالمية أحقابا مما لا يتفق مع التاريخ والعلم ومصلحة مصر ، حيث يبذرون بذور الكراهيه والبغضاء بين الأخوة الأشقاء .

وحين شرع أعلام الكتاب فى مصر يترنمون بمجد العرب الخالد والحضارة الإسلاميه الزاهرة ويمزجون بين هذا ومجد الفراعنه لاستثارة حماسه الشباب المصريين وتوجيه مطامحهم نحو العلاء فلم يبقى بينهم وبين دعاة القوميه أى خلاف .

---

(١) البلاغ ١٠ / ٩ / ١٩٣٣ .

يكاد يحار المرء فى إدراك المصلحة التى ينشدها لمصر دعاة الرجوع إلى الفرعونية والجنوح عن العربية ، ماذا عساها تكون .

أظن أن التجارب القاسية التى مرت بمصر أقنعت العقلاء والمفكرين بأن الاتجاهات الاقليمية لن تؤدى إلى حسن النتائج . وأن إتجاها مصريا واتجاها سوريا وآخر عراقياً وهلم جرا لن يصل بنا إلا إلى الفشل المرير وأن النجاح مضمون حين نجتمع على اتجاه عربى شامل ..

إن علماء الاجتماع وعلماء الحقوق والمؤرخين نبذوا منذ سنين نظرية الدم والعرق فى التعرف على القومية وقالوا بوحدة اللغة ووحدة الثقافة والدين وتماثل الأخلاق والعادات والتقاليد .. فهل بين هذه الصفات ما يكذبنا إذا إذا إدعينا أن مصر عربية فى نظر العلم أيضا .

١٧ — عربية أم فرعونية — (حسن عارف[١])

الواقع أن الدعوة العربية حديثة جد الحداثة لم يقل بها النبى الكريم ولم تتواتر على الألسنة ولم تطرق ذهن رجل كجمال الدين أو الإمام والواقع أنها فكرة نشأت غامضة مبهمة مكبوتة حائرة فى نفوس الشعوب العربية حين كان يأتمرون بها ويمصقون بكرامتها وعواطفها ، وحين كانوا يعلمون أن العرب جنس خلق ليحكم ويجلد ويعامل معاملة الأنعام وحين شعرت الأمم العربية أن الترك لاينظرون للخلافة على أنها رمز الوحدة الإسلامية حيث يتآخى الكل وحيث لافضل لتركى على عربى .

فأين مصر من هذا كله .. ؟

(١) البلاغ ١١ أكتوبر ١٩٣٣ .

كرم ملحم كرم : صاحب العاصفة (بيروت)

الرغبة فى رؤية الكتاب المصريين فى الصف الأول حملت جريدة العاصفة على أن نحذرهم من داء كمن فى نفوس بعضهم .

وكانت مقاطعة السوريين لمؤلفات طه حسين ومناداتهم بإحراقها فوقفت منذ تلك الدعوة إلى المقاطعة موقفنا حملنا على الميل إلى الصفاء والسلام، وقلنا للغاضبين لماذا إحراق الكتب وفى إحراقها دليل على التقهقر والتأخر فاكتبوا إلى الرجل وأطلبوا منه الاعتذار ، وفى اعتقاد أنه سيعتذر عن خطأ لم يقصده وإلا فالمجال أمامكم فسيح لا لإحراق كتبه بل للامتناع عن شرائها وقراءتها.

هذا ما قلناه والدكتور طه حسين اعتذر بمهارة وحذق .

نعم ؛ نحن تمادينا فيما كتب عن إحراق كتب طه حسين وقلنا أن بعض الكتاب المصريين يتناسى حين يكتب أن هناك شعباً غير الشعب المصرى مع أن هناك فى العالم العربى البلدان الوسيعة وفى كل منها أدباء لا يقلون عن الأدباء المصريين شأناً . ولو اتفق لهؤلاء أن يقيموا فى بيئة كالبيئة المصرية لمشوا فى الصف الأول من صفوف أدباء العرب .

تعليق : هذا العرض يدل على شيء واحد . هو مدى ، أحدث الأستعمار فى مصر من بلبلة للافكار بين الشرقية والفرعونية والإسلامية والعربية والأقليمة [والشعوبية والتغريب وذلك حتى تظل محجوبة عن الاتجاه الواضح الصحيح وذلك فى نفس الوقت الذى كانت الأمة العربية يتطلع الى (مصر) كمركز لقيادة الحركة العربية ولكن هذه الهزة كانت بمثابة يقظه رتطلع وكانت صدمه السير فى الطريق الواضح وهزيمه لوعاة الشعوبية الذين تساقطوا من بعد كأوراق الخريف ثم لم يلبث الاتجاه العربى آن أصبح حقيقة واقعه .

(١) البلاغ — ٢٣ / ١٠ / ١٩٣٣ .

إن مصر لم تقل يوما إنها عربية بل قالت إنها إسلامية ، وظلت ساخطة على الترك متبرمة من تعسفهم وجهل أحوالهم ورجالهم ولكنها لم تربط سخطها على الترك بسخط أمة أخرى ولم تلج باب الوحدة العربية علماً منها بأنها ليست عربية .

وحين ثار فى مصر عرابى لم يقل بالعربية بل كان شعاره مصر للمصريين.

ولما دخل الأنجليز مصر وأوهنوا حريتها كان الناقمون على الإنجليز ينادون بالفكرة الإسلامية لا العربية .

ونخرج بك الآن إلى الغرض الذى ترمى إليه الدعوة العربية . ذلك أن هذه الدعوة لن تضر البلاد العربية شيئاً لأن فيها أمة عربية لها معالم ومظاهر تميزها عن غيرها تمييزاً محسوسا، وفخر هذه الأمة بتاريخها ومدنيتها وثقافتها أمر طبيعى يزيد ثقة فى مستقبلها ويمهد الأمل ويفتح لها الطريق ، ولكنها تضر مصر ضررا بالغا ، فمصر تتكلم العربية وتدين بالإسلام ولكنها تختلف عن العرب فى كل شىء ..

أما الذين يدعون إلى الفرعونية فاسألهم ماذا يريدون فصحيح أن مصر كانت فرعونية وصحيح أن هناك بقايا كثيرة جدا من الحضارة الفرعونية تطفو على سطح العادات المصرية القديمة .

ولكن علام يدل كل هذا ، وماالفائدة من تكرارها، والتكالب عليه وبعثه إلى الوجود .

لا فرعونية ولا عربية . نريد إتجاها جديدا مستقلا عن كل نفوذ أجنبى والعربية نفوذ أجنبى أى خارجى من حيث المكان ، والفرعونية نفوذ أجنبى أى خارجى من حيث الزمان .

٣ — مصر بين العربية والفرعونية

معركة بين هيكل والزيات

بدأت معركة « العربية والفرعونية » بحركة الأدب القومي وتعزيز « المصرية » ، وحملت لوائها بعض الصحف وفي مقدمتها جريدة السياسة ومجلة السياسة الأسبوعية ، ودافع عنها هيكل وطه حسين ومحمد عبد الله عنان وسلامه موسى .

كانت مصر في فترة التطلع إلى هدف ، وكان الاستعمار الفكري من وراء بلبلة الثقافة المصرية إنما يبعدها عن مجال الدعوة إلى القومية العربية بدعاوى الاعتزاز بالمصرية والتاريخ المصري القديم ، وكان لظهور بعض الآثار الفرعونية في هذه الفترة كقبر توت عنخ آمون (١٩٢٢) وغيره من الحفريات له أثره في بروز هذه الدعوة : دعوة المصرية التي تحولت بعد قليل الى دعوة تغليب الفرعونية على العربية .

وقد اتجهت مجلة السياسة الأسبوعية إلى إنشاء جماعة للدعوة إلى الأدب المصري ثم لم يلبث الدكتور هيكل أن حمل لواء الدعوة إلى الفرعونية ، وقد ظهرت في هذه الفترة كتابات متعددة تحاول إحياء الأدب الفرعوني القديم على أنه تراث فكرى كما فعل حسن صبحى لكتابه أوراق البردى وكتاباته الأخرى ثم اتجه الدكتور هيكل الى حمل لواء الدعوة لا إلى الفرعونية في مصر ، بل الى أن تقوم كل قطر عربى بالبحث عن تاريخه القديم وذلك باحياء البابلية والأشورية وغيرها .

ولم يقف كتاب الأمة العربية صامتين أمام هذا التيار بل شاركوا فيه وعارضوا الفكرة وأظهروا جوانب الخطأ فيها .

١ — المصرية : تراث قومى أثيل لمصر

محمد عبد الله عنان : ملحق السياسة الأسبوعية (١٤ أكتوبر ١٩٣٢)

من الطبيعى أن تكون الفكرة القومية في مصر أثيلة في مصريتها وأن تكون هذه المصرية المؤثلة رمزاً لكل مظاهر الطموح المصرى في جميع ميادين الحياة العامة وأن تتقدم كل ماعداها من الفكر والمظاهر ، ولم يقف هذا الروح عند الجهاد الوطنى ولكنه شمل التفكير والأدب بطبعها لون عميق من المصرية فأصبحت تمتاز رغم كونها عربية إسلامية بخواص تميزها عما عداها .

ومصر اليوم تحمل لواء الزعامة والقيادة في إحياء تراث التفكير

الإسلامى ولكن فهم القومية المصرية على هذا النحو لا يروق لبعض المفكرين من إخواننا فى البلاد العربية ، فهم يأخذون على مصر أنها تغلو فى مصريتها ويقولون أنها بذلك تخرج من حظيرة الأمة العربية مع أنها ليست إلا واحدة منها . وفى حين أن هذه الأمم تتوق كلها إلى الالتفاف من الوجهة العامة حول لواء واحد لتكون فى ميدان النضال السياسى والفكرى كتلة موحدة من بعض الوجوه ، فانسلاخ مصر عن هذا الاجتماع بدعوى أنها فرعونية أو مصرية يضعف هذا الاجتماع ويضعف نهضة الأمم العربية فى سبيل حرياتها السياسية وتقدمها الفكرى والاجتماعى .

ويعبر البعض عن مثل هذا الاندماج فى الفكرة العربية بالجامعة العربية التى أصبحت الدعوة إليها ظاهرة بارزة فى الحياة العامة بفلسطين وسوريا والعراق وأحيانا تبدو الدعوة إلى العروبة وما إليها من الفكر التى يحمل لواءها أنصار الجامعة العربية أيضاً ، ويدعو إليها فى مصر بعض المصريين أو المتمصرين القلائل .

والدعوة إلى الجامعة العربية شاملة فيما نفهم ، يقصد بها إلى نوع من التضامن العام بين الأمم العربية سواء فى الخطط والجهود السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية والفكرية . وأحيانا تتخذ صورة الدعوة إلى إندماج فعلى بين أمتين أو أكثر من الأمم العربية ، كما تسفر أحيانا عن بعض المشاريع السياسية العامة كمشروع الحلف العربى الذى تكررت الدعوة إليه آخراً .

ولقد صرحنا برأينا أكثر من مرة فى شأن فكرة الجامعة العربية . فهى على مايصورها الغلاة من دعاتها فى نظرنا أمنية خيالية لاتقوم على أية أسس أو تقديرات عملية ، وقد تكون مثلا أعلى يرجع بالأذهان إلى عصور المجد التى جمعت بين جميع الأمم العربية تحت خلافة أو سلطنة إسلامية واحدة فلها

بذلك ووعتها ولكنها مع ذلك سراب تبدده الحقائق والظروف الواقعة . بل إن التعلق بها ضار فى نظرنا بجهود الأمم العربيه عا قد يقبه إليها من الوهن المترتب على إغفال الحقائق .

على أننا نسوغ هذه الجامعة العربية بمعنى أدق وأكثر تحديداً هو تقوية الروابط الفكرية والاجتماعية بين الأمم العربية وتنظيمها وتوجيهها إلى ما يرفع روح هذه الأمم وعقليتها ويصقل تفكيرها وهممها .

وهنا تعرض مسألة القومية المصرية بصورة بارزة فمن الخطأ البين أن تنضم مصر فى سلك البلاد العربية . إذا تعلق الأمر بالناحية القومية ، فالقومية المصرية قديمة وأثيلة ، وقد وجدت الأمة المصرية منذ أقدم عصور التاريخ واقترن اسمها بحضارة من أقدم وأمجد الحضارات .

فلما جاء الفتح الإسلامى — وكانت مصر ولاية رومانية ولكنها كانت أمة فورثت من غزاتها الجدد : الإسلام واللغة العربية ، ولكنها حافظت على خواصها القومية ونشأت فى ظل الإسلام أمة مصرية مسلمة عربية لا بخواصها الجنسية ولكن فقط باللغة التى تنطق بها ولم تفقد قط شخصيتها المصرية فى ظل الدول الإسلامية المختلفة .

هذه « المصرية » هى فى الواقع دعامة شخصيتنا القومية فلسنا نفهم كيف ينكرها علينا بعض إخواننا العرب وكيف يتخذونها مثاراً للانتقاص من موقف مصر إزاء الأمة العربية ، وهى ترى من وراء محيط العربية أو العروبة الضيق محيطا أوسع وأبعد مدى هو محيط الأمم الإسلامية .

أما العمل تحت لواء العربية أو العروبة فأصلح ما يرتبط فى نظرنا بالجانب الفكرى والاجتماعى

٢ — مصر القديمة ومصر الحديثة : هيكل

وكتب[1] الدكتور هيكل : تعليقا على كتاب حسن صبحي (قصص البردى) فقال :

بين مصر الحديثة ومصر القديمة اتصال نفسي وثيق ينساه كثيرون ويحسبون أن ماطرأ على مصر منذ عصور الفراعنة من تطورات في نظم الحكم وفي العقائد الدينية وفي اللغة وفي غير ذلك من مقومات الحياة، وقد فصل بين هذه الأمة الحاضرة وبين الأمة المصرية القديمة فصلا حاسما جعلنا إلى العرب أو إلى الرومان أقرب منا إلى أولئك الذين عمروا وادي النيل في ألوف السنين التي سبقت المسيحية .

فكيف ترى المصريين الذين يتكلمون العربية المصرية اليوم، والذين يتصورون الأشياء على ما تريدهم لغة العرب أن يتصورها، تتصل حياتهم النفسية فيما يتعلق بالتصور والخيال بحياة الذين كانوا يتكلمون الهيروغليفية بما كانت تحمله ألفاظها وعباراتها المتوارثة إلى القلوب والعقول من صور .

لا سبيل إلى إنكار ذلك الاتصال النفسي الوثيق الذي يربط تاريخ مصر منذ بدايته إلى عصرنا الحاضر وإلى آخر العصور المستقبلة التي يمكن أن يعرفها التاريخ ولئن تبدلت أسباب العيش ما تبدلت . فستبقى أبداً هذا الاتصال النفسي الوثيق الذي يجعل من مصر وحدة تاريخية أزلية خالدة فيما يصل إليه عقلنا من تصور الأزل والخلد مادام النيل وما دامت سماء مصر ومادامت هذه الطبيعة الباقية في هذا الوادي، وما دام ناس يعتمدون فيه على ما يورث

---

(١) السياسة الأسبوعية — ٢٧ نوفمبر ١٩٢٦ .

الأجداد الأحفاد مما سكبته طبيعة الوادى فى وجودهم من حياة نفسية .

كلما صفق طربا لاكتشاف آثار توت عنخ آمون ، وكلما ملأ ماضية فخراً بمدينة هذه الأسرة الثامنة عشر الفرعونية على ما بيننا وبينها من آلاف السنين .

وإذا كان لنا من آثار الأقدمين المتصلين بنا هذه الصلة النفسية الوثيقة ما يطوع لنا أن نجدد مصر القديمة كما جدد الغربيون اليونان والرومان ، وكان لنا من وراء ذلك مطمع فى أن نقر فى مصر حضارة قوية متينة كالحضارة التى أقرها الغربيون فى أوروبا فمن الجريمة على أنفسنا وعلى الوطن أن ننى عن ذلك أو نقصر فيه أى تقصير ، والسبيل إلى ذلك كله هو البحث عن موضع الأتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة فى ميادين الأدب وكتبه والعقائد وطقوس العبادة .

٣ — وكتب الدكتور حسين هيكل : ملحق السياسة (٢٩ سبتمبر ١٩٣٣) .

بينما كنت فى لبنان فى شهر يوليو الماضى قصد إلى صحفى يتحدث فى شئون وفى أخرى وكان من بين ما سألنى عنه هذه « الفرعونية » التى أدعو إلى بعثها فى الأدب وفى غير الأدب .

وقد كان يبدو عليه شىء من الأفكار للفكرة الغربية التى تشغل أذهان رجال الشرق العربى وقلوبهم جميعاً ، ولأنها فيما يقول لا فائدة منها بعد أن غزا الإسلام بلاد هذا الشرق العربى فعفى فيها على كل أثر قبله . وأحل بها حضارة جديدة لا صلة بينها وبين ما سبقها من الحضارات .

ولقد كنت أسمع لزميلى وهو يحدثنى معترضا على فكرتى فى كثير من الرفق والأشفاق على ما نسميه الحقائق . وبينما كنت أسمع كنت أذكر ما ثار فى وجه هذه الفكرة بالذات من إعتراضات عنيفة فى بلاد الشرق العربى المختلفة بل فى مصر نفسها . وما رميت به هذه الفكرة من مقاصد مستترة لم تجل بخاطرى يوم دعوت إليها . فقد أتهمنا بأنها ترمى إلى فصل مصر عن الكتلة العربية حينا وعلى فرض زعامة مصر على الكتلة العربية حينا آخر . وإلى محاربة الفكرة الإسلامية والحضارة الإسلامية تارات . وكنت أذكر كذلك أن العالم الفيلسوف يهوذا تحدث إلى فى شأن هذه الفكرة سنة ١٩٢٩ ، وسألنى عما أقصد إليه منها حاسبا أنى أريد أن تحى مصر فى هذا القرن المسيحى حياة مصر منذ خمسين قرنا مضت ، تعيش كما كان الفراعنة يعيشون : تؤمن بما كان الفراعنة يؤمنون ، وتفكر كما كان الفراعنة يفكرون ، وهم بعد أن تذوقوا الحرية الفكرية والحضارة العلمية لن يستطيع أحد أن يقهد أفكارهم أو يردهم إلى حضارة الخضوع والأذعان .

إننى حين أدعو المصريين إلى هذا إنما أراه وأجيا قوميا يجب أداؤه فى البلاد المختلفة بالدعوة إلى مثله وبتفسير قليل يقنع بأن تطبيق هذه الفكرة فى بلاد الشرق العربى يؤدى إلى نتيجة هى خير النتائج . وبودى أن يصل أهل الشام حاضرهما بما ضيهم منذ عهد الفينيقيين وإلى أن يصل أهل العراق حاضرهم بماضيهم إلى عهد آشور وبابل .

ليست الدعوة لدراسة تاريخ مصر الفرعونية مقصوداً بها رد التاريخ على أعقابه ليصب فى منبعه ولا هى مقصود بها إلى الأعراض عن دراسة تاريخ الشرق فى مختلف عصوره .

أما القول بأن الدعوة إلى إحياء الفرعونية فى الفن والأدب وما سواهما من ميادين الحياة إنما يقصد به إلى أن تحى مصر اليوم كما كانت تحي مصر الفراعنة فإن ذلك محاولة المستحيل لأنها محاولة رد التاريخ القهقرى وصد تياره ليكر راجعاً إلى المنبع بدلا من يظل مندفعا إلى المصب .

ولكن ثمة حقيقة ليست أقل من هذه وضوحا وقوة ؛ تلك : أن كل حاضر لا يتصل بماضيه لا مستقبل له .

لا أقصد إلا أن يتصل الروح المصرى الحديث بالروح القديم وأن يتابع هذا الوحى على تعاقب العصور من بعد الفراعنة أثناء حكم البطالسة وأثناء العهد الرومانى فى مصر . وأثناء أطوار الحياة المختلفة التى تعاقبت على مصر الإسلامية إلى عصرنا الحاضر وما يخالجنى ريب فى أن كل اتصال بين روحنا اليوم وبين روحنا فى مختلف العصور يضاعف قوتنا وحيويتنا ويسمو بروحنا إلى مقام البقاء والخلود

٤ — وكتب محمود سيف الدين الإيرانى فى (السياسة الأسبوعية) ٣ فبراير ١٩٣٣ — يرد على هيكل .

هذه الدعوة التى يبذل كثير من المفكرين فى مصر فى سبيل تعميمها ، وتوجيه الأذهان إليها جهوداً كبيرة ، وكيف تتلقاها الأمم فى بلاد الشرق العربى وكيف تنظر إليها باعتبارها موجهة إليها . الحق أن هذه الدعوة تعتبرها الأمم فى بلاد الشرق العربى صدمة قوية لشعورها وترى أنها تحمل فى أطوائها معانى الاستخفاف والرغبة فى الانسلاخ عن كل ما هو عربى ومعانى النكران والأهمال لكل ما تمحض هاته الأمم مصر من عطف وحب

إلى حد الاهتمام بكل ما جل ودق من شؤونها . ثم هي ترى أن في الفكرة تطرفا وغلوا وأن من حقها أن نتناول بالتمحيص كل ما يتخذه الداعون إلى هذه الفكرة .

أول ما يلمس المتأمل لهذه الإبحاث التي تدور حول هذه الفكرة هو هذا الأندفاع من جانب يتولى قيادته الأستاذان عبد الله عنان وسلامة موسى ، ثم فريق آخر متريثا متمهلا على رأسه طه حسين وهيكل .

٥ — وكتب أحمد حسن الزيات في «مجلة الرسالة» أول أكتوبر ١٩٣٣ :

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ! ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح ويبعثوا حربا من غير جند . أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية .

نعم ؛ قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة النفوس وأعنة الأهواء . ثم اشتهر بالرأي الفرعوني أثناء أو ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام . فبسطوه في المقالات وأيدوه بالمناظرات . ورددوه في المحادثات . حتى خال بعض الأعمام في العراق والشام أن الأمر جد . وأن الفكرة عقيدة . وأن ثلاثة من الكتاب أمة ، وأن مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات والمساجد معابد . والكنائس هيا كل . والعلماء كهنة .

لا نريد أن نحاجهم بما قرره المحدثون من العلماء من أن المصرية الجاهلية تنزع بعرق إلى العربية الجاهلية فإن هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل . وكفى بالواقع المشهود دليلا وحجة .

وهذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرنا وثلثا من التاريخ العربي

نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال

أزهقوا ان أستطعتم هذه الروح ، وأمحوا ولو بالفرض هذا الماضى ، ثم أنظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر . وهل يبقى إلا أشلاء من بقايا السوط . وأنضاء من ضحايا الجور . وأشباح طائفة ترتل (كتاب الأموات) وجباه ضارعه تسجد للصخور . وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة .

لا تستطيع مصر الإسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربى . لأنها لا تجد مدداً لحيويتها ، ولا سبداً لقوتها ، ولا أساسا لثقافتها ، إلا فى رسالة العرب .

أنشروا ما ضمت القبور من رفات الفراعين . وأستقطروا من الصخور الصلاب أخبار المالكين ، وغالبوا البلى على ما بقى فى يديه من أكفان الماضى الرسيم ، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الإثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب ، ولكن أذكروا دائما أن الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو . وأن اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر . وأن القيثار الذى توقعون عليه ألحان النيل هو قيثار إمرىء القيس . وأن أثار العرب المعنوية التى لا تزال تعمر الصدور وتملأ السطور وتغذى العالم ، هى أدعى إلى الفخر وأبقى على الدهر وأجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة .

وبعد فإن ثقافتنا المدنية إنما تقوم فى روحها على الإسلام والمسيحية ، وفى آدابها على الآداب العربية والغربية ، وفى علمها على القرائح الأوربية

الخاصة . أما ثقافة البردى فليس يربطها بعصر العربية رباط ، لا بالمسلمين ولا بالاقباط .

٦ - وكتب (أبو الخطاب - يافا) يرد على هيكل فى (السياسة الأسبوعية) :

كنت أزعم أن نصيب دعاة الفرعونية بعد جهاد طويل ومحاولات عنيفة أن أنشق عليهم من كان أكثرهم للدعوة تحمسا وإبرعهم دعاية وأبعدهم أثراً وهذ الأستاذ محمود عزمى ينقلت من فرعونى متعصب إلى عربى صميم يصدر فى قلب لندن جريدة دعاها (العالم العربى) وكلها عطف على سوريا وإهتمام بالعراق .

كنت أزعم هذا كله ، وكنت جد مؤمن بحقيقة ما أزعمة وقد زادنى الأستاذ الكبير إبراهيم المازنى وثوقا بمزاعمى وإرتياحا إليها عندما التففنا حوله نسائله عن الفرعونية فيجيب بأنها عاصفة فى فنجان لا يجدر بنا أن نوليها هذا الاهتمام وأن نخافها هذا الخوف .

إذن : فالدعوة الفرعونية باطلة كدعوة قومية والجدال حولها مهما كان عنيفا فهو عنف من غير طائل ، صاخب من غير حاجة إلى الصخب إذ لا أصل له ولا يقوم على أساس من المنطق ولا تضرم نيرانه الحقائق العلمية ، فليصخب دعاة الفرعونية ما يصخبون فما أحسبهم راجعين إلى رمسيس وامحوتب وهاتور يستوحونهم الفلسفة ويستلهمونهم الدين ويتلقون عنهم العلم ويتذوقون منهم الأدب ويستصدرون عنهم الثقافة . وما أحسبهم كامة متسلخين عن العرب والشرق ومتنكرين للعرب والشرق ، يطمعون فى حياة

سياسية وإجتماعية منفصلة عن الأقطار العربية كل الانفصال ، منقطعة عن العراق وسوريا كل الانقطاع وإذا أرادت هي هذا الانقطاع فلن تسعفها الظروف ولن يستقيم لها الانفصال .

لماذا ترى مصر تعود إلى الفراعنة إذا ما أرادت وحدة روحية قوية تنتظم الحاضر والمستقبل وتدفع الناس إلى حضارة تتضاءل أمامها الحضارات التى عرفت حتى اليوم .

ولكن حتى دعوة مصر الحديثة إلى العودة إلى مصر الفرعونية دعوة باطلة فى أساسها ، فإن مصر اليوم عربية ديناً ولغة وثقافة وجدير بثلاثة عشر قرنا وثلث قضاها العرب فى مصر أن تجعل مصر عربية الروح، مضرية اللسان، محمدية الدين وجدير بالأزهر أن يزرى بالسكرنك والأهرام وجدير بدار الكتب أن تكف نورها بقايا من الآثار والمومياء والأكفان طريحة فى دار الآثار .

تعليق :

تحول الدكتور « هيكل » عن رأيه فى « الفراعنة » وأعلن صراحه فى مقدمة كتابة (منزل الوحى) أنه لم يجد هذه الدعوة محققة لهدفه فى بعث مصر فتحول عنها .

٣ — معركة العروبة والمصرية

بين ساطع الحصرى وطه حسين

عاد الدكتور طه حسين — عام ١٩٣٨ — مرة أخرى إلى معارضة القومية العربية والسخرية بالوحدة العربية عند ما أدلى بتصريحات إلى مجلة المكشوف اللبنانية فى حديث جرى بينه وبين بعض الشباب العرب ويجمل هذا الحديث :

• إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين وأنها ستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى.
• إن المصرى مصرى قبل كل شىء فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف .
ولا تصدقون ما يقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعروبة فالفرعونية متأصلة فى نفوسهم . وستبقى كذلك .
• إن الأكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربى بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء .
• إن تاريخ مصر مستقل عن تاريخ أى بلد آخر .
• لو كان للغة وزن فى تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا ولا سويسرا ولا البرازيل ولا البرتغال .

وقد رد عليه ساطع الحصرى رداً علميا مقنعا عجز أمامه طه حسين أن يرد واكتفى بأن نشر فصلا من كتابه « مستقبل الثقافة » . . وكتب الدكتور طه مرة أخرى آرائه بصورة وبأخرى وبثالثة وفى كل مرة كان يجد الرد من كتاب العالم العربى الذين كالوا الدكتور طه بالباع باعين وفندوا آراءه ومزقوها شر ممزق ، وهذه ملامح المعركة :

مصر والعروبة : من ساطع الحصرى إلى طه حسين(١)

أيها الأستاذ :

نشرت مجلة المكشوف البيروتية حديثا جرى بينكم وبين جماعة من شباب العرب على ظهر باخرة تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط ، قلتم فى خلال هذا الحديث أنكم : تنادون بتوحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية وتسهيل

---

(١) ١٩ ديسمبر ١٩٣٨ — مجلة الرسالة .

التبادل الثقافى بينها وترون (من المفيد أن يكون تعاونا اقتصاديا وحتى تحالفا عسكريا) بين تلك الأقطار . غير أنكم لا ترضون وحدة سياسية ، سواء أكانت (بشكل امبراطورية جامعة) أم على طراز (اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى)وعلاتم آراءكم هذه بقولكم (إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين وانها ستبقى كذلك . بل يجب أن تبقى وتقوى)

قرأت هذه الآراء بدهشة غريبة لأننى استبعدت صدورها منكم كل الاستبعاد . وقلت فى نفسى « لعل الكاتب نقلها على غير حقيقتها » .. أو لعل الدكتور أراد أن يمتحن هؤلاء الشبان . ويتأكد من مبلغ إيمانهم بالقضية ، فالآراء التى أدلى بها ربما كانت من نوع الآراء الجدلية التى ترمى إلى حمل المخاطب على التعمق فى التفكير،فوجدت نفسى تجاه هذه الملاحظات بين عاملين مختلفين : عامل يدفعنى إلى الإسراع فى مناقشة هذه الآراء لكى لا أترك مجالا لزعزعة إيمان بعض الشبان وعامل يدفعنى إلى التريث فى الأمر لكى أتأكد من صحة الحديث المعزو إليكم .

• قلتم : إن المصرى مصرى قبل كل شىء فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف فاسمحوا لى أن أسألكم : هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية ؟

أنا لا أتردد فى الإجابة عن هذا السؤال بالنفى ، لأنى أعتقد بأن دعوة المصريين إلى الاتحاد مع سائر الأقطار العربيه لا تتضمن بوجه من الوجوه حثهم على التنازل عن المصرية . إن دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا ولن يطلبوا من المصريين — لا ضمنا ولا صراحة — أن يتنازلوا عن مصريتهم . بل إنهم يطلبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم المصرى الخاص شعوراً عربيا عاما . وأن يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية .

• قلتم : ولا تصدق مايقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعروبة ، فالفرعونية متأصـــلة فى نفوسهم ، ثم أضفتم إلى ذلك حـكما قاطعا فقلتم « وستبقى كذلك » •

فهل تسمحون لى أن أستوضحكم ماتقصدونه من كلمة (الفرعونية) هل تقصدون منها الأخذ بحضارة الفراعنة أم الاعتزاز بثقافة الفراعنه أم تقصدون بث اللغة الفرعونية أو الآداب الفرعونية أو الديانة الفرعونية أو السياسية الفرعونية •

أنا لا أستطيع أن أشك فى أنكم لم تقصدوا منها الحضارة أبدا : لأنكم لستم — بدون ريب — ممن يقبلون لمصر ولغير مصر — حضارة فى هـذا العصر غير الحضارة العلمية الحالية ، كما لا أستطيع أشك فى أنكم لم تقصدوا من هذه الكلمة « الديانة الفرعونية » •

إنكم أشرتم فى حديثكم إلى الآثار الباقية من عهد الفراعنة بشكل يستوقف الأنظار وأردتم أن تدعموا آراءكم بجلال تلك الآثار أذ قلتم : « لاتطلبوا من مصر أن تتخلى عن مصريتها ، وإلا كان معنى طلبكم : إهدمى يامصر أبا الهول والأهرام • وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم • وانسى نفسك واتبعينا » •

يظهر من هذه التأويلات أنكم تودون أن تخلقوا للفكرة العربية خصوما من الآثار القديمة وأن تضعوا فى سبيل تيار هذه الفكرة سدوداً من الرموس والأطلال • فهل فاتكم أن التعارض والتصادم لا يحدثان إلا بين الأشياء التى تسير على مستوى واحد • فى عالم واحد ؟

وإن الفكرة العربية التى تعمل فى القرن العشرين — للأجيال القادمة —

لا يمكن أن يتعارض مع آثار بقيت ميراثا من ماض سحيق . يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين ؟

إن مصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة دون أن تهدم أبا الهول. وتخلت عن لغتها القديمة دون أن تقوض الأهرام . وجميع آثار الفراعنة التي زينت بها متاحف مصر ومتاحف العالم لم تولد نزوعا للعودة إلى الديانة التي أوجدت تلك المآثر الخالدة ، ولا حركة ترمي إلى بعث اللغة التي رافقتها خلال قرون طويلة فهل من موجب لطلب هدم الأهرام وتناسى الآثار لأجل الوحدة العربية.

إن الأهرام — مع جميع الآثار الفرعونية — لم تمنع مصر من الاتحاد مع سائر الأقطار العربية اتحاداً تاماً — في ميدان اللغة — فهل يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار في ميدان السياسة أيضا !

كلا أيها الأستاذ : إن التيارات القوية العميقة التي جرفت حياة مصر إلى اتجاهات جديدة منذ عشرات القرون . والتي أخرجتها من ديانتها القديمة وأنستها لغتها الأصلية — بالرغم من وجود الأهرام وقيام أبي الهول — سوف لا تحتاج إلى هدم شيء من آثارها القديمة . لتجرفها نحو السياسة التي يؤمن بها دعاة الوحدة العربية . ولا سيما أن هذه السياسة ليست إلا نتيجة طبيعية للغة مصر الحالية ووضعها العام .

« قلتم : أتريدون أن تتحقق الوحدة العربية فعلى أي أساس علمي تنادون بها ، تعالوا معي نستعرض الروابط التي تصل مصر بالأقطار العربية الأخرى » .

لقد وقفتم أولا أمام قصة « الأصل والدم » وقلتم : إن الأكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربي. بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء .

وأسألكم بدوري : هل علمتم بوجود أمة على الأرض انحدرت من

أصل واحد تماما. وهل تستطيعون أن تذكروا أن أمة واحدة ترتبط بروابط الدم فعلا وحقيقة ؟

إن جميع الأبحاث العلمية تدل على عكس ذلك تماماً . إنها تدل على أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة خالصة الدم ، حتى الأمة الفرنسية التى سبقت جميع الأمم الأوربية فى طريق الوحدة والاستقرار ، لا تدعى وحدة الأصل والدم، وعلماؤها يعترفون بأن الأجناس التى دخلت فى تركيبها تعد بالعشرات.

ثم وقفتم أمام مسألة التاريخ وادعيتم أن « تاريخ مصر مستقل تمام الاستقلال عن تاريخ أى بلد آخر » فاسمحوا لى أن أقول بأن هذا الادعاء افتئات صارخ على الحقائق الواقعة فإن تاريخ مصر اختلط اختلاطا عميقا بتاريخ سائر البلاد العربية وتشابكت أوشاجه معها خلال القرون الثلاث عشرة الأخيرة على الأقل. فكيف يحق لكم أن تحذفوا هذه الورقة من تاريخ مصر .

أنا لا أنكر أن تاريخ مصر لم يبق متصلا بتاريخ سائر الأقطار العربية على الدوام غير أنى أدعى أن ذلك شأن تواريخ الأمم الأخرى بدون استثناء . فإن تواريخ الأمم تشبه الأنهر الكبيرة التى تتكون من روافد عديدة بوجه عام .

إن من يلقى نظرة عامة على تواريخ الأمم المعاصرة لنا يضطر إلى التسليم بأن العلاقات التاريخية التى تربط مصر بسائر الأقطار العربية أقوى وأعمق وأطول من العلاقات التاريخية التى تربط الأقاليم الفرنسية بعضها ببعض .

أنكرتم (تأثير اللغة) فى تكوين الوحدة العربية وقلتم : لا تنخدعوا . لو كان للغة وزن فى تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ولا أمريكا

ولا البرازيل ولا البرتغال فاسمحوا لى أن أناقشكم :

• إن تقلبات الزمان، أزالت من الوجود جميع تلك الأمثلة والشواهد. وحرمت النظرية التى تقولون بها إمكان الاستناد إليها .

« إن قضية هذه البلاد لا تشبه قضية البلاد العربية بوجه من الوجوه فإن الأقطار العربية تتصل بعضها ببعض اتصالا جغرافيا تاما . . والقطر المصرى يشغل بين هذه الأقطار مركزا هاما . أما الحدود التى تفصلها عن سائر الأقطار العربية فتنحصر — فى بعض الجهات — بخطوط وهمية تمتد فوق رمال الصحراء . فهل تعتقدون أن هذه الخطوط الوهمية التى تفصل مصر عن سائر الأقطار العربية بصورة اعتبارية واصطناعية تستطيع أن تعمل عملا مماثلا لعمل المحيط الذى يفصل أمريكا من أوروبا . .

• قلتم : إن كان لى نصيحة أسديها إليكم فهى أن تتمسكوا بالواقع العملى وتهملوا ما سواه، مهما كانت قوته العاطفية والخيالية. افهموا أن المنفعة تسير الشعوب فإن لم تفهموا هذا تسترغمون على فهمه غدا .

• تقولون أن المنفعة تسيّر الشعوب فهل تعتقدون أن اتحاد الأقطار العربية مخالف لمنافعها أو خال منها ، وهل تدعون أن منافع كل واحد من الأقطار العربية ستحول دون اتحادها .

أما أنا فأعتقد عكس ذلك تماما . أعتقد أن فكرة الوحدة العربية لا تستند إلى العاطفة وحدها بل تستند إلى المنفعة أيضا ، أعتقد أن منفعة مصر نفسها تتطلب منها الاتحاد مع سائر البلاد العربية . . بل هى من المنافع الهامة الحيوية ، وإذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المنافع لا يزالون قليلين اليوم فلا شك أنهم سيكثرون يوما بعد يوم .

— ٢ —

ورد طه حسين :امجلة الرسالة — ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨ .

كان رد طه حسين هو نشر فصل من كتابه (مستقبل الثقافة) الذى وصفه بأنه « كتب وطبع قبل مقال الأستاذ الحصرى » . . وهو يتناول دور مصر فى الثقافة بالنسبة للامم العربية وقد رد عليه ساطع الحصرى رداً أوردناه فى معركة كتاب مستقبل الثقافه فى هذا السفر .

وفى هذا الفترة طلب فؤاد صبيب : رئيس تحرير مجلة (زهرة الشرق) من الدكتورطه حديثا عن الوحدة العربية وذلك صدى لتصريحاته لمجلة المكشوف لنشره فى العدد الأول من مجلته الذى صدر فى أول يناير ١٩٣٩ وقدمه بهذه المقدمة :

كانت المشاكل الشرقية التى نشأت من أثر الحرب العظمى وأحتكاك الشرقيين بالغربيين من جرائها والعوامل التى أوحت إلى فريق من شباب العرب بفكرة الوحدة العربية • ولم يستطع القائلون بها أن يوضحوها الإيضاح الكافى .

وقد غلا بعض أنصار هذه الفكرة فى تصويرها حتى لقد جعلوا منها عقيدة يدينون بها ويتهمون كل من يعارضها بنقص فى وطنيته وقوميته . وأعلن طه حسين « أنه من أنصار الوحدة العربية فى الثقافة ، ولكنه يعارض الوحدة العربية السياسية . ولما كان الرأى الذى أبداه مجملا وكان القراء يهمهم الإيضاح فى هذا الموضوع فقد طلبنا منه أن يتحدث فى هذه الأمر بتوسع .

قال الدكتور طه :

لست أفهم كيف يختصم الناس فى هذه المسألة أو كيف يجعلونها موضوعاً للحوار • فهى فى نفسى أوضح وأجلى :

« الأمم والشعوب التى تتكلم هذه اللغة مضطرة سواء أرادت أم لم ترد وحدة الثقافة ، ومعنى وحدة الثقافة وحدة العقل فيما أظن ، فإذا أضفت إلى ذلك أن هذه الشعوب لا تشترك فى اللغة وحدها وإنما تشترك معها فى الدين أيضا فكثرتها مسلمة وقلتها مؤمنة بالديانتين السماويتين الأخريين كان ذلك داعيا إلى اشتداد مايجب أن يكون بينها من التقارب ؟

إذن ففيم يمكن أن يكون الخلاف وفيم يمكن أن يكون الجدل ؟ فى أمر

واحد أراه بديهيا بالقياس إلى المصريين وما أعرف أن مصريا واحدا يستطيع أن يخالفنى فيه مهما تكن ميوله ومذاهبه وهو أمر « الوحدة السياسية » .

فالمصريون لا يتصورون اشتراكهم فى امبراطورية عربية مهما يكن مستقرها ومهما يكن شكلها ومهما تكن نظم الحكم فيها ، لا يتصورون إلا أن يكونوا دولة مستقلة معاونة لغيرها من دول الشرق العربى بأسباب المعاونة السياسية المعقولة التى تلائم المنفعة والحق والعدل ، وما أرى أن عليهم فى ذلك بأساً . وما أرى أن أحدا يستطيع أن يطالبهم بأكثر من ذلك . وما أرى أن مطالبتهم بأكثر من ذلك نفعا لأحد وإنما الكلام فى ذلك لغو وإطالة لا غناء فيهما .

ومن الناس من ينكر على مصر حرصها على تراثها الفرعونى القديم ويشوهوا هذا الحرص ألوانا من التشويه ، فليكن رأيى فى ذلك واضحا جليا وهو فيما أعتقد رأى المصريين جميعا لا يختلفون فيه ، فمصر حريصة على تاريخها كله لا تنزل عنه عن قليل أو كثير وهى إذا حرصت على تاريخها الفرعونى لا تريد أن تعود إلى دين الفراعنة . فهذا سخف ، ولا تريد أن تتكلم اللغة المصرية القديمة مكان اللغة العربية فهذا سخف أيضا ولا تريد أن تصطنع نظم الحكم الفرعونى مكان نظمها الديموقراطية الحديثة .

وإنما تريد أن تنظر إلى هذا التاريخ بما كان فيه من خير وشر على أنه جزء من حياتها ومقوم لوحدتها ومكون لوطنيتها ، تفخر بما يدعو منه إلى الفخر ، وتألم بما يدعو منه إلى الألم وتعتبر بما يثير منه العبرة وتنتفع بما يمكن أن يكون مصدراً للنفع ، وكل مصرى يزعم غير هذا فهو إما خادع أو مخدوع أو ضعيف الوطنية وما أعرف أن من المصريين من تضعف وطنيته فيفرط فى تاريخه أو تضعف أخلاقه فيؤثر الخداع أو تضعف شخصيته فينخدع بتمويه المموهين .

الرد على الدكتور طه[1] : بقلم عربي (مجلة زهرة الشرق)

الدكتور طه حسين بالرغم من كتابة فى الرد على الصحفى على العواق على دفعتين وفى كل دفعة يتراجع قليلا فى العرض دون الجوهر . لم يصارح الرأى العام العربى فى هذا الأمر بل جعل المغالطة أساساً لردية حتى جاء الردان كالصفر على الشمال .

يؤمن الدكتور طه بوحدة الثقافة بين العرب ويضع اللغة أساساً لهذه الوحدة وهو قول لم يناقضه فيه أحد من العالمين ، ولكن الدكتور لا يؤمن بالوحدة السياسية وهذا بيت القصيد وموضع المغالطة ؛ أن الدكتور يعلم أن أوربا قسمت ممالكها بعد الحرب العظمى تقسيماً سياسيا بمقتضى اللغة وحدها، لأنها جعلت أساساً للعنصرية وهو يعلم أيضا بأن الدنيا كادت تتحول إلى براكين فى الخريف الماضى من أجل إلحاق بقية الألمان والذين يتكلمون الألمانية بأمهم . وقد فازت نظرية العنصرية على أساس اللغة .

والعرب لا يتطلبون إلغاء إستقلال مصر وضمها إلى العراق أوضم سورية إليها برئاسة الحجاز وإنما يدعون إلى وحدة تشبه الوحدة الألمانية السابقة أو الولايات المتحدة . وأمر الوحدة هو المثل الأعلى لكل أمة خصوصا إذ كانت فى رد الدكتور أنه لا يستطيع الإشارة إلى هذه البديهيات ولكنه يحاول أن يوهم الناس أن الوحدة العربية تقضى على تاريخ مصر القديم وهذا النوع من المغالطة لم نسمع به من قبل فلماذا لا يقول السورى أن وحدة العروبة تحاول إلغاء تاريخى القديم وأمجادى التاريخية .

---

(١) مجلة زهرة الشرق : ١٣ فبراير ١٩٣٩ .

ولكل شعب أمجاده والتاريخ لا ينفصل بل يستمد حديثه من قديمه ولكن هذا القديم لا يضيره أن يسير مع الحديث فى وحدة من شأنها أن تخلق للحاضر قوة من الوحدة لا بد منها لحفظ كيانه الحديث والقديم .

لقد جرب العرب بعد بزوغ فجر الاسلام هذه الوحدة فكانوا سادة الدنيا فما الذى يضير الدكتور من هذا وهو يعلم أن مصر سيكون لها فخر الرئاسة لهذا الاتحاد العربى .

كان الناس يأملون أن يكون عميد كلية الآداب فى مصر أول دعاة هذه الوحدة ولكن خاب ظنهم وخابوا فى معرفة السر الذى يجعل الرجل الذى ينشر آداب العرب فى العالم العربى كله لا يريد وحدة تصون هذا العالم من عبث العابثين .

بين الحصرى بك وطه حسين[1] : عز الدين التنوخى

لا نكتم الدكتور طه أننا كنا قد إعتبرنا الاحالة إلى الفصل الذى نشره من كتاب مستقبل الثقافة يومئذ ضربا من الفرار من معركة المناظرة .

أجل بالدكتور طه حسين أن يكون أديب الأقطار العربية كلها من أن يكون فى قطر واحد أديبا . وليته — أصلحه الله — جامل فى المكشوف أدباء العرب الذين يتنافسون فى أقتناء آثاره ، أو ليته وهو مسلم مصرى — خاطب العرب بما خاطبهم به الأستاذ مكرم عبيد — وهو النصرانى المصرى — وهو لذلك أشد أتصالا منه بالفراعنة ذوى الأوتاد .

---

(١) يقول طه عبد الباقى سرور : مجلة زهرة الشرق ١٣ فبراير ١٩٣٩ .
والدكتور طه يؤمن : فى الناحية الإجتماعية بالحضارة الأوربية وجلالها وصلاحيتها للحياة ولا يعترف أبدا بمدينة الشرق الروحية لأنها مدينة ضعف وجمود ولا حياة للشرق عنده إلا أن يتعلق بأذيال الغرب لتلحق به فى مضمار الحياة العامة .

قال مكرم عبيد : المصريون عرب . فنحن معشر المصريين جئنا من آسيا . ونحن أدنى إلى العرب منذ القدم من حيث اللون والخصائص السامية والقومية . نحن عرب ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائما أننا عرب قد وحدت بيننا الآلام والآمال ووثقت بيننا الكوارث والأشجان . وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان . فالوحدة العربية حقيقة قائمة . هى موجودة ولكنها فى حاجة إلى تنظيم . والغرض من التنظيم إيجاد جبهة تناهض الاستعمار وتحفظ القوميات وتوفر الرخاء وتنمى الموارد الإقتصادية وتشجع الإنتاج المحلى وتزيد فى تبادل المنافع وتنسق المعاملات فكما أن أوربا خلقت شيئا معنويا ترتبط به وتلتف حوله أغراض سكانها على أختلاف أممهم فكذلك نحن سيؤول مصيرنا إلى الألتفاف حول مثلى أعلى يوفق بيننا فنصير كتلة واحدة وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة أو وطنا كبيراً يتفرع منه عدة أوطان — لكل منها شخصيته لكنها فى خصائصها القومية العامة متحدة متصلة أتصالا قويا بالوطن الأكبر » .

وقد قال لى : نحن عرب فى مصر ولا نمجد الفراعنة إلا لأنهم عرب .

الأستاذ مكرم عبيد فرعونى صميم ومن نوابغ مصر فى ثقافته وأخلاقه ووطنيته والأستاذ طه حسين المسلم المصرى يحكم والناس معه بالظن على فرعونيته فلن يكون ذلك أصدق تفرعنا من مكرم عبيد وإذا ما أدعى ذلك كان أشد فرعونية من فرعون نفسه أو أشد كما قبل ملكية من الملك والأستاذ طه حسين ينكر الوحدة العربية بأنواعها وشرائطها ويعد من يقول بهذه الوحدة من أصحاب العقل القديم .

رأى طه حسين فى الوحدة العربية — الهلال ١٩٣٩

ربما كان من الأمثلة الطريفة التى تبين الفرق بين العقل العربى القديم ،

والعقل العربي الحديث في هذا العصر الذي نعيش فيه مسألة الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية التي يكثر فيها الكلام وتشتد فيها الخصومة فما أظن الناس يختلفون في أن هذه الوحدة نافعة للشعوب العربية والشعوب الإسلامية أشد النفع، وفي أن مصالحهم تدعوهم إليها وتدفعهم إليها دفعا ولكنهم مع ذلك يختلفون ويختصمون لا لشيء إلا لأنهم يختلفون في تصور هذه الوحدة حسب ما يتاح لهم من العقل القديم أو العقل الحديث

أما أصحاب العقل الحديث — أي الدكتور طه حسين وأنصار التغريب — فيفهمون هذه الوحدة على نحو ما تفهم عليه في البلاد المتحضرة بالحضارات الحديثة الأوربية ، يفهمونها على أنها لا تنفع ولا تفمر إلا إذا احتفظت بالقوميات والمشخصات الوطنية والحريات الكاملة لأعضائها والسيادة العامة لهم في حياتهم الداخلية والخارجية وقامت على الحلف الذي لا يفني أمة في أمة ولا يخضع شعبا لشعب[1] .

(١) تعليق: تحول الدكتور طه حسين عن هذه الآراء بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ حينما رأى تيار الوحدة العربية يمضي إلى طريق ، ولكنه انحرف مرة أخرى وناقض نفسه حين تكلم عن القومية العربية في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في القاهرة في ديسمبر ١٩٥٧ وتصدى له بالرد عدد من كتاب العرب (أقرأ محاضر جلسات مؤتمر الأدباء العرب طبع المجلس الأعلى للآداب — والفنون) .

الفصل الثانى

معارك اللغة العربية

كانت اللغة العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر مجالا لمعركة كبرى . بدأت هذه المعركة بمحاولات الغزو الثقافى والاستعمار فى العالم العربى وكانت « مصر » من أهم المناطق التى ركز عليها الاستعمار بعد الأحتلال فظهرت دعوات ومؤلفات لكتاب أجانب تدعو إلى الكتابة باللغة العامية وهى ما أطلق عليها المقتطف عبارة « اللغة المحكية » ثم حمل لواء الدعوة كتاب عرب . وما نعرضه هنا ليس إلا جانبا من المعركة التى سنفصلها فى كتابنا : اللغة العربية ، بين دعاتها وخصومها .

[ثبت المعارك]

(١) تمصير اللغة العربية :

مصطفى الرافعى ولطفى السيد

(٢) مجمع اللغة :

منصور فهمى وطه حسين

(٣) معركة الكتابة بالحروف اللاتينية .

عبد العزيز فهمى ومحمد كرد على

١ — تمصير اللغة العربية

بين مصطفى صادق الرافعى ولطفى السيد

هذه معركة من أخطر المعارك التى واجهت اللغة العربية ، ومن أقدم المعارك الأدبية، فقد حمل لطفى السيد عام ١٩١٣ فى الجريدة لواء الدعوة إلى تمصير اللغة العربية فكتب أكثر من سبع مقالات فى خلال شهرى أبريل ومايو ١٩١٣ وكتب عدد من تلاميذه مقالات متعددة كهيكل وطه حسين وغيرهما .

ولقد كانت مداخل البحث عند لطفى السيد بارعه دقيقة ، فهو لم يفاجىء القارىء فى هذا الوقت المبكر بالحملة على اللغة العربية ، أو الدعوة إلى ترك الكتابه بها إلى العامية ، وإنما تسلل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المداورة ، وقد لخصنا هنا عباراته تلخيصا أمينا حتى تبرز صورة التيار الذى جرى فيه القاضى ولبم ويلكوكس وقاسم أمين ووليم ولكوكس وسلامة موسى من بعد .

ولقد وقف عبد الرحمن البرقوقى ومصطفى صادق الرافعى لهذه الدعوة موقفا حاسيا جريئا حلافية لواء الاتهام مؤمنين بأن القضاء على اللغة قضاء على مقدسات الفكر العربى والإسلامى .

ولقد كان للغة العربية قضية طويلة عريضة . ومعارك متعددة ، بين حماتها وخصومها ، وكان للدعوة التغريبية التى كانت تجتاح العالم العربى فى فترة ما بين الحربين أثرها فى محاولة خلق لغات إقليمية مصرية وسورية وعراقية ومغربية للقضاء على اللغة العربية وإدخالها إلى المتحف أسوة باللغة اللاتينية .

ولكن هذه المحاولات المتعددة فشلت وإنتصرت اللغة العربية وبقيت .

آراء لطفى السيد فى تمصير اللغة العربية

١ — لغتنا[1] واسعة فى القاموس ضيقة فى الاستعمال ، مخصبة فى المعانى والمسميات القديمة . مجدبة فى المعانى الجديدة والأصطلاحات العلمية قد أنقطع رقيها من قرون طويلة فوقفت عند الحد الذى وصلت إليه أيام النهضة العباسية، فهى الآن — لأننا هجرناها فى المحادثة إلى لهجة غير مصرية ولحن غير مغتفر — صارت تراكيبها غير مصقولة على الالسن ولا جهة بالاستعمال .

(١) التأليف باللغة العربية (إفتتاحية الجريدة) ٦ أبريل سنة ١٩١٣ .

٢ — الأوتومبيل[1] والبسكليت والجاكيته والبنطلون والجزمه والموده.
كل هذه الأسماء ماذنبها حتى تهجر فى الكتابة إلى غيرها من الألفاظ التى تحاول إنتحالها مع التكلف لتعبر بها عن هذه المسميات . إن هذه الأسماء الأعجمية وأمثالها قد دخلت فى لغتنا دخولا تاما وأستعملت أستعمالا شائعاً بحيث لا نستطيع أن نضع لها ولغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة لا يعتد بها ولا يستعملها أحد إلا بعض الكتاب ، أننا لو إخترعنا أسماء للمسميات الجديدة لنستعملها فى الكتابة وحدها من غير أن تدخل فى أحاديث العوام ولا فى أحاديث الخاصة أنفسهم ولكنا عاملين بذلك على توسيع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام وذلك مؤخر للغة للبيان والفصاحة ، التقدم من جميع الوجوه .

ولا أرانى أعرف سببا المألوف المشهور إلى إبتكار غيره إلا حب الأغراب وإلا فما الذى يدفعنا من زيادة الازمة اللغوية حرجا وإدخال التعقيد على البيان العربى الموجود بالفعل والذى نستعمله نحن أبناء اللغة وأبناء العرب .

.. سيقال أننا فى جيل إحياء اللغة بعد مواتها فعلينا أن ننحت من اللغة وعلى موازين اللغة أسماء للمسميات الجديدة حتى لا تدخل الغريب فى لغتنا . هذا كلام طيب : ولكن لدينا لإحياء اللغة العربية وجعلها لغة العامة ينطقونها صحيحة معربة كما كان يفعل أباؤنا الأولون ، لدينا عقبات لا يسهل تخطيها فلو حاولنا التمسك بالكمال والتزمنا فى إحياء اللغة هذا التخرج المتعب . وقسمنا مجهودنا بعضه لتصحيح بناء الكلمات التى فسد بناؤها على لسان العوام . وبعضه لإصلاح الأسلوب العربى وبعضه لتعليم الأعراب وضبط

(١) الى الامام فى اللغة (إفتتاحية الجريدة) ٢٠ إبريل سنة ١٩١٣ .

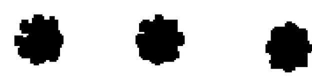
أواخر الكلمات على قواعد اللغة لأضعنا مجهودنا الموزع من غير أن تجيء فائدة كبرى . وأضعنا الوقت فى الاشتغال باللغة — عن نتائج البيان وهى العلوم والمعارف . يكفينا أن نتمسك بشخصية لغتنا والمحافظة على الموجود منها إلى الآن فى الاستعمال اليومى ونحيى قواعد الاعراب .

فى لغتنا أسماء أعجمية كثيرة جداً لم يخل وجودها بالفصاحة ولا بالبلاغة فإن بعضها قد وجد فى القرآن وهو المعجز بفصاحته وبلاغته إلى الأبد .

بل لقد أخذ أباؤنا بعض الألفاظ الاعجمية وأستعملوها مع وجود مرادفها فى اللغة العربية ثم هجروا العربى وقصروا أستعمالهم على الاعجمى .

واجبنا أن نطرح هذه المشاعر الساذجة ؛ مشاعر الامتعاض من أستعارة الاسماء الاجنبية للغتنا .

لذلك نرفع النصيحة لزملائنا الكتاب أن يتساهلوا فى قبول المسميات الأوربية ويدخلوها فى الاستعمال الكتابى كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة .



٣ — الأسماء الجديدة ما لها . لو أخذناها (ذى ماهية) فنيت فى لغتنا وأتبعت أوزانها وجرت عليها أحكام الأعراب فأصبحت عربية بالزمان .

ما لنا لا نعتبر لغتنا كالعلم تزيد عليها كل جديد بمقدار الحاجة ، ما لنا لا يزيد على أسمائها أسماء المخترعات الحديثة فى العلم وفى الفنون والصناعة والتجارة .

---

(١) فى اللغة العربية — ٢٣ ابريل ١٩١٣ (إفتاحية الجريدة) .

نحن نعمل ذلك بالفعل ولكننا نذكره بالقول . فالذين يأبون علينا أدخال الضروري من الكلمات الأجنبية يكتبون بأيديهم « التلغراف » والتليفون بغاية السهولة ، كما يكتبون (الورد) الذى هو ليس عربياً .. والأمة سائرة على هذا النمط من التطور فهى تعرف الكمبيالة ولا تعرف (السفتجه) ولا يقف فى طريقها عائق ، غير أن خمسة أو ستة من الكتاب هم الذين لا يريدون الأعتراف بهذه الحقيقة وتقف أقلامهم عند كتابة أسماء المخترعات الحديثة إذ لم يجدوا تسمية سعيدة، اللغة ملك الأمة وللكتاب الحرية فى الزيادة عليها بأساليب جديدة وألفاظ جديدة إذا قبلها الجمهور راجت وأصبحت من لغة الأمة .

سيقولون هذا المبدأ يدعو إلى الفوضى ، ربما كان ذلك ، ولكن الفوضى واقعة لا محالة فى زمن الأنتقال الشديد الذى نحن فيه . ولا بأس بالفوضى إذا كانت لازمة لحال التطور وصارفة لنا عن هذا الجمود الذى نحن فيه .

سيقولون وما الذى يمنع من تأليف المجمع اللغوى من اليوم . نقول أن كل عمل عام لا تقتضيه حاجة الأمة إقتضاء تاما إنما هو عمل صناعى عقيم النتيجة . وقد تألف المجمع اللغوى ثلاث مرات ولم يفلح فكان فشله دليلا على أنه غير ضرورى لحياة الأمة أو على الأقل إن الأمة لا تراه ضروريا لها الآن. وإلا لحكم له بالبقاء .

إن الخروج باللغة من جمودها إلى طور جديد لابد فيه من الفوضى الموصلة إلى الطور الراقى المتفق مع أطماع الأمة عن التقدم فى كل شىء إلى الأمام .

لا حرج على الكاتب أو المترجم أن يستعمل من الألفاظ ما شاء لما شاء من المعانى وكلما توسع الكاتب فى أستعمال ألفاظ كثيرة كان ذلك إحياء

بذلك عامل من عوامل الجامعة الإسلامية والثانى أن تصحيح الألفاظ العامية المصرية وأستعمالها فى الكتابة معطل للغة العربية الفصحى .

أننا لسنا من أنصار هذه الجامعة المتخيلة بوصف كونها دينية لاقتناعنا بأن أساس الأعمال السياسية هو الوطنية وروابط للنفعة .

ما نقترحه ليس من شأنه أن يعطل اللغة العربية الفصحى بل يزيدها فصاحة ويسرع فى تطورها ولا يبقى منها إلا إستعمال ألفاظ لا حاجة لنا بها ولا مانع يمنع من أستعمالها فى الشعر عند تعذر الوزن :

الرد على لطفى السيد

١ ــ رد عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان :

ليس[1] من ينكر على الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد مدير الجريدة الغراء عبقريته ونبوغه وأنه من الأفذاذ المعدودين . وقد يعرف قراء البيان ما أثارته براعته الجبارة منذ ثلاثة أشهر حول مسألة اللغة والأخذ والرد الذى دار بينه وبين معارضيه والشجار الذى أستطار بين الفريين وأمعد ومع ذلك أنتهى إلى حيث ابتدأ شأن كل مسألة يتنازعها والمستقبل وحدة هو الكفيل بفصل الخطاب وحل الأشكال فيها . أما المسألة فمنها ما يدور حول الأسلوب الكتابى وهل الرأى أن يكون أسلوبنا كاسلوب العرب الأولين : أسلوب الشعر الجاهلى والقرآن والحديث . أو أن نكتب بأسلوب مصبوغ باللون الأمى فيكتب المصريون بلغة مصرية يشترك فى فهمها خاصة المصريين وعامتهم . هذا أحد شطرى المسألة وشطرها الآخر يدور حول المفردات التى

(١) مجلة البيان ــ العدد ٨ السنة ٢ (شعبان ١٣٣١) يوليوسنة ١٩١٣ .

يتألف منها الأسلوب ;وهذا يتشعب إلى مسألتين خلافيتين أولاهما : هل نضع للمسميات الحديثة أسماء عربية فى مبادئها وأوزانها أو ننقل أسماء هذه المسميات من لغاتها الأجنبية بعد تهذيبها وجعلها بحيث لا تناكر الأوزان العربية : وقد رأيت أن من واجب (البيان) الذى رصد نفسه للغة العربية وأدبها أن يخوض فى هذا الموضوع الهام مع الخائضين . وهذه كلمة صديقنا النابغ الأديب السيد مصطفى صادق الرافعى .

تمصير اللغة — رد على لطفى السيد

بقلم مصطفى صادق الرافعى

نريد بهذا التمصير ما ذهبت إليه أوهام من الفضلاء يرون أن تكون هذه اللغة التى استحفظوا عليها مصرية . بعد أن كانت مضرية وأن تطرد لهم مع النيل بمدد الترع عداد القرى حتى ترسل الكلمة من الكلام فلا يجهلها فى مصر جاهل ويصدر الكتاب من الكتب فيجرى من أفهام القوم فى طريقة واحدة ويأخذ منهم مأخذا معروفاً غير متباين بعضه من بعض ولا ملتو على فئة دون فئة .

ومن ثم يزين لهم الرأى أنه لا يبقى فى هذا الجم الغفير ، من علمائنا وكتابنا وأدبائنا من لا يعرف أين يضع يده من ألفاظ اللغة ومستحدثاتها إذا هو كتب أو مصر عن لغة أجنبية . ولا نقول عرب فإن هذه بالطبع غير ما نحن فيه — بل يأخذ من تحت كل لسان ويلتقف عن كل شفه ولا يبعد فى التناول إلى مضطرب واسع ولا يمضى حيث يمضى إلا مخففا عن هذه القواعد وتلك الضوابط العربية إذ تتهاون يومئذ المدونتان : هذه العامية وهذه الفصحى وتصلحان بينهما صلحا إن لا ترفع أحداهما فى وجه الأخرى قلما ولا لساناً .

وعلى أن تبيح كلتاهما للثانية حرية الأنتفاع بما يشبه حرية التجارة إلا فى المواد المضرة التى يعبر عنها دعاة السياسة اللغوية بالألفاظ العامة المبتذلة والألفاظ العربية الغربية — ثم على أن لا تحفل أحداهما ما تركت الأخرى سوى ذلك فتستمر العامية على ما هى وتذهب الفصحى على وجهها .

.. تماما تلك آراء كان يتعلق عليها بعض فتياننا إفراطا فى الحمية ومبالغة فى الحفيظة لمصر وأملا مما يكبر فى صدورهم على ما ترى من تهافتها وضعف تصريفها . فكان ذلك عذر العقلاء إذا مروا بها لماما وتروحوا بالأعراض عنها سلاما حتى تناولها الأستاذ مدير الجريدة فحذفها وسواها وأخرج منها طائفة من الرأى تصلح أن تسمى عند المعارضة رأيا فقال بالإصلاح بين العامية والفصحى على طريقة تجعل هذه تفتمر تلك ، وتحيلها إليها فعسى أن يأتى لا تكون العامية فيه شيئا مذكورا .

إن مجم هذا الرأى ومستجمعه أن الأستاذ يرى (أخذ أسماء المستحدثات من اللغة اليومية) وإمرارها على الأوراق العربية بقدر الإمكان فإن لم يكن لها ثمت أسماء فمن معاجم اللغة وكتب العلم أن هذه عنده دون اللغة اليومية فإن لم يصب ذلك فى هذه أيضاً وضع لها الواضع ما شاء ، وإن أستعمال مفردات اللغة وتراكيبها إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصاحة .

هذا هو محصل رأى الاستاذ .. فإن طال عليك ذلك السر وبرمت به جملة فإن لك أن تدمجه فى كلمتين . ذلك أن الاستاذ يرى (تمصير اللغة) لاننا إذا تابعناه فإنما نلمس كل ما أشار إليه من العامية المصرية وحدها ونعطى هذه العامية سمة أنفسنا وبذل أقلامنا فنلبسها الفصيح ونخلط منهما

---

(١) مجلة البيان — العدد ٨ السنة الثانية (شعبان ١٣٣١) .

عملا صالحا وآخر سيئا .. ولعل هذا الرأى أن يشيع من ناحيتنا ويطمئن فى كل أمة لها عربية فتأخذ مأخذها فى عاميتها وتنزع إلى ما تذعن إليه فإذا أمكن أن يتفق ذلك وأن تتوافى عليه الأمم كان لعمرى أسرع فى فناء العربية وجدا عليها شؤم هذا الرأى ما لا يجدوا تألب الأعداء لو استأصلوا أهلها وبلغ منها ما لا يبلغه الفاتحون ولو ملكوا تلك الأرض كلها ثم نحن نتسامح فى استعمال المفردات والتراكيب العامية وسينقاد لذلك من بعدنا، ثم من بعدهم إلى أجيال بعيدة يتراخى بعضنا عن بعض فيوشك أن يأتى يوم تكون فيه تلك اللغة الفصحى ضربا من اللغات الأثرية فى كتابها الكريم لأننا لا ننظر فى الترخص منه الآن من كلمات معدودة صدرت بها (قرارات الأمة) أن لا تزال على وجه الدهر عامية ولكننا ننظر إلى الأصل فى قاعدة التسامح والترخيص فإذا ثبتناه وأخذ به غيرنا ولم يكن عندنا لذلك نكير فما أشبهها أن تكون كالقاعدة الاستعمارية التى تبتدىء بالتسامح للمستعمرة والغزاة فى أخذ الشىء القليل ثم ينتهى بالتسامح فى كل شىء.

— لا نفهم كيف يكون إحياء العربية باستعمال العامية وكيف نروض لغة القرآن التى تأبى إلا أن تتقيد بها اللهجات الأخرى كما محت من قبل لغات العرب جميعها على فصاحتها وقوة الفطنة فى أهلها وردتها إلى لغة واحدة هى القرشية ثم نرضى من جهة أخرى هذه اللهجات العامية التى تأبى أن تتقيد بشىء.

— إذا حاولنا مذهب الإصلاح العامى فليت شعرى أى لهجة نأخذ وأى لهجة فى مصر هى غير مصرية فننبذها.

— نحن لا نمارى فى وجوب الإصلاح اللغوى ووجوب أن يكون للغة فى هذه النهضة مجمع يحوطها ويضع لها ولو على الأقوال كصلعة السكنس والرش ولا نقول أن هذه اللغة كاملة فى مفرداتها

أنه لا يقيضينا من اللغة شيء وهي على ما هي من أحكام الأوضاع والتراكيب والاتساع للمفردات ، ولو أقبلت كأعناق الخيل ولكن يقتضي هذه اللغة رجال يعملون ويحسنون إذا عملوا .

على أنه إن يكن في رأى التمصير خير فليس يقوم خيره بشؤمه ، وهب أن أمراً من ذلك كائن ، وأننا أجرينا التراكيب العامية في الفصيح، أفحمنا مفردات القوم في اللغة ، ومكنا للعامة على ما يتوهمون من مقاليد الكلام وأتبعناه مقادتهم ، فما أجداه ذلك عنهم ، وماذا يرد على الامة !

لا سبيل لتمصير العربية وأعتبار هذه المصرية أصلا لغويا مجمعا عليه إلا بتمصير الدين الإسلامي الذى يقوم على هذه العربية ، فإن بعض ذلك سبب طبيعي إلى بعضه فمن كشف لنا عن الوجه الذى يكون به الدين مصريا وطلعنا بأسباب ذلك ونتائجه قلنا له أخطأنا وأصبت (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) .

٣ ـ مجمع اللغة : ماهى مهمته

بين منصور فهمى وطه حسين

هذه معركة جرت حول مهمة المجمع اللغوى ، بدأها الدكتور طه حسين بآراء عرض فيها وجهة نظره فى أمر المجامع اللغوية وعملها بمناسبة قرب دخوله الى المجمع اللغوى الذى إنشأ فى مصر سنة ١٩٣١ وظل الدكتور بعيداً عنه ، عارضة فيها الدكتور منصور فهمى وإسماعيل مظهر وجرت بينهم مناقشات انتهت بأن مهمة المجمع اللغوى الذى يقوم فى مصر تختلف عن مهمة المجمع الفرنسى الذى أراد الدكتور طه أن اسير على نهجه ، وذلك لمدى الفوارق فى الاحتياجات اللازمة للغتنا والفرق بين اللغة العربية واللغة الفرنسية .

(١) قال الدكتور طه حسين :

١ — إنها لكارثة كبرى أن يكلف مثلى وضع الاصطلاحات فى الطب والطبيعة والفنون العملية المختلفة ولو أن الأكاديمية الفرنسية عنيت بوضع الاصطلاحات للعلوم والفنون لكانت موضع سخرية الفرنسيين جميعا والعلماء فى مقدمتهم . فمن العبث إذن أن يكلف المجمع وضع الاصطلاحات أو يضيع وقته فيها .

وهناك مسألة اللهجات فليس المجمع مدرسة وإنما تدرس اللهجات فى معاهد خاصة تلحق بالجامعات وبكليات الآداب . وما أعرف أن المجمع الفرنسى مثلا عنى فى يوم من الأيام باللهجات . بل هو يحاربها لأن عمله الأول إنما هو الاحتفاظ ببقاء اللغة وصفائها فإذا أريد درس اللهجات العربية القديمة كما تمثلها قراءات القرآن الكريم فهذا شىء متصل بالمعجم التاريخى وبالنحو والصرف . وهو شىء مخالف كل المخالفة لما يراد من درس اللهجات الجديدة :

رد الدكتور منصور فهمى

إن وضع المصطلحات العلمية من صميم عمل المجامع . وأعضاء المجمع ليسوا لغويين فحسب ، وإنما منهم من اختص أيضا بعلوم غير علوم اللغة فمند اتصال بعضهم بالبعض الآخر ثمرة طيبة تعين على وضع مصطلحات علمية موفقة فى مختلف نواحى العلوم والفنون .

١ — أخالف الدكتور طه فى رأيه بأن الأكاديمية الفرنسية لو عنيت بوضع الاصطلاحات للعلوم والفنون لكانت موضع سخرية الفرنسيين جميعا .

---

(١) مارس ١٩٣٧ ـ الأهرام .

وهل يسخر أحد حين يعلم أن جماعة من أهل اللغة يضعون اصطلاحات لما يرتجل إرتجالا تكون أوفق لروح اللغة وقد يستساغ بعضها وقد يصقل الاستعمال البعض الآخر ..

ولا أظن أن الدكتور طه حسين حين يستفهم ويقول نصاً (أى أعضاء المجمع) يستطيع أن يضع الأسماء لأى آلة من الآلات المستحدثة التى لا عهد للعرب بها يحسب أن كاتبا من الكتاب يرضى أن يستخدم كلتى [فرملة] أو [دريكسون] التى يستخدمها عامل السيارة فى حين أن أدباء المجمع بل وكل أديب بل وكل من له إلمام يسير باللغة يجد لهاتين اللفظين من لغة العرب مايناسب ذوقها وذوق الناس .

٢ .— ماقولكم فى دراسة اللهجات التى تعرض لها الدكتور طه حسين

أما اللهجات فنعلم أن دراستها قد تعين على معرفة معنى الكلمة على وجهها الصحيح . فغير قليل من الكلمات قد تستخدم من ناحية أو فى عدة نواح من البلاد العربية لمعنى من المعانى وإن العناية بمعرفة هذه الألفاظ ومعانيها قد تعين على وضع كثير من المعانى والألفاظ موضعها الصحيح الأوفق فضلا عن أن اللهجات لم تخرج عن أنها جزء من تاريخ اللغة وتطورها . ومن أراد أن يزيد رسوخا فى اللغة فليس له أن يهمل أجزاء تاريخها ، زد على هذا أن البلاد العربية قد تعددت لهجاتها لدرجة الصعوبة فى التفاهم أحياناً وأنه من أمل مجمع اللغة المصرى أن يكون لمصر مركز ممتاز بين البلاد العربية لتوحيد الأدوات والأساليب فى التخاطب والكتابة والتفاهم بلغة مشتركة فصحى رقيقة فمن حقه إذن أن يعنى بلهجات البلاد العربية المختلفة ، وذلك لدفع تلك اللهجات إلى لغة سليمة فصحى توحد بين الجميع فى الكتابة والتخاطب .

وما كان المجمع حين أراد أن يستبقى العناية باللهجات بغافل عن معرفة

حقيقة نفسه وأنه ليس مدرسة كما يقول الدكتور وأن من حق الكليات ومعاهد العلم العالية أن تعنى بدراسة اللهجات . ولكن المجمع رأى أن تقرير العناية بدراسة اللهجات يعينه على تحقيق أغراضه السامية فى خدمة اللغة .

أما قول الدكتور [أنه لم يعرف أن المجمع الفرنسى عنى فى يوم من الأيام باللهجات وأنه يحاربها] . فاحسبنى لا أخطىء إذا قلت أن العناية بدراسة اللهجات وما يتصل بها فائقة فى فرنسا وفى غير فرنسا بل هى من الدراسات التى يحرص عليها العلماء خصوصا فى الزمن الأخير لتفهم قانون تطور اللغات وما يستفاد من هذه الدراسة لتنمية ثروة القوانين العلمية والتاريخ . وقد ألفوا فى ذلك المصورات والأطالس الكبرى .

٢ — طه حسين (١) :

الدكتور منصور فهمى أعلم بشئون المجامع اللغوية من أن يحتاج إلى أن انبه إلى أن هذه المجامع ليس من شأنها ولا ينبغى أن يكون من شأنها ولم تزعم قط أن من شأنها وضع اصطلاحات العلوم والفنون وإنما هى تسجل من ذلك ما يصنعه العلماء وأصحاب الفن إذا لائم اللغة وفرضه الاستعمال .

مازلت أقول وسأقول دائما وسيقول المثقفون الفرنسيون معى دائما أن المجمع اللغوى الفرنسى يضحك الناس من نفسه لو أنه انصرف إلى وضع الاصطلاحات فى العناية بصفاء اللغة ونقائها . فالعلماء وحدهم هم الذين يضعون اصطلاحاتهم وألفاظهم الخاصة وما ينبغى لغيرهم أن يتطفل عليهم أو يشاركهم فى تسمية مالا يتقنه من معانى العلم واصطلاحاته .

إن الأمور تقلب أوضاعها فى مصر فنحن نريد أن يذهب الأطباء إلى

(١) ٦ مارس ١٩٣٧ الأهرام .

أعضاء المجمع اللغوى يلتمسون منهم الأسماء لمعانى الطب التى لا يحسنونها ولعلهم لا يعرفون عنها قليلا ولا كثيراً على حين يذهب أعضاء المجمع اللغوى الفرنسى إلى الأطباء يسألونهم عن معـــانى الـكلمات الطبية التى يفرضها الاستعمال والتى يحتاج إلى أن تأخذ مكانها فى المجمع اللغوى .

٣ — إسماعيل(١) مظهر :

لأول وهلة أدركت أن الأستاذ (طه حسين) يحاول أن يثبت أن لمجامع اللغة طبيعة واحدة لا تختلف باختلاف الشعوب واللغات وظروف الأحوال فمضى يطبق القواعد التى يجرى عليها مجمع اللغة الفرنسى مثلا على ما يجب أن يكون لمجمع اللغة العربية كأن الطبيعة والتاريخ لا حساب لهما فى قياس الفارق بين اللغتين (اللغة العربية واللغة الفرنسية) وحال الشعبين .

(أما ماذكره) من أن المجامع اللغوية لا شأن لها بوضع المصطلحات العلمية ، وأخذه المثل على ذلك من المجمع الفرنسى ووضع بذلك مقياسا على الفارق البعيد والبعيد جداً فلا جدال إطلاقا من أن المجمع اللغوى الفرنسى لن يقبل كلمة واحدة أو إصطلاحا يضعه عالم من العلماء أو مؤلف من المؤلفين مالم يطبق على القواعد المرعية فى اللغة الفرنسية أولا أو فى اللغتين اليونانية واللاتينية إذا كان المصطلح منهما ، وإذا جاز هذا فإن ذلك يكون بمثابة حكم بالإعدام على المجمع يوقعه أعضاؤه على أنفسهم ، فالمجمع الفرنسى يجيز المصطلحات الحديثة متى كانت صحيحة مطابقة لقواعد اللغة التى تؤخذ منها .

إن طبيعة لغتنا والظرف القائم بيننا يجعل من أوليات المهام التى يجب أن يباشرها مجمع اللغة العربية النظر فى وضع المصطلحات العربية الصحيحة مع

---

(١) الأهرام ـــ ٦ مارس ١٩٣٧ .

الاستعانة بأهل الذكر من العلماء الذين هم على استعداد للتضحية فى سبيل اللغة ، لا أهل الذكر الذين يضنون على المجمع بجهودهم وكثير ماهم أهل الذكر الذين يستطيعون التأليف باللغة العربية ولا يستكبرون أن تصحح لغتهم أو مصطلحاتهم التى يستعملونها أسراقا بالأخذ من الأصول الأعجمية بغير حساب .

٤ — الدكتور منصور فهمى[1] :

إنى أعلم أن المجامع تسجل مايلائم اللغة ومايفرضه الاستعمال إذا لاءم اللغة ومنذ القديم عربت كلمات ودخلت فى معاجمها لمواءمتها وأشير إلى أنها معربة ولكن هل علمت أن لغة من اللغات الراقية الحية أو معجما من معاجمها القائمة لخدمتها وسلامتها يجيز أن نسجل لفظا فرضه استعمال عامة الناس أو فرضه استعمال أهل حرفة من الحرف أو طائفة من الطوائف دون أن يكون حقا هذا اللفظ ملائما للغه صحه أو وضعا أو قالبا ، فمن هو ذلك الحكم الذى يحتكم إليه لمعرفة ما إذا كان اللفظ ملائما للغه أو نابيا عنها أو هناك فى اللغه مايعوض عنه .

حدثنى الأستاذ [فيشر] أن علماء الكيمياء والطبيعه من الألمان يستعينون بزملائهم العلماء فى اللغات القديمه لعونهم على وضع مصطلحات فى الكيمياء وفى الطبيعه فهل كان فى ذلك خير .

بل على العكس كان ذلك الدليل القاطع على أن أهل العلم يحتاجون لعلماء اللغه وأن ذلك يحصل كل يوم فى فرنسا التى يستشهد بها الدكتور وفى غير فرنسا من البلاد .

---

(١) الأهرام — ٧ مارس ١٩٣٧ .

المسألة إذن ليس أمرها واضحاً وحظها من البداهة لا يحتمل الخلاف . بل إن المسألة هي خلاف بعيد فى الرأى بينى وبينك .

فأنا أرى أن من عمل المجمع وضع المصطلحات الموافقة لسلامة اللغة وذوقها وأن من عمله مؤازرة العلماء وأهل كل فن وحرفة لتسمية المسميات الحديثة وأنت ترى أن أهل الحرفة وأهل العلم وحدهم هم الذين يضعون هذه المصطلحات حتى (دون أن يشاركهم فى تسمية مالا يتقنه من معانى العلم واصطلاحاته أحد) .

تبارك الله ياصاحبى . إن الحياة كلها تقوم على التآزر والتعاون فالأمور لاتقلب أوضاعها فى مصر كما تقول ..

الأطباء يتصلون بأعضاء المجمع يلتمسون فهم الأسماء العربية لمعانى الطب وعندى أن مثل هذا هو وضع للأمور فى مواضعها وسواه هو القلب العنيف.

أما اللهجات فأعود وأقول : لم يكن من مهمة المجتمع أن يبحث فيها ليتوصل إلى توحيدها ، لا لإحياء الميت منها وذلك بإصلاح ما فسد من مفرداتها ورده إلى الأصل العربى السليم الصافى وبهذا الاعتبار حرص المجمع على الاشتغال بمختلف اللهجات .

ومن أهم الأسباب التى تدعو إلى البحث فى اللهجات هو الوقوف على وسائل تطورها فى مختلف العصور إذ أن ذلك يعين على معرفة نفس التطورات التى حدثت فى العربية الفصحى قبل أن تبلغ وحدتها .

٥ — طه[١] حسين :

إذا أردت الحق فإن مجمعنا اللغوى قد أنشىء على عجل . وأخشى أن

---

(١) ٧/ ٣ / ١٩٣٧ الاهرام .

يكون انشاؤه الأول قد قصد به الدعاية السياسية أكثر مما قصد به إلى المصلحة الحقيقية وإلا فقد كان اللائم لمصلحة مصر أن ينشأ فيها مجمع على طراز المجمع العلمى الفرنسى لا على طراز المجمع اللغوى .

حرام(١) عليكم أيها الأصدقاء فلا يباح لكم أن تقتلوا هذه العامية الحلوة فإنا نجد فى اختلافها لذة ومتعة وعزاء فى كثير من الأحيان .

٦ — منصور(٢) فهمى :

حرام عليك أن تشجع تبلبل اللهجات وتطوى اختلافها ، فاللغة العربية هى التى تجمع بين البلاد العربية فلتكن موحدة فى اصطلاحاتة اللغوية ولتكن موحدة فى جمال نطقها فذلك أحرى للجمع والترابط والتفاهم .

فأنا أقول لك أنه حلال أن تقتل لهجات قد تقوى فتتحول إلى لغات مختلفة تفرق بين بعض الأهل والبعض الآخر وحلال أن نسمى ونرتفع باللهجات إلى لغة عربية موحدة فصحى تجمع بين أهل اللغة العربية الواحدة . ثم توحد فى الثقافة إخوانا فى اللسان والإنسانية والبيان .

٧ — طه حسين :

إن المجمع الفرنسى لا ينظم لجانه على هذا النحو المصرى الطريف الذى يفرض فيه الخبراء فرضاً لأن المجمع الفرنسى لا يكلف نفسه ولا يكلف أحد مالا يطيق من وضع الاصطلاحات العلمية . ولو قد كلفه أحد ذلك لرفضه لأنه يرفع نفسه عن العرض لما لا يحسن .

---

(١) ٩ / ٣ / ١٩٣٧ ـ الأهرام .
(٢) ١٠ / ٣ / ١٩٣٧ .

واللهجات إن حديثها للعجب ، ماذا يراد من مجمعنا اللغوى أن يصنع بل وكيف يكون درسه لها وقوله فيها .

أننى أحقق أن الذين يفرضون على مجتمعنا درس اللهجات لم يصوروا لأنفسهم هذا الموضوع تصويراً واضحا .

كلا . . إن لعلم اللهجات خطره وقيمته ولـكن مـكانه فى الجامعة لا فى المجمع . وإذا عرض المجمع له فإنما يعرض له مصادفة حين يحتاج إلى ذلك بين حين وحين . فأما أن يفرض درسه والعناية الخاصة به على المجمع فشىء لا يفهم ولا تستقيم .

٣ — معركة الكتابة بالحروف اللاتينية

بين : عبد العزيز فهمى ومحمد كرد على

هذه معركة من معارك التغريب ، المتصلة بمحاولة القضاء على اللغة العربية بدأها وقدمها عبد العزيز فهمى عضو مجمع اللغة العربية فى (يناير ١٩٤٤) ولقيت معارضة ضخمة من المفكرين والكتاب . وقد حاول عبد العزيز فهمى فى أكثر من مرة أن يواجه العاصفة ولكنه عجز عن أن يقاومها واشترك فى معارضته فيها ، عبد الوهاب عزام وإسعاف النشاشيبى وعباس العقاد ومحمد كرد على ومحمود محمد شاكر وغيرهم . وقد تبين لى فى السنوات الأخيرة بعد مراجعات واسعة أن عديداً من الصحف والباحثين شارك فى هذه المعركة وأهمها مجلتى المنار والفتح .

اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية

قدمه إلى المؤتمر فى ٢٤ يناير ١٩٤٤ — عبد العزيز فهمى

إن اللغة كائن كالكائنات الحية يغمو ويهرم ويموت مخلفا من بعده ذرية لغوية متشعبة الأفراد هى أيضا فى تطور مستمر . ولن يستطيع قومه للآن أن يغالبون هذه الظاهرة الطبيعية فإن التطور يكبح شراسة من غالبه .

.. كانت اليونانية القديمة لغة شعر وحكمة فلما أشتد التبلبل فى ألسنة أهلها اضطروا على الرغم منهم أن يتخذوا من عاميتهم لهجة جعلوا لها قواعد نحو وصرف وهى التى يتكلمونها ويكتبون بها اليوم . وكانت اللاتينية لغة الإمبراطورية الرومانية فأتى عليها التطور فاشتقت منها الإيطالية والفرنسية والأسبانية وغيرها .

وكل لغة من تلك اللغات الذرارى هى كل يوم فى تطور ..

ولكن حال اللغة العربية حال غريبة . بل أغرب من الغريبة لأنها مع سريان التطور فى مفاصلها وتحولها فى عدة بلاد من آسية وأفريقية إلى لهجات لايعلم عددها إلا الله لم يدر بخلد أى سلطة فى أى بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسيا أن تجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها . لها نحوها وصرفها وتكون

هى المستعملة فى الكلام الملفوظ . وفى الكتابة معاً .. تيسيراً على الناس كما فعل الفرنسيون والإيطاليون والأسبان .. وبقى أهل اللغة العربية من أتعس خلق الله فى الحياة .

إن أهل اللغة العربية مستكرهون على أن تكون العربية الفصحى هى لغة الكتابة عند الجميع وأن يجعلوا على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقرا وأن يردعوا عقولهم عن التأثر بقانون التطور الحتمى الآخذ مجراه بالضرورة وغم أنوفهم فى لهجات الجماهير ..

هذا الاستكراه الذى يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى كيما تصح قراءتهم وكتابتهم هو فى ذاته محنة حائقة بأهل العربية . إنه طغيان وبغى ، لأنه تكليف للناس بما فوق طاقتهم . ولقد كنا نصبر على هذه المحنة لو أن اللغة العربية الفصحى كانت سهلة المنال كبعض اللغات الأجنبية الحية لكن تناولها من أشق ما يكون وكلنا يؤمن بهذا .

(وبعد أن أورد بعض صعوبات العربية : الأفعال مجرد ومزيد — الفعل الثلاثى وأوزانه . الأسماء المصروفة والممنوعة قال :

تلك الأشواك والعقبات وهذا التعدد يريك الواقع من أن هذه اللغة العربية ليست لغة أمة واحدة لقوم بعينهم بل أنها مجموع كل لهجات الأعراب الباديين فى جزيرة العرب من أكثر من ألف وأربعمائة سنة . جمعها علماء اللغة وأودعوها المعاجم وجعلوها حجة على كل من يريد الانتساب للغة العربية .. ولا يعلم إلا الله كم لهجة كانت .

أفليس من الظلم المبين إلزام المصريين وغير المصريين من متكلمى

اللهجات العربية الحديثة بمعالجة التعرف بتلك اللهجات القديمة التي ماج بعضها في بعض فانمحت .

.. لئن كان قانون التطور وصعوبة الأوضاع والقواعد هما اللذان رانا على جمال العربية فباعد بينها وبين أهلها وطلابها وإنهما وحدهما اللذان يعملان في هدم كيانها . فإنها مع الأسف الشديد تكون آيلة للزوال لا محالة على الرغم مما فيها من قوة الحيوية الذاتية . إذ أن هذه الحيوية لن تستطيع مغالبة قانون التطور وصعوبة الأوضاع والقواعد .

لكن الواقع لحسن الحظ أن السبب الحقيقي في فرض هذه اللغة الجميلة وأن زوائها في كسر بيتها إنما هو إستبداد أهلها وإكراههم إياها على الظهور في ثوب غير مقيس عليها وصورة مبهجة مشكلة لا تجلي من جمالها شيئاً : أريد رسم كتابتها .

إن رسم الكتابة العربية هو الكارثة الحائقة بنا في لغتنا . إنه أكبر عون لقانون التطور والإحساس بما فيها من الصعوبات وللالتفات عما يزينها من جمال .

.. إذن أول واجب على أهل اللغة العربية هو أن يبحثوا عن الطريقة التي تيسر لهم كتابة هذه اللغة على وجه لا يحتمل فيه الكلمة إلا صورة واحدة من صور الأداء .

ولقد فكرت في هذا الموضوع من زمن طويل . فلم يهدني التفكير إلا في طريقة واحدة هو إتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا ؛ أخطر هذا في بالي أني عقب أن أمر المرحوم مصطفى كمال باستبدال الحروف اللاتينية العربية التي كانت مستعملة في كتابة

اللغة التركية لأقيت أحد نظار المدارس بالأناضول فسألته عما يكون أحدثه هذا الانقلاب فى التعليم عندهم فأخبرنى أن إتخاذ الحروف اللاتينية ومافيها من حروف الحركات قد أمتعض منه الأهالى فى بادىء الأمر . ثم تدخلت الحكومة وابتدأ تعليم الأطفال اللغة مرسومة كلماتها بتلك الحروف فكانت دهشة الاساتذة ودهشة الأهالى كبيرة إذ وصل الطفل فى شهرين أو ثلاثة إلى قراءة أى متن مكتوب بها قراءة صحيحة وذلك بعد أن كان الطفل يستغرق سنين فى قراءة التركية مكتوبة بالحروف العربية ويصفحها بكل ضروب التصحيف على مثال ما هو حاصل عند أهل العربية .

إن لكل تجديد غصة وفى كل خارج عن المألوف غضاضة . وإنما تبجح المقالة فى المرء إذا ما صادفت هوى فى الفؤاد .

(ثم بين الطريقة التى يرى أستعمالها : وتحويل الكسرة إلى (i) والضمة إلى u والفتحة إلى a إلخ .

ثم صور مزايا أستعمال الحروف اللاتينية فقال : إن الحروف الهجائية بحسب ما وضعناها لا تخل بشىء من نغمات الحروف العربية بل هى تبرزها جميعاً بلا أستثناء . وكل نغمة منها يشخصها كما هو الحال الآن حرف واحد لا يشرك غيره معه فى أدائها .

ثم قال : (طريقة الحروف اللاتينية التى أقرها هى الوسيلة الوحيدة المتعينة لتخلية لغتنا الفصحى فى جلالها وجمالها على الوجه الواحد المتعين من أوجه النطق بكلماتها .

٢ ــ محمد[1] كرد على

سمعت زميلى عبد العزيز فهمى يتلو علينا موضوعه فى الدعوة إلى

(١) مذكرات محمد كرد على ج ٢ ص ٤٤٩ .

الاعتماد على الحروف اللاتينية فى كتابه اللغة العربية ثم قرأت مقترحه مطبوعا فرأيته مفتنا فى إيراد البراهين عارفا بالاستطراد والاستنباط، يريد أن يؤثر فى عقل السامع والقارىء . وقد وقفت له مقاطع من الكلام خانه فيها اللفظ منها قوله : أننا نحن الضعاف أى العرب نطأطىء كواهلنا أمام تمثال اللغة نحمل أوزار ألف وخمسمائة سنة مضت وأننا من أتعس خلق الله فى الحياة لأننا لم نعالج التيسير الذى فعله أهل اللغات العربية .. إلى غير ذلك مما لم يكن غير أسلوب خطابى يحاول أن يخرج منه ليفرض على الناس أختراعه الجديد .

وبلغ بالأستاذ فرط الغيرة على تبسيط اللغة أن رثى لها بما فيها من صعوبات ومنها تبرمه بما فى الأفعال من مجرد ومزيد .. ونعى على العربية تعدد جموعها وتشكل الواحد من الأسماء الجامدة جملة أشكال .

يقول زميلى أنه يوشك أن تغزونا اللغات الاجنبية فنترك لغتنا ونستعيض عنها بلغة من لغاتهم وهذا خوف لا محل له لأن العربية تزداد كل يوم رسوخا فى نفوس أهلها بفضل النهضة التى نهضناها وبفضل توفر أسباب التعليم والنشر ومما قال أن لغتنا كانت سبب تخلفنا فى مضمار الحضارة . وما أظن شيخ القضاة إلا ويعرف أن لانحطاط الشعوب الإسلامية فى بعض مظاهرها عوامل أخرى لا علاقة لها بحروف الكتابة وقواعد الرسم وأن برهانه هذا ضعيف لا يصح الاستدلال به على من هو بصدده . أنه يعرف كما نعرف جميعاً أننا أنشأنا مدنية شهد لعظمتها كل من قاموا بعدنا وما حال هذا الخط ومن قبله الخط الكوفى دون الانتفاع بما آل إلينا من علوم القدماء وما وضعناه نحن بصنعنا وقرائحنا من علوم وآداب.

---

(١) مذكرات كرد على ج ٢ ص ٤٤٩ .

وتبرم حضرته من تعدد اللهات العربية وأنا أبشره بأن هذه اللهجات يقل عددها ولا يزيد كما أدعى ، إننا نقترب كل يوم من الفصحى بفضل المدرسة والجريدة والكتاب والخطبة وللدياع . أى أن اللهجة الدارجة تتضاءل أمام اللغة الأدبية ، والفصحى تتغلب على العامية اليوم بعد اليوم .

ومن الحجج التى أدلى بها لإثبات قضيته التمثيل لنا بالأتراك وهى فى الواقع حجة عليه لاله . فالأتراك لما أخذوا بالحروف اللاتينية وقضوا على الأمية فيما زعموا بهذه البدعة الجديدة التى أبتدعوها قطعوا كل صلة بينهم وبين ماضيهم وعمر هذا الماضى لا يقل عن ستمائة سنة . وشأن العربية غير شأن التركية لأن العربية تمثل تراث العالم الإسلامى كله وإذا عملنا عمل الأتراك نقضى على تراث علمى وأدبى ودينى دام مطرداً خمسة عشر قرنا مما لم يعهد لأمة مثله ومعنى ذلك الزهد فيما خلفه العرب من آثار ، والقضاء على مشخصاتنا وهو مالا يرضى بذلك عربى مسلم .

خسر الأتراك أى خسارة بما أتوا من العبث بلغتهم فلا نريد أن نتقبل مثالهم ولا يجوز لأنفسنا الإقتداء بأهل لغة من اللغات فنحاها غير منحاهم ولغتنا تتسامى عن جميع لغات الشرق .

إن الصعوبة الموهومة فى لغتنا ما وقفت فى سورية دون تعليم الرجل البالغ من ابن العشرين إلى الخمسين فى المدارس الليلية التى أنشأناها ، أخرجناه به فى أربعة أشهر من الأمية .

إذن ، فالعربية ليست من الصعوبة بخطها على ما يزعم رصيفى والعرب إذا قصروا فى التصوير فقد عوضوا عنه هذا الخط الجميل والنقوش . والابس

إلى حروف الكتابة اللاتينية أقرب أن يحل حروف الكتابة بإحدى اللغات اللاتينية .

نحن هنا لأحياء العربية ونخشى أن تدعو هذه الصيحة إلى زعزعة السمعة الأدبية التى أحرزتها مصر فإن فى إعتماد الحروف اللاتينية بدل هذه الحروف العربية الجميلة يحدث تناقضا مع الغاية السامية التى أنشىء المجمع لأجلها نحن لا نملك بوجه من الوجوه إدخال جديد مضر يكون فيه القضاء على قديم مقدس .

٣ — أستاذ جليل (أسعاف النشاشيبي)

ذكر[1] برنارد شو فى مقدمة كتاب (هجرة نشأة اللغة) للأستاذ ويلسون : إذ يرى أن حروف الهجاء الإنجليزية لا تناسب اللغة الإنجليزية نظراً لأنها وضعت فى الأصل من أجل اللغة اللاتينية التى تختلف فى مخارج ألفاظها عن لغة أبناء التاميز . وعلى ذلك فهجاؤها يبعد كل البعد عن وقعها على السمع .

ولا شك أن الذين يرغبون فى حذق الهجاء الإنجليزى يقرون نقده هذا وهو نقد لا شك سيهم القارىء العربى لاتصاله بالتعبير الذى يقترحه بعضهم بشأن كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، إذ يحق لنا أن نتساءل بعد ذلك إذا كان من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التى تمتاز على الأقل بأنها وضعت خصوصاً للغة العربية واستبدال حروف بها وإن كانت شائعة الاستعمال إلا أنها لا تناسب حتى هذه اللغات التى دأبت على استعمالها منذ أول عهدها بالكتابة والحروف اللاتينية التى نقدها كاتب القوم

---

(١) مجلة الرسالة — ١٠ أبريل ١٩٤٤ .

العبقرى : برنارد شو وأبدت هذه المجلة تقدمه إياها — إنما هى الحروف العربية غير المهذبة التى كتبها كاتبوها من الشمال مكثرين من حروف المد فيها — والحركات فى تلك الحركات قد خفت وسهل النطق بأحرفها — مطيلين الكلمة بتسطير حروفها جميعها — والعربية قد أبدعت حين أخذلت — متعبين عيون القارئين بما صوروا وطولوا : وشتان ما بين حرفان أحدهما يريح البصر والآخر يرهقه . فسم الحرف اللاتينى بالحرف المتعب تنصفه . ولقد بالغ إخواننا الترك فى الإساءة إلى أنفسهم باستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير وتفضيل الشمال على اليمين .

أما مقترح تصوير العربية بالحروف اللاتينية الذى أشارت إليه مجلة المستمع العربى فهو كمقترح أستعمال تلك العامية — ولكل إقليم عربى عامية بل بابه والامم العربية قد أجمعت على أن تكون فى هذه الدنيا فى الكائنين لا أن تبيد فى البائدين وأن دعوة الباطل متلاشية ودعوة الحق هى الباقية .

٤ — محمود محمد شاكر . (١)

عبد العزيز فهمى رجل كنا نعرفه بالجد والحرص والفقه وطول الباع فى القانون وكنا نظنه رجلا محكم العقل فى جميع نواحيه لا يتدهور إلى ما ليس به عهد ولا يرمى بنفسه فى غمرات الرأى إلا على بصيرة وهدى . فلما قال ما قال عن الحروف العربية فى المجمع . ونشرت الصحف قوله ورأيه قلنا : عسى أن يستفيق الرجل ويعود إلى سالف ما عهد فيه من الحكمة والمنطق : وأن يكون ماقال خالصاً لخدمة العربية :

نحن نسلم للأستاذ الجليل بما يقول عن صعوبة الحرف العربى المكتوب وبأنه يعوق القراءة وأنه يجعل العربية أبعد متناولا عن عامة الناس ، نسلم له

(١) الرسالة ــ ١٠ أبريل ١٩٤٤ .

بهذا ثم ننظر كيف يكون الرأى الذى أعتسفه فظله للتسهيل ومدعاة لنشر العربية وكيف يكون الذى يخرج الحرف العربى الغامض إلى البيان والوضوح فلا يكون مضللا ولا معوقا ، فإنه يزعم أن « ليس لدى المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية وقت فائض يصرفونه فى حل الطلاسم » هذا هو محصول رأيه .

إن أول التضليل فى رسم العربية باللاتينية أن يضيع على القارىء تبين أشتقاق اللفظ الذى يقرؤه . فإذا عسر عليه ذلك صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذى لا نسب له . وصار فرضاً عليه أن يعمد إلى رسم المادة الواحدة من اللغة فى جميع صورها التى تكون فى السياق العربى ثم عليه أن يحاول تقريب الشبه بالذاكرة الواعية ثم عليه أن يحفظ معانى ذلك كله . فإذا هذا شأنه فى المادة الواحدة فما ظنك باللغة كلها . يومئذ تصبح العربية أجهد لطالبها من اللغة الصينية ، نعم ، وإذا ضل عن تبين الأشتقاق والتصريف ، فقد ضل عن العربية كلها لأنها لم تبن إلا عليهما ، وهى فى هذه الوجهة مخالفة لجميع اللغات التى تكتب بالحرف اللاتينى ، لأن الأشتقاق والتصريف يعرضان لها من قبل بناء الكلمة كلها حتى تختلف الحركات على كل حرف فى كل بناء مشتق أو مصرف ثم يزيد على ذلك ما يدخل الكلمة من جميع ظروف الحروف العاملة وغير العاملة ثم علل الأعراب والبناء والحذف ، إلى آخر كل ما يعرفه مبتدىء فى العربية .

وقوله : حل الطلاسم . فأى الطلاسم . أهى الطلاسم التى تدخل على كل حرف من الحروف فى المادة الواحدة ، ألوانا من الحركات تكتب بالل

---

(١) الرسالة — ١٠ إبريل ١٩٤٤ .

كل حرف وحرف وفى أواخر كل كلمة وتقف فواصل متباينات بين حروف مادة واحدة من لغة بقيت على الاشتقاق وعلى الأختصار وجاء فيها الجموع المختلفة والصفات والأبنية ذوات المعانى.

أهذه هى الطلاسم أم تلك. وأيهما أفسد لوقت المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية ! بل أيهما أخزى وأشنع فتكا وشراسة ، بل أيهما يغول العقل لا الوقت وحده.

ولكنها فتنة ! فتنة أغتر بها شيخ صالح فاستغلها من لا يرى للعربية حقاً ولا حرمة :

٥ - إسماعيل مظهر[1]

ما أشبه لغتنا العربية المجيدة بكرة الأرض وحادثتها مع الشيطان ! فإن هذه اللغة ما فازت بالبقاء دون إخوانها الساميات إلا لأسرار فيها يعجز عن إدراكها الفكر ويضل فى بحثها التاريخ . وكل تعليل لهذه الظاهرة إنما هو تعليل ناقص فإن ذلك التيه الواسع الذى نسميه اللغة العربية إنما هو على إتساعه وحدة كاملة الأطراف متماسكة الجوانب إذا أقتلعت منه حجراً واحداً إنهارت منه أركان . وإذا زعزعت منه أساسا تداعت من حوله كثير من الأسس . فلقد تطورت هذه اللغة على ممر السنين . وتكاملت على كر الأعوام حتى أصبحت كالبقاء المصبوب من الفولاذ ، ناحية النقص الواحدة فيه أنك لا تجد فيه منفذاً واحداً يمكنك أن تضيف إليه جديداً منه غير أنه يظهر كالرقعة المهلهلة فى الثوب الجديد الكامل النسق.

---

(١) الرسالة ١٣ مارس / ١٩٤٤ .

وما الذى يحملنا على أن نفكر فى الحروف اللاتينية لنكتب بها العربية، ما الذى يحملنا على أن نحمل ذلك الحجر الثقيل على أكتافنا من بلاد اللاتين إلى صميم بلاد العرب لنقذف به لغة العرب فيلوب فى بحرها الخضم ثم يلوب ومن بعد تبتلعه ولا نكسب من ذلك إلا تعب الحمل ووزر ذلك الشيطان الذى قذف كرة الأرض بحجره الثقيل، فلم ينتقصها وإنما أبتلعه جمالها فزادت به جمالا ولم يغير من طبيعتها وإنما زاد إلى تاريخها فضلا محجوبا مكروها. إنما يكون مثلنا فى هذه الحال كالشمطاء التى أبت إلا أن تنتقص جمال حسناء، حقداً وكيداً فاجترت حصاة من لثتها فبدت غرتها أجمل وأفتن.

٦ – عباس محمود العقاد:

«[١] خالفت رأى معالية لأن إقتراحه يترك الصعوبة الأصيلة قائمة ونعنى بالصعوبة المتفرعة عنها وهى تابعة لها باقية ببقائها فلا صعوبة عندنا فى كتابة حرف من الحروف مضموما كان أو مفتوحا أو مكسوراً إذا عرفنا أنه مضموم أو مفتوح أو مكسور ولا صعوبة كذلك فى قراءته مع هذه المعرفة سواء أكان مشكولا أم غير مشكول.

إنما الصعوبة الأصيلة أن نعرف ما يضم وما يكسر ثم نكتبه ونقرأه على صواب. وترجع هذه الصعوبة إلى خواص فى بنية اللغة العربية لا وجود لها فى اللغات التى تكتب بالحروف اللاتينية غربية كانت أو شرقية.

... أما الكتابة بالحروف اللاتينية فإن صح أنها تضمن للقارىء أن يقرأ ما أمامه على صورة واحدة. فهى لا تمنع الكتاب المختلفين أن يكتبوا

---

(١) الرسالة ١٧ مارس/ ١٩٤٤.

الكلمة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية ومن هنا يشيع التبلبل على الألسنة ويقرر الخطأ تسجيله فى الكتابة والطباعة بدلا من تركه محتملا للقراءة على الوجه الصحيح .

فقصارى ما نعنيه بهذا التبديل ، أننا ننقل التبعة من القارىء إلى الكاتب ولا نمنع الخطأ ولا نضمن الصحة ، وهى فائدة لا يبلغ من شأنها أن تبدل معالم اللغة وتفصل ما بين قديمها وحديثها .

وكان من أسباب مخالفتى لإقتراح الأستاذ العلامة — وهى كثيرة — أن طريقته ليست بأيسر من طريقتنا التى نجرى عليها الآن فى كتابة الكلمات العربية مضبوطة بعلامات الشكل المصطلح عليها فى موضع الحاجة إليها .

إن الطريقة اللاتينية المضاف إليها بعض الحروف العربية تغنينا من علامات الشكل ولكنها تضطرنا إلى زيادة الحروف حتى تبلغ ضعفها أو أكثر من ضعفها من كلمات كثيرة وتوجب هذه الكلفة على العارفين وهم غنيون عنها .

ثم هى لا تغنينا بعد عن النقط والشكل لأنها تعود بنا إلى النقط فى حروف وإلى ما يشبه الشكل فى بعض الحروف لتمييز الألف والتاء والذال والشين .

حاول الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا أن يصلح من اللغة العربية بمشروعه ذلك بأن يجد طريقا يسهل على الناس قراءة العربية صحيحة كما تلقينا من الفصحاء . وأشار من طرف خفى إلى حروف الحركة ، كأن اللغة العربية

(١) الرسالة — ١٨ سبتمبر ١٩٤٤ .

ليس بها حروف حركة . ولكنه نسى أن العربية تمتاز على جميع لغات العالم من هذه الناحية ، نسى أن بها حروف مد وحروف حركة .

ما أريد أن أتكلم عن تراث العرب والعربية وما أريد أن أتكلم فى أن هذه اللغه لغة دين ولغة أدب وعلم وفن إنحدرت إلينا من خمسة عشر قرنا إلا قليلا تحمل إلينا فى تضاعيفها مشعل الماضى مضيئا ، إن هذه النزعات نزعات يبعثها ضعف فى القومية وأستهتار بتراث العرب الموروث ونبذ لكل تقليد قديم تلقيناه عن أصولنا .

الفصل الثالث

معارك مفاهيم الثقافة

مفاهيم الثقافة : هي البؤرة التى دارت حولها بعض المساجلات والمعارك الأدبية الجادة ، كان هناك اتجاه تغريبي لفرض آراء جديدة ، عنيفة صارمة ، مخالفة تمام المخالفة لوجهتنا وقيمنا ، ومحاولة لاتهامنا بالقصور والتخلف فى مفاهيمنا الأساسية ، وهى فى جملتها ترديد لنظريات وضعها المفكرون الاستعماريون لفرض سلطان الغرب الفكرى كأساس لتركيز قواعد الاستعمار والتجزئة ومسخ الشخصية العربية الاسلامية وتمييعها .

— المعارك —

١ — ثقافة الشرق وثقافة الغرب .
٢ — لا تيفيون وسكسونيون
٣ — النزعة اليونانية .
٤ — كتابة السيرة .
٥ — كتابة التاريخ .
٦ — معركة الترجمة .
٧ — أدب الساويتش .
٨ — غاية الأدب . ما هى .
٩ — متى يزدهر الأدب .
١٠ — الأدب المكشوف .
١١ — التراث الشرقى .
١٢ — ثقافة دار العلوم .

١ – ثقافة الشرق ثقافة الغرب

معركة بين فيلكس فارس وإسماعيل أدهم

هذه معركة أدبية من أضخم المعارك التى دارت حول الثقافة العربية وهل هى شرقية أم غربية : بدأها توفيق الحكيم بمقال فى الأهرام عنوانه « هل يوجد اليوم شرق » ورد عليه فيلكس فارس بما كان قد أورده من قبل فى مناظرة مع إسماعيل أدهم أحمد .

ثم بدأت المساجلة بين فيلكس وأدهم واتسع نطاقها وشمل كل مايتصل بفنون الثقافة والعلم والموسيقى وظهر الاختلاف واضحاً بين مفاهيم الكاتبين ، أحدهما مسيحى عربى يؤمن بثقافة العرب ويدافع عن كيان الأمة العربية أن تنمحى فى الصورة الغربية ، والآخر مصرى تركى مسلم يؤمن بمفاهيم الغرب وآراء المستشرقين المتعصبين فى العرب وفى عقلنا وتراثنا ويزدرى كل مقدراتنا ويحتقر مقومات تفكيرنا ، بينما يقف فيلكس فارس موقف الإيمان البصير بتراثنا وكياننا العربى ومدافعا عن هذا التراث بحرارة قوامها العلم والرأى النقى للتسامح غير المتعصب .

وتمد هذه المناظرة خلاصة النظريتين اللتين تصارعتا فى عالمنا العربى خلال هذه الفترة

• هل يوجد اليوم شرق — توفيق الحكيم (الأهرام ١٣ مايو ١٩٣٨)

قال « إذا لم يكن لنا قدرة على خلق حضارة شرقية فلنفعل ما فعلت تركيا وننخرط بشكل بساطة فى سلك الأمم الأوربية » .

• فيلكس فارس (الرسالة)٦ يونيه ١٩٣٨ . .

إن الأستاذ توفيق الحكيم لا يجهل أننا إذا عجزنا عن خلق الحضارة الشرقية وعن إحيائها بتعبير أصح ، فإن إنخراطنا فى سلك الأمم الأوربية لا يوصلنا إلى الهدف الذى تتجه إليه الأمة التركية ولما تصل إليه ، فإن بين الفطرة التركية والطفرة العربية من الفروق مالا يصح معه أن يتخذ العرب الترك قدوة

لذلك لا أحسبنى مخطئا إذا ذهبت إلى أن الأستاذ الحكيم لم يخير العرب بين حضارتين إلا ليثبت لهم أن فى أعماق قلوبهم شرقا لا حياة لهم إلا بالاتجاه إليه واستجلائه وراء ظلمات الأحقاب .

[وذكر أنه كان قد ناظر إسماعيل أدهم حول موضوع (أمن الخير لمصر أن تأخذ الحضارة العربية) وهذا هو تفصيل رأيه :

أولا . (التفريق بين الثقافة والعلم) إن العلم مشاع لكل الأمم ولكل الأفراد فهم يتفقون فيه على ما بينهم من اختلاف بعيد فى نظرات الحياة ، فى حين أن الثقافة مستقرة فى الشعور فهى (دماغ فى قلب) ولا قانون لها لأنها راسخة فى الفطرة ، والفطرة فى الفرد ، كما هى فى الأمم ميزة خاصة فى الذوق ، واستعداد خاص لفهم الحياة والتمتع بها ، فإذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة فليست الفطرة إلا القوة المتمتعة للانسان بتلك الحاجة بعد الظفر بها ، وكما أن لكل فرد ثقافته التى تتجلى نطرته فيها ، هكذا لكل أمة ثقافتها المستقرة فى فطرتها ، فلا ريب إذا فى أن سعادة الفرد والمجموع وشقاء كل منهما يتوقفان على ملاءمة الحياة أو عدم ملاءمتها لما فطرا عليه ، وسواء أكان المرء مخيراً أم مسيراً فى إرادته وأعماله فإنه على الحالين غير مخير فى ذوقه فى الحياة وفى لذته وألمه منها ، فكل فرد خالفت طريقة حياته ما استقر من الحوافز فى فطرته يفقد الشعور التام بتلك الحياة ويتعرض للسقوط فى المعترك ، وهكذا الأمم إذا خدعت نفسها وسارت فى حياتها على ما يؤلم فطرتها فإنها تفقد قوة الارتقاء بذاتها فتميت شخصيتها دون أن تتدفق إلى الأنبعاث فى شخصية تستعيرها من سواها .

ثانيا : (بين الحضارة الآلية والحضارة الذهنية) :

• إن الخلاف الذى ينشأ بين باحثى مسألة الشرق والغرب : إنما ينشأ من عدم التفريق بين المدنية الآلية والمدنية الأدبية .

« التغريب الشامل »

٢ — أجابات إسماعيل أدهم على آراء فيلكس فارس

• (أدهم) إن للشرق روحه الذى يستوحيه أبناؤه نزولا على فطرتهم وللغرب منطقه الذى يستنير به أفراده نزولا على وحى مشاعرهم .

— (ف) العلم مشاع بين كل الأمم وما أخترع الغرب المنطق ولا هو أوجد التفكير العلمى لنعترف له بثقافة قوامها التفكير ينفرد بها بين ما على الارض من شعوب .

• (أدهم) إن الحياة العلمية التى يحياها المصرى الآن تجرى على غرار ما كان يحياة أسلافه الفراعنة .

— (ف) أنا لا أرى فى حياة المصريين اليوم أثراً من الحضارة الفرعونية . لا فى الحياة العلمية ولا فى الحياة الادبية ، كما لا أرى شيئا من حضارة الفينيقيين فى حضارة أهل سوريا ولبنان ، وما تبقى من هذه الحضارات المستغرقة فى القدم إلا إهرام ومعابد وأعمدة وقصور وقبور .

• (أدهم) وجوب تلقيح الذهنية المصرية بثقافه عربيه تبث فيها النشاط وتدفع بالامه إلى الحياة .

— (ف) إن السبب الذى يراه للناظر موجبا لهذا الانحراف إلى ثقافه

الغرب قائم على أعتقاده بأن الثقافة العربية ذاتية تدفع بالإنسان إلى الذهاب مع الخيال ، فردية تذهب بالفرد إلى الأنعزال عن المجتمع فى حين أن ثقافة الغرب أو ذهنيته تستجل حقائق الحياة بالتفكير الفلسفى والبحث العلمى .

(أدم) إن المدنية الغربية مستمدة من الثقافة الأوربية العلمية فى حين أن الشرق العربى يتوه ذاهبا وراء خياله .

— (ف) إن الأمر ليس كذلك ، وإليكم البرهان ، فهو يقول أن عصرنا عصر العلم .

ولقد بدأ ذلك العصر بثورة نفر من رجال القرن السادس عشر على العقلية القديمة التى تبحث عن علل الأولى فسبروا سنن الطبيعة وأقاموا عليها المدنية مستمدة من الذهنية الآرية .

إذا أن أصحابنا الأريين كانوا يغطون فى نومهم ولم تراود أحلامهم الآلهة التى خلقتها عقلية التعاون فيهم فبلغ عدد هؤلاء الآلهة الثمانية ، آلاف من الأساطير التى يراها الناظر غنية بالرمز والفن ، وما هى فى نظر الشرقى العربى إلا دلالة فقر مدقع فى التفكير وجموح فى خيال لم يدرك شيئا من الوحدة التى تقوم حقائق الأشياء عليها .

وفى هذه الأثناء كانت الحضارة العربية تحتضن العلوم القديمة وهى ممثلة بأرسطو فى الأستقراء وبافلاطون فى القياسات ، وما كانت هذه العلوم فى ذلك العصر إلا فى طور التدرج الأولى فاستولى عليهــا التفكير العربى لا ليدفعها إلى الارتقاء فحسب ، بل ليستنبط و يعدل ويوجد .

ومما يجدر ذكره هو أن العرب حين أقتبسوا من تراث اليونان ما

يعتزون به تفكيرهم العلمى لم تستهوهم الثقافة اليونانية ولا حضارتهم الأدبية إذ أحسوا بما بين الحضارة التى كانت تمخض فى شعورهم وتقديرهم للحياة وبين حضارة اليونان الإجتماعية من مهاو سحيقة فاعرضوا عن شعورهم وموسيقاهم ونظم إحيائهم ، لذلك لا تجد فى شعر العرب شيئا من إبهام بيندار واوريبين وهيوس . وهذا الأخير بقى مجهولا حتى ترجمه البستانى فى أوائل هذا القرن ، وقد برز العرب فى تقدمهم فى علوم الآلات وتوازن السوائل ونظريات الضوء والأبصار والهندسة وعلم الهيئة فوضعوا علم الكيمياء واكتشفوا أجهزة للتقطير وأوجدوا الأسطرلاب ووضعوا جداول الأوزان النوعية والأرياح الفلكية . وهم وأضعوا علم الجبر والأرقام . وما كاد ينقضى القرن الثامن الميلادى حتى كان هارون الرشيد يسير شوطاً بعيداً فى مضمار الرقى ليسلم إلى المأمون سنة ٨١٣ للمدينة التى أصبحت عاصمة العلم الكبرى فى ذلك الزمان .

ويذكر التاريخ أن هارون الرشيد كان أرسل إلى شارلمان ساعة تدل على الزمان بحركة من الشريط المربوط فأفزعت حركتها هذا الملك حتى أمر بكسرها

أبعد هذا يصح لقائل أن يقول أن رسالة الشرق روح وشعور فقط وأن رسالة الغرب عقل ومنطق .

إن مغالطوى قد ضيق عدسة منظاره ، وحلق على مجال من الزمان لايزيد على قرن ونصف قرن متطلعا إلى الرقى العلمى فى طوره الأخير فخيل له أن الغرب قد أوجد وأبدع وأكمل بعقليته الأريه ، ثم التفت إلى الشرق العربى وهو خارج محطما من عبودية نيف وأربعة قرون فحسب أن السامية العربية هى ما لمحه من عدسة منظاره .

• (أدهم) إن هناك تجربة تحت إذ كانت الدولة العثمانية تمتد حتى الدانوب وتعيش على غرار شرقى فكانت منبعا للفساد فى العالم فلما أسقطت عنها المجر ورومانيا والبلغار واليونان اليوغسلاف فأخذوا بمدنية الغرب تقدموا .

— (ف) إن الدولة العثمانية التى (عاشت على غرار شرقى) إنما كانت آرية فى روحها وما تسنى لها طوال حكمها الذى سحب أذياله قرونا إن تدغم فيها العنصر العربى السامى أو تندغم فيه فارتفعت عليه ولم تتمكن من الارتفاع به بالرغم من أعتناقها دينه المبين .

وليت الدولة العثمانية بعد أن بنت سلطانها على السطوة عرفت أن تحتفظ به بالعمل على ترقية الشعوب المستظلة بعلمها ، ليتها لم تكتف بالمظاهر هو معرضة عن الصفات العليا التى أنار الخلفاء الأقدمون بها وجه الأرض وأقاموا عليها أروع حضارة عرفها التاريخ ، إذن لما كانت الشعوب التى ذكرها المناظر لتتنفس الصعداء بزوال كابوس الدولة العثمانية عنها . وما كان اليونان والبلغار وسواهم موحقين متقهقرين لاتخاذهم الثقافة العربية فإنهم ما عرفوها وما عملوا بها .

• ما يقوله المناظر عن أن اليابان نهضت بالمدينة الغربية بعد أن أعرضت عن منطق الحياة الشرقية ففيه حقيقة كبرى تقدم برهانا على نظريته : فإن اليابان لم تزل متمسكة بثقافتها كل التمسك وفى ذلك سر إرتقائها ، فهى لم تأخذ من الغرب إلا الآله والآله فقط . وما الآله إلا نتاج العلم العملى الوضعى الذى رافق الإنسانية منذ أكتشف أول مكتشف شرارة النار فى كهفه . وليس للهندسة والكيمياء وعلوم الإحياء وسواها طابع قومى(١) .

---

(١) الرسالة — ٦ يونية ١٩٣٨ .

• تحدث أدم عن الثقافة الغربية والذهنية الآرية .

— (ف) ما تلك النظرية إلا توهم إتخذته نحو (جبيغو) وأتباعه إذ قالوا بتفوق السلالة الأرية على سائر الأرض لتفردهم بشكل خاص فى جماجمهم وبنوع خاص فى شعرهم ، وبلون فارق فى جلودهم ، فادعوا أن هذا الشكل دون سواه من بنى الإنسان يملك صفاء الذهن وقوة الإختراع والعبقرية بأنواعها . غير أن الأستقرار قد أضطر دهاقنة علماء — الأحياء — إلى الاعتراف بفساد هذه النظرية بعد أن رأوا أن الجماجم التى ينطح بها الآريون السحاب إنما يحمل مثلها أقوام أفريقيا الوسطى .

— (أدم) إذا أخذنا بما أكتشفه الغرب من علم يمكننا التحكم بمقدراتنا فإننا نستطيع أن نغير عقليتنا لنقيس طرائف الغرب التى توصلنا إلى خير النتائج .

— (ف) لماذا يجب أن تعمل الشعوب العربية على تغير عقليتها وإنكار فطرتها وحوافزها التى تكونت من أعظم حوادث التاريخ طوال ألوف السنين ما دامت هذه العقلية نفسها قد أنارت الدنيا بعلومها وآدابها واكتسحت الغرب كله بروحانيتها وشرائعها .

(أدم) متى أصلحت روحانية الشرق النفوس ما دام العالم هو بشروره لم يتغير .

— (ف) نحن نقول أن روحانية الشرق هى التى أسقطت ألوف الآلهة فى الغرب عن عروشها . وأن الشعوب الآرية بدون أستثناء أى عنصر منها إنما إهتدت إلى الحق والجمال فى منشأ حضارتها بتفكير الشرق ووحيه وإلهامه .

فإذا نحن رجعنا بالذكر إلى حضارة أوربا الوثنية التى بنيت على خرافات الأساطير لا يسعنا بعد ذلك أن ننكر الواقع ونقول بأن الإنسان كان سيهتدى دون أن يهدى.

• (أدهم) قال الدكتور باتروفيل : بأنهم سيصلحون بالعلم من البشر ما عجزت الاديان عن إصلاحه منذ ألوف السنين .

— (ف) إن العقلية الآرية المعززة بالعلم والثقافة العالية ستقطع دابر الإجرام بوسيلة علمية هى تعقيم المجرمين .

وأنا أحد أبناء هذه الأمة العربية التى يدعى الآريون قصورها فى ميدان التفكير ، أنا على ما أنا عليه من ضيق الإطلاع وفى قومى من رجال العلم من لا يشق لهم غبار ، أستنير بعقليتى السامية وبإيمانى العربى المسكين فأقول لعلماء الغرب : لقد ضللتم وأقول بخاصة إلى الدكتور باتروفيل أنه مغرور بعلمه وأنه لا يداوى من العلة إلا أعراضها . أن الغرب يرى تكاثر عدد الجانين والبلهاء والمجرمين فى شعوبه فلا يبحث من منشأ العلة ليداويها بل يعمد إلى تعقيم ضحايا مدنيته وثقافته ظنا منه أن هناك بعض الأسر المصابة بداء وراثى وأنه إذا قضى على تناسلها خنقت العلة من منشأتها !

أما فرويد فنظريته صحيحة فى هذه الأمراض النفسية التى تفتك فتكا ذريعا فى أبناء المدينة الغربية ، وما كانت مثل هذه الأمراض لتصيب أبناء بلادنا فى العصور الماضية إلا فى القليل النادر لأن الذهنية الشرقية لم تحارب النوبزة الجنسية بل إعتبرتها جزءاً من إيمانها . وما التبتل إلا بدعة طرأت على تعاليم عيسى فاحتضنها الغرب وجعلها على ما هى والشرق منها براء .

• (أدهم) أراد أن يثبت لنا أن الموسيقى الغربية خير من موسيقى

الشرق وحجته العلمية فى ذلك أن الغناء الأفرنجى غنى بما فيه من طباق بين عدة أصوات .

(ف) — ونحن إذا صرفنا النظر عن الغرائز المستقرة فى العقل والتى يصدر عنها الفن الخاص بشكل أمة وبحثنا الموسيقى من وجهة علمية إستقرائية نجد أن الموسيقى العربية أصدق تعبيراً للطبيعة وأدق تصويراً للمشاعر بعديد نغماتها فى الصوت المنفرد • فإن الموسيقى العربية تمثل فى نغماتها السبع الأساسية ألوان الطيف يتفرع منها ما يزيد على السبعين نغمة تخضع مرونة ناعمة للعاطفة فتظهر خفاياها كصورة أختطفت عن الأصل بجميع أنوارها وظلالها •

إن الموسيقى الغربية رست على الطباق أو المطاوعة فكان لا بد لها من كبت النيران الدقيقة المتمردة على الطباق ومن الاكتفاء بنغمات معدودات هى محل ثروتها . أما الموسيقى العربية فإنها هتاف عميق من النفس منفردة تجاه الوحدة المتجلية فى مستلهمات الشرق دينا وفنا . فهى وإن نقصها الطباق لعدم ملاءمته لحريتها ودقة نبراتها لا تزال فى دور إنحطاطها اليوم ، أغنى بأوزانها ونغماتها من الموسيقى الغربية الغنية بالصخب والفقيرة بالتنوع المنفرد.

يمكننى أن أؤكد أن الفن الغربى على ما بذل فيه من جهود لا ترتكز على أساس من الموسيقى الطبيعية التى تتجلى بشكل روعتها فى الإنشاد العربى المفرد • ولو أن رجال الفن عندنا أدركوا هذه الحقيقة وأنصرفوا إلى شرقية موسيقانا على أساسها دون أن يستهويهم ما يتوهمونه رائعا فى الموسيقى الغربية لكانوا ينتزعون من الطبيعة أروع موسيقاها ولكن أكثرهم كمن لديه ثروة يطبق خزانته عليها ليذهب مستجديا من الغرب كسرات تتخمه ولا تسدجوعه .

هل يظن القارئ الكريم أن تجربة التقليد شيء جديد لم يتضح لنا زيفه بعد . أفلا ترى فى كل بلد من هذا الشرق العربى عدداً من المتفرنسين والمتأمركين والمتأكلزين والمتروسين إلخ خرجوا عن الثقافة العربية وأمتنع عليهم أن يتصفوا بالثقافات التى أستهوتهم فأصبحوا لا الغرب يعرفهم ولا الشرق يعترف بانتمائهم إليه • وهناك ظاهرة غريبة نشأت من هذا التقليد وهى النعرة التى أستحكمت بين هؤلاء المقلدين وهم أبناء البلد الواحد ، فإنك لن تجد متفرنساً يمكنه الأتناق مع متأمرك أو سواه من المستغربين .

ثم وصف مثل هؤلاء المستغربين فقال : إنما هو شخصية تائهة فقدت ذاتها ولقد يلمع مثل هذا الإنسان بالظفر والمجد ولكن أنوار السعادة تبقى منطفئة فى عينيه .

ثم قال : إن كل أمة تحيا على غير ما تسوقها فطرتها إليها فهى أمة باكية بدموع صامتة هى أمة مستضعفة مستعبدة لا معنى لحياتها وإذا كانت مدنية الغرب الحديثة ترى أن الأرتقاء يقوم على العلم وحده ، على الاستقرار دون الاستلهام فإن الشرق العربى المتحفز للوثوب دستورا هو : أعمل لآخرتك كأنك تموت غداً وأعمل لدنياك كأنك لا تموت أبداً(١) .

٣ — آراء فيلكس فارس : أمة لها كيانها ومقدراتها

لخص فيلكس فارس آرائه فقال :

• إن العرب عند ما رقوا العلوم ونشروها وأوجدوا أهمها إنما عملوا بعقليتهم الشرقية العربية . وإننا لسنا بحاجة لتقليد الغربيين من أسلوب تفكيرهم ابتجاريهم فى مضمار العلوم • ومن العرب اليوم فى أوربا وأميركا ومصر وسائر الأقطار معربية علماء فى كل فن يفتخر العالم بأسرة ؛ غربه

(١) الرسالة — ١٣ يونية ١٩٣٨ .

وشرقه بسعة إطلاعهم وعبقريتهم وما بلغ هؤلاء الأعلام مقامهم إلا بعقليتهم العربية .

• إن العلوم الرياضية مشاع بين البشر جميعهم فليس على الأرض سلالة خصها الله بالعلم دون سواها .

• إن لكل شعب فطرته وهى ميزة خاصة فى الذوق وأختصاص فى فهم الحياة والتمتع بها • وإن كل أمة تستبدل ثقافة غربية بثقافتها إنما تؤلم فطرتها وتميت شخصيتها .

• إن الاخذ بالعلم عن أى شعب لا يستلزم مطلقا أقتباس طرق حياته فى الأسرة والمجتمع وتقليد ذوقه وسكناته وحركاته فإن العرب عندما أحتضنوا العلوم الإستقرائية عن اليونان لم يأخذوا الفطرة اليونانية ولا ذوقها ولا معتقداتها كما أن أوربا عند ما تلقت هذه العلوم عن العرب لم تتعرب بل بقى فيها كل شعب محتفظا بثقافته • هذا فضلا عن أن فى الغرب ثقافات قد يراها من يحدجها من بعيد على شيء من التقارب غير أن من يدرسها عن كثب ليدهشه ما بينها من فروق تتناول صميم الذوق والعقيدة والشعور . فأى الثقافات يشار على الشرق بأن يتبع .

٤ — بين الغرب والشرق

جملة آراء اسماعيل أدهم فى ثقافة الشرق وثقافة الغرب :

• لكل شعب فى العالم تراثه التقليدى الذى خرج به من ماضيه والذى يحف به حاضره . ومصر لم تخرج عن كونها مجتمعاً استوحى روح الشرق عصوراً متطاولة .

الثقافة التى كونتها مصر بما ورثته عن أسلافها الفراعنة فى أصول الفن

الفرعونى القديم ، تمثل وحدة الحياة المعاشية فى مصر إلى عهد الفراعنة إلى يومنا هذا .

• أما الثقافة العقلية فهى فرعونية تكيفت تبعاً لها الثقافة العربية تكيفا يتلاءم وما تحتاج إليه الثقافة الفرعونية فى عهد الحكم الرومانى من ملابسات لتجارى فن الحياة فى ذلك العصر : ومن هنا قامت أو قل استمدت اللغة العربية فى مصر قدرتها على صوغ المعانى بما يتكافىء ومحيط مصر فكانت اللغة العامية فى مصر وهى فى الحقيقة الفرعونية الآخذة بأسباب التعرب .

• لمصر ثقافتها التقليدية التى تباين ثقافة السوريين التقليدية أو ثقافة اللبنانيين التقليدية ومايتجح لمصر قد لا ينجح لغيرها .

• لا أجد التفرقة بين العلم الوضعى والثقافة اعتباريا لأن الأولى نتيجة الثانية إن ثقافة اليوم من حيث أنها تتبع العلم لا يمكن تخليصها من آثار العلم والثقافة الأدبية يغزوها العلم بمنهجه الصارم ومنطقه فمن الخطأ أن نفرق بين الثقافة من حيث أنها نتيجة معاشية وأسلوب فى الحياة وبين العلم ومنطقه وهى أداة اليوم للعيش والحياة .

• إن الفرق بين الشرق والغرب ينحصر فى هذا وحده :

الغرب يقيم الحياة على أساس إنسانى ويترك للعلم أن ينظم الصلات بين البشر ، والشرق يقيم الحياة على أساس غيبى ويترك للغيبيات تنظيم الصلات بين البشر والغرب يقيم حياته على أساس من التفكير فى إيجاد التكافؤ بين حاجاته ومحيطه مستخدماً فى ذلك العلم .

والشرق يقيم حياته على أساس من التواكل :

• قول مناظرى : وما اخترع الغرب المنطق ولا أوجد التفكير العلمى . فذلك مجانب للحقائق المعروفة فى التاريخ ، من أن الأغريق هم أول من عرفوا المنطق وأوجدوا البحث وعنهم أخذ العالم المنطق .

• هناك فرق أساسى فى منطق التفكير بين الشرق والغربى ، وهذا الفرق ينحصر فى الشرق يبدأ بحثه من الوحدة المتجلية حوله فينتهى للخالق ومنه للطبيعة . بعكس الطبيعة الذى يبدأ بحثه من التغاير الذى يكتنفه فينتهى للطبيعة ومنها للخالق .

هذا الفرق المشهور فى أن الشرق يبدأ من عالم الغيب لينتهى للعالم المنظور بعكس الغربى الذى يبدأ من العالم المنظور لينتهى لعالم الغيب — كان سبباً لظهور اللاهوت عند الشرقيين والفلسفة عند الغربيين .

هذا التباين فى منزع التفكير ذهب بالعقل الشرقى إلى الاعتقاد بأن العالم حادث ، وأن الخالق مطلق التصرف فى الكون منفصل عنه ومدبر له ، وأنه السبب لكل ما يحدث والعلة الأولى والأخيرة لكل ما يكون وما سيكون ، بينما البحث عن التغاير المشهود فى الكون يدفع بالأخذ بأساليب الاستقراء والمشاهدة إلى جانب أسلوب الاستنتاج والنظر ، وهذا كله ينتهى بالإنسان كما انتهى بمفكرى الغرب إلى أن لكل حادثة سبباً فى الكون وأن للعالم وحدته وانسجامه .

والإنسان من حيث هو كائن فى العالم المنظور فهو فى نظر الشرق خاضع لإرادة عليا هى إرادة الخالق الحر ، فهو الذى يقضى فيكون ويقدر فيحدث. وهذه فكرة القضاء والقدر عند الشرقيين .

أما نظر الغربى فالإنسان وإن كان يتبع فى تصرفاته وسلوكه نواميس الحياة ويخضع لها . فإن فى قدرة الإنسان تغيير القدر له عن طريق معرفة النواميس المتحكمة فى وجوده العمل على إيجاد الملاءمة بين حاجات الإنسان فى الحياة ومطالبه فى الوجود .

وخلاصة القول أن فى الشرق استسلاما محضاً للغيب وفى الغرب نضالاً محضاً مع قوى الغيب ؟

• الفرق بين منطق الغرب الاثباتى وروح الشرق الغيبي :

إن المنطق العربى ينظر للحياة الإنسانية كما هى وعن طريق العقل وحده يحاول معرفة حقيقته وتنظيم الصلات بين أفراد المجموع البشرى . بعكس الذهن الشرقى الذى يدخل عنصراً غيبياً فى الحياة الإنسانية وعن طريق هذا العنصر الغيبى يحاول تفسير الحياة وتنظيم الصلات الإنسانية وإقامة العلاقات بين أفراد الهيئة الإنسانية .

ـ الثقافة الغربية إنسانية ، بعكس الثقافة الشرقية التى وقفت عند حدود المرحلة الثانية حيث يمتزج فيها العالم المنظور بعالم ما وراء المنظور :

ـ مما يجدر ذكره أن العرب حين اقتبسوا من تراث اليونان مايعززون به تفكيرهم العلمى لم تسعهم الثقافة اليونانية ولا حضارتهم الأدبية إذ أحسوا ما بين الحضارة التى كانت تتمخض فى شعورهم وتقديرهم للحياة وبين حضارة اليونان الاجتماعية عن مهاو سحيقة فاعرضوا عن شعرهم وموسيقاهم ونظم اجتماعهم .

ـ إن ثقافة العرب ذاتية وأن الثقافة موضوعية عند اليونان . لهذا لانجد فى الشعر العربى شعراً قصصياً ولا شعراً تمثيلياً ولا شعراً تصويرياً ، لأن القصص والتمثيل والتصوير يستلزم الانسحاب من آفاق الذات إلى رحابه الموضوعية وليس هذا فى مكنة الذهنية العربية .

ـ قامت المدنية الرومانية على تراث الأغريق ، غير أن المسيحية سرعان ماغزت روما وهبت عليها حاملة معها نزعات المنطق الآسيوى والروح الشرقية إلا أن الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وامتصتها ، وكان هذا الابتلاع والامتصاص بعض الخلاص لمنطق الغرب من روح النسك الآسيوية ثم طغت موجة العرب على الغرب ، غير أن الغربيين نجحوا فى وقف الموجه العربية

عندما تفاقم أمرها وكان نجاح شارل مارتل عن العرب على نهر اللوار كنجاح الأغريق على الفرس سبباً فى انقاذ العقلية الغربية من طغيان روح النسك الأسيوية .

٥ — رد فيلكس فارس على اسماعيل أدهم

ـ إن مصر[1] لن تكون فرعونية فى القرن العشرين إلا إذا تراجع الزمان القهقرى طاويا معه كلمة الله التى جعلت قوم فرعون حديثا فى تاريخ الشعوب .

ـ أما أن تكون مصر ذات ثقافة خاصة تتميز بها عن سائر الأقطار العربية فذلك ما ننكره . لأن لشعوب سائر الأقطار العربية كلها جدوداً عاصروا الفرعونية وتركوا فى التاريخ ذكرى حضارات لم يبق منها سوى أعمدة محطمة وهيا كل متداعية .

إن فى كل قطر من الأقطار العربية من المميزات الإقليمية ما لاينكره أحد ولكنها أضعف من أن تسلخ هذه الشعوب عن ثقافة عامة شاملة لها فى اللغة والموسيقى ونظام الأسرة وروح التشريع . وهذه المميزات العامة هى ماتقوم الحضارة الأدبية عليه فى كل الأمم .

ـ ليست اللغة العامة فى مصر إلا كسائر اللغات العامية فى الأقطار لغة أخذتها عصور الانحطاط . فإنك لو أغضيت عن اللهجات فى كيفية الإلقاء ، فإنك لاتجد إلا كلمات معدودات يختلف النطق بها بين مصر وسوريا وبغداد .

ـ أراد مناظرى أن يجعل العلم والثقافة شيئا واحداً فهو يقول بانبثاق الثقافة من العلوم الأصلية ، ونحن لانعلم ماهى العلاقة بين علم طبقات الأرض مثلا والمبادىء الأدبية التى يقوم عليها المجتمع .

---

(١) الرسالة — ١٨ يولية ١٩٣٨ .

يقول المناظر : أن الفلسفة الإسلامية روحها يونانية ومنطقها يونانى ، لأن الفارابى وابن سينا وسواهما علقوا إرادة الخالق بقوانين السكون ، ونرى أن فلسفة المفكرين ليست إسلامية ولا مسيحية

— إن المناظر يجد قصورا فى عدم مجاراة العرب لليونان فى آدابهم التى جعلت على قولى فى رحاب الموضوعية خارجة عن رحاب الذات ، ويذهب إلى القول بأن التحليل ليس من مكنة الذهنية العربية .

لا يامناظرى ، إن الأديب العربى قد استوعب فى ذهنيته كل ماجال فى خاطره وفى الآفاق حوله .

إن الآداب صورة لثقافة الشعب وحياته ، وقد أخذ أجدادنا العلوم عن اليونان لأن العلم مشاع كما سلمت ، فهل كانت حضارتنا الأدبية يونانية لتكون آدابه يونانية

٦ — بين الشرق والغرب — فيلكس فارس[١]

إن حضارة الأقوام التى ترغب إلينا أن نقتبسها إنما بنيت فى تاريخها القديم كما بنيت فى تاريخها الحديث على الاعتقاد بحياة أخرى .

أما حضارة أوربا الحديثة فقد قامت على ماتعلم بتعاليم عيسى وإذا كان قد بقى فيها شىء من الرحمة فهى من آثار موعظة هذا الناصرى على جبل من جبال الشرق . وإذا كان قد هب فيها بعد انتصار شارل مارتل من دعوا إلى إصلاح المسيحية فما كان صوت هؤلاء المصلحين إلا صدى للصوت الذى دوى فى صحراء العرب منذ ثلاثة عشر قرنا .

إن الدكتور أدهم يريد أن يميز بين عقلية الشرق وعقلية الغربى فيقول

---

(١) العدد ٦٢٤ — من الرسالة سنة ١٩٣٨ .

إن الأولى مستسلمة (عضا) للقضاء والقدر تخضع للغيب والثانية تناضل نضالا (عضا) ضد الغيب .

أما أن يكون الشرقي هذا المستسلم الضعيف فما يكذبه التاريخ ، تاريخ المسيحية وتاريخ الإسلام على السواء . فما كان المسيحيون الأولون ليجعبوا حتى بين أشداق الأسود ، وما كان المسلمون إلا مجاهدين بالجهادين ، توكلوا فما توكلوا وسلموا أمرهم لله فما استسلموا لزعازع الحياة بل أرغموها ليسيطروا عليها بمكارم الأخلاق .

أما قول المناظر بأن العقلية الغربية تناضل ضد الغيب فقول فيه جموح فى التعبير ، ولا نعتقد أن الدكتور أدهم يقصد الغيب بل أسرار المادة وما يكن فيها من تفاعل لأن الغرب إنما هو من هذه الإنسانية التى وحدت قواها فوقفت واجمة أمام نظام السكون وسر الحياة والموت .

ليس هناك إذا عقلان . عقل للغرب . وعقل للشرق فى ميادين الاستقراء غير أن هناك فطرة أو ثقافة تختلف بين شعب وشعب . وقد أراد المناظر أن ينكر استقلال الثقافة الأدبية عن العلم الوضعى فأسماها روحا كأنه يمحو أثرها باستبدال أسمها .

لتكن الثقافة روحا كما يريد الدكتور أدهم ، فلماذ يطلب أن يلفظ أبناء الشرق روحهم لتتقمص روح الغرب حضارتهم .

أليس من غرائب المنطق أن يقول المناظر بفرعونية مصر وبتمردها على العروبة نيفا وثلاثة عشر قرنا ثم يطلب منها أن تتفرنج بين عشية وضحاها .

ماهى الفائدة التى يرجوها المناظر لمصر إذا أنكرت إيمانها وفسدت لغتها وتغنت على الأنغام الأفرنجية التى تتنافر مع ذوقها وحتى مع مخارج ألفاظها .

لايظنن مفكر أننا نقصد بالحضارة العربية هذه الحالة الراهنة التى أوصلتنا إليها قرون من الولايات والعبودية وأرهقتنا حتى تنكر لنا أنفسنا . لقد طغت على مجتمعنا فى معتقداته وفى نظم أسرته وفى آدابه وفى حكوماته دخيلات من متخلفات جميع العصور وجميع الأمم .

إننى مازلت معتقداً منذ قدر لى أن أعتلى المنابر أن هذه البلاد العربية مستودع لا شرف الثقافات ومكمن لأسنى المواهب ، فالأقوام المنتشرة فى جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ولبنان ووادى الفرات ووادى النيل وعلى الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط وشواطىء البحر الأحمر تدفعها حضارات الغرب والعالم الجديد بطابع التواكل والخمول .

٧ — بين الغرب والشرق : للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

ـ قلت[١] للأستاذ فيلكس فارس : إن لكل أمة فى العالم روحها التى تحتضن تراثها التقليدى . وعن طريق تحليل تراث مصر التقليدى انتهينا إلى أنها فرعونية آخذة بأسباب العربية لتجارى فن الحياة فى ذلك العصر الذى طغت فيه العربية على كل شىء : وكانت مركزا للجذب الاجتماعى فى الشرق الأدنى .

وبينا الفروق الأساسية بين ماسميناه ذهنية للغرب وذهنية للشرق ، وقلنا أن نزعة الذهن الغربى يقينية ونزعة العقلية الشرقية غيبية واستدللنا على هذه الحقيقة من حقائق التاريخ .

ولهذا قلنا أنه من الصعوبة بمكان أن تأخذ مصر الثقافة الغربية وهى محتفظة بثقافتها التقليدية وأساسها الإيمان بالغيب .

(١) العدد ٢٧٠ ـ الرسالة ١٩٣٨ .

— يقول الأديب النابغة فيلكس فارس : الثقافة راسخة فى الفطرة . والفطرة فى الفرد كما هى فى الأمم ميزة خاصة فى الذوق واختصاص فى فهم الحياة والتمتع بها ، فإذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة فليست الفطرة إلا القوة المتمتعة فى الإنسان بتلك الحاجة بعد بلوغه إياها .

ونحن نفرق بين الثقافة والفطرة ، بين تراث الشعب الذى يخرج به من ماضيه إنسلالا على مدى الدهور والأعوام وبين الفطرة من حيث هى روح لأمة التى تحتضن تراثها . فترات مصر الفرعونية التى أسلمته لمصر الإسلامية فاختلطت نتيجة لذلك الفرعونية والعربية فكان من ذلك ماسميناه لمصر من ثقافة تقليديه شىء والروح المصرية شىء آخر إلا أن هذا لا يمنع من أن ترسخ الثقافة التقليدية وتصبح وكأنها من صميم فطرة الشعب . وانسلاخ الشعب عن ثقافته التقليدية ، وإن كان لها رجة فى صميم الفطرة والروح إلا أنها لا تعنى أنسلاخ الشعب من روحه وفطرته . وما ثقافة الشعب وتراثه إلا أثر وقوع الفطرة والروح تحت تأثير ظروف ومؤثرات تجد طريقها للمحيط الإجتماعى والبيئة الطبيعية للشعب وبيان ذلك أن الروح المصرية تحتفظ بذاتيتها منصبة فى قوالب شتى ، فهى فى قالب فى العصر الفرعونى وهى فى قالب فى العصر الإسلامى . وجماع هذه القوالب المختلفة يكافىء الحالات المتباينة التى يتضمنها المحيط إجتماعيا وطبيعيا : وأنكار هذا معناه أن الروح المصرية تغيرت من العصر الفرعونى إلى صورة أخرى فى العصر الإسلامى فما الذى يمنع أن تتغير إلى صورة أخرى فى العصر الحديث .

وإذا يكون من الممكن لمصر أن تتجرد من ثقافتها التقليدية وتستبدل مثلا يدنيا آخر وبلغتها لغة أخرى كما حدث ذلك فى عهد الفتح العربى ومع ذلك تحتفظ بروحها وفطرتها لأن ما ستأخذه الروح من القوالب سيكون عن

طريق الوقوع تحت تأثير عوامل ومؤثرات وجدت طريقها المحيط الإجتماعي والطبيعي.

على هذا الوجه فقط يمكن تعليل تفسير القالب للروح المصرية والذي تكون نتيجة لوقوع الروح المصرية تحت تأثير الثقافة العربية. وعند ما يقوم أنصار التقار الثقافة الغربية بدعوة إلى مدينة الغرب يثور عليهم أنصار الثقافة العربية قائلين أن معنى ذلك ضياع الروح المصرية والقومية، مع أن الروح شيء ثابت والثقافة شيء عرضي يتقوم بالروح وفطرة الشعب

٨ — الغرب والشرق[1]

يرى الأستاذ فيلكس فارس رجحانا لطابع الشرق الغيبي على قالب ثقافة الغرب الأثباتية. ومرد هذا الرجحان أعتقاده بقانون الرجعي وبأن لهذا الشرق من كيانه نافذة يتطلع منها إلى الحياة، هي نافذة فطرته الموروثة فنها يستقبل النور.

وفطرة الشرق الموروثة على زعمه قائمة على الإيمان بالغيب ونحن نرى ما يعبر عنه بالفطرة الموروثة هو التراث الشعبي لهذا والثقافة التقليدية له. وهو شيء كما قلنا غير فطرة الشرق وروحه لأن الفطرة شيء مجرد يظهر في تاريخ الشعب وفي ثقافاته المتعاقبة.

إذا من الخطأ من الناحية العلمية أن فطرة شعوب الشرق هي الحالة الغيبية والصحيح أن يقول أن طابع ثقافة الشرق التقليدية هو غيبي.

— حين أراد المناظر الفاضل أن يرد على القول بوجود أصل فرعوني في

---

(١) مجلة الرسالة — ٢٣ سبتمبر ١٩٣٨.

ثقافة مصر التقليدية تعسف إلى حد أن خرج على الأوليات المعروفة من حقائق إجتماع وعلم تسكون الشعوب .

كان هنالك تقاليد بقيت من العهد الفرعونى وتسربت إلى الدين الإسلامى فى مصر ولونته بلون محلى . أما أن الدين يعمل على إقتلاعها لخير المجتمع وسلامته فليس ذلك من شأن الباحث السوى .

— قلنا أن لمصر ثقافتها التقليدية التى سيمز بها عن جيرانها من بلدون الشرق العربى ، غير أن المناظر وإن إعترف معنا بأن للمميزات الأقليمية أثراً على ثقافة الأمم أعتبر أن لسكل أمم الشرق العربى ثقافة عاملة شاملة .

غير أن هذا الأعتراض فى غير محله لأن أعتباره أن لأمم الشرق العربى ثقافة عامة شاملة إن كانت صحيحة إلى حد ما فهذه تتلون وتأخذ طابعا من كل بلد من بلدان الشرق العربى ، فظهرها فى سوريا غير مظهرها فى العراق ، وهى فى العراق غيرها فى مصر . وفى مصر غيرها فى الحجاز .

—وهم المناظر الفاضل أننا نهزل حين قلنا أن العامية فى مصر هى العربية الآخذة بأسباب الفرعونية ، إننا نعنى بالفرعونية وحدة — عقلية أو معاشية متمشية فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العهد الفرعونى ، فإذا قلنا أن العامية هى العربية الآخذة بأسباب الفرعونية فإنما نعنى أنها تأخذ طابعا مصريا خاصا بها .

• سيأتى ذلك اليوم قريبا وستقول العقلية اليقينية فى الشرق والمنطق الإثباتى فى العالم العربى نتيجة لتغلب الاتجاه الغربى على هذا الشرق بحكم كون الغرب مركز الجذب الاجتماعى فى عصرنا ، إذا فلسنا نحن فى حاجة إلى الانتقال إلى الغرب لاكتساب عقلية يقينية كما يقول المناظر إنما كل ما فى حاجة إليه أن نقوى الاتجاه نحو الغرب فتسكون العقلية اليقينية أخذت طريقها إلى الشرق .

٩ — الرد الختامى لفيلكس فارس

درج[1] الكتاب على تقرير عقلية للشرق وأخرى للغرب ، ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا مقرراً طبيعة كل من هاتين العقلين ، وأن الواحدة منهما لا تقبل إلا المظهر الفلاني ولا تتلون إلا بلون خاص . وهم بقياسهم المظاهر الفكرية لهذه العقليات قد طبقوا هذا القياس نفسه على الشعوب ففاضلت بسبب ذلك .

وعنده أن عقلية العرب العلمية ترجع للغرب لأنهم أخذوا أصولها عن فلاسفة اليونان . أما روحانيتهم فهى للشرق لأن الشرق منبع الأديان وكل ما فيها روحانى الطبيعة والمظهر .

وسبب هذا التباين الذى أعتبره أساسيا : أن العقلية الشرقية أبتدأت بالاعتقاد بالخالق ثم أنتهت بالطبيعة والعقلية الغربية بدأت بالطبيعة وإنتهت فى الخالق .

وأنتهى[2] الكاتب إلى أن الجانب العلمى من الثقافة الاسلامية نتيجة الأخذ بأساليب الفكر اليونانى ولماذا لا يكون هذا الجانب نتيجة للأخذ بأساليب الدين الإسلامى وتعاليمه .

« الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا »

[ثم عرض آيات القرآن التى لم تدخل عن طريق العاطفة بل عن طريق العقل] ألا تعتبر هذه الدعوة أساسا علميا لأن أستعمال العقل فى التفكير فى مخلوقات الله هو الأسلوب العلمى بعينه :

---

(١) الرسالة ـ ١٧ أكتوبر ١٩٣٨ .

(٢) الرسالة ـ ٢٤ أكتوبر ١٩٣٨ .

أفيكون اليونان أصحاب الفصل فى ذلك فيأخذ عنهم فلاسفة المسلمين هذا الجانب العلمى أم يكون الدين الإسلامى هو الأصل الأول .

يقول أدهم (إن شارل مارتل أنقذ العقلية الغربية من العقلية الشرقية حين كانت تغزو أوربا على يد العرب) .

لو قال هذا الكلام أحد من الغرب لعذرناه فطبيعة الإنسان كثيراً ما تغالط نفسها فتنكر الفضل على مستحقه .

حقيقة صد شارل مارتل تيار العرب فترى ماذا منع عن أوربا . منع روح النسك ، والعرب لم يعرفوا بذلك لا فى الشرق ولا فى الغرب أم أنه صد عن أوربا سبعة قرون من ينابيع الفكر والعلم والثقافة ؟ وهذا ما أقر به علماء الغرب ومؤرخوهم قبل أن ينكره أحد من الشرق والغرب .

سلوا مؤرخى النهضة الأوربية واستفتوا عن أثر الأندلس فى تلك النهضة ، ألم تكن جامعاتها وحلقاتها قبلة للطلاب من كل ركن من أوربا ، فلماذا تأثروا بالعلم ولم يتأثروا بالنسك ، أفيكون مارتل بعد هذا قد أنقذ العقلية الجرمانية وهى كما يعلمها طلبة التاريخ من العقلية الشرقية يأتى بها العرب أم يكون مارتل قد أنقذ الجهل من العلم قرونا [1] .

(١) استمرت هذه المعركة على صفحات الرسالة من يونية ١٩٣٨ إلى أكتوبر ١٩٣٨

لاتينيون وسكسونيون

بين العقاد وطه حسين

هذه معركة تمثل صراع الثقافتين الفرنسية والانجليزية فى مصر، دامت بين زعيمى المدرستين فى مصر : بدأت عند عندما أصدر أنطون الجميل كتابة عن «شوقى » فنقده « العقاد » فى الجهاد وقال فيه رأيه . قال : إن أنطون الجميل من أصحاب الثقافة اللاتينيه المترفقة التى تقدم النقد على طريقة الصالونات ولا تتحدث عن العيوب والأخطار إلا فى إيماء وتورية ولباقة وإن النقد اللاتينى يؤثر الظواهر ويبهم النكت على حين يعنى النقاد السكسونيون بمساطة الطبيعة بالرجل ومن حيث هو رجل . ورد الدكتور طه فقال :أن العقاد أراد أن يرضى أنطون الجميل ويهاجم شوقى والمعروف أن العقاد له رأى فى شوقى وشعره فقال هذا الكلام وأن الثقافة اللاتينية براء مما اتهمها به وأن العقاد ظلم الثقافة اللاتينية والنقد اللاتينى ولاشك أن هذه المعركة تمثل بوضوح صراع الثقافتين الفرنسية والانجليزية فى مصر .

١ — العقاد : شوقى أو أسلوبان فى النقد[1]

لا بأس أن نطلق حكما عاما على مدرستين كبيرتين ضمن مدارس النقد الأدبى الحديث فى البلاد العربية وهما مدرسة اللاتين وشعارها عندنا (الأناقة) ومدرسة السكسون وشعارها عندنا (البساطة) أو (الفطرة) .

ولكل منهما أنصار وأتباع بين كتاب العربية يمثلونها من حيث يشعرون أولا يشعرون .

تقرأ الناقد الفرنسى فكأنما تتخيل أمامك ظريفا باريسيا يقدم رجلا من معارفه إلى الصالون أو جماعة من جماعات الأندية ، فهو فى وصفه لهم يعرفهم قيمته (العرفية) ولا يعنى كثيراً بتعريف قيمته المعنية أو هو يعرفهم قيمته على حساب الأوضاع والمراسيم الجارية ولا يلتفت إلى ما وراء ذلك من القيم الخفية التى لا يعنى بها فى المجالس والعلاقات الاجتماعية .

(١) عباس محمود العقاد : الجهاد ١٦ يناير ١٩٣٣ .

وقد يومىء إلى عيب من عيوبه لتكون الغمزة نكتة مستملحة أو معرضاً للباقة التعبير والتورية البليغة أو ليكون الدفاع عنها براعة فى المحاماة والتخريج.

وإنك لتقرأ الناقد السكسونى فكأنما تتخيل أمامك دليلا يرشدك إلى رجل يعنيك أن تعامله وتطلع على جميع شأنه أو يرشدك إليه وهو على سجيته كما يكون الإنسان فى قافلة السفر أو بين خاصة أهله أو منفرداً بنفسه . ثم يأتى بعد ذلك خصاله الإنسانية التى تنطوى على مظاهره وشاراته .

وقس على ذلك أبطال الفريقين فى القصص والروايات ، فبطل الرواية الفرنسية دائماً عضو فى مجمع تعرفه بهذه الشارة قبل أن تعرفه بصفة أخرى وبطل الرواية السكسونية هو دائماً (رجل) قبل كل شىء أو أمرأة قبل كل شىء ، رجل تعرفه بطبائعه وأخلاقه قبل أن تعرفه بوظائفه وشاراته .

عنت لى هذه الخواطر وأنا أقرأ الرسالة الطريفة التى دبجها الكاتب الألمعى الأستاذ أنطون الجميل عن « شوقى شاعر الأمراء » .

فإن الأستاذ الجميل أحسن مثال للمدرسة اللاتينية بين أدباء العربية ولاسيما فى العهد الذى تلقى فيه دروسه وأستهل حياته الأدبية .

فالأستاذ الجميل يقدم لنا الشاعر فى هذه الرسالة كما يقدم الظريف الباريسى صاحبه إلى جماعة الصالون : مجاملة إجتماعية فى كل سطر من السطور ، فإن كان لا بد من غمزة فهى الغمزة التى تعود فى ثنايا الكلام نكتة مستملحة .

ولم يعن الكاتب الأريب بدرس شوقى عنايته بعرض القواعد والشارات التى تتصل بشوقى ومقاصد شعره . فشوقى فى هذه الرسالة موضوع تدور حوله القواعد والآراء وليس بانسان مقصود لذاته من وراء النقد والعرف والمصطلحات.



... وفى الرسالة ولا ريب ملاحظات صائبة وآراء زلفية وإشارات عن

ذوق ومعرفة وأقوال يتفق عليها القراء ولكنها لا تتعدى كلها باب الضالون إلى ساحة الفطرة المطلقة ، فالرسالة تعرفنا شوقى فى حـــــلة المساء أو فى لباس السوارية ، أما شوقى الذى خلقه الله فربما زادنا جهلا به أن ننظر إلى تمثاله فى كلام الأستاذ الجميل .

٢ ــ (طه حسين) لاتينيون وسكسونيون(١) :

أراد العقاد أن ينقد كتاب الأستاذ أنطون الجميل فى شوقى شاعر الأمراء . ولم أكن أشك فى أن الأستاذ سيشتد على الكتاب ومؤلفه وعلى شوقى أيضاً فمذهب الأستاذ فى الأدب المصرى معروف ، وأقل ما يوصف به أنه بعيد كل البعد عن الإعجاب بشعر شوقى وعن الإقرار للذين يعجبون بهذا الشعر .

وقد أشارك الأستاذ فى كثير جداً من آرائه فى شوقى والمعجبين به ولكن الشىء الذى أخالف فيه الأستاذ أشد الخلاف . والذى أكتب من أجله هذا الفصل هو المقدمة التى بسطها بين يدى فصله . وعرض فيها لما سماه نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين .

وأحب ألا يغضب الأستاذ العقاد إذا أصطنعت الصراحة فى بسط رأيى فى هذا الفصل فلعله يوافقنى على أنه فى حقيقة الأمر غير راض عن الكتاب ولا مؤمن ولكنه أراد أن يكون ناقداً مجاملا لبقا فاستعار من اللاتينيين ما يعيبهم به من المجاملة واللباقة فى النقد . لم يرد أن يصارح الأستاذ أنطون الجميل بأن كتابه لا يرضيه من كل وجه لأنه حريص على مقدار ولو محدود

---

(١) الرسالة ــ أول فبراير ١٩٣٣ .

من المجاملة بين الزملاء ، ولم يرد أن يعيد على الناس حديثه فى شوقى وشعره لأن شوقى قد مات منذ وقت قصير والنظم الإجتماعية تقضى بشىء من المجاملة للموتى . والذين رزءوا فيه أشهراً على قل تقدير . لم يرد هذا ولا ذاك، ولم يكن يستطيع أن يهمل كتاب الأستاذ أنطون الجميل فضلا عن أن يقرظه تقريظا خالصا، لأن فى هذا أو ذاك ظلما لرأيه وكتمانا لما يعتقد أنه الحق فسلك فى نقده هذه الطريقة الغريبة التى لا تخلو من إلتواء . أعتذر للأستاذ أنطون الجميل بثقافته اللاتينية وأخذه المذهب اللاتينى فى النقد بما تورط فيه خطأ بين وحكم غير مستقيم على شعر شوقى . ولست أدرى أظفر الأستاذ العقاد بإرضاء الاستاذ الجميل أم لم يظفر . أوفق إلى مجاملة شوقى والذين رزئوا فيه أم أخطأه هذا التوفيق .

لست أدرى . ولكنى أعلم علم اليقين أنه ظلم الثقافة اللاتينية وظلم النقد اللاتينى وظلم قراءة جميعا . وأن أرضاء الاستاذ أنطون الجميل أو مجاملته أهون على الاستاذ العقاد نفسه من ظلم العلم والادب والقراء جميعا .

.. فزعم أولا أن للاتينيين مذهبا فى النقد وأن للسكسونيين مذهبا آخر وأن هذين المذهبين يختلفان فيما بينهما أشد الاختلاف . وزعم بعد ذلك أن أخص ما يمتاز به المذهب اللاتينى « الإناقة » وأخص ما يمتاز به للمذهب السكسونى (البساطة) أو (الفطرة) وفسر هذا بأنك إذا قرأت الناقدالفرنسى رأيت رجلا أنيقا لبقا يقدم فى أحد الصالونات كاتبه الذى ينقده على الاوضاع الإجتماعية المألوفة مجالا وتكلفا . وقد يومىء إيماءاً خفيفا إلى بعض العيوب. ولكن على سبيل النكتة أو على سبيل الحيلة فى التماس الدفاع عن هذا الكتاب الذى ينقده أو الرجل الذى يقدمه إلى الصالون .

أما الناقد السكسونى فهو لا يحفل بالاوضاع الإجتماعية . وإنما يهجم

بك فوراً على الحياة الفردية ، على الحقيقة الإنسانية . على الرجل من حيث هو رجل لا من حيث هو فرد فى جماعة . ومعنى أن نقد اللاتينى سطحى مخالف لاصول العلم وأن نقد السيكسونين هو النقد العلمى الصحيح الذى تجد فيه الفائدة وتجد فيه الغناء .

وأنا أحب أن يعذرنى الاستاذ العقاد إذا قلت له فى صراحة أنى كنت أنتظر منه كل شىء إلا التورط فى هذا الخطأ الصارخ والظلم البين ، فليس من الحق بوجه من الوجود أن الاختلاف بين النقاد اللاتنيين والسكسونيين عظيم إلى هذا الحد الذى يصورة الاستاذ . فليس هناك نقد لاتينى ونقد سكسونى وإنما هناك نقد فحسب ، قد يعتمد على هذا الذوق الفنى العالى الذى أحدثته الثقافة اليونانية اللاتينية وورثته عنها الامم الحديثة على أختلاف أجناسها وبيئاتها . فكل النقاد من الفرنسيين والإيطاليين والالمانيين والانجليز قد قرأوا آيات البيان اليونانى واللاتينى وذاقوا آيات الفن اليونانى والرومانى لانفسهم أو كونت لهم هذه القراءة ذوقا عاما مشتركا بينهم جميعا يختلف فى ظاهره ولكنه لا يختلف فى جوهرة لان الجوهر واحـــد مستمد من هوميروس وبندار وسوفوكل وارستوفان وأفلاطون .

عسير جدا أن يقال إذا أن هناك نقداً لانيفيا ونقداً سكسونيا وأن النقدين يختلفان فى الجوهر والطبيعة ثم أعتذر إلى الاستاذ بعد هذا من أنى لا أستطيع ولا أظن أن أحدا يستطيع أن يقره على رأيه فى النقد اللاتينى بل أنا لا أقضى العجب من تورط الاستاذ فى إعلان هذا الرأى الغريب . فليس من الحق أن هذا النقد يعتمد على الاوضاع الإجتماعية ويهمل الإنسان من حيث هو إنسان .

هذا كلام لا يمكن أن يقبل . ألم يقرأ سانت بوف . أن قراءة فصل واحد لهذا الكاتب الذى ملأ الدنيا نقداً لانه أنفق فى النقد صفوة حياته يقنع الاستاذ ومن هو أقل من الاستاذ إلماما بالادب والنقد بأن سانت بوف كان أبعد الناس عن أن يكون رجلا من رجال الصالونات يقدم الكتاب والشعراء إلى الناس فى إناقة ولباقة وظرف ومجاملة .

أنا أحب ألا يظن الأستاذ العقاد أنى أدافع هنا عن الثقافة اللاتينية على حساب الثقافات الأخرى ، فأنا من أشد الناس إكباراً للثقافة السكسونية وإعجابا بما عرفت منها ولكنى كنت وسأظل من أقل الناس حديثاً عنها وحكما عليها .

والحق الذى لا غبار عليه فى هذه المسألة هو أن الأستاذ العقاد تعجل وجامل فأخطأ الصواب وأقام أحسن دليل على أن التعميم فى الأحكام على الشعوب مزلة للاقدام وسبيل إلى الظلم .

٣ — العقاد : نعم ؛ لاتينيون وسكسونيون

أتاح لنا الدكتور طه حسين فرصة أخرى لسوق الأمثلة الظاهرة والمحسوسة على الفرق بين الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية على الأجيال ، وهذا المثل الجديد هو الدكتور طه حسين نفسه سامحه الله .

فقد أقول اليوم فى ثقة أن الدكتور لو كان يدرس الأدب السكسونى كما يدرس الأدب اللاتينى لكتب مقاله (لا تينيون وسكسونيون) بأسلوب غير أسلوبه هناك .

فالدكتور ما كان ليستطيع أن يزيد حرفا واحداً على ذلك المقال لو أننى

قلت أن الثقافة اللاتينية خلاصة كل مزية وأن الثقافة السكسونية جامعة لكل المزايا أو لو أنني قلت أن الامة اللاتينية أجدبت وعقمت فما أنتجت ناقداً يؤخذ برأيه في نقد الكتاب والشعراء ، وأن الأمم السكسونية أستأثرت بالعبقرية الأدبية فما نبغ في غيرها ناقد ولا شاعر ولا أديب . لأن الدكتور يسألني عن سانت بيف وأضرابه من نقاد فرنسا ، ما رأيي فيهم وما حكمي على طريقتهم . ويستكثر على أن أجرد اللاتينية من ملكات الثقافة وفيهم أمثال هؤلاء الأعلام .

فالدكتور يقول (للاستاذ أن يدرس على مهل وفى إناء وروية من شاء من النقاد المحدثين فى أى أمة من الأمم الأوربية فسيرى أن هؤلاء النقادجميعاً يتفقون فى أن نقدهم يقوم على هذين الأصلين اللذين أشرت إليهما وأنا أستعير عبارته فأقول أن على الدكتور أن يدرس على مهل وفى إناة وروية سانت بيف وتين وفاجيه وأناتول فرانس ولا مثيه . فسيرى أن هؤلاء النقاديؤيدون رأيي وينقضون ما قررة .

أليس معنى هذا أن القواعد والمراسيم الإجتماعية تغلب على عبقريه اللاتين وأن بساطة الحياة العادية من أكلاف المراسيم تغلب على عبقرية السكسون ، وأنه أى النقد اللاتيني — إذا التفت إلى (الخصائص الإنسانية الحية) فأنما يلتفت إليها تبعا لتلك القواعد والمراسم الإجتماعية .

ونحن لم نعمد إلى هذه التفرقة كما ظن صديقنا إبتغاء المجاملة للأستاذ الجميل فقد سبقه إلى مثل هذه التفرقه فى فصل أستكتبتنا إياه شركة لاروس قبل ثلاث سنوات ونشرته فى كراساتها التى تجمعها عن الشعوب الشرقية والعربية : فهنالك قسمنا أدباءنا إلى دارسين للثقافة اللاتينية ودارسين للثقافة

للثقافة السكسونية وقلنا أن الأولين يكثر بينهم مؤرخو الادب والشارحين وأن الآخرين يكثر بينهم الادباء والشعراء .

وصفوة القول أن الدكتور طه أتاح لنا مثلا جديداً يضاف إلى الامثلة التي أجملناها ههناك ولا ريب مزاج لا تيني ومزاج سكسونى وما دام للجنسين مزاجان فهما فى النقد والشعر مختلفان . وهناك إذن لاتينيون وسكسونيون يظهرون مختلفين فى كل فروع الآداب والفنون .

٤ — (طه حسين) لاتينيون وسكسونيون

لم أكن أحب أن تنتقل المناقشة بين الاستاذ العقاد وبينى من نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين إلى الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية . وما كنت أحب أن أجارى الاستاذ العقاد فى المفاضلة بين هاتين الثقافتين . ذلك أنى أحب الثقافتين جميعاً وأوثرها جميعاً وأريد أن أتثقف بهما جميعاً بل أريد أن أتثقف بكل ثقافة أستطيع أن أصل إليها أو أن أظفر منها بحظ سواء كان ذلك عن طريق القراءة فى النصوص الاولى أو من طريق القراءة فى التراجم .

وليس الدفاع عن الثقافة اللاتينية تعصبا لثقافتهم اللاتينية أو تنكراً لثقافة السكسونيين ، وإنما هو العلم يقبغى أن يقر الأشياء فى نصابها وليس من الحق بحال من الاحوال أن نقد اللاتينيين كله أو أكثره أو نصفه أو ثلثه كما أراد العقاد أن يصوره : وإنما النقد اللاتينى كان دائما وما زال نقداً جديا يقصد إلى طبيعة الكاتب أو الشاعر فى بساطتها ويقصد إلى الرجل من حيث هو رجل وقد يصطنع فى ذلك التأنق والظرف ولكن ذلك ليس عيبا له ولا غاضا منه وإنما يعيبه ذلك ويغض منه لو لم يكن فى النقد اللاتينى إلا تأنق وظرف ، فاما وفيه بحث وتحقيق فاما وفيه التماس لطبيعة الكاتب

والشاعر فى بساطتها ؛ فقد يكون التألق والظروف شيئا لا بأس به ولا معنى للزهد منه .

وعجيب جداً من الاستاذ العقاد أن يكره الاعتراف بأن النقد الحديث كله يقوم رغم تطوره واختلاف المذاهب الحديثة فيه على الثقافة الادبية اليونانية واللاتينية . فإن العقل الاوربى كله مهما تكن بيئته ومهما تكن جنسية أصحابه ومهما يكن حظه من التطور وليد العقل اليونانى الرومانى سواء رضينا أم كرهنا .

من الذى يستطيع أن يوافق الاستاذ العقاد على أن النقد لا يمكن أن يكون علما يذكر قبل أن يوجد علم النفس الحديث ، أما أنا فلا أعرف أن النقد علم وأحب له أن يكون علما ، وإنما أرى أن يكون النقد مزاجا من العلم والفن وهو على هذا النحو قد وجد منذ عهد بعيد .

أريد أن أعاتب الاستاذ العقاد عتابا رقيقا ، فقد زعم الاستاذ أن سانت بوف لا يشهد لمذهبى فى نقد اللاتينيين . وإنما يشهد لمذهب الاستاذ لان ما فى سانت بوف من مزايا راجع إلى تأثره بالثقافة السكسونية والدم السكسونى ذلك أن أم سانت من أصل إنجليزى ، وأنه كان يؤثر الشعر الانجليزى على الشعر الفرنسى فى بعض الفصول .

أما أن سانت بوف كان يؤثر الشعر الانجليزى على الشعر الفرنسى فذلك شىء مشكوك فيه جداً لان سانت بوف لم يكن يؤثر شيئا أوقل كان يؤثر كل شىء أو قل إن أردت التحقق أن أخص ما يمتاز به هذا الناقد العظيم أنه كان شاكا مسرفا فى الشك يقر اليوم شيئا ويعدل عنه غدا ويجوز ان يرجع إليه بعد غد فحب سانت بوف لشعر الانجليز إن صح ، لا يجعله

مدينا بأدبه للانجليز وان يكون تأثير الثقافة الانجليزية فى سانت بوف أكبر من تأثير الثقافة الفرنسية فيه .

أما أن أم الناقد العظيم كانت من أصل إنجليزى فالاستاذ يبالغ فى نتيجته فقد كانت أم سانت بوف نصف إنجليزية ، ذلك أن أباها كان بحاراً فرنسيا وأن أمها كانت إنجليزية .

من(١) العقاد إلى طه

ألا شعر الدكتور أن دينه للادب السكسونى أكبر من دينه لادب اللاتينيين فى كتابه (فى الصيف) وفى كتاب الايام . أليس الدكتور متأثراً بجيتى حتى فى فلسفة ليبنتز التى أشار إليها وحتى فى التفاته الخاص إلى شغف أبيه نسكيتسة ستراسبورج التى كان لها فى حياة جيتى أثر بليغ ؛ أليست طريقة الفصول الخطابية هى طريقة الرسائل الفرترية .

فهل ترى الدكتور على إستعداد لان يرد إلى السكسون ما أخذه منهم هنا مكتفيا بما أخذه من اللاتينيين ، أنه ليخسر ولا يربح هذه الصفقة بلا مراء .

---

(١) ١٤ فبراير ١٩٢٣ الجهاد .

النزعة اليونانية بين زكي مبارك وطه حسين

حمل الدكتور طه حسين لواء الدعوة إلى «النزعة اليونانية» وقال أن الناس في الشرق والغرب وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان» . وقال فيما قال « إن عقلية مصر عقلية يونانية » وقال عام ١٩٢٥ في مقال بعنوان « بين الشرق والغرب » اعتقد ونظن أن غيرنا من مؤرخي الفلسفة المحدثين يعتقد أيضا أنه لم يكن للشرق في تكوين الفلسفة اليونانية والعقل اليوناني والسيسة اليونانية تأثيراً يذكر وإنما كان تأثير الشرق في اليونان تأثيراً عمليا ماديا ليس غير .. » وهو بهذا ينكر فضل الأثر للمصرى القديم ويجعل الثقافة العربية تابعة لثقافة اليونان متأثرة بها وقد أورد طه حسين هذا الرأى في كتابة « قادة الفكر » ١٩٢٦ ثم عاد ورددہ في مقالاته بالهلال (مجلد ٣٩) ثم توسع فيه في كتابه مستقبل الثقافة .

وقد لقى هذا الرأى معارضة من كثير من الكتاب أمثال شكيب أرسلان وزكي مبارك.

طه حسين بين الشرق والغرب

مجلد ٣٣ الهلال

يجب أن نلاحظ أن العقل الإنسانى ظهر فى العصر القديم بمظهرين مختلفين أحدهما يونانى خالص هو الذى انتصر وهو الذى يسيطر على الحياة الإنسانية إلى اليوم وإلى آخر الدهر، والآخر شرقى انهزم مرات أمام المظهر اليونانى وهو الآن يلقى السلاح ويسلم للمظهر اليونانى تسليماً تاما .

بينما نجد العقل اليونانى يسلك فى فهم الطبيعة وتفسيرها هذا المسلك الفلسفى الخصيب الذى نشأت عنه فلسفة سقراط وأفلاطون وارسطا طاليس ثم فلسفة ديكارت وكانت وكونت وهيجل وسبنسر نجد العقل الشرقى يذهب مذهبا دينيا خالصا فى فهم الطبيعة وتفسيرها فلم يستطع العقل الشرقى أن يظهر شخصية فلسفية قوية فى فهم العالم وتفسيرة وإنما خضع للكهان فى عصوره الاولى وللديانات السماوية فى عصوره الراقية .

وهناك شيء آخر نجده عند اليونان ولا نجده في الشرق ، وهو هذا التطور السياسي الخصب الذي أحدث النظم السياسية المختلفة في المدن اليونانية من ملكية وجمهورية أرستقراطية وديمقراطية معتدلة أو متطرفة والذي لا يزال أثره قويا في أوربا إلى اليوم : وإلى آخر الدهر والذي أخذ الشرق يتأثر في نظمه السياسية أيضاً ، وبينما كانت المدن اليونانية تخضع لهذا التطور الغريب الذي حقق حرية الأفراد والجماعات والذي أنتصر حتى أصبح المثل الأعلى للحياة الحديثة في الشرق والغرب ، وكان الشرق خاضعاً لنظام سياسي واحد لم يتغير ولم يتبدل هو نظام الملكية المطلقة المستبدة التي تفقد فيه الجماعات والأفراد كل حظ من الحرية .

٢ — طه حسين : في العقل العربي الحديث(١)

الشيء الذي لا أشك فيه وما أظن أحداً يشك فيه هو أن لونا من ألوان العقل قد ظهر في عصر من عصور التاريخ القديم في بلاد اليونان وتجاوز حدود هذه البلاد في بعض الأوقات حتى كان الأسكندر المقدوني فخرج بهذا العقل فاتحا للشرق القريب والبعيد ، محاولا أن يقره فيه ويبسط سلطانه عليه ، ونجح الاسكندر نجاحا عظيما في مهمته هذه بالقياس إلى الشرق القريب بنوع خاص وقد أستطاع العقل اليوناني أن يستقر في هذا الشرق ويمازج نفوس أهله حتى يصبح جزءاً منها ، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا العقل مقياس الحضارة في أي أمة من الأمم الشرقية القريبة كما أصبح مقياس الحضارة في الأمم الغربية نفسها ، فالأمة متحضرة راقية إذا أخذت بتراث العقل اليوناني وشاركت فيه وأضافت إليه . والأمة غير متحضرة أو غير مشاركة في الحضارة الإنسانية الممتازة

(١) الهلال : العدد الخاص عن الاسلام (مجلد ١٩٣٩) .

إذا أعرضت عن هذا التراث فلم تأخذ به ولم تلتفت إليه ولم تجعله أصلا من أصول حياتها المقومة لها . وما من شك فى أن هذا العقل قد كان مقياساً لحضارة الأمة العربية بعد أن هديت إلى الإسلام وقال التاريخ أنها بلغت أرقى ما أستطاعت أن تبلغ من الحضارة الراقية المزهرة أيام بنى العباس حين عرفت فلسفة اليونان وعلمهم وفنهم الرفيع وفنونهم التطبيقية أيضا . وحين شاركت فى هذا كله فنمته وأضافت إليه .

ثم قال التاريخ أنها أخذت تخلص من هذا الجمود والهمود وتسترد حظها فى الحياة والنشاط ونباهة الذكر فى هذا العصر الحديث لأنها أتصلت بهذا التراث العقلى القديم الذى أهدته إلى أوربا وأعرضت عنه وقتا ما .

* * *

سألت نفسى إذن عن نشأة العقل العربى الإسلامى الذى ملأ الأرض فى بعض عصور التاريخ علما وأدبا وفلسفة وفنا فرأيت — وأظن أن المثقفين كلهم يرون كما رأيت — إن هذا العقل إنما نشأ ونما وأنتج حين أتصلت الأمة العربية بعد الفتح بالأمم الأجنبية الأخرى وحين أعطتها وأخذت منها. أعطتها دنيا ولغة وأدبا ؛ وأخذت منها علما وفلسفة وفنا وسياسة وإدارة وتدبيراً . ونشأ عن هذا الاخذ والعطاء مزاج خاص ، هو هذا العقل العربى الذى نراه فيما نقرأ من اثار أدبائنا وعلمائنا وفلاسفتنا .

مهما يكن من شيء فالعقل العربى الإسلامى إنما نما وأثمر وأنتج حين أتصل بالعقل اليونانى بل حين إمتزج بل حين أساغه وتمثله وجعله مقوما لنفسه ومشخصا لحياته .

رد الدكتور زكى مبارك[1]

— ١ —

ساير الدكتور طه الباحثين الأوربيين فى القول بأن الثقافة اليونانية هى مصدر الثقافة الإنسانية وأن الناس فى الشرق والغرب وفى جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان .

والحق ان للدكتور عذراً فى هذه المسايرة فقد قرأ كتبا ترى هذا الرأى ، ولو أنه تريث لعرف ان هنالك كتباً اجدر من تلك الكتب بالتلخيص . وهى التى ترى ان المعارف اليونانية منقولة من المعارف المصرية ، وان فلاسفة اليونان لم يكونوا إلا تلاميذ لفلاسفة مصر القدماء .

وانا لا اسوق هذه المؤاخذة تعصبا لبلادى ، فاليونانيون أنفسهم يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين وكانت زيادة مصر واجبة على كل يونانى يريد التفقه فى أسرار الوجود ، وأستاذية مصر الفرعونية الوثنية ليست اسطورة من الأساطير بل هى حقيقة من الحقائق وان اراد الدكتور طه ان يساجلنى فأنا حاضر للسجال وقد سجل فى كتابه مستقبل الثقافة : ان عقلية مصر عقلية يونانية وانه لا بد من ان تعود مصر إلى احتضان فلسفة اليونان .

والواقع ان إيمان الدكتور طه حسين بهذا الراى يرجع إلى تاريخ قديم ففى نوفمبر ١٩١٩ قدم ثروت باشا الدكتور طه حسين إلى الجمهور فى قاعة المحاضرات بالجامعة المصرية فالقى المحاضرة الأولى وقال فى هذه المحاضرة « انه

(١) الرسالة — ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ .

عزم على إحياء التراث اليونانى لأنه يؤمن إيمانا جازما بأن مرجع الفكر فى الشرق والغرب إلى القدماء من مفكرى اليونان » .

٢ — زعموا ان الدكتور يعترف بظهور الحضارة الشرقية القديمة التى لا تزال تبهرنا حتى الآن قبل ان تكون الحضارة اليونانية شيئا مذكورا ، وزعموا ان الدكتور لا ينكر ان الامة اليونانية من غير شك تأثرت بالحضارات الشرقية المختلفة واخذت عن الساميين فى آسيا وعن المصريين فى افريقيا اشياء كثيرة مختلفة .

• يقول الدكتور « نعتقد ونظن ان غيرنا من مؤرخى الفلسفة المحدثين يعتقد انه لم يكن للشرق فى تكوين الفلسفة اليونانية والعقل اليونانى والسياسة اليونانية تأثير يذكر إنما كان تأثير الشرق فى اليونان تأثيراً مادياً عمليا ليس غير .

فقد اخذ اليونان الشرقيين اشياء كثيرة ولكنها عملية مادية — اخذوا عنهم شيئا من الموسيقى وتعلموا منهم فنونا عملية كالحساب والهندسة ولكنهم لم يأخذوا عنهم شيئا عقليا يذكر (ص ٤٦ — ٤٧) وان قيادة الفكر اليونانى كان قوامها الشعر والفلسفة .

نقول : كيف عرف اليونان الفلسفة .

هل عرف اليونان الفلسفة والشعر عفواً . أم انهم نقلوها من الامم التى استعمروها ، فأنه لما ضاقت الارض اليونانية بأهلها ذرعا لم يجد اليونان امامهم إلا الهجرة او الاستعمار فانتشروا فى مختلف اقطارها كآسيا وافريقيا وإيطاليا وصقلية واسبانيا وفرنسا .

ولا اخال الدكتور يناقضنا إذا قلنا ان جميع الاقطار العربية التى

استعمرها اليونان فى إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وصقلية فى تلك العصور لم يكن بها حضارة أو مدنية . وإنما كان الجهل بيها طبقات بعضها فوق بعض.

ونريد ان نصل من هذا إلى حقيقة واضحة هى ان اليونان لم يأخذوا عن اهل هذه الاقطار الغربية شيئا من الحضارة او المدنية .

والذى لاشك فيه أن العقل اليونانى إرتقى وتطور عندما عرف اليونان الهجرة والحروب والاستعمار — والحقيقة المرة التى يجب أن يعترف بها الدكتور هو أنه لو لم يكن الشرق وحضارته وفنونه لما إرتقى العقل اليونانى ولما انتقلت منارة الفكر من الشعر إلى الفلسفة .

• • •

• قال الدكتور : أن اليونان لم يأخذوا عن الشرقيين إلا أشياء عملية مادية ليس غير ، أخذوا عنهم شيئا من الموسيقى ونقلوا عنهم فنونا عملية كالحساب والهندسة .

أما نحن فنجاهر بأن الدكتور أخطأ فى زعمه .

فما معنى أن اليونان أخذوا عن مصر فنا عملياً كالموسيقا . أليست الموسيقا فنا من الفنون الجميلة .

• ويقول الدكتور : فلئن كان البابليون قد رصدوا النجوم ووصلوا من ذلك إلى نتائج قيمة فى علم الفلك فهم لم يضعوا علم الفلك وإنما هذا العلم يونانى لم ينشأ عن النتائج البابلية وإنما نشأ عن البحث اليونانى (ص٤٧) .

والحقيقة أن البابليين عرفوا علم الفلك قبل أن يعرف اليونان هذا العلم وماهيته . وعلم الفلك الذى توصل إليه البابليون هو الذى ندرسه اليوم فى جوهره وأصوله .

• يفكر الدكتور نبوغ الشرقى من الناحية الفلسفية انكاراً باتاً بكل ما فى الكلمة من معنى . ولا أدرى هل سبب هذا هو أن الدكتور غير ملم بالأصول الفلسفية الحقة أم هو ملم بها غير أنه لم يقو بعد على تحليل هذه الأصول تحليلا صحيحا وتفهمها فهما جيداً .

ونظرة بسيطة إلى الشرق قبل أن يولد سقراط وأفلاطون ، بل قبل أن يعرف شىء عن اليونان جميعها نجد فن التحنيط ولا أرانى محتاجا إلى أن اقول لم حنط القدماء فى مصر جثث موتاهم .

فهل هناك شك أن هذه العقيدة التى كان يؤمن بها المصريون القدماء وهى خلود النفس نتيجة بحث فلسفى قيم . الحق أن الفلسفة ظهرت فى مصر قبل ظهورها فى بلاد اليونان بمئات السنين غير أن سوء الحظ الذى يصادفنا اليوم . هو الذى اخفى هذه الحقيقة .

— ٢ —

تساءل زكى مبارك[1] ما الموجب لإثارة هذه المشكلة وأجاب :

الموجب هو إصرار الدكتور طه على القول بأن مرجع الفكر فى الشرق والغرب إلى القدماء من مفكرى اليونان وحرصه على إثبات هذا القول فى الكتاب المقرر لمسابقة الأدب العربى ، وكان قبل ذلك مقررا للمطالعة فى المدارس الثانوية.

يضاف إلى هذا أن الدكتور طه . « جعل » القيمة الفعلية من حظ الغرب وجعل البوارق الخيالية من حظ الشرق وانتهى إلى النص بأن الغرب وطن الفلاسفة وأن الشرق وطن الأنبياء .

---

(١) الرسالة — ٢٢ نوامبر ١٩٤٣ .

ماحظ الدكتور طه فى أن يقرر أن العقل الشرقى إنهزم أمام العقل اليونانى مرات فى التاريخ القديم وأنه ألقى السلاح فى التاريخ الحديث . ما الغرض من الإصرار على أن العقل الشرقى يذهب فى فهم الطبيعة وتفسيرها مذهباً دينياً قانعاً بدليل أنه خضع للكهان فى عصوره الأولى وخضع للديانات السماوية فى عصوره الراقية .

لابد من نقض هذه الآراء قبل أن يفتن بها التلاميذ لأنها مسجلة فى كتاب رقم عليه اسم وزارة المعارف العمومية .

• الكهان :

والظاهر أن الدكتور طه يتوهم أن الكهانة ظاهرة شرقية لا غربية وذلك توهم طريف لأن الدكتور طه نفسه يشهد بأن سقراط قد استلهم الكهان مع أنه فى زعم الدكتور طه أول محرر للعقل الإنسانى من أغلال الأضاليل واقول بعبارة صريحة أن الكهانة لم تصر مهنة مقدسة إلا فى عهود الوثنية اليونانية فقد كانت لها معابد وكان لمعابدها سدنة وامناء وكان المصير لكل معضلة فردية قومية رهينا برأى (الصوت المتنكر) فى زوايا الظلام المنشور فوق معابد اليونان .

أما كهان الشرق فقد كان مركزهم فى المجتمع أيسر وأخف ، لأن الشرق سبق الغرب إلى استيحاء العقل ، وهل يستطيع مكابر أن ينكر فضل الشرق فى السبق إلي رفع القواعد عن الحضارة الإنسانية .

• تفرد الشرق بالأنبياء :

وأقول إن النبوات فى الشرق دانت الإنسانية بديون يراها الحاضر ويذكرها التاريخ .

إن الشرق لن يتخلى عن السيطرة الروحية وإن عجز عن السيطرة المدنية ولن يوهن من قوة الشرق أن يقرأ أبناؤه كلاما منقولا عن أحد الأجانب ولو كان القائل طه حسين .

— ٣ —

وقال الدكتور زكي مبارك[1] تحت عنوان « نزعة تمجيد اليونان » أن العرب لا يزالون أقوياء يخشى شرهم ، وذكرياتهم الأدبيــــة والعلمية والتشريعية مقرونة بالإسلام وكل إحياء لذكريات العرب خليق بأن يثير الزهو والـكبرياء فى نفوس الأمم الإسلامية وهم يعرفون ما صنعت تلك الأمم فى الأيام الخوالى ، وآثار العرب ترجع فى صميمها إلى التشريع وهو من المعانى الجافة التى لا يقبل عليها غير أهل الجد من كبار الباحثين ، ولا كذلك آثار اليونان فإن معظمها يرجع فى جوهره إلى الأدب الصريح الذى يهيج الأهواء ويثير الشهوات حتى ليمكن أن يقال أن جميع الشهوات واللذات الجنسية أخذها الأوربيون عن اليونان ، ولذلك يمجد الغرب ذكريات اليونان ولا يمجد ذكريات العرب .

ويقول زكي مبارك[2] : يرى الدكتور طه أن الأدب الذى يحتل المركز الأول فى الآداب القديمة هو الأدب اليونانى ثم يجىء الأدب العربى .

كتب مأمون حلمى عبد اللطيف يقول :

إذا كان كل هذا حق فمن هو الفيلسوف الاول الفرعونى الذى أثبت خلود النفس قبل أن تولد الأمة اليونانية ، أم سقراط الذى جاء نفس هذه النظرية قبل الميلاد بأقل من أربعة قرون .

---

(١) الرسالة : مجلد ١٩٣١ .

(٢) البلاغ : ١١ نوفمبر ١٩٣٢ .

ويقول مباك ، إن من الجاملة الخطيرة أن يعلن الدكتور طه أن الأدب العربى أقوى من الأدب الفارسى واللاتينى .

وإذا كان الأدب اليونانى فى المكان الأول فإن الأدب العربى فى المكان الأول أيضا . الادب اليونانى له المكان الأول من الناحية القصصية والتمثيلية وأنه فى هذا الباب يمتاز امتيازاً صريحا لا يقبل الجدل ولا النزاع .

والأدب العربى له المكان الاول من الناحية الدينية ، فإن البلاغة الدينية باب مهم من أبواب البلاغات فى الادب القديم والحديث ، فقد شغل ثلاثمائة مليون فى العالم شغلا موصولا بأروع أثر فى البلاغة الدينية ممثلا فى القرآن وعندنا أدب الصوفية .

أيستطيع باحث أن يزعم أن اليونان عندهم هذا الصفاء فى الجوانب الروحية أما الادب والعربى فقد سكت عنه الاوربيون عامدين ، لأنه يمثل الحضارة الإسلامية وهى حضارة كانت تبغى أوربا هدمها منذ أزمان، ولانه من جهة ثانية مصبوغ فى أكثر موضوعاته بصبغة الجد الرصين ، وأوروبا فتنت بما فى الادب اليونانى من نزق وطيش وخلاعة ومجون ، بدليل أن أكبر شاعر شرقى راج أدبه فى أوربا هو عمر بن الخيام لأنه شاعر اللذة والقلق والارتياب ويضاف إلى هذا أن يقظة أوربا الحديثة اتفق وجودها فى أزمان كانت فيها الامة العربية منحدرة إلى مهاوى الضعف والخمول فلم تستطع أن تقدم ادبها إلى العالم القديم تقديما حسنا يقدر ما كان له من روعة وجمال .

[رأى رشيد رضا] :

وفيما يتصل بالنزعة اليونانية ما كتبه إبراهيم المصرى فى تفضيل الشعر

اليونانى على الشعر العربى وقد كتب رشيد رضا[١] فى الرد عليه . قال :

أما شعر الإغريق الذى يفضله المجدد إبراهيم المصرى على الشعر العربى ويعفى على العرب نبذهم له وترك الاقتباس من معانيه كما اقتبسوا من فنون اليونان وفلسفتها ـ فقد كنا نجهله قبل أن يترجم لنا سليمان أفندى البستانى « الإلياذة » وكنا نبيح لأنفسنا الحكم عليه ، فلما أطلعنا على « الإلياذة » وهى أعلى شعر الإغريق ومفخرتهم التاريخية حكمنا بأن اجدادنا لم ينبذوا شعرهم وراء ظهورهم ، إلا لأنهم وجدوه دون الشعر العربى فى حكمة وسائر معانيه وأنه على ذلك محشوا بالخرافات الوثنية التى طهر الله عقولهم وخيلاتهم ومعها بالإسلام .

---

(١) المنار جـ ٥ م ٢٧ ص ٣٩٢ (إبريل ١٩٢٦) .

٥ — « كتابه السيرة» بين التاريخ والأسطورة

بين هيكل وطه

بدأ تحول فى التفكير العربى المعاصر فى مصر بعد عام ١٩٣١ حيث قام الدكتور هيكل بكتابة فصول عن حياة الرسول تحت عنوان «حياة محمد» مترجمة عن كتاب لمؤلف فرنسى هو اميل در منجم ولم تلبث أن صدرت مجلة الرسالة وبها فصول الدكتور طه تحت عنوان «على هامش السيرة» ثم صدرت هذه الفصول فى كتاب بهذا العنوان ولقد أثارت كتابة طه حسين عن الاسلام والسيرة ثائرة المجددين والمحافظين على السواء .

وكان الرأى أن طه حسين أراد أن يتملق الجماهير بعد أن تصل بالوفد وترك حزبه الأحرار الدستوريين ومن قبله حزب الاتحاد التى أنشأه الملك فؤاد .

وقال آخرون أنه أراد أن يسلك إلى دعوة «التغريب» سبيلا جديداً مختلفاً عن سبيل « الشعر الجاهلى » ولكنه يهدف إلى نفس الغرض .

وكان كتاب هامش السيرة موضع سجال وجدل : نورد هنا منها رأيين : رأى هيكل ورأى لعوض محمد :

وجملة ما قيل : أن طه حسين بهذا الكتاب قد تحول من النقد الأدبى إلى أحياء الأساطير

[طه حسين : مقدمة هامش السيرة] :

أنا أعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ، ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا إليه . وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث التى لا يسيغها العقل ولا يرضاها ، وهم يشكون ويلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار، هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشىء لأنهم سيقرءون فيه طائفة من هذه الأخبار والأحاديث التى نصبوا أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس ، وأحب أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شىء ، وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل .

وأن هذه الأخبار والأحاديث إذا لم يطمئن إليها العقل ولم يرضها المنطق ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي فإن في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة وإستراحتهم إليها من جهد الحياة وعنائها ما يحبب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها الترفيه على الناس حين تشق عليهم الحياة .

أحب أن يعلم الناس أني وسعت على نفسي في القصص ، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار وأختراع الحديث مالم أجد به بأساً ، إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي أو بنحو من الدين .

[هيكل : ملحق السياسة[1]] :

« . . . طه ، إنما سلك في هامش السيرة طريق كتاب الغرب ممن يتحدثون عن الأساطير القديمة ينشرونها ويزينونها ، وطه إنما قصد إلى إحياء أدب الأساطير حين أملى هذا الكتاب أو حين دفع إلى ذلك دفعاً وأكره عليه أكراها إذ رأى نفسه يقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسه ويفيض بها قلبه وينطلق بها لسانه .

وهذه الفصول لم تكتب لذلك للعلماء ، للمؤرخين : ولم يرد المؤلف بها إلى العلم ولا قصد بها إلى التاريخ ، إنما أراد إحياء الادب القديم وإحياء ذكر العرب الاولين ولئن لم يطمئن العقل إلى إخبارهم وأحاديثهم ولم يرضها المنطق :

وهي أن تكن أساطير يضيق بها العقل ويأباها المنطق فليس العقل في الادب كل شيء ، وليس العقل في الحياة كل شيء . ذلك كله يقوله طه في

---

(١) ديسمبر سنة ١٩٢٢ .

مقدمة هذا الكتاب وهو يشير إلى أنه وضعه نموذجا للشباب فى أستغلال الحياة العربية الاولى وإتخاذها موضوعا خصبا للانتاج فى الادب الإنشائى الخالص .

ولعل طه قد رأى واجباً أن يقدم لكتابه بهذا التحديد للغاية منه لسببين : أولهما : ما ذكر هو فى المقدمة من أن قوما سيضيقون بكتابه لأنهم يكبرون العقل ولا يثقون إلا به ولا يطمئنون إلى إليه .

والسبب الآخر : لم يذكره هو المقدمة لانه سبب يتعلق بشخصه فهو إلى حين وضع كتابه هذا كان من أولئك الذين يكبرون العقل ولا يثقون إلا به ، فهذا الكتاب تطور عظيم فى نفسيه طه وفى نظرته للحياة . تطور صارخ صارخ يكفى لتبينه أن نقرأ معا مقدمتين : مقدمة « على هامش السيرة » ومقدمة « فى الادب الجاهلى » ،

ولا تقل أن المقارنة غير ممكنة بين كتاب (فى الادب الجاهلى) وهو كتاب يقصد به إلى غرض التحقيق العلمى الدقيق وكتاب (على هامش السيرة) وهو كتاب فى الادب الإنشائى لم يكتب للعلم ولا للتاريخ ، فقد مر طه فى فترة ما بين ظهور هذين الكتابين بانتقال من "العلم إلى الأدب ، كان مظهره كتابه : الأيام وفى الصيف .

وهو فى هذه الفترة قد كتب مقالات أدبية كثيرة نشرتها السياسة ونشرتها الرسالة ونشرتها الكوكب وما أنتج طه من ذلك لا أتصال بينه وبين الاساطير مما يوع طه فى تدوينه وتزيينه فى (على هامش السيرة) ولا دلالة فيه على ميله إلى هذا النوع من الادب .

ثم أن بين (فى الادب الجاهلى) وعلى هامش السيرة موضعا للمقارنة

فكلاهما يتحدث عن العصر الجاهلى الذى سبق مولد النبى عليه السلام والذى عاصر هذا المولد ، والكتاب الأول يهدم ما جاءت به الأساطير عن الجاهلية بل يهدم الكثير مما ينسب للجاهلية من شعر ونثر ويراه من وضع المتأخرين لأغراض دينية أو مخالفة للدين . والكتاب الأخير يجلو هذه الأساطير وينمقها . ويرى فى ذلك غذاء لما سوى العقل من ملكات الناس .

وطه يذكر أنه دفع لإحياء هذه الأساطير دفعا لم يكن له إلى الأذعان منه بد ومعنى ذلك أن هذه الخطوة من خطوات تطور النفس خطوة طبيعية كان محالا مغالبتها أو التغلب عليها .

ويجب أن نذكر أن هذا الدافع قد بلغ من القوة مالا يستطيع أحد من الناس مقاومته ، فهو كما رأيت قد خطا فى هذا الكتاب من تحقيق العلم الذى ظل عاكفا من قبل عليه سنين إلى أدب الأسطورة الميثولوجية فى حياة العرب وفى سيرة النبى وهو إذ خطا هذه الخطوة يعلم أن كثيراً من هذه الأساطير التى روىّ إنما هى بعض الاسرائيليات ، التى روج اليهود بعد عصر النبى متأثرين بحقدهم على محمد لأنه حاربهم وأجلى الأكثرين منهم عن بلاد العرب ومهد بذلك لإجلاء البقية الباقية بعد زمن قصير من وفاته ، متأثرين بحفيظتهم على المسلمين حفيظة جعلتهم يروجون الألوف من الاحاديث المكذوبة على النبى ومن القصص التى تنافى تعاليمه منافاة صريحة . فما عسى يكون هذا الدافع القوى الذى دفع طه إلى هذا التطور فلم يجد بدا من الاذعان ومن صياغة هذه الاساطير فى الصورة البديعة الرائعة التى تنفس فيها كتابة الاخير .

وقال الدكتور هيكل : أن الاطوار التى مر بها طه فى حياته هى التى

انتهت حتما إلى إخراج هذا الكتاب ، فهو قد روى لنا فى كتاب الايام الشيء الكثير عن طفولته وبدء صباه وكيف كان فى تلك الاثناء متأثراً بظروفه وبيئته يخاف الاشباح ويتوهمها ويرسم منها فى خياله عند وفاة أخيه ولمناسبات أخرى فنونا من الصور ، ثم بدأ بعد ذلك يدرس فى الازهر ويقرأ سيرة النبى عليه السلام . ويقرأ فى كثير من الكتب أساطير من الاسرائيليات التى لم يزيف التحقيق فى ذلك الزمن .

فلما بدأت ملكات الحكم تنمو وتتجه إلى ناحية التمام العقلى عنده وبدأ يستمع إلى الادب وإلى العلوم الحديثة بدأت تتكون ذاتيته وتنضج نضجا سريعاً ملحا ، وأول مظهر لتكوين الذاتية ظهور ملكة النقد .

وقد ظهرت فى طه أول شبابه عاصفة لا يراها شيء ولا يثبت أمامها شيء وقد تناولت هذه الملكة ما وعى وأستظهر فى الازهر فكان ذلك سبب خلافه مع شيوخه خلافا أنتهى إلى ترك الازهر والانتماء إلى الجامعة المصرية الوليدة إذ داك ، وفى الجامعة وجد الطريقة العلمية فى البحث ؛ الطريقة التى أرضت عنده وترضى عند كل إنسان ملكة النقد إلى غاية ما تريد هذه الملكة من الرضى .

فى ظل هذه الطريقة العلمية سقطت عن جوانب طه العقلية أكداس مما تعلم عن قبل ولكن اين سقطت ، فى طوايا نفسه وفى البعيد العميق من خبايا ذاكرته .

(ثم صور) كيف أثار كتابه فى الشعر الجاهلى اللائمة ، مما دعاه إلى أن ينقطع إلى نفسه يقلب ويمتحن أركانها ويمتحن ، ليرى آخر الامر أن الناس ينوؤون بالحقيقة العلمية ويأبون حمل أمانتها ثم يقلب طه فى نفسه

ويقلب ويمتحن أركانها ويهز جوانبها هزاً عنيفا حتى تختلط تلك الصور المختلفة المتباينة ليخرج منها مزاج كانت « الايام » مقدمة الوشرى به ثم كان هامش السيرة ثمرته الاولى .

وقال هيكل : أن أدب الاسطورة هو أخصب ألوان الادب ويزيدها خصبا أن الكاتب والقارىء يعرفان جميعا أن المادة التى يعالجان هى من نوع الأسطورة لا جناح عليهم إذا هم أطلقوا للخيال فيها العنان فابتدعوا من خيالهم ما يزيد هذه الاساطير رقة وعذوبة لا تحول بينهم وبين الاخذ بقول بعضهم (أعذب الادب أكذبه) أى حائل . ولذلك أستميح طه العذر أن خالفته فى إتخاذ النبى وعصره مادة لادب الاسطورة .

وأشار إلى ما أتصل بسيرة النبى ساعة مولده وما روى مما حدث لهمن اسرائيليات روجت بعد النبى ثم قال : لهذا وما إليه يجب في رأيي أن لا يتخذ مادة لأدب الأسطورة ، فأنما يتخذ من التاريخ وأقاصيصه مادة لهذا الادب ما أندثر أو ما هو فى حكم المندثر ، وما لا يترك صدقه أو كذبه فى حياة النفوس والعقائد أثراً ما . والنبى وسيرته وعصره تتصل بحياة ملايين المسلمين جميعاً ، بل هى فلذة من هذه الحياة ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثراً فى توجيهها، وطه يعلم أكثر مما أعلم أن هذه الاسرائيليات إنما أريد بها إقامة أساطير ميثولوجية إسلامية لإفساد العقول والقلوب من سوادالشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم فى شأن الإسلام ونبيه . وقد كانت هذه غاية الاساطير التى وضعت عن الاديان الاخرى . ومن أجل ذلك إرتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى مختلف العصور لتطهير العقائد من هذه الاوهام .

ثم قال هيكل: من أجل ذلك أود أن يفصل طه فيما قد يكتب من بعد من فصول تجرى مجرى [على هامش السيرة] بين ما يتصل بالعقائدوما لايتصل بها.

العودة إلى إرضاء الجماهير : هامش السيرة

الدكتور محمد عوض محمد — الرسالة ١٨ ديسمبر ١٩٣٣

ثبت لدى ما كنت أتوهمه من أمره وما أكاد أثبته — إن ثقافة الدكتور الحقيقة هى ثقافة أزهرية متينة قوية الاسس ضخمة الدعائم وطيدة الاركان وأن ليست ثقافة الغربيين التى نسمع عنها الشىء الكثير إلا رواء وطلاء أن تبهر العين منظرة فإنه لا يذهب إلى غور بعيد . وقديما قال نابليون فى الروس . أنك إذا حككت الروسى بدأ لك التترى . وفى وسعنا أن نقول إذا حككت طه حسين برفق بدا لك الازهرى القح الصميم بكل ما تحمله هذه الكلمة من فضل وعلم .

وقد أستطاع طه حسين — على غير عمد — أن يصرف الناس عن حقيقة أمره بحديثه عن اليونان والرومان والسكسون واللاتين . وأثارته هذه الزوابع التى برع فى اثارتها اثناء كلامه عن اشخاص مثل ديكارت وبودلير وعن التجديد فلعل أصدقاء طه حسين أن يحمدوا للشخص الضعيف كاتب هذه السطور أن كشف لهم عن امر صديقهم ما خفى عليهم هذه السنين .

٦ — كتابة التاريخ

بين رفيق العظم وطه حسين

آثار «طه حسين» جدلا طويلا حول طريقة كتابة التاريخ عنـد ما اعتمد على كتاب «الأغانى» فى تصوير الحياة العقلية للقرن الثانى الهجرى مما أدى إلى إسباغ صورة الخلاعة والمجون على هذا العصر، وقد نظر طه حسين إلى هذا العصر ممثلا فى أبى نواس وأضرابه من الشعراء فحكم على العصر كله بأنه عصر شك ومجون قال (أن هذا العصر الذى انحلت الدولة الأموية وقامت فيه الدولة العباسية قد كان عصر شك ومجون)(١).

قال ص ٠٠ «أن هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون عصرهم حقا وكانوا أشد تمثيلا وأصدق لحياته تصويراً من الفقهاء والمحدثين وأصحاب الكلام. وأن هؤلاء العلماء على ارتفاع أقدارهم لم يأمنوا أن يكون من بينهم من شك كما شك الشعراء ولها كما لها الشعراء».

وقد وجد هذا من الرأى للدكتور طه هجوماً وسجالا عنفين: وأبرز من تناول هذا رفيق العظم وابراهيم المـازنى.

١ — من رفيق العظم إلى طه حسين(٢):

مما يلفت النظر ويستدعى التمحيص والحذر فى ذلك الحديث حكمكم أن أبا نواس ومن فى طبقته أو على شاكلته من الشعراء كانوا مثالا صادقا للعصر الذى عاشوا فيه. وأن الرشيد والمأمون ذهبا من الشك والاستمتاع باللذائذ فى ذلك العصر مذهب أبى نواس وأضرابه من شعراء المجون. وقد سردتم طائفه من الشعر والاخبار المنسوبة إليهم واستنتجتم منها ذلك الحكم الذى يحتاج إلى تمحيص كثير.

إن الحقائق التاريخية ولا سيما فى تاريخ الاسلام شبه الدر الملقى بين

---

(١) (مقدمة كتاب حديث الاربعاء ج ١).

(٢) السياسة — ٧ فبراير ١٩٢٣.

أشواك يحتاج من يريد استخراجه من تلك الأشواك إلى أناه وروية ونظر فى وجه السلامة من أذى الشوك . ولانريد أن نذهب بعيدا فى مذاهب الشك التى ذهب إليها الأستاذ وإنما يكفى أن ننبهه بما نقول وهو العليم بما ماعاناه رواة الحديث ونقله الأخبار النبوية فى تحميص تلك الأخبار وتنظيفها من شوائب الوضع المكذوب .

نقرأ فى كتب التاريخ أخبارا نسبها شيع العباسيين إلى خلفاء بنى أمية وأخبار نسبها شيع آل على إلى خلفاء بنى العباس هى احط ما ينسب إلى خلفاء أو ملوك أو سمهم ماشئت ، كانوا فى مثل مرتبتهم من العزة والمنعه وبسطة الجاه والملك . وكان من المحال أن يكونوا من إنحطاط الأخلاق والسيرة فى المنزلة التى إنزلهم إليها الوضاعون ويدوم لهم طويلا ذلك الملك العريض والشهرة الذائعة فى التاريخ .

الحقيقة التى ينبغى أن تقال أن التنازع السياسى بين الشيع الإسلامية أدخل من روايات بعض الأخبار بين شوائب فى التاريخ الإسلامى ليست منه فى شىء فأنما هى من وضع المتزلفين لبيوت الإمارة والملك أو المتشيعين لبعض المذاهب السياسية أو الدينية .

ولا أظننى مخطئا إذا قلت أن ما نقل من هذا التهبيل عن أبى نواس وأضرابه من شعراء ذلك العصر ، ويسميه الدكتور طه حسين عصر الشك والمجون ويتخذه دليلا على حكمه على أهل ذلك العصر إنما هو تلفيق قصصى يراد به أحد أمرين : أما تشويه سمعه بعض الخلفاء العباسيين كالرشيد والمأمون . وأما سد نهمات العامة إلى أمثال تلك القصص المخزية والروايات الملفقة . على أنه لو صح شىء منه لما كان لنا أن نتخذه دليلا على شيوع

الفحش والفجور والشك بين أهل ذلك العصر لأنه مجون لا يجوز أن يتعدى الماجن مهما تـكال إلى النيل من سواه باسم المجون .

على أنى اعتقد كما قلت أن مانسب إلى أولئك الشعراء كأبى نواس وبشار ومن فى طبقتهما محل للشك ولا سيما إذا صح أن شعر ابى نواس لم يجمع فى كتاب (ديوان) على حدة فى حياته وإنما جمعه رواة القصص واخبار شعراء المجون وتناقلوه بعد وفاته بزمن قريب او بعيد .

إن اكثر مانقل عن ابى نواس واضرابه من شعراء المجون إنما هى روايات قصصية بعيدة عن الصحة وانه لايصح ان تتخذ دليلا على حالة الأمة الروحية والخلقية فى ذلك العصر وفوق كل ذى علم عليم .

[رد طه حسين][1]

لا يزال العالم الجليل وكثير من العلماء المعروفين فى الشرق يسبغون على التاريخ الإسلامى صفة من الجلال والتقديس الدينى تحول بين العقل وبين النظر إليه نظراً يعتمد على النقد والبحث العلمى الصحيح . فهم يؤمنون بمجد القدماء من العرب وجلال خطرهم وتقديس مكانتهم .

إنا ازعم ان القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون وازعم ان كل شىء فى هذا العصر يؤيدنى فى هذا الرأى .

إنا ارغم – واعتقد انى قادر على إثبات ما ازعم – ان القرن الثانى للهجرة قد كان عصر لهو ولعب ، وقد كان عصر شك ومجون . وازعم ان كل شىء فى هذا العصر يؤيدنى فى هذا الراى . وحسبى أن ألفت الأستاذ

---

(١) السياسه اليومية ٢٢/٢/١٩٢٣ .

ونضيق بك إلى أن هذا القرن قد بدأ بخلافة الوليد بن يزيد وختم بخلافة الأمين ابن الرشيد واحب أن يقارن بين هذين الخليفتين ثم ألفت الأستاذ إلى بشار ومطيع وأبى النواس والرقاشى والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد وحماد عجرد ويحيى بن زياد وابن المقفع وابان بن عبد الحميد وغيرهم من الشعراء والكتاب والمفكرين ولا اريد ان اذكر الفقهاء واصحاب الكلام مخافة ان يغضب المتحرجون .

٣ — نزعة الاباحية فى كتب طه حسين (١)

(رد إبراهيم عبد القادر المازنى)

لقد لفتنى من الدكتور فى كتابيه حديث الأربعاء وهو مما وضع «قصص تمثيلية» وهى ملخصة ، أن له ولعا بتعقيب الزناة والفساق والفجور والزناة. وقد ينكر القارىء أن ادخل القصص التمثيلية فى هذا الحساب . ويقول انها ليست له وإن كان ماله فيها أنه ساق خلاصة وجيزة لها ، وهو اعتراض مدفوع لأن الاختيار يدل على عقل المرأ ويشى بهواه ، كالابتكار سواء بسواء ، وإنما يختار المرء مايوافقه ويرضاه ويحمله عليه اتجاه فكره حتى لا يسعه أن يتخطاه ، ولست بمازح حين أنبه إلى ذلك وها هو حديث الأربعاء : ماذا فيه ؟ فيه كلام كثير عن العصر العباسى وللعصر العباسى وجوه شتى ، وفى وسعك أن تكتب عنه من عدة وجهات . وأن تتناول فلسفته أو علمه أو شعره وجده أو هزله . ولكن الدكتور طه يدع كل جانب سوى الهزل والمجون ويروح يزعم أنه عصر مجون ودعارة وإباحة متغلغلة إلى كل فرع من فروع الحياة فلماذا بل قل لماذا لا يرى فى غير الماجنين والخليعيين صورة

(١) ص ٨٣ من كتاب المازنى (قبض الريح .

منه . ولست أفترى عليه فإنه القائل فى الصفحة السابعة والعشرين من كتابه « أدرس هذا العصر درساً جيداً واقرأ بنوع خاص شعر الشعراء وما كان يجرى فى مجامعهم من حديث تدهشك ظاهرة غريبة هى ظاهرة الإباحة والإسراف فى حرية الفكر وكثرة الازدراء لكل قديم سواء أكان هذا القديم ديناً أم خلقاً أم سياسة أم أدب . فقد ظهرت الزندقة وانتشرت انتشاراً فاحشاً اضطر الخلفاء من بنى عباس إلى أن يبطشوا بالشعراء والكتاب لأنهم اتهموا بالزندقة ، وظهر إزدراء الأدب القديم والعادات العربية القديمة والسياسة العربيه القديمة ، بل ظهر إزدراء الأمة العربية نفسها وتفضيل الأمه الفارسية عليها . وكانت مجالس الشعراء والكتاب والوزراء مظهراً لهذا كله . وليس يعنينا أن تكون النهضة السياسية الفارسية . وحرصها على الانتقام من العرب والاستئثار دونهم بالسلطان مصدر هذا التغيير وإنما الذى يعنينا أن هذا التغيير قد وجد وقوى حتى ظهر فى الشعر ظهوراً جعل إنكاره مستحيلا .

ولم يكف الدكتور طه أن يعمد إلى طائفة معينة من شعراء العباسيين وأن يرسم من سيرتهم صورة يزعمها صورة العصر بل هو ينكر أن غير هؤلاء من العلماء أو الشعراء يمثل العصر العباسى وإقرأ له قوله فى ص ٥٠ من هذا الكتاب « فقد بينا فى هذا الحديث أن هؤلاء الشعراء كانوا يمثلون عصرهم حقاً وكانوا أشد تمثيلا وأصدق لحياته تصويراً من الفقهاء والمحدثين وأصحاب الكلام وأن هؤلاء العلماء على ارتفاع اقدارهم العلمية ومنازلهم الاجتماعية والسياسيه وعلى أن كثير منهم كان ورعا مخلصاً طيب السيرة لم يأمنوا أن يكون من بينهم من شك كما شك الشعراء ولها كما لها الشعراء واستمتع بلذات الحياة « فى سر » كما استمتع بها الشعراء فى جهرهم .

وهل يقف الدكتور هنا ويقنع بهذا القدر ؟ كلا ياسيدى ! بل يجرى إلى آخر الشوط ويقول فى الصفحة ٣٩ من كتابه «خسرت الأخلاق من هذا التطور وربح الأدب فلم يعرف العرب عصراً كثر فيه المجون وأتقن الشعراء التصرف فى فنونه وألوانه كهذا العصر ، ثم كان من كثرة المجون أو أصح كان من فساد الخلق فى هذا العصر والعصور التى وليته أن ظهر فن جديد فى الغزل لم يكن معروفا فى الجاهلية ولا فى صدر الإسلام ولا فى أيام بنى أمية وإنما هو أثر من آثار الحضارة العباسية ، وهو أثر انشأته هذه الحضارة الفارسية عندما خالطت العرب أو عندما انتقل العرب إليها فاستقل سلطانهم فى بغداد وهذا الفن الجديد أو الغزل بالغلمان الذى سنحدثك عن خصائصه فى غير هذا الفصل » .

وإذا سمعت رجلا يقول أن الأخلاق فسدت وخسرت وأن الأدب ربح من وراء ذلك أفلا ينهض لك العذر إذا قلت أنه ينفح عن هذا الفساد ويسوغ هذه الخسارة ؟ نعم بلا ريب . وانت تحس من كلامه الرضى والارتياح . ومن الذى لايشعر بذلك حين يقرأ قوله فى عقب ماسقنا لك « إنما الذى يعنينا الآن أن هؤلاء الناس الذين وصفنا لك ما وصلوا إليه من شك فى كل شىء وإسراف فى المجون واللهو كانوا يجتمعون ويجتمعون كثيراً أكثر مما كان يجتمع أسلافهم وكانت اجتماعاتهم ناعمة غضة فيها اللهو وفيها الترف . كانوا لا يجتمعون إلا على لذة ، إلا على كأس تدار أو إثم يقترف ، وكانت اللذة والآثام حديثهم إذا اجتمعوا ، يتحدثون فيها شعراً ونثراً ، وكان الدين واللغة والفلسفة حديثهم أيضا . ولم تكن اجتماعاتهم تخلو دائما من النساء ، فقد كان الاماء الظريفات يأخذن منها بنصيب عظيم . وكانوا يجتمعون فى الحانات والأديرة وفى بيوت الأمراء والوزراء فيلذون ويتحدثون

فأنت تستطيع أن تتنبأ بمقدار ما كان لأحاديثهم هذه من أثر عظيم فى الأدب العربى والعقل العربى . كانت هذه الأحاديث عذبة غير متكلفة ولا ثقيلة الروح . كانت تصدر عنهم عفواً فتمثل عقولهم وشعورهم وقوة حرصهم على اللذات وشدة شغفهم بالجديد أحسن تمثيل » . ه ص ٤٠ .

ثم مضى يورد سير أبى نواس ومن إليه من مثل الوليد بن يزيد ومطيع بن أياس وحماد عجرد والحسين بن الضحاك ووالبه ابن الحباب وإبان بن مروان ابن أبى حفصه ويقول فى بيان الحكم عن ذلك إنه لا يريد أن يكتفى بالقول « بأن القرن الثانى للهجرة على كثرة من عاش فيه من الفقهاء والزهاد وأصحاب الشك والمشغوفين بالجد إنما كان عصر شك ومجون وعصر افتتان وإلحاد عن الأخلاق المألوفة والعادات الموروثة والدين أيضاً .

وليس عندى شك فى أن هذا العصر لم يكن عصر إيمان ويقين فى جملته وإنما كان عصر شك واستخفاف وعصر مجون واستهتار باللذات » / . ه ص ١٨٤ .

يقول المازنى : انه مامن عصر يمكن أن يكون له جانب واحد كما يريد أن يصور لنا العصر العباسى وأنه لم يخل زمن قديم أو حديث من مثل مايصف الدكتور .

٢ — القصص المترجمة :

وبعد ذلك نعود إلى ما كنا فيه وننتقل إلى قصص الدكتور ولنبدأ بقوله عنها « فإنى اعترف بأنى لا اتخير هذا القصص عفواً وإنما انخير منها بنوع خاص مامن شأنه أن يهز العاطفة أو يلذ العقل أو يدعو إلى العناية والتفكير » فليس فى الأمر مجال للتأول والتمحل والإحالة على الاتفاق والمصادفات فإن العمد هنا معترف به :

ويقول الدكتور أنه إنما كتبها وجمعها ونشرها لأنه يريد أن يطلع قراء اللغة العربية « على نحو من أنحاء الأدب الغربى ، ولأنه يرغب أن يكون بهذه القصص وما فيها من الآراء الفلسفية والمذاهب المختلفة أثر فى نفوس الأدباء والذين يعنون منهم بالتمثيل العربى .

وللقارىء أن يسأل : لماذا يؤثر الدكتور (نحوا) آخر من أنحاء الأدب الغربى وليس هذا كل مافيه ولا هو خيره . لماذا عنى على وجه الخصوص بقصص الزناة والزوانى وحكايات الجهاد ـ كما يقول هو ـ « بين العواطف والشعور من جهة وبين العقل من جهة أخرى . بين العواطف والشعور الفردية من ناحية وبين القانون والأوضاع الاجتماعيه من ناحية أخرى . بين العواطف وبين الواجب وبين العقل وبين الدين ثم بين القانون وبين الدين أيضا » ؟

ألا ترى أن صنيعه فى اختيار هذه القصص كصنيعه فى اختيار من كتب عنهم من العباسيين ؟ فكما أنه ترك أبا تمام والبحترى والشريف ومهياراً والمتنبى والمعرى فى فحولة شعراء العرب وفضلائهم ووقع على أهل المجون والخلاعة والاستهتاك ، كذلك لم ينتق من كنوز الأدب الغربى إلا هذه القصص الحافلة بضروب « الآثام والمنكرات » .

ونحسب الآن أن نزعة الدكتور قد صارت ملموسة باليد فهل لها تعليل ؟ . هل فى وسع الكاتب منا أن يبين لماذا كان الأمر كذلك والحال على ماوصفنا للقراء ؟ نعم والعلة ظاهرة والكلام حاضر .

— لم يدخل الدكتور طه فى مناقشته مع المازنى صراحة وصمت صمت ضمنا طويلا وانتظر مجالا آخر للرد عليه وكان بعد سنوات طويلة .

٧ — معركة الترجمة

بين منصور فهمي وطه حسين

هذه إحدى المعارك الأدبية المبكرة ، جرت عام ١٩٢١ حينما عرض الدكتور منصور فهمي في جريدة الأهرام لقصة (سيرانو دى برجراك) التي عربهـا مصطفى لطفي المنفلوطي فأعلن إعجابه بترجمها العربية الجيدة .

غير أن الدكتور طه الذي كان قد أوغل قبل ذلك بسنوات في نقد كتاب « النظرات » للمنفلوطي ، كتب في الأهرام يرد على منصور فهمي ويعارض رأيه في ترجمة القصة الفرنسية ويرمى أسلوب المنفلوطي بالاتهامات .

ثم دارت مساجلة بين منصور فهمي وطه حسين حول الأسلوب والمضمون وطريقة الترجمة وتعد هذه المساجلة من أولى معارك الترجمة من الأدب الأوربي .

١ — رواية(١) الشاعر (سيرانودى برجراك) — منصور فهمي :

قل للذين لا تذهب أنظارهم إلى ماوراء الأدب العربي أن لغيرنا ما من الأمم أدبا جليلا راقيا نكتسب من حسنه لأدبنا إذا ما أردنا أن نأخذ عن حسناته . قل للذين قصروا تشبيهاتهم على التشبيهات العربية والكنايات . وقيدوا عواطفهم بالأساليب العربية أن لغيرنا أساليب من ذهب وعواطف من رقة وصفاء ويحق علينا أن نتبادل معهم عواطفنا ونزوج أساليبنا من أساليبهم حتى تتجدد الفة وتنمو وتكثر العواطف في قلوبنا وتنتشر .

ثم قال : إن المعرب اقتحم سبيلا وعراً في قصة سيرانو إذ في بلاغة الأصل الفرنسية وصناعاتها اللفظية واصطلاحاتها ماليس في الطاقة نقله .

على أنه لا ينبغي أن تكون صعوبة النقل عقبة في سبيل التعريب وربما تحمد الجرأة في اقتحام الصعاب ولا سيما وقد أنعم الله على المنفلوطي بقلم بليغ وأدب موفور ، فلو أن تعريبه لا يؤدى لنا صورة كاملة من تلك البلاغة

---

(١) الاهرام ١٩ يوليو ١٩٢١ .

الفرنسية الفائقة إلا أنه يؤدى لنا صورة حية بقلم عربى مبين وتؤدى بعض أجزائها على أحسن مثال فى البلاغ .

٢ — طه حسين[1] :

بينى وبين المنفلوطى خصومة أدبية قديمة كونت لى فيه رأيا قديماً لم أوفق بعد إلى أن أتحول عنها ، وهذه الخصومة نفسها هى التى حملتنى على أن لا أعرض لكتاب « الشاعر » بخير ولا بشر مع أن لى فيه رأيا قبل ظهوره .

منعتنى هذه الخصومة من أن اعرض لهذا الكتاب بخير أو شر ، فأنا اعلم أن النقد لم يصل بعد فى مصر من الحرية إلى حيث يمكن أن تتناسى فيه الأحقاد والثارات .

قال أن مؤلف سيرانو قد وضع قصه تمثيلية شعرية وأن جمال هذه القصة رهين بالشعر من جهة ، وبالأسلوب التمثيلى من جهة أخرى ثم بالبلاغة الفرنسية نفسها .

فإلى أى حد يباح للمترجم أن يحول قصة من التمثيل إلى الفن القصصى الخالص ، أليس هذا مسخا للكتاب . وجناية على المؤلف .

لا أطالب المنفلوطى بأن يترجم الكتاب شعراً كما ألف شعراً فقد لا يكون ذلك ميسوراً ، ولكنى لا أستطيع أن اتجاوز عن تحويل التمثيل إلى قصص فهذا مسخ لا يرضاه إلا الذين لا يقدرون الفن قدره .

٢ — أن لكل لغة جمالا خالصاً ليس إلى نقله إلى لغة أخرى من سبيل ، فمن المستحيل أن يتذوق هذا الجمال فى لغة غير اللغه الفرنسية. ومع ذلك

(١) الأهرام ١٠ يوليو سنة ١٩٢١ .

فقد يتجاوز المترجم عن هذا القصور فهو غير مكلف أن يحقق المستحيل .
إلى أى حد يباح للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بالمسخ والتشويه . أى الأمرين اجدر بالغبن ــ أن نترجم قصصاً فيه من القصور المحقق فى نقل أخص ما يميزها من الجمال أو أن نترك هذه القصة فى لغتها حتى لا تمسخ ولا تشوه وحتى لا ينقص من قدرة المؤلف ونبوغه فى صورة أقل ما توصف به أنها لا تطابق بعد الأصل ولا تدل عليه .

٣ — منصور فهمى(١) :

كلانا متفق على أن لا نطالب المنفلوطى بأن يترجم الكتاب شعراً كما ألف شعراً فقد لا يكون ذلك ميسوراً تتفق فى ذلك كله ، فأين الخلاف ؟

إن الخلاف الذى أظنه ينشأ بيننا قد يكون فى سؤالين وجهتهما إلى :

إلى أى حد يباح للمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بالمسخ والتشويه ، وجوابى البسيط انى لا أبيح قط لمترجم أن يتصرف فيما يترجمه بمسخ أو تشويه . أما بعد هذا فاسمح لى أن اسألك :

— أى الأمرين اجدر بالغبن أن نترجم قصة فنية مع القصور عن نقل أخص ما يميزها من الجمال أو أن نترك هــذه القصة فى لغتها حتى لا تمسخ ولا تشوه .

أرى خيراً ان تنقل لنا القصة فى جمال الأصل من ان يحجب عنا كل هذا الجمال ، وخير لنا ان تكون عندنا فكرة صغيرة من ادب جديد من ان يهمل هذا الأدب ولو لم يكن ذلك لما نقل الفرنجه فى لغاتهم القرآن الكريم . ولما قرئت فى لغاتنا التوراة والأناجيل ولما قرانا بالعربية شعر

(١) الأهرام — ٢٦ يوليو سنة ١٩٢١

(هوميروس) وما ترجم من ادب اليونان وكلنا يعلم أن جمال الاصل فوق جمال المنقول .

أضف إلى ذلك ان الدافع الأول للنقل من لغة إلى لغة قد يكون في جمال الموضوع وليس في تفاصيله ، وقد يكون في المعاني وليس في ثيابها من الأساليب دعني اسألك إلى أي حد يباح لنا أن نبخل في تقريظ كاتب جد وكد في سبيل الأدب ونأبى عليه حقه .

٤ — رد طه حسين(١) :

تسألني أين يقع المسخ والتشويه فيما فعل المنفلوطي وتعلن أنك لا تفهم كيف يكون تحويل قصة تمثيلية إلى حكاية قصصية مسخاً وتشويهاً .

إن للتمثيل جمالا لا يشتمل عليه القصص وأن مصدر هذا الجمال هو أسلوب الحوار .

ما رأيك فيمن يترجم لك « الجمهورية » مهملا أسلوب الحوار ويصوغها في قالب نثري عادي ككتب ابن سينا وأرسطاطاليس .

— ما أظن أن التاريخ الأدبي سطر تحويل قصة تمثيلية إلى حكاية قصصية قبل المنفلوطي ولكنه سطر تحويل القصص إلى تمثيل إلا شيئا لا يؤبه به .

يخيل إلى أن استشهادك بنقل القرآن ليس بمقنع . فالقرآن لم ينقل من حيث هو أثر فني فحسب . وإنما نقل لأنه كتاب دين ولأن نقله أمر لا بد منه ، فأما كتاب سيرانو فأثر فني ، وآية من آيات الجمال ليس غير .

---

(١) البلاغ — ١٩ سبتمبر ١٩٢٣ .

وكتاب المنفلوطى مع ما فيه من التشويه والمسخ لم ينقل عن الأصل وإنما نقل عن ترجمة وعن ترجمة عربية فياضيعة الوقت ويا للحرص على الشهرة وبعد الصيت .

أحب أن لا تكون مقالاتك مشجعة للمفسدين الفنيين على إفسادهم وللادعياء فى الأدب على أن يسرفوا فى إدعائهم ويخيل إلى أن أحسن أثر الفلسفة انما هو تقدير الأشياء وإقرار الأمور فى نصابها .

٥ ـ رد منصور فهمى ـ حول قصة سيرانو

إنك مهما تشددت فى النقد فلا تجد مايبرر لك ذكر المنفلوطى مع الادعياء وإنى مهما تساهلت فى الفن ، فلا استكثر وصف الكاتب الأديب عندما أذكر المنفلوطى

إنك تجد جريمة تريد أهل القانون أن يلتفتوا إليها إذ تحول قصة سيرانو من قالبها التمثيلى إلى صورة قصصية . وانك تجد غريبا ومضيعة للوقت أن تصيب الرواية فى الشكل القصصى بعد أن ترجمت فى شكلها التمثيلى الأصيل .

وأنك فى الوقت نفسه تقول : إن قراءة الموضوع أسهل على الناس فى تركيبه القصصى منه فى تركيبه التمثيلى ، فهلا ترى أن المنفلوطى وقد حافظ على الأصل أدى خدمة للجمهور إذ سهل عليهم قراءة هذا الموضوع الجميل ، أم ترى أن يسهل الأدب والفن والعلم على العامة إثما ، ليس له فى ساحة غفرانك نصيب .

لا أخالك تقول بذلك وأنت تعلم أن اكبر العلماء واحرصهم على لغة الفن والعلم يغشون جامعات الشعب فيلقون فيها نتائج أبحاثهم العويصة سهلة

حلوة المذاق ويقيدون نتائج كدهم فى كتب مبسطة ليسهلوا تناول العلم والفن على من لا يألف من الناس لغة العلوم والفنون حتى ولو فرطوا فى مصطلح العلم ووقائعه .

فإذا كنت ترى بدعة تحويل الرواية التى نحن بصددها إلى قصة ، فتلك بدعة صالحـــة لا يستهجنها الذوق السليم ويستحق المبتدع عليها كل الحمد والثناء .

زد على ذلك أن لـكل لغة أسلوبا فيه رواؤها وبهاؤها فإذا كان أسلوب المحاورة والتمثيل يتمشى مع بهاء اليونانية والفرنسية فإن العربية يتمشى مع روائها أسلوب القصص ، على ذلك لم يكن المنفلوطى ليمسخ الفن أو يشوهه كما تقول بل حرص عليه إذ يحول الفن الغربى إلى فن عربى صميم .

أدعوك بالوداع .. على أنى عندما اذكر نقدك على المنفلوطى أدعوك بالتحامل القاسى .

٨ — آداب الساندويتش

بين الزيات والمازنى والعقاد

هذه مساجلة هادئة حول الأدب فى دور من أدوار تحوله ؛ عندما انتشرت ظاهرة الأدب السريع الصحفى ، الذى لا يرعى قواعد النحو ولا أصول اللغة ، وهى صيحة تصور مدى الخطر الذى تعرض له الأدب فى هذه الفترة ، وقد أثار المناقشة : أحمد حسن الزيات واشترك فيها ابراهيم عبد القادر المازنى وعباس محمود العقاد وتوحى هذه المساجلة بالنذر التى قلت بعد الحرب العالمية الثانية حين استفحلت نزعة أدب الساندويتش وتورط فيها كثير من كبار الكتاب وحملت لواءها صحافة ذات اتجاه واضح .

١ — أدب الساندويتش[1] : أحمد حسن الزيات :

أريد الأدب الذى تتأدبه ناشئة اليوم : والثقافية الأدبية اليوم لا تختلف فى سرعتها وتفاهتها وفسادها من هذا النوع الجديد من الأكل ، فهى نتاف من الكتب ولقفات من الصحف وخطفات من الأحاديث ومطالعات فى القهوة أو الترام . يلفظ الكلام فيها النظر الخاطف . كما يلفظ الحب الطائر الفزع ثم نتاج مختصر معتسر كجنين الحامل أسقطته قبل التمام . وصواخ مزعج فى أذنى هذا السقط ليستهل وهو مضغة من اللحم المسيخ لا تشعر ولا تنبض .

يقول أنصار الساندوتش فى الأدب : أن قواعد اللغة قيود لا توافق حرية العصر ، وأساليب البلاغة عوائق لا تجارى قراءة السرعة وبدائع الفن شواغل لا تساعد وفرة الإنتاج . والحق الصريح أن آكلى السندويتش أعجلتهم حوافز العمل ومشاغل الرزق عن النعيم الآمن والجمام الخصب والبيت المطمئن فجعلوا صعلكة المطاعم نظاما وفلسفة .

آثار هذا الموضوع فى ذهنى طائفة من الرسائل النقدية تلقيتها من أقطار

(١) الرسالة — ١٤ يوليه ١٩٣٢ .

العربية تستنكر بعض ما تظهر المطابع المصرية من لغو الكهول وعبث الشباب وتشدد النكير على بعض الأحاديث الأدبية التي تبثها الإذاعة اللاسلكية . والواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء النابهين نفر قليل . فإذا استثنيت هؤلاء الستة أو السبعة وهم من الكهول الراحلين وجدت طبقة الأدباء كطبقات الصناع والزراع والتجار يأخذون الأمور بالتقليد والمحاكاة لا بالدروس والمعاناة .

وكما تجد من هؤلاء من ينشىء المتجر ثم يكله إلى اجنبي بنظمه ويرتبه تجد في أولئك من يؤلف الكتاب ثم يدفعه إلى نحوى يعربه ويهذبه .

٢ — رد إبراهيم عبد القادر المازني

نعى[١] صديقي الأستاذ الزيات ـ صاحب الرسالة ـ على أدباء هذا الجيل الجديد جهلهم بلغتهم وتقصيرهم في تحصيل آدابها ..

وهذا صحيح .. وأحسبني من الستة أو السبعة الذين أشار إليهم الأستاذ. وأني لمن الكهول فقد جاوزت الأربعين وقاربت الخمسين .

عرفنا القراءة والإطلاع ونحن تلاميذ في المدارس الثانوية (وبعد أن تحدث المازني عن جهده في صرف كل مليم على شراء الكتب) قال : ومن العناء الذي تكلفته أني اشتريت الأغاني الذي طبعه (الساسي) اشتريته ورقا على عادتي فكنت أراجع الأبيات التي ترد فيه ، في دواوين الشعراء أو كتب الأدب الأخرى فاصلحها أو أتمم القصيدة ـ أنسخ ذلك في ورقة والصقها في الكتاب . وكلما فرغت من جزء جلدته وقد أصبح ضعف ما كان ، وهذا هو

---

(١) الرسالة ـ ٢١ يونية ١٩٣٧ .

الكتاب الوحيد الذى بعته بأضعاف ثمنه فقد اشتريته بمائة قرش وخمسة قروش . فلما بعت مكتبتى عام ١٩١٧ أو ١٩١٨ ، لا أذكر ، ابتاعه منى وراق بخمسين وسبعمائة قرش . وقد ندمت على بيعه فما استطيع اليوم أن اصنع الآن ماصنعته قديما .

وإنا مع ذلك أقل الثلاثة — العقاد وشكرى — إطلاعا وصبرا على التحصيل ، وادع للقارىء أن يتصور مبلغ شرههما العقلى ، ولا خوف من المبالغة هنا ، فإن كل ظنى دون الحقيقة التى اعرفها عنهما . وأنا اجتر كالخروف ولكنهما يقضمان قضم الأسود ويهضمان كالنعامة ، فليتنى مثلهما .

٣ — السندويتش والمائدة : عباس محمود العقاد

أدب[1] السندويتش هو أدب الفاقة والعجلة . وأدب المائدة واليسار والوقار كما سماها الكاتب البليغ الأستاذ الزيات وأصاب فى التسمية لأنها تسمية وتوصيف وتعليل فى وقت واحد .

وقد ختم الأستاذ مقاله سائلا : ليت شعرى إذا خلت أمكنة هؤلاء النفر — أدباء الكهول — الذين نبغوا بالاستعداد والإجتهاد ، كيف يكون حال الأدب الرفيع فى مصر ؟ ايذهبون وبطئان ما يعوضون على رأى الأستاذ أحمد أمين . أم يذهبون وسرعان مايخلفون على رأى الأستاذ العقاد ؟

وفى جواب هذا السؤال أيضاً لست من المتشائمين لأن الجواب بعضه من سر المستقبل . وبعضه من حقائق الماضى .

قبل ربع قرن من الزمان كان اناس غير قليلين يسألون كما يسأل الأستاذ

(١) الرسالة — ٥ يوبية ١٩٣٧ .

الزيات اليوم : ترى من يرفع لواء الأدب بعد اعلامه البارزين فى هذه الأونة ! ترى هل ينطوى اللواء بعدهم أو تهيىء له الأيام أكفاء تنشره كما تشروه وتعزه كما اعزوه .

ولم يكن اسم واحد من الاسماء الستة أو السبعة الذين أشار إليهم الأستاذ الزيات معروفا تلك المعرفة التى تغنى عن إجابة السؤال . وربما كانوا مجهولين كل الجهل فى غير مجال الأصحاب أو مجال المتطلعين المتسمعين إلى أبعد الأصداء .

فإذا سألنا فى معرفة الجيلين مثل هذا السؤال ورأينا البوادر تملى علينا مثل ذلك من الجواب . فليس من اللازم أن تصدق البوادر وأن ينقضى خمس وعشرون سنة أخرى دون أن يخلف السابقين عوض من اللاحقين .

وإنا لنذكر اليوم الستة أو السبعة القائمين بأمانة الأدب وننسى الستين أو السبعين الذين كانوا يهزلون . كما يهزل البعض الناشئين فى أيامنا . ويتبلغون بالقليل من زاد الإطلاع كما يتبلغ أدباء الساندويتش بيننا . نسينا اولئك الستين أو السبعين لأن الزمان قد نسيهم وعفى على أسمائهم وآثارهم . ولكنهم كانوا فى ايامهم يحجبون ويشبهون الشخوص على الانظار ويبعثون اليأس ويثبطون الرجاء .

وفى العالم كله نوازع شتى تنزع بالناس الآن إلى الأدب الرخيص أو ادب الساندويتش أو ادب الفاقه والعجلة . . ثم قال : تلك النوازع من بلاد العالم كله على اختلاف النظم الاجتماعية خليقة ان تنصر أدب الفاقة والعجلة وتنحى على أدب اليسار والوقار . ولكنا نرجع إلى العصور الغابرة فلا يصادفنا عصر منها إلا كانت فيه نوازع كهذه النوازع فى نصرة الأدب المبذول وخذلان الأدب الكريم العزيز .

أما فى مصر ؛ فأدب الجد والأمانة والرصانه والترفع عن القشور إنما يقوم على كواهل اصحابه ولا يقوم على كواهل القراء . وكل ما تملك من عزاء أن الجد والهزل فى هذا الباب يتساويان فليس بيننا كاتب هازل يعيش بهزله . وليس بيننا كاتب جاد يعيش بجده .

إما عندنا فحين ظهر بيننا من ينعتون أنفسهم بمدرسة الشباب لم يكن معهم شىء جديد ، ولادليل على الحداثة غير شهادة الميلاد، وراحوا فى دعوتهم يميعون تميع الذى يربت على عطفيه ويتحبب إلى نفسه ويفرط فى تدليل سنه كأنه يتقدم فى سوق الرقيق لا فى ميدان الفكر وحلبة الصراع . .

٩ — أدبنا : هل يمثلنا

بين أحمد أمين وأمين الخولى

هذه مناقشة هادئة بين أحمد أمين وأمين الخولى حول ادبنا : هل يمثلنا أو لا يمثلنا؟ بدأها أحمد أمين فألقى نظرة متشائمة على الأدب ورأى أن أدبنا لم يصل بعد الى القدرة على تمثيل كل جوانب حياتنا ، بينما قال أمين الخولى أن أدبنا يمثلنا وأنه فى « تقلقلة » ليس إلا صورة صادقة كل الصدق لحياتنا الاجتماعية .

١ — أدبنا الآن لا يمثلنا — أحمد أمين

فى رأيى أن الأدب العربى بحالته التى هو عليها الآن لا يصلح أن يكون غذاء كافياً للجيل الحاضر سواء فى ذلك الأدب القـــديم والأدب الحديث والأدبين معاً .

قد يكون الأدب الإنجليزى قديمه وحديثه صالحاً للانجليز فى الوقت الحاضر وقد يكون الأدب الفرنسى والألمانى كذلك . أما الأدب العربى فليس صالحا للأمم العربية .

ذلك ؛ لأن الأدب إنما يعد صالحا للأمة إذا كان مظهرها تاما شاملا صادقا لحياتها الاجتماعية على اختلاف أشكالها فى جدها وهزلها وفى صبا أفرادها وكهولتهم وشيخوختهم ، فى آلامها وامالها ، فى حياتها اليومية . فى البيت والمصنع والمسجد ودور اللهو والتمثيل والموسيقى . فى حياتها السياسية وحياتها الاقتصادية . وعلى الجملة فى كل شىء فيها . فما استطاع أدب الأمة أن يملأ هذا الفراغ عد أدبا صالحا كافيا وإلا لم يكف وحده فلننظر فى ضوء هذه النظرية الى الأدب العربى . فماذا نجد ؟ نجد أن الأمم العربية — من مصريين وشاميين وعراقيين وغيرهم — بين أدبين : أدب عربى قديم وأدب عربى حديث .

فأما الأدب العربى القديم فلا يمثل إلا اجياله ولايمثل جيلنا . وهو صورة للحياة الاجتماعية التى نشأ فيها . وليس صورة لحياتنا .

وهذا النوع من الأدب العربى القديم لايصلح أن يمثلنا ولا يسمى أدبا لنا بالمعنى الدقيق للكلمة ولا يقول به عاقل .

ولست أشك أن قسما منه صالح لكل زمان ومكان ، كالحكم والمواعظ وتمثيل العواطف العامة المشتركة بين الناس كلهم كالسرور والحزن والوفاء والغدر .

والنتيجة لهذا كله أن الأدب القديم ثقافة الخاصة لا ثقافة العامة . وثقافة العدد القليل لا الجم الغفير . وليس يكفى ذلك وحده فى أداء رسالة الأدب العامة إذ هو لا يؤدى رسالته حتى يجد الناس فيه عامتهم وخاصتهم التعبير الفنى عن مشاعرهم .

أما الأدب الحديث العربى فهو كذلك لا يكفى لغذاء الجيل الجديد لأنه لم يملأ حياتنا ، وإن شئت فاستعرض كل شئون الحياة تجده لم يحقق رسالة ، فإن أحببت أن تضع فى يد أطفالك فى سنهم المختلفة كتبا فى القصص أو فى الثقافة العامة لم تجد إلا القليل الذى لا يكفى على حين تدخل المكتبة الأوربية فيملأك العجب والإعجاب من وفرة الكتب للاطفال على اختلاف أنواعها ومما حليت به من الصور الجذابة والاسلوب المشوق البديع .

والواقع أن أدب كل أمة يجب أن يساير نهضتها ، وادبنا الآن لا يمثلها وهو وراء نهضتنا ويجب أن يكون امامها وهو كالثوب القصير للرجل الطويل . أو كالثوب المرقع للرجل الغنى أو كالثوب البدوى للمرأة المتحضرة .

وأهم علاج هذا النقص عناية العالم العربى بإيجاد طائفة تثقفت ثقافة عربية واسعة . وثقافة غربية واسعة ثم تتولى بعد الإنتاج .

٢ — أدبنا الآن يمثلنا : أمين الخولى

أن دأبنا يمثلنا فى هذا العصر تمام التمثيل وليس يثبت ذلك إلا أن ننظر لحياتنا . ونتفق على من نحن الآن ! ولسنا إلا شرقيين قد ورثنا حضارة لها مزاجها وكيانها . ثم طلعت علينا حضارة غربية لها مزاج آخر وكيان آخر.

وهاجمتنا محاولات لإحياء قديم أسبق من الحضارتين تثير عصبيتنا لمجد شادة الفراعين . فنحن بين هذا وذاك أشتات بدد : يذهب كل فريق إلى ناحية ويلوذ بزاوية أو يقوم فريق وسطاً بين هذا وذاك . ومظاهر هذا التقسيم واضحة فى حياتنا فلا أقول لك مثلا أن فى مصر دارين للآثار : مصرية وعربية ودراستين للآثار : مصرية إسلامية ولكن أقول لك أن لدراسة الادب فى مصر معاهد ثلاثة : كلية الآداب تجنح للثقافة الحديثة الغربية ، والازهر بكلية اللغة العربية تحتفظ بالشرقية جاهدا ودار العلوم تميل إلى هنا حينا وتصدعن هناك حينا .

وانظر مع ذلك فى صفوف التعليم عندنا تجد المثقفين قد وردوا مناهل العلم فى جامعات الغرب وتعرفوا إلى الحضارة النشطة القوية العاملة وتذوقوا أو حاولوا تذوق صنوف الفنون المبدعة فى مثلها السامية ، وإلى جانب هؤلاء متعلمون قد عكفوا على القديم ليس غير ، فهم يحرمون الفنون ويودون بجدع الانف لو مزقوا الصور وحطموا التماثيل . يعدون المتحف المصرى داراً للاصنام وبقية من جاهلية وثنية ثم هناك آخرون قد مروا بمدارسنا المدنية وقطعوا مراحل التعليم فيها فتنسموا ريح تلك الحضارة الحديثة واتصلوا بتلك الفنون اتصالا تاما .

وآخرون قد أصابوا حظا من ذلك يختلف قلة وكثرة . وضيقا وسعة ، وإلى هؤلاء وأولئك ترى ناسا توسطوا بين هذه الأطراف ونالوا نصيبا من كل جانب يتحدثون إلى أهل القديم فيفهمونهم ويجدون من قديم اصطلاحهم وموروث علمهم بما يرضى ويطمئن .. فلعل أصدق ما يقال فى وصف أدبنا الآن أنه يمثل مصرية قد ائتلف عنصراها . والتقى وفاق طرفاها . وقد طاب منها الأصلان وكرم العنصران ؛ من فرعونية قادت الإنسانية وأسست المدنية وعربية شاركت فى تمدين الدنيا وحملت مشعل الهـــدى فنحن منهما بين أصلين كريمين .

ففى الحق أن أدبنا فى عربيته وغربيته وقدمه وحداثته . ثم فى تعلقه وتقلقله ليس إلى صورة صادقة كل الصدق لحياتنا الاجتماعية التى لا يترجم لها عنوان موحد ولا تبرز لها صورة مكتملة .

١٠ ـ غاية الأدب : ما هى ؟

بين زكى مبارك وسلامة موسى

كانت حملة سلامة موسى على الأدب العربى مثاراً لمعارك متعددة ، كان أبرزها معركته مع زكى مبارك . يرى سلامة موسى : أن غاية الأدب هى توجيه الحياة الاجتماعية وأن الأدب الحديث انفع من الأدب القديم . ويرى زكى مبارك أن الأدب وثيقة تسجيل فيها مظاهر الحياة الاجتماعية وقد تصير دستوراً تخضع له هذه الحياة :

١ ـ الآداب الباقية : رد زكى مبارك على سلامة موسى(١) :

كنت بينت للخصم الشريف سلامة موسى وجه الخطأ فيما ذهب إليه من الدعوة إلى الإقلال من العناية بالأدب العربى . وكانت حجتى أنه يعنى بالأدب الفرعونى مع انه أدب موغل فى القدم ، وأن الأستاذ عبد القادر حمزة يبذل جهوداً عنيفة فى شرح الأساطير الفرعونية ، ولم يقل أحد انه يضيع وقته فيما لا يفيد . فكيف يلام رجل مثلى إذا قصر عمره على درس الأدب العربى مع انه أدب حى لا يزال يسيطر على أذواق الناس فى المشرق والمغرب ، وهو فوق ذلك يفسر غوامض النفس العربية التى تلقت الإسلام ونشرته فى العالمين .

وأعود فأقرر أن لدراسة الأدب العربى غايات اخرى غير تلك الغايات الدينية وأبدأ فانقض حجة الأستاذ سلامة موسى إذ يرى أن غاية الأدب هى توجيه الحياة الاجتماعية وأن الأدب الحديث انفع دائما من الأدب القديم .

وعندى أن الأدب كما يكون ضربا من الإصلاح يكون نوعا من الوصف وهو وثيقة تسجل فيها مظاهر الحياة الاجتماعية ، وقد يصير دستوراً تخضع له الحياة الاجتماعية . فإن كنت فى ريب من ذلك فراجع كتب الأدب فى القديم والحديث تراها سجلات دونت فيها أزمات القلوب والنفوس والعقول.

---

(١) ك : الأسمار والأحاديث ص ٢٧٠ .

والكتاب الاجتماعيون يعيشون فى عالم الواقع كما يعيش رجال القوانين ، ولذلك نراهم يهتمون بشئون لا يلتفت إليها احد من الشعراء ، والأستاذ سلامة موسى كاتب اجتماعى وليس بأديب واللغة عنده ليست إلا أداة تفاهم وكل تأنق فى العبارة يبدو لعينيه وكأنه لغو وإسراف . والادب القديم لا يمكن أن يحتل رأساً مثل رأس الأستاذ سلامة موسى .

أما الأديب - وأرحمتاه للأديب ! - فهو إنسان لايعرف غير عالم المعاني وليس للدنيا فى نفسه حدود ولا تواريخ فهو يلتمس الحكمة حيث وقعت ، الحكمة الجميلة التى تحمل طابع الحق والخير والجمال .

الذى يهمنى أن اقرر أن الاديب لا يشوقه غير المعانى ، وهو من اجل ذلك لا يتقيد بالحدود التاريخية ولا الجغرافية وهو لا يعنى بالمشاكل إلا من الوجهة الإنسانية . أما الاوضاع الاجتماعية فوقفه منها موقف الوصاف الذى يشرح المحاسن والعيوب .

وهذا لا يمنع أن يكون الاديب من اهل الكفاح ، وهو حين يكافح يصبح قوة خطرة فى الحياة الاجتماعية لانه يحلق دائما فى الاجواء العالية ولا يقنع بالقليل .

٢ - قد يكون سلامة موسى فى دينه أصدق منى فى دينى والله أعلم بالسرائر . ولكن من المؤكد انى اصدق منه فى الوطنية فأنا أحرص على اللغة العربية والإسلام خدمة لوطنى . وأنا اغض النظر عن هفوات كبيرة لرجال الدين لأنهم على أى حال من الشواهد على أن وطنى له سلطة روحية ، وقد تطوع المسلمون فى مصر لمعاونة الاحباش أيام محنتهم بعدوان الطليان بغرض وطنى هو الشعور بأن الكنيسة القبطية لها سلطات روحية على عقائد الاحباش .

فهل يغار الاستاذ سلامة موسى على الازهر الشريف كما أغار على الكنيسة القبطية .

وهل من الكثير أن يكون منا عشرة أو عشرون أو ثلاثون يقضون أعمارهم فى دراسة ماضى اللغة العربية ، وهى اللغة القومية فى مصر منذ ثلاثة عشر قرناً وهل تعاب فرنسا وإنجلترا وإيطاليا بأن فيها مئات من الباحثين لا يهتمون بغير درس الذخائر من الادب القديم عند اليونان والرومان .

وفى العرب : نصارى ويهود ومسلمون لأن العروبة هى مصدر هذه الديانات الثلاثة ، ولو كان سلامة موسى من أرباب المآرب المادية لعذرناه وقلنا أنه رجل ينتفع من مؤازرة خصوم العروبة والإسلام ، ولكن سلامة موسى رجل عفيف القلب والجيب ولن يترك لاطفاله غير ماورث عن أبويه الكريمين فكيف يستبيح لنفسه أن يسىء إلى سمعة مصر العربية الإسلامية بلا جزاء .

٣ — إن اهتمام الاستاذ سلامة موسى بالكلام عن الحرمان وتفاوت الطبقات فتات خطفه من موائد الاجانب الذين كتبوا فى الاشتراكيه فليس فيه إصالة فكرية أما أعمالنا نحن فى درس أسرار اللغة العربية فهى الاساس لزعامة مصر فى الشرق فمؤلفاتنا فى الادب هى المظهر لمجد مصر .

إن تجنى سلامة موسى على مؤرخى الادب العربى بغير حق دليل على أنه جاهل وجهول وجهالة وجهال .

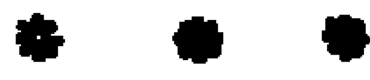
إنه يعادى لغة العرب لسبب بسيط وهو انها لغة القرآن المجيد .

١١ — متى يزدهر الادب

معركة بين لطفى جمعه وزكى مبارك

هذه مناظرة وقعت بين لطفى جمعة وزكى مبارك فى مارس سنة ١٩٤٠ فى مدرج كلية الآداب بالجامعة . صور هذه المناظر زكى مبارك بقلمه فرسم صورة للأساليب التى تتبع فى إعداد المساجلات وما يدور وراء كواليسها . وكيف يحرز أحد المتساجلين النصر .

موضوع المناظرة : يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الاجتماعية : أيد الرأى زكى مبارك وعارضه لطفى جمعه .



١ ـ سألنى فريق[١] من أعضاء كلية الآداب أن اشترك مناظرات هذا الموسم وعرضوا على طوائف من الموضوعات لم يرقنى منها غير موضوع « يزدهر الادب فى عصور الفوضى الاخلاقية » .

ولكنى اقترحت أن يعدل فتوضع كلمه « الفوضى الاجتماعيه » مكان الفوضى الاخلاقية ، ومضت أيام وأسابيع والاتحاد مشغول بالبحث عمن يناظرنى من اساتذة كلية الآداب ثم علمت أن الاساتذة لم يرقهم أن يناظروا « الشاغب الأكبر » على حد تعبير الدكتور هيكل باشا ، وهل من العقل أن يتقدم أحد الاساتذة لمناظرتى وقد شاع وذاع إنى اكبر الشاغبين .

هى تهمة ظالمة ولكنها حقت على وسأقضى بقيه العمر فى الدفاع عن نفسى ولكن بلا نفع ولا غناء لأن الناس عندنا يؤذيهم أن يصححوا رأيهم فى رجل ظلموه بلا بينه ولا برهان .

وأخيراً ظفر اتحاد الكلية برجل يناظرنى . ولكن أى رجل ؟ كاتب مشهور لى معه وقائع فى بعض الجرائد والمجلات ، فقلت فى نفسى ، هى مكرمة

---

(١) الرسالة ١٧ مارس / ١٩٤٤ .

من مكرمات الأستاذ لطفي جمعه فقد هداه القلب الطيب إلى أنني رجل ينهاه الأدب والذوق عن الاستخفاف بأقدار الزملاء .

كانت المناظرة لاتحمل المعنى الملفق لها ، وهي أن يحمل جانباً من الجانبين يعني أنه من انصار هذا الرأى ، وإنما الأمر أن يأخذ كل مناظر نصيبه من المناظرة ليفرض المتناظرين للجمهور ، ولا يعني هذا الإيمان بالرأى . ولذلك نعجب كيف قوبل زكى مبارك بالرزاية حينما تقدم لهذه المناظرة وانه سمع من الذين حاوروه فى المناظرة قول أحدهم انه لايستبيح مالا يباح فى تحقير الرأى الذى ارتضاه وهناك من أعلن عجبه أن يكون من موظفى وزارة المعارف من يحمل على الدعوة إلى الفوضى .

ويميل الاستاذ لطفى جمعه على أذنى وهو يقول :

أهنئك على ان عرضت سمعك للأراجيف فى سبيل الحق . فابتسم وانتظر أن يصنع ماصنعت ليظفر بتهنئتى . وينهض الخصم الشريف فيسلك فى تحقيرى جميع المسالك ويدعى إنى فوضوى أثيم وينهى الجمهور عن الإنخداع بأرائى ويعلن عجبه من أن يكون لى كتاب اسمه التصوف الإسلامى فى مجلدين كبيرين مع إنى من انصار الفوضى الاجتماعية ويقضى فى تحامله ساعة وبعض ساعة وأنا مطرق أكاد أذوب من الخجل والحياء .

وأعود إلى نفسى فأندم على تعريض سمعى لهذا الضيم البغيض . وأعرف إنى أخطأت فى قبول المناظرة مع الخصم الشريف . وأعاهد الله على اعتزال الناس إلى يوم الممات . ومن الذى يغرينى بصحبة بنى آدم ولم الق منهم غير شجا الحلوق وقذى العيون .

وقد اقمت دارى على حدود الصحراء لآنس بظلمات الليل ولأنسى إنى موصول الاواصر بهذا الخلق ولا ناجى موات البادية حين أشاء .

لطفى جمعه الرجل الفاضل الذى أثنيت عليه فى خطبتى إيقضى فى شتمى ساعة وبعض ساعة . تلك إحدى الأعاجيب إن كان الفكر فى زماننا من الأعاجيب ، اين أنا من دهرى وزمانى ، أمثلى يشتم جهرة فى كلية الآداب وقد حملت على كاهلى أحجار الأساس . هو ذلك وعلى نفسى أنا الجانى فقد عرضت سمعى للجدل الذى يسمونه مناظرات . وينتهى الأستاذ لطفى جمعه من خطبته بعد أن مزق ارائى كل ممزق وبعد أن شفى صدره منى وقد كانت بينى وبينه تراث وضغائن وحقود(١) .

موضوع المحاضرة

فى بلادنا تصطرع جميع المذاهب والعقائد وفى بلادنا تنتقل جميع العادات والتقاليد وفى بلادنا يلتقى البحران : بحر المدنية الشرقية وبحر المدنية الغربية وفى بلادنا يجتمع الضب والحوت وتمتزج أنغام المؤذنين بأصوات النواقيس .

عندنا برج بابل المشهور فى التاريخ . بل عندنا برجان هما : الأزهر والجامعة المصرية يتجه احدهما إلى الشرق فيكون خلف الضفة الشرقية للنيل ويتجه ثانيهما إلى الغرب فيكون حول الضفة الغربية .

فالأديب المصرى يغرب إن شاء فيرى القاهرة فى ثياب اليس ومرجريت ويشرق إن شاء الله فيراها فى عباءة ليلى وظمياء .

وبفضل هذه البلبلة بين الحضارة والبداوة نهضت قواعد الأدب الحديث.

٢ — النهضة الحقيقة للأدب الحديث ترجع إلى عهد مشئوم هو النزاع بين الرجلين العظيمين : عدلى يكن وسعد زغلول ففى هذا العصر صارت الكتابة والخطابة عنصرين أساسين فى تكوين الادب المصرى الحديث

---

(١) يقرأ معارك لطفى جمعه معه ، باب زكى مبارك وخصومه .

وبفضل النزاع بين عدلي وسعد خلقت جرائد ومجلات وأندية صار لها في نهضة الادب مكان ملحوظ وبفضله استطعنا أن نذيع في الشرق فنا جديداً هو الادب السياسي وهو فن كان انقرض بانقراض النضال بين أشياع بني أمية واتباع بني العباس ، وإليكم هذه النكتة : كان شاع إلى أخاصم الدكتور طه حسين فكتبت في الهجوم عليه مقالات كان لها وقع حسن أو سيء عند قراء اللغة العربية .

وكان بيني وبين الدكتور طه ود وثيق ولكن رعاية هذا الود لم تنفع الادب لان كل مايصدر عنه كان يقع في نفسي موقع القبول ، فلما ثار علي وغضبت عليه أتيت في مصاولته بالاعاجيب ، واطلع الاستاذ محمود بسيوني على تلك المقالات فانزعج أشد الانزعاج وسعى للصلح بيني وبين الدكتور طه في حفل مشهور حضره العمداء وكبار الاساتذة بكليات الجامعة المصرية. فهل تعرفون نتيجة هذا الصلح المشئوم أو الميمون ؟ تلفت الناس متوجعين لضياع فرصة ثمينة هي فرصة الجدل حول المذاهب الادبية فهل فيكم من يتفضل بالسعاية بيني وبين الدكتور طه لارجع إلى مصاولته حديد .

٣ — لو سلم المجتمع من الاضطرابات لاغلقت المحاكم ولم يبق أمام الاستاذ لطفي جمعه إلا الفرار إلى الريف ليأخذ قوته مما تخرج الارض بجهاد الفأس والمحراث .

١٢ — الادب المكشوف

بين توفيق دياب وسلامه موسى

سلامه موسى(١)

كان «الأدب المكشوف» من الموضوعات التى كثر حولها الجدل وتشعب القول . وقد جرت مساجلة بين سلامة موسى وتوفيق دياب فى ٩ ديسمبر ١٩٢٧ عن الأدب المكشوف والأدب المستور ثم لم تلبث جريدة السياسة أن فتحت مجال المناقشة وكان السؤال هو : هل يضيرنا أن يسمى كتابنا الأشياء بأسمائها وأن يكتبوا أو يعربوا لقارئاتهم وقرائهم ما تنطوى عليه مخادع الزوجين أو الخليلين من أسرار طالما ظلت مكتومة أم هل نقول بأن التعمق فى وصف التفاصيل مضعف لأخلاق الناشئين والناشئات ، شديد الإثارة للشهوات وإذن يجب أن تلم الأقلام بعض الشىء فلا تخوض فى هذه الأمور إلا على حذر واستحياء

وقد دافع سلامه موسى عن الحرية المطلقة فى الأدب وعدم التقيد أصلا بالاخلاق بينما ... توفيق دياب من جهة النظر الأخرى ودخل المعركة كثيرون من بعد واستمرت سنوات طويلة

موضوع الادب هو موضوع الطبيعة البشرية فى حقيقتها والتسامى بهذه الطبيعة إلى ماهو أرقى منها مما يبصره الاديب بما يشبه بصيرة النبى . فالعلم يقرر الواقع ولكن الادب يسمو بالواقع إلى ماهو أرقى منه . فالعلم كالصورة الفوتوغرافية والادب كرسم اليد .

فإذا عالج الاديب موضوع الحب فهو لايقنع بما هو مألوف من العلاقات الجنسية بل يسمو بها إلى ماهو أرقى من المألوف ، فإذا احتاج فى ذلك إلى صراحة تامة فيجب أن يمنح هذا الحق أن للأديب قيداً واحداً فقط يتقيد به هو إخلاصه فى عمله وله الحق مادام مخلصاً فى أن ينال الحرية فى أن يبحث بصراحة كاملة جميع مسائل الجنس كما يبحث العـــــالم مسائل الغازات السامة مثلا .

(١) نشرها فى المجلة الجديدة (المجلد الأول — ١٣٠) .

وليس فى الأدب كله ضرر نشأ من الصراحة يساوى أو يقرب من الضرر الذى نشأ من الغازات السامة .

قد يقال أننا يجب أن نراعى الاخلاق ونحتشم فى وصف العلاقات الجنسية فإذا فعلنا ذلك هل نمتنع من قراءة (ثورة الملائكة) التى وضعها أناتول فرانس أو (الجريمة والعقاب) لدستوفسكى وفيها أوصاف بالغة للدعارة .

إن الاديب الذي يعالج العلاقة الجنسية قد يصارح القارىء أو المشاهد بأشياء كثيرة ، ولكن لإخلاصه وأن بصيرته تنزع إلى السمو لا يستثير فى القارىء شيئا من الشهوات الدنيا .

إن الذى يثبته علم النفس الحديث أن الصراحة والوقوف فى وجه الغريزة الجنسية . والكلام عنها كل هذا لا يضر بل يفيد ، أن الذى يضر ويؤذى هو مجابهة الموضوع والابتعاد عنه بتاتا بالقول والعمل .

وهنا نرى مهمة الاديب الصريح إذا عالج موضوع الشهوة الجنسية أمكنه أن يفتح أمام الشباب باب التسامى ، أى أن ينقل حبه للمرأة إلى حب للفنون الجميلة عندئذ تستحيل هـذه الشهوة البهيمية إلى العمل للشرف والقوة والمجد .

وليس للأدب علاقة بالاخلاق .

إن ستر الحقائق يجعلها أجذب للنفس من شعورها ، وإبعاد المسائل الجنسية عن الادب أو عدم المصارحة فى الكلام فيها يجعل الذهن أعلق بها ويفتح الطريق للكاتب المنحط الذى يلجأ إلى الرجس .

الادب السافر يجعلهم يحسون الحياة كما هى أى الحقيقة والواقع فلا يحدثه الإنحراف الذى تجلبه المجانبة .

إن الادب كالعلم يجب أن يبقى حراً . ثم أن علم النفس الحديث يبين لنا أن المصارحة فى المسائل الجنسية خير من المواربة وأن معظم الامراض الجنسية تنشأ من المجانبه والابتعاد .

٢ — توفيق دياب : الأدب المسور[1]

إن وظيفة الآداب والعلوم والفنون مهما اختلفت موضوعاتها وظيفة سامية أو يجب أن تكون سامية . ذلك أن وجهة الإنسانية هى الرقى فى جميع بواطن النفس وظواهرها .

وعندى وعند كثير ممن هم أجل منا مقاما فى عالم التفكير وتصوير قيم الأشياء وغاياتها أن كل علوم الناس وآدابهم وفنونهم يجب أن تكون خداما وأعوانا لمثال الإنسانية المنشود ، فأما أن يشذ الأدب عن سائر عناصر الثقافة وعوامل التهذيب فيجعل همه مصروفا إلى مجرد (الوقائع الحادثة) مهما تكن تلك الوقائع مزرية بالغاية الإنسانية العليا مغرية باللذائذ الدنيا ، فذلك ما نخالف فيه أخانا الناقد والآخذين أخذه .

وتشمل اللذائذ الدنيا كل شهوات البدن إذا خرج بها صاحبها على حرمة الأفراد أو الجماعة أو وقف عليها من فكره وجهوده ماقد يشل معه مواهبه العليا ، ونحن نزعم أن كثيراً جدا من مادة الأدب الحديث منصرف إلى تلك الشهوات ، دافعا إليها دفعاً شديدا وكيف يتفق (الخيال المهذب الراقى) وتلك العريانة المستهترة التى لا تدع للخيال الراقى مجالا .

لو وضعنا كل شىء يقع وضعاً فنياً لاستحالت كتب الأدب وأثار رجاله

(١) السياسة الأسبوعية (مجلد ١٩٢٧) .

أو كثير منها إلى حانات معنوية ومواخير مبتذلة له مقرها رءوس الكتاب والقارئين وأشخاصها أولئك (الأبطال) الذين يصورهم لنا (الفن الأمين) غارقين إلى الأذقان فى لجج الشهوات ممعنين فيها إمعان من لا يرى فى الحياة متاعا يعلو متاع الحيوان .

إن القطيعة التى يزعمها بعض الباحثين من الأدب القومى والخلق الإجتماعى قطيعة وهمية لا أساس لها من الواقع إذ الواقع ، أن التفاعل بين الأدب والأخلاق متواصل لا ينقطع .

٣ — حافظ محمود : الأدب المكشوف

إن الأدب الصحيح ليست مهمته أن يصف لنا (ماتنطوى عليه مخادع الزوجين أو الخليلين من أسرار ، ولست مهمته أن يبلغنا ملابسات العاشقين ومداعباتهم .

إن وظيفة الأدب فى الحياة وظيفة فنية قوامها : أن يصور لنا الوقائع الحادثة والحقائق الزمنية إلى جانب دخائل النفس تصويراً صادقاً لا يداخله غلو فى شىء ولا إغراق فى شىء .

فالمقصود من الأدب ليس الحكمة أو الموعظة ، وإنما هو أن يعطينا صورة لأنفسنا ويترك للتاريخ صورة من حياتنا ، فإذا اعتبرنا ما تنطوى عليه مخادع الزوجين أو الخليلين صورة من التفسير الإنسانى صحت علينا الأمانة الفنية أن نذكرها على ماهى عليه من واقع لا تغيير ولا تغرير فيه .

أما أن يكون التفصيل فى هذه المواضيع مما يضعف المقاومة ويحلل المناعة بين الفتيان والفتيات فهذا شىء ليس متصلا بالأدب إنما هو موضوع الخلق الاجتماعى فى الأمة .

٤ — عزيز طلحة[1]

نشأ هذا النوع من الأدب نشأة سهلة لم يكلف الذين ولغوا فيه عناء ولا جهدا فليس هو الأدب الذى يستدعى بحثا أو تمحيصا ، وليس هو الأدب الذى يتصل بالدراسات الفنية بسبب ويكفى أن نغزل عن شىء من الأخلاق ويكفى أن نستبيح شيئاً من المجون والاستهتار ليخرج للناس أسلوباً جديداً يغفو منه الذوق وتمجه النفس .

وإذا أنت حاولت إقناع أصحاب الأدب الرخيص بأنهم حين ينشرون مثل هذا العبث فى مختلف البيئات يجنون على الأدب أولا وعلى النواميس الاجتماعية يزعمون أنك قديم وإنك مادمت قديما أو من أنصار القديم فأنت عدو لكل جديد .

٥ — إبراهيم المصرى

أغلب الجمهور عندنا نظراً لاجتيازها فترة الانتقال الحاضرة يعتقد أن المقصود بالادب المكشوف : هو أدب التبذل والتهتك وتصوير المحرمات الجنسية والميول المنحرفة المخزية وأن كل من يعالج هذا الادب إنما يرمى إلى نشر الإباحية الممقوته وأن من واجب الحكومات والمصلحين وقادة الرأى الحكام محاربة هذا الادب وأصحابه حرصاً على أخلاق الامة .

وليس شك أن من حق الادب الصحيح على الادباء المصريين[2] المثقفين ألا يقفوا سكوتاً حيال خلط كهذا . وألا يسمحوا — وهم الذين يتولون جهود الجبابرة فى تعديل القيم الادبية وتقويمها — بأن تظهر فى الجو الفكرى فى

---

(١) البلاغ ٢٤ نوفمبر ١٩٣٦ . (٢) الهلال (يوليو ١٩٣٧)

مصر خرافة مرعبة تحمل اسم الأدب المكشوف وهى فى الواقع ليست من حقيقة هذا الادب فى شىء .

والغريب أن الأدب المكشوف اسم غير معروف فى أوربا حيث ابتدع هذا الادب وإنما هو اسم ابتكرناه نحن وخلعنا عليه ثوبا صارخا مما جعل المحافظين التقليديين يرون فيه الشىء الكثير من معنى التحدى .

وما نسميه نحن أدبا مكشوفاً يسمية الغربيون (ناتوراليزم) أو(رياليزم) أي رسم الطبيعة كما هي .

أما أدب التهتك والتبذل فلا يعتبر هناك أدبا يطلق عليه إسم (بورنوجرافى) للتفرقة بينه وبين الادب الصحيح .

والناتوراليزم أو ما يسمى عندنا بالأدب المكشوف مذهب يعترف بحرية الكاتب فى أن يقول كل شىء ويرسم كل شىء وينقد كل شىء فى حدود أدب القول مادام حسن النية رائده وتصوير الحقيقة البريئة غرضه الأول والأخير .

وهذا الأدب يتيح للقصص بصفة عامة أن يصور أخفى الغرائز البشرية ويحدثنا عن أطوارها وتقلباتها وتفاعلها وما يتولد عنها من إعراض تصطبغ بها الشخصية الإنسانية فى فترة من فترات حياتها .

وإذن فالمقصود بهذا الأدب ليس ترويج الإباحة الممقوتة ولا نشر التبذل والتهتك بل دراسة الإنسان والكشف عن ميوله الدفينة ونزعاته الغريبة التى تسيطر تمام السيطرة على معظم اتجاهات عقله وقلبه .

ومن الميسور جداً أن نفرق بين الأدب الصحيح الذى يرسم الأعراض

النفسية الغريبة ليهتدى إلى حقيقة الإنسان وبين الادب الزائف الذى يروج للتهتك ويتاجر بالشهوات ويعمل على هدم الاخلاق .

ومن مميزات الادب الأول أنه لا يبالغ فى وصف تلك الأغراض الجسمية والنفسية العربية ولا يخلع عليها حللا خيالية رائعة تستهوى القارىء وتفسده ولا يلتذ رسم الدقائق والتفاصيل الجنسية بل يعالجها فى أدب جم وحيدة تامة . ويقررها تقريرا هادئاً لا يؤثر فى أعصاب القارىء ولا تشوبه النية الخبيثة التى تخرج بالحقيقة عن محيط الادب وتهوى إلى درك العبذل .

عباس محمود العقاد(١)

معظم الادب الأوربى الذى تم بعد الحرب العالمية أدب ضرورة كثيفة وخضوع أعمى للحاجة العاجلةوليس بأدب حرية وتمرد على قيود الضرورة فقد اطلقت الحرب عشرات الملايين من الجنود عاشوا فى الخنادق معيشة الهمج الذين يواجهون ضرورة الجسم فى كل ساعة من الساعات وتعودوا نسيان التهذيب فى الشعور والذوق والكلام .

فإذا انطلق هذا الجيل المصاب فى دمائته وصبره وعزيمته يريد أن يفرض على الدنيا تلك الآفات والنقائض فليس هذا دعوة إلى التجديد وليست دعوة لورنس ولا اشتداد دعوة السريالية إلا من آثار النكسة وبقايا الخضوع .

---

(١) ٢٧ فبراير ١٩٣٤ — الجهاد .

إبراهيم عبد القادر المازنى(١)

النزوع الملحوظ فى أدب القصة الأوربية إلى تناول المسائل الجنسية بلغة صريحة — أو إلى الأدب المكشوف — كما يقولون شبيه بالنزوع إلى العرى بل الحركتان فرعان من أصل واحد ، وهى فى الغرب متسايرتان بخطى متقاربة وقد لا يكون ثم بأس فى الفشو فى نهاية الأمر . ولكن اليأس يكون من التجرد فى جماعة كاسية ، ومن الادب المكشوف لأذهان ألفت الاستتار ، وعلى أنى لا أرى مزية للمكشف لا تنال بالتحفظ بل أنى لأرى على الإنسان خسارة لا تعوض .

إن الإنسان عرف الثياب فهو يستر بها جسمه ولو ظل عاريا كغيره من الحيوان لما كان للمسائل الجنسية وذكرها — أو حتى رؤيتها — أى تأثير فى نفسه . فإنا نرى الحيوانات عارية ولا تخجل ونشهد تنزيها فلا تتحرك لذلك شهواتنا ، وكان يمكن أن يكون هذا نظر الإنسان إلى الإنسان لو ظل عاريا ، ولكنه استتر فكان من فضل الثياب أن صرفت ذهنه إلى حد كبير ، عن جسمه وشهواته إلى ما هو أسمى أعلى وإن جعلت ما فى الثياب شيئاً يستحى منه ولا يذكر إلا بعبارة مستورة مثله ، وصحيح أن الثياب أغرت بالتطلع والكشف ولكنها حجبت ، فوجهت النفوس والعقول وجهات أخرى . وكان من فضلها هذا الرقى ولا فرق عندى بين أن تصف المسائل الجنسية — شاذة كانت أو غير شاذة — وصفا صريحا فى قصد وأن تعرى إنسانا فى الطريق وتنزع عنه ثيابه .

وإذا كان أحد يرى فرقا فإنى لا أراه ، وما دام الإنسان يلبس الثياب

---

(١) ٦ يوليو ١٩٣٥ — البلاغ .

ويستتر بها فلابد أن يتوخى فى كتابته السكبح والضغط ، والثياب جمال مزيد ، وقد التمسها الإنسان أول ما التمسها للزينة لا المنفعة والجسم الإنسانى فى الثوب المناسب أجمل منه وهو عريان . وأفتن أيضا . وكذلك الكتابة الصريحة أقل جمالا وفتنة من اللغة المستورة . ومزية التحفظ فى الكتابة أنه يجعلها أقوى وأفعل وآنس وأسمى وهو بعد ذلك آمن لأنه لا يهيج شهوة ولا يشغل الذهن بما هو أسمى وأروع .

١٣ – التراث الشرقى : يكفى أو لا يكفى

بين عبد الرحمن الرافعى وعباس محمود العقاد

« هل يكفى التراث الشرقى لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين » .

هذه مساجلة هادئة بين عبد الرحمن الرافعى وعباس محمود العقاد حول « كفاية » التراث الشرقى لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين . أخذ فيها الرافعى جانب قصور التراث الشرقى وضرورة الترجمة وأخذ العقاد جانب كفاية التراث الشرقى .

عبد الرحمن الرافعى (١)

التراث الشرقى فى العلوم والآداب والفنون هو ولا شك تراث مجيد ولكنه مع ذلك لا يكفى لنضج الحياة العقلية الحديثة عند الشرقيين . بل يجب لكى يصل هذا النضج إلى مداه من التقدم أن يجمع إلى التراث الشرقى خير ما أنتجته وتنتجه القرائح والعقل البشرى فى الغرب ولا غضاضه علينا فى ذلك ؛ فإن الامم الاوربية نفسها وهى التى تم نضج الحياة العقلية فيها ، لا تفتأ كل منها تقتبس عن أية أمة أخرى فى الغرب أو الشرق ما يظهر فيها من مستحدثات التجارب والاكتشافات والمذاهب العلمية . ولذلك قالوا : إن العلم لا وطن له وإن كان العالم له وطنه .

ومما لاشك فيه أنه منذ الفتح العثمانى لمصر سنة ١٥١٧ قد وقفت حركة التقدم تماما فكسرت العلوم وانحط الادب وجهدت القرائح وتراجعت العقول وانقضت نحو ثلاثة قرون والشرق فى تأخر من الناحية العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . بينما الغرب قد أخذ بأسباب الحياة والنهوض فسبق الشرق عدة قرون من النضج العقلى . فبديهى أنه عندما ابتدأ الشرق يستفيق

(١) ص ٣٧٠ م السنة التاسعة ١٩٤١ (الرسالة) .

من سباته العميق فى نهاية القرن الثامن عشر كان لابد أن يقتبس عن الغرب ماسبقه إليه فى خلال القرون المتعاقبة .

ولم يتردد الغرب حين بدأ عهده بالبحث والنهوض أن يقتبس عن التراث الشرقى حضارته وعلومه فقد نقل علماؤه فلسفة ابن رشد ودرسوها وكانت ينبوعا لليقظة العلمية فى الغرب .

فمن الواجب إذن على الأمم الشرقية إلى جانب إحياء التراث الشرقى القديم أن يقتبس عن الغرب تراثه الجديد . وتأخذ عنه محاسنه ومزاياه ، ولو أن حركة التقدم قد تابعت سيرها فى الشرق ولم يقفها ذلك التأخر الذى أصابه خلال قرون عديدة لزاد من غير شك تراثه فى العلوم والآداب ولما سبقه الغرب فى هذا المضمار .

هناك وجهات نظر ثلاث لا تزال النهضة العلمية والعقلية فى الشرق مترددة حائرة بينها : « إحداها » ترمى إلى الإقتصار على التراث الشرقى القديم وإحيائه ، وقصر الحياة العقلية على حدوده ومقتضياته . وهذه الوجهة لا تكفى فيما أعتقد لاستكمال أسباب النهضة والحياة فى العصر الحديث . « والثانية » إطراح التراث الشرقى جانبا وقطع صلاتنا بالماضى واقتباس الحضارة الأوربية والعقلية الاوربية كما هى بما لها وما عليها وهذه أيضا وجهة خاطئة تنتهى بنا إلى اقتباس العيوب دون المزايا . وتؤدى إلى نوع من التبعية العقلية والثقافية لأوربا تتطور مع الزمن إلى تبعية سياسية وقومية . والوجهة « الثالثة » هى إحياء التراث الشرقى مع اقتباس خير ما أنتجه وينتجه التراث الغربى من الناحية العلمية والأدبية . وهى فى اعتقادى الطريقة الوسط التى تكفل لنا نهضة صحيحة فى الحياة العقلية والفكرية .

وصفوة القول أن التراث الشرقى يحتوى ولا شك على كنوز من العلم

والحكمة والأدب ولكننا فى حاجة أيضا إلى كنوز التراث الغربى الحديث لكى يتم لنا النضج والكمال فى حياتنا العقلية .

عباس محمود العقاد(١)

هل يستطيع أحـــد أن يقول بأن الشرق خلا من العقول الناضجة فى العصور القديمة ؟ هل خلا الشرق من الحياة العقلية الناضجة يوم أن كان التراث الشرقى هو التراث الذى لا تراث غيره ؟

فإذا كنا لانرى أحداً يستطيع أن يزعم ذلك فقد حكمنا بأن التراث الشرقى كاف لنضج الحياة العقلية ، لأننا إذا أنكرنا هذه الحقيقة وجب أن نقول أن الشرق خلا من العقول الناضجة قديما وحديثاً وهذا مالم يقل به أحد من الشرقيين ولا من الغربيين .

الواقع : أن الشرقيين لا يمكن أن تنضج لهم حياة عقلية فى غير تراثهم الذى ينتمى إليهم ويصطبغ بصبغتهم .

فغير ممكن أن نجعل العلم الطبيعى تراثا شرقيا أو غربياً بأية صفة من الصفات وغير ممكن كذلك أن نجعل العلم الرياضى تراثاً ينسب إلى الشرقيين أو إلى الغربيين ، فلم يبق إذن إلا التراث الخاص بالشرقيين الذى لا يشاركهم فى خصائصه مشارك من العالمين ، وهو التراث المشتمل على مالهم من أشعار ومواعظ وأمثال وحكايات وآداب وقواعد سلوك . وفى طليعته روح العقائد الدينية والحكمة النفسية والفكرية ومايصاحب ذلك من فقه وشريعة ودين .

وقد يسأل السائل فى هذا المعرض : وما الرأى فى الاشعار والأمثال والحكايات التى تنقل من الغربيين وهى تراث غربى لا نزاع فيه .

---

(١) ص ٥٠٦ مجلد السنة التاسعة (١٩٤٨) الرسالة .

فجوابنا على هذا السؤال أن التراث الغربى ينتقل إلى الشرقيين ينقسم إلى قسمين : القسم الذى يمكن أن يمتزج بحياتهم وهو من نوع تلك الحياة فلا يلبث أن يدخل فى الشرق حتى يصطبغ بصبغته ويجرى على سنته .

والقسم الآخر من التراث الغربىالذى ينتقل إلى الشرق؛ هو القسمالذى لايمتزج بحياة الشرقيين ولايدخل لهم فى عقل ولا روح . وهذا غريب عنهم وهم غريبون عنه . وحكمهم فيه حكم المتفرج العابر الذى يمر به وكلاهما باق حيث كان ، هؤلاء شرقيون وذلك تراث غربى لا يدخل فى عوامل النضج العقلى أو فى عوامل التكوين . سواء رجعنا فيها إلىالأفراد أو إلى الشعوب.

ومعنى هذا : أن الحياة العقلية إذا نضجت بين الشرقيين فهى شرقية لاحقة بالتراث الشرقى أيا كان المصدر الذى جاءت منه أو حلت عنوانه ولا يصح أن تنسب إلى غير الشرق ألا كما يصح أن تنسب دماؤنا إلى أستراليا وأمريكا لأننا نأكل القمح الإسترالى والفاكهة الأمريكية فى بعض الأوقات وعلى أية حال ليس لنا مناص من إحدى اثنتين : أما أن نقرر أن الشرق خلا من الحياة العقلية الناضجة فى جميع العصور وهو مخالف للمعقول ومخالف لأجماع الآراء ، وأما أن نقرر أن الشرق قد عرف الحياة العقلية الناضجة ولو فى عصر واحد من عصوره وهذا فى لبابه مرداف لقولنا : أن التراث الشرقى كان لنضج الحياة العقلية بين الشرقيين .

١٤ – ثقافة دار العلوم

بين أحمد أمين ومهدى علام

مرت فترة على الثقافة العربية فى مصر، قام فيها صراع عنيف بين الأزهر والجامعة وبين دار العلوم والقضاء الشرعى . وبين دار العلوم والجامعة . وكان أحمد أمين من خريجى القضاء الشرعى ثم عمل بالجامعة فهاجم الأزهر ودار العلوم فى العدد الأول من مجلة الرسالة فى مقال له بعنوان حلقة مفقودة . وقد رد عليه الدكتور مهدى علام فيما يتعلق بثقافة أبناء دار العلوم فى مقال بالعدد الأول من مجلة دار العلوم .

أحمد أمين(١) حلقة مفقودة

فى مصر حلقة مفقودة لا نكاد نشعر بوجودها فى البيئات العلمية مع أنها ركن من أقوى الأركان نبنى عليها نهضتنا وفقدانها سبباً من أسباب فقرنا فى الإنتاج والتقيم والغذاء الصالح .

تلك الحلقة هى طائفة من العلماء جمعوا بين الثقافة القديمة الإسلامية العميقة وبين الثقافة الأوربية العلمية الدقيقة ، وهؤلاء يعوزنا الكثير منهم ولا يتسنى لنا أن ننهض إلا بهم ولا نسلك الطريق إلا على ضوئهم .

إن أكثر من عندنا قوم تثقفوا ثقافة عربية إسلامية بحته وهم جاهلون كل الجهل بما يجرى فى العصر الحديث من آراء ونظريات فى العلم والأدب والفلسفة وطائفة أخرى تثقفت ثقافة أجنبية بحته يعرفون آخر ما وصلت إليه نظريات العلم فى الطبيعة والكيمياء والرياضة ولكنهم يجهلون الثقافة العربية الإسلامية كل الجهل .

هاتان الطائفتان عندنا يمثل الأول خريجو الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء ويمثل الأخرى نوابغ خريجى المدارس المصرية والثقافات الأوربية .

---

(١) الرسالة : العدد الأول ١٥ (يناير ١٩٣٣)

ذلك أن الأولين إذا أنتجوا فعيب إنتاجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر ، وإنما التزموا التعبير القديم فى الكتابة والنمط فى التأليف وتحجر أمثلتهم ومل الناس بلاغاتهم وعمادها رأيت أسداً فى الحمام وعضت على العناب بالبرد

ومل الناس نحوه ومداره ضرب زيد عمراً ورأيت زيدا حسنا وجهه ، أما الآخرون فضعف ثقافتهم العربية الإسلامية ، فلما أرادوا أن يخرجوا شيئاً لقومهم وأمتهم أعجزهم الاسلوب والروح الإسلامى . فلم يستطيعوا التأليف ولا الترجمة وحاولوا ذلك مرراً فلم يفهم الناس مايريدون ، والذى جر إلى فقدان هذه الحلقة أن التعليم عندنا سار فى خطين متوازيين لم يلتقيا فالتعليم العربى الإسلامى سار فى خط والتعليم المدنى الحديث سار فى خط آخر ولم تكن هناك محاولات جدية لتلاقى الخطين أو ربط بعضهم ببعض وقد كان إخواننا الهنود أسبق منا إلى إيجاد هذه الحلقه والانتفاع بها .

ولكن الهنود يعرضون وآسفاه (إنتاجهم) باللغة الإنجليزيه فلا يغذون جمهورنا ولا يسدون حاجه العالم العربى .

محمد مهدى علام[1] : الحلقة المفقودة

شاء صديقنا الكاتب أن يختص أبناء دار العلوم بالنصيب الأوفى من سهام جعبته . فكتب رداً على تلك المقالة .. ولكنى رأيت أن الأستاذ أحمد أمين أكرم علينا من تنازله على صفحات الجرائد التى لا يقتصر قراؤها على خاصة القوم .

---

(١) مجلة دار العلوم (العدد الأول) يونية ١٩٣٤ .

يدعى صديقنا الفضال أن رجال (دار العلوم) لا يمثلون إلا الثقافة الإسلامية وحدها وأنهم لا يزالون حيث كانت مصر قبل اتصالها بأوربا « إذا أنتجوا فعيب إنتاجهم أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا روح العصر ولا لغة العصر ولا أسلوب العصر وإنما التزموا التعبير القديم فى الكتابة والنمط القديم فى التأليف . وتحجرت أمثلتهم ومل الناس بلاغتهم وعمادها رأيت أسداً فى الحمام وعضت على المذاب بالبرد وعشرة أمثلة عن هذا الطراز .

ومل الناس نحوهم ومداره ضرب زيد عمرا ورأيت زيداً حسنا وجهه . وسئم الناس منطقهم وكله الإنسان حيوان وكل حيوان يموت فالإنسان يموت وهذا حجر وكل حجر جماد فهذا جماد » .

ويخيل إلى قارىء هذه المقالة أن كاتبها لا يعيش على أرض مصر ولا يتصل بعـــالم العلم والأدب فيها ، ولا بالثروة التأليفيه التى نهضت فى هذا العصر ، أو أنه يعرف كل ذلك ولكنه لسبب ما لا يريد أن يعترف به .

(ثم عدد مؤلفات أبناء دار العلوم) .

هل نسى الأستاذ أن الأزهر يوم أراد الإصلاح الجديد لم يجد أمامه إلا رجال دار العلوم يستنجد بهم ليقوموا بهذ العمل النبيل فيكونوا رسل الثقافه الحديثه إلى المعهد العتيد ، بل هل نسى السيد أن كلية الآداب بالجامعة المصرية التى يعتز صاحب الحلقه المفقودة للزعومة بأستاذيته فيها ، لا يقوم عبء التدريس فى قسم اللغة العربيه فيها والنهضة بها إلا على شيوخ دار العلوم فإذا استثنى الاستاذ نفسه وزميلا فاضلا آخر لم يجد الجامعة إلا إخواننا الفضلاء : إبراهيم مصطفى وطه أحمد إبراهيم وعبد الوهاب حمودة وأحمد الشايب وعبد العزيز أحمد .

على أننى أشعر بميل ملح لأن أسر فى إذا الأستاذ كلمه بينى وبينه : هو أن يحدثنى عن الاساتذة الذين كان لهم فضل تثقيفه فى مدرسة القضاء الشرعى وفى الجامعه المصريه القديمة فهل يسمح له أدبه المعروف بأن ينكر ما تركه فى نفسه من أثر كل من أساتذته : عاطف بركات ومحمد الخضرى ، وعبد الحكيم بن محمد وحسن منصور ومحمد المهدى وحفنى ناصف وغيرهم .

أولئك أبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

على أننى أريد أن أجارى الأستاذ ، جدلا ، فى أن طلبة دار العلوم ـ أو على الأصح خريجها ـ لا يمثلون الحلقة المفقودة الموهومة . فهل لى أن أطمع فى أنصافه بالاعتراف بأن خريجى دار العلوم عشرات قد تمموا دراساتهم العاليه فى جامعات إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وأن من الإسراف فى الطعن والتجريح أن يدعى مدع أنه حتى هؤلاء لا يمثلون مايسميه الأستاذ (الحلقة المفقودة) فى أمة أنا وهو نعلم عدد المتعلمين فيها .

وثم غلط آخر وقع فيه صديقنا النابه . وارجح الظن أن الذى أوقعه فيه هو خطؤه الأول فى الحكم علينا — لأسباب نحرض أنفسنا على اعتقاد أننا نجهلها — ذلك أنه ادعى أن « إخواننا الهنود أسبق منا إلى إيجاد هذه الحلقة والانتفاع بها » .. فإن مافرغ من أطرائه إخواننا الهنود على إيجاد « الحلقة المفقودة » عندهم حتى سطر بقلمه ماينقض ذلك .. ويهدم كل إدعاء بأن حلقة مفقودة قد وجدت فى الهند ، ويسمع إليه القارىء حين يقول « ولكن الهنود يعرضون وآسفاه ذلك باللغة الإنجليزية » مرحى مرحى ! فهل يرى الأستاذ أن تأليف الهنود فى الشريعة والتاريخ الإسلامى باللغة الإنجليزية يصل السلسلة المقطوعة بحلقه أو يقيم على الهوة السحيقة بين الشرق والغرب قنطرة .

وهل يعد ذلك إيجاداً للحلقة المفقودة ..

إن الحلقة المفقودة لاتتحقق فى أمة من الأمم إلا بما اشترطه الأستاذ أحمد أمين نفسه فى مستهل مقالة من أن يكون التأليف بلغة الأمة وبلغتها المصرية .

أرأيت ياصديقى أنك تسكيل فى المقالة الواحدة بسكيلين فتعد اللغة الوطنية أساسا فى الحلقة المفقودة المصرية ولا يقيم لها وزناً فى الحلقة المفقودة الهندية ..

الباب الرابع

معارك الأسلوب والمضمون

١ – الأسلوب والمضمون

الرافعي وسلامة موسى وطه حسين

٢ – أسلوب الكشافة

شكيب أرسلان وخليل سكاكيني

الفصل الأول

١ — الأسلوب والمضمون

بين الرافعي وسلامة موسى وطه حسين

كانت معركة « المضمون » في الأدب من أبرز معارك الأدب بين معسكر المحافظين والمجددين ، وقد تمثلت هذه المعركة في عدة مساجلات . بدأت بهذه المساجلة عام ١٩٢٥ في الهلال عندما كتب سلامة موسى عن أدب الفقاقيع يقصد أدب مصطفى صادق الرافعي . وقد دخل الرافعي المعركة وأعلن وجهة نظره ثم كتب طه مهاجماً الرافعي ولكن الرافعي لم يلبث أن تحول عن أسلوبه التقليدي إلى أسلوب وسط فيه محاسن الأسلوب القديم مع العناية بالمضمون

أدب الفقاقيع : سلامة موسى (١)

أدباء الصنعة يكتبون وكل همهم محصور في تأليف استعارة خلابة أو مجاز جميل أو كناية بارعة أو غير ذلك من الفقاقيع ، فإذا أراد أحدهم أن يؤلف كتاباً أو يضع مقالة لم يعن أقل عناية بالموضوع الذي يكتب فيه ، وإنما يعمد إلى الفقاقيع فيؤلف منها عبارات خلابة فيتوبل بها إنشاؤه أو يرصها رصاً أو كثيراً ما يعجز أمثاله عن تأليف عبارة من إنشائهم الخاص .

وهكذا يعيش كتاب الصنعة هذه الأيام بما خلفه لهم الأقدمون يتداولون الصيغ القديمة في الأداء ويجترونها اجتراراً كما تجتر البهيمة طعامها طوال حياتهم أو يقضون وقتهم في العبث واللهو بتأليف السجعات والاستعارات والتشبيهات ولست أنكر أن لهذه الأشياء جمالا ، ولكنه جمال الفقاقيع والزبد الذي يذهب جفاء عندما تسطو عليه أشعة الشمس أو تهفوا به الريح .

كتاب الصنعة يكرهون الفلسفة والعلوم . وقد قالها أحدهم (المنفلوطي)

---

(١) ٧١٣ مجلد ٣٣ من الهلال — أبريل ١٩٢٥ .

وربما كان أقلهم صنعة (مادخلت الفلسفة أيا كان نوعها على عمل من أعمال الفطرة إلا أفسدته) .

وهذه نزعة خطيرة نطالب أن يعمد رجال الذهن فى جميع البلاد العربية إلى وقفها بكل الوسائل . يجب أن نحبب تلاميذنا فى الفلسفة والعلوم ونكرههم فى فقاقيع الاستعارات والكتابات .

وهذا كاتب يضع كتابا عن الحب والجمال (يقصد كتاب مصطفى صادق الرافعى — السحاب الأحمر) ويبدأ الفصل الأول منه بوصف فقاعة هى نضاب قلم مصنوع من زجاج ويحتوى على مداد أحمر ويباع بالقاهرة بنصف قرش فيكتب عن هـــذا القصاب عدة صفحات ويستوحى منه التأملات والخواطر فى الحب والجمال . فهو كاتب صنعة لا يبالى إلا بزنين ألفاظه وخلابة استعاراته وهذا لعمرى هو اللهو واللعب . فإن للأدب غاية وغايته هى صلاح الناس وهديهم وكشف حقائق هذا الكون والتمتع بجمال هذه الحقائق .

٢ — المذهب القديم والمذهب الجديد — سلامه موسى[١] :

فى مصر وسوريا طبقة من الأدباء لها عيون من خلف رؤوسها فإذا نظرت لم تر سوى الماضى ثم هى مع ذلك لا ترى كل الماضى وهى لو استطاعت أن تفعل ذلك لكان لها من ذلك بصيرة بالحاضر والمستقبل . أجل لو كانت هذه الطبقة تنظر إلى الماضى خلال تلسكوب العلوم الجديدة لاستطاعت أن تقرأ لغة الطبيعة وتدرك أن روح العالم هى روح نشوء وتطور .

تقول هذه الطبقة أن الأديب لا مندوحة له إذا أراد أن يكون أديباً

(١) الهلال — يناير ١٩٣٤ .

حصيفاً أن يقلد العرب ويحتذى كتابهم فى أساليبهم ومراميهم . ومن هذه الطبقة بل وفى رأسها نضع الأستاذ مصطفى صادق الرافعى والأستاذ الأمير شكيب أرسلان .

ومن المستطاع أن يحلل الإنسان هذه (الوطنية الأدبيه) وأن يردها إلى أصولها فى ذلك العقل الباطن الذى يخلط بين الدين والقومية والأدب العربى ، فالخروج عن المألوف فى الأدب العربى يوهم أفراد هذه الطبقة بالخروج على الدين والقومية العربية .

الصنعة دون الفن . وأن الفن هو الجوهر وهى الغرض . ونحن الآن بقوة ماورثناه عن العرب كثيراً مانعنى بالصنعة ونهمل الفن فنتعلق بالقشور ونترك اللب .

الرافعى (١) يدافع عن المذهب القديم ويقول بأفضلية الأساليب العربيه القديمة على أساليبنا الراهنة (٢) هو أيضاً يجيد الصنعة إيما إجادة ولكنه لايعنى بالفن فإذا كتب انسقت عباراته وانتظمت ألفاظه فأتى بالعجب ولكن الحقيقة (أى الجمال) لاتشغله فى نظمه أو نثره (٣) هو لا يكاد يؤمن بالعلم بل لا تجد له أثراً فى جميع كتاباته .

٣ — دفاع[1] عن المذهب القديم فى الأدب — الرافعى :

زعم الأستاذ المفكر سلامه موسى أن مانقول به من اقتداء العرب فى أساليبهم والارتياض بكلامهم والحرص على لغتهم وأن يكون الكاتب فى هذه اللغة حسن البيان رشيق الغرض رائع الطلاوة يتثبت فى ألفاظه ويتظر فى أعطاف كلامه ويفتن فى أساليبه — كل هذا وما إليه من مذهب قديم

---

(١) الهلال — جـ ٥ ص ٤٦٩ (فبراير ١٩٢٤)

و (وطنية أدبية) ترجع العلة فيها إلى ذلك العقل الباطن الذى يخلط بين الدين والقومية والأدب العربى . ثم قال أن أهل المذهب القديم يهملون العلم لأن العلوم تتعارض ومعتقدات العرب

وظاهر أنه يعنى بالعرب المسلمين لا غيرهم .

فالمذهب القديم إذن هو أن تكون اللغة لا تزال لغة العرب فى أصولها وفروعها وأن تكون هذه الاسفار القديمة التى تحويها لا تزال حية تنزل من كل زمن منزلة أمة من العرب العظماء ، وأن يكون الدين العربى لا يزال هو كأنما نزل به الوحى أمس ، لا يفتننا فيه علم ولا رأى . وأن يأتى الحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين إذ لا يزال منهما شىء كالأساس والبناء لا منفعة فيهما معا إلا بقيامها معا .

العلة فى الحقيقة لا ترجع إلى مذهب قديم أو جديد بل إلى الضعف فى لغة والقوة فى أخرى وأن صاحب المذهب الجديد . . آخذ بالحزم فى واحدة وبالتضييع فى الثانية وأكثر من الإقبال على شىء دون الآخر فتعلق به وأمضى أمره عليه وحسنت نيته فيه واستحكمت فصارت إلى نوع من العصبية للأدب الأجنبى وأهله .

فلما تعطل الزمن وأصبح الأدب صحفياً . وآلت العربية وآدابها إلى لفيفة فى أوراق مدرسية وانزوى ذلك العلم المستطيل واستحكمت المكاتب له كالقبور الملبوخة بالتوابيت . وفشت العصبية بينها للأجنبى . ورجع الأمر على مقدار ذلك فى صغر الشأن وضعف المنزلة واحتاج أهل هذا القليل من العربية إلى أن يعتبروه كيلا بنفسه لا جزءاً من كله فكان لذلك مذهباً . وكان مذهبا جديداً .

فإنك واجد فى أهل سنة ١٩٢٣ (يقصد جبران خليل جبران) من يقول فى هذه اللغة « لك مذهبك ولى مذهبى ولك لغتك ولى لغتى » فتى كنت صاحب اللغة وواضعها ومنزل أصولها ومخرج فروعها وضابط قواعدها ومطلق شواذها . من سلم لك بهذا يسلم لك حق التصرف (كما يتصرف المالك فى ملكه) وحتى يكون لك من هذا حق الإيجاد ومن الإيجاد ما تسميه أنت مذهبك ولغتك .. لأهون عليك أن تولد ولادة جديدة فيكون لك عمر جديد تبتدى فيه الأدب على حقه من قوة التحصيل وتستأنف دراسة اللغة بما يجعلك شيئا فيها — من أن تلد مذهبا جديداً أو تبتدع لغة تسميها لغتك — فإنك عمر واحد بين ملايين من الاعمار فى عصور متطاولة وأن ما تحدثه غلى خطأ لا يبقى على أنه صواب! ولا يبقى أبداً إلا كما يبقى العلة على أنها علة فلا يقاس عليها أمر الصحيح ولا يحكم بها فيمن لم يعتل..

إن أعادوا بالمذهب الجديد أن يكتب الكاتب فى العربية منصرفا إلى المعنى تاركا للغة وشأنها متعسفا فيها ، آخذاً ما يتفق كما يتفق وما يجرى على قلمه يجرى .. أن أرادوا بهذا وأشباهه المذهب الادبى الجديد قلنا لا ثم لا ثم لا ؛ ثلاث مرات . ثم أى خير لأدبنا وعلومنا وكتبنا أن نحرص على الاصل الصحيح القوى الذى فى أيدينا ونحتمل فيه ضعف الضعفاء ونصبر على مدافعتهم عن أفساده حتى ينشأ جيل أقوى من جيل وتخرج أمة خيراً من أمة .. أم ندع الإصلاح للفساد ونتراخى فى القوة حتى تحول ضعفا .

إن هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم وقد أجمع الاولون والآخرون على إعجازه بفصاحته إلا من لاحفل به من زنديق يتجاهل أو جاهل يتزندق .

ثم أن فصاحة القرآن يجب أن تبقى مفهومة ولا يدنو الفهم منها ألا بالمران والمزاولة ودرس الأساليب الفصحى والاحتذاء عليها .

٤ — الخصومة بين القديم والجديد فى الأدب — طه حسين :

الحق أن ميدان هذه الخصومة أوسع من مجلة الهلال وأن أبطال هذه الخصومة أكثر من الأستاذين سلامة موسى ومصطفى الرافعى .. أن مصدر هذه الخصومة إنما هى صحيفة الأدب فى السياسة حول رسالة « أسلوب فى العتب » ذهب فيها الرافعى مذهب المتسكلفين من بعض الكتاب القدماء ثم أن المعركة تحولت إلى معارك ثلاث :

١ — بين طه حسين والرافعى: السياسة .

٢ — بين الكاكينى وشكيب أرسلان : السياسة .

٣ — بين الرافعى وسلامة موسى : الهلال .

للأستاذ الرافعى فى فصله هذا آراء محتاجة إلى شىء من المناقشة . ومنها ما كان يحتاج إلى شىء من المراجعة قبل أن ينشر ويعلن إلى الناس . أنظر إليه مثلا يزعم أن المذهب الجديد فى الأدب ليس فى حقيقة الأمر إلا نتيجة لضعف فى اللغة والأدب العربى وقوة فى اللغة والادب الاجنبى . وأن الذين يزعمون أنهم من أنصار المذهب الجديد إنما هم قوم ضيعوا حظهم من لغة العرب وآدابهم وأخذوا بنصيب موفور فى لغات الإفرنج وآدابهم .

نعتقد أن الاستاذ الرافعى يسرف فى هذا الحكم . ولعل مصدر إسرافه فى هذا الحكم ، أن صحت نظريته أنه أخطأ فهم ما يكتب أنصار المذاهب

النوعية وهو إنما أخطأ الفهم لأنه أخطأ الذوق أو هو إنما اخطأ الذوق لأنه اخطأ الفهم .

ولكن الأستاذ الرافعى معذور على كل حال فما كان له أن يحكم فيحسن الحكم دون أن يفهم ويذوق وهو قد يخطئه الفهم والذوق أحيانا فتخطئه الإصابة فى الحكم .

ونظن أن للأستاذ الرافعى حظاً من الانصاف وأنه يرى هنا أن بعض أنصار للمذهب الجديد أو الذين يسمون أنصار للمذهب الجديد قد أخذوا من اللغة العربية وآدابها بحظ لا بأس به وإن قوتهم فى اللغة الأجنبية وآدابها لم تحملهم على أن يضيعوا حظهم فى اللغة العربية وآدابها .

إذن فانتصار هؤلاء لمذهب جديد ليس ضعفا وليس اعتذاراً لأنفسهم وليس تعصباً للأدب الأجنبى الذى تفوقوا فيه

نسمح لأنفسنا بأن نزعم أن لنا فى هذه اللغة التى نتكلمها ونتخذها أداة للفهم والأفهام حظاً يجعلها ملكا لنا ويجعل من الحق علينا أن نضيف إليها ونزيد فيها كلما دعت إلى ذلك الحاجة أو قضت ضرورة الفهم والإفهام أو كلما دعا إليه الظرف الفنى لا يقيدنا فى ذلك إلا قواعد اللغة العامة التى تفسد اللغة إذا تجاوزناها .

ولولا هذا ولولا أن اللغة ملك لأبنائها يضيفون إليها ويدخلون فيها لما نمت اللغة وعاشت ولما استطاعت أن تفى بحاجات أهلها التى تتجدد وتتنوع .

والرافعى .. يسرف فى سوء الظن بأوربا وأمريكا وفى سوء الحكم

عليهما ولعل مصدر ذلك أنه لايقرأ لغة أوربا وأمريكا ولا يفهمها ولايتذوقها فهو يخطىء فى الحكم على أوربا وأمريكا .

والرافعى كغيره من أنصار المذهب القديم مشفق كل الاشفاق على القرآن الكريم وعلى الإسلام أن يصيبها من المذهب الجديد شر أو ينالهما ضيم … نهون على الاستاذ ونهدى من روعه فليس هناك ما يدعو إلى هذا الإشفاق.

٢ — أسلوب الكتابة

معركة بين شكيب أرسلان وخليل سكاكيني

هذه معركة أخرى بين شكيب أرسلان وخليل سكاكيني ، تمثل وجهتي نظر مختلفين ، شكيب أرسلان يؤمن بالأسلوب البليغ ويرى خليل سكاكيني أن المعنى يمكن أن يؤدى بالأسلوب البسيط التلغرافي ، متأثرا في ذلك بآراء سلامه موسى في مصر ، خليل سكاكيني من كتاب فلسطين . والأمير شكيب أرسلان كاتب العرب الهنافي الأصل المغترب المقيم في سويسرا إذ ذاك يحمل لواء حماية اللغة العربية ويقاوم مع مصطفى صادق الرافعي في مصر كل نزعة إلى مهاجمة اللغة العربية إيمانا منه أن هذا الهجوم موجه إلى القيم والأمجاد والتراث العربي كله .

لغة الجرائد — خليل سكاكيني (١)

لعل القارىء الكريم يذكر أن علامتنا المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء كان أول من تصدى للتنبيه على هذا النوع من الغلط فانشأ لذلك الفصول الطوال في مجلته في لغة الجرائد وفصولا أخرى في أغلاط العرب وأغلاط المولدين مما يجدر بكل أديب الرجوع إليه والاستبصار به .

ومن العجيب أن نرى الأغلاط التي نبه عليها لا تزال متفشية إلى اليوم (أورد نماذج من هذه العبارات) .

يقولون أن اللغة مرآة الأمة وسجل تاريخها وصورة أحوالها في كل أدوارها بحيث أن من تفقد ألفاظها وتدبر معانيها واستقصى تاريخها وجد فيها آثاراً تدل على ماضي الامة وتطورها من حال إلى حال كما تدل الاحافير والعاديات على حالة الامم الغابرة ، ولكننا مالنا لا نزال نستعمل لغة البداوة وقد إنفسخ بيننا وبينها الامد وانقطعت كل صلة ، وإذا تفقد الناس في

---

(١) السياسة — ٢ ديسمبر ١٩٢٣ .

للمستقبل البعيد لغة هذا العصر أفلا يقولون أننا كنا فى الجيل العشرين : عصر السيارات والترام والطيارات بدواً رحلا وافقنا الوحش فى سكنى مراتعها وخالفناها بتقويض وتطنيب كما يقول المتنبى .

لا تكون لغة أمة حية إلا إذا انطبقت على حياة تلك الأمة التى تستعملها وما استعمال لغة البداوة فى عصر الحضارة إلا من قبيل إنزال الشىء فى غير محله

٢ — تطور اللغة فى ألفاظها وأساليبها : خليل سكاكينى [١]

كان الناس قبل هذه النهضة الأخيرة : لو سار السورى فى مصر أو المصرى فى سوريا لا يسير إلا بترجمان .

مما أولع به أصحاب المذهب القديم إلى يومنا هذا تكرار الكلام فى غير مواطن التكرار والإسراف فى استعمال المترادفات على غير حاجة إليها ولا فائدة منها فهم لا يأتون بكلمة إلا اتبعوها بمرادفاتها .

بل استأذن القارىء الكريم فى تقديم مثل على ذلك من رسالة أمامى لكاتب كبير قال « يا إخواننا : أن الصارخة القوية والنعرة الجنسية قد بدأت فى الأقوام ونشأت مع الأمم مذ الكيان ومنذ وجد الاجتماع البشرى وتساكن الإنسان مع الإنسان ، وأن هذه النعرة الجنسية والحمية القومية وإن عم أمرها جميع الأمم ولم يخل منها عرب ولا عجم فقد اختص منها العرب بالشقص الأغر والحظ الأكمل » وهذه العبارة لشكيب أرسلان

وسبب ذلك هو إملاق البضاعة أو نزارة المادة الفكرية وأصحاب هذا

---

(١) مقالات نشرها فى السياسة اليومية خلال (أكتوبر — نوفمبر — ديسمبر سنة ١٩٢٣) .

المذهب يحسبون إن اللغة هى كل شىء فاذا حل أحدهم على ظهر قلبه مقامات الحريرى وديوان الحماسة والمعلقات والمفضليات فقد صار كاتباً محرراً . أو يكون ذلك متابعة لما ورد فى بعض أقوال العرب من التكرار لضرورة أو تقليداً لأحمد فارس الشدياق فى كتابه (الساق) ولكن أحمد فارس لم يأت بالمترادفات لأنه لايذهب إلى هذا النوع من الكتابة وإنما أراد أن يضع كتابا فى المترادفات ككتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمزانى . فبدلا من أن يسرد المترادفات لغير مناسبة التى بها فى سياق كلام على اعتقاد منه أن ذلك أشوق للقارىء . ومهما يكن السبب فإن هذا النوع من الكتابة غير طبيعى أو وغير عربى : أو على الأقل لايستمرئه ذوق هذا العصر .

٢ — رد شيكيب أرسلان على خليل سكاكينى (١)

ظاهر أن هذا الكاتب الأديب يقصدنى فى تعريضه لاستشهاده ببعض جمل من نداء كان الوفد السورى وجهه إلى الأمة العربية مراعياً حالة من يخاطبهم وضرورة تمكين المعانى من نفوسهم وتحريك عواطف حميتهم .

وقد كنت فكرت فى أن أترك هذا الكاتب وشأنه وأن أعرض عنه وأتجاهل ابتعاده تاركا اللغة العربية ونظمها ونثرها ومتونها وأصولها ترد عليه وتقمعه بخطئه لولا أنى رأيته — وأرجو منه أن لايؤاخذنى على هذا القول — واضعاً نفسه موضع أستاذ اللغة وشيخ الصناعة والجهبذ الذى لا يقبل هذا ويزيف ذاك والقاضى الفيصل الذى يحكم ولامعقب لحكمه ماضيا فى غلوائه مسروراً بآرائه راضياً عن أبحاثه ، فحرصت على أن أبين له مناهج

(١) السياسة ٧ اوفمبر ١٩٢٣

اللغة فى باب الإيجـــاز والمساواة والاطناب ومقام كل منها ليعلم أن مقام منشورنا هو مقام أطناب كما لا يخفى على كل من شدا شيئا من الأدب أو طالع شيئاً من آثار هذه الأمة .

— أما الأساليب فهناك مذهبان مذهب قديم ومذهب جديد . وأنا لا أعلم مذاهب جديدة إلا فى العلم والفن أما فى الأدب واللغة فلا أعرف إلا مذهباً واحداً هو مذهب العرب وهو الذى يريد أن يسميه بالمذهب القديم . وهو الذى يجتهد كل كاتب فى العربية أن يحتذى مثاله ويقرب منه ما استطاع لأنه هو المثل الأعلى والغاية القصوى ، وقصارى الأديب العربى اليوم أن يتمسكن من افراغ الموضوع العصرى فى قالب عربى بحت لا يخرج باللغة عن أسلوبها ولا يهجن لهجتها ولا يجعلها لغة ثانية إذ كان التباعد عن الفصاحة والحرمان من حظها هما على مقدار التجانف عن أسلوب العرب عند ما كانوا عربا لم تخامر لغتهم المعجم . ولم تفسد منهم السليقة .

أما المذهب الجديد الذى أشار إليه فى الأدب فلا نعلمه فى المذاهب ولا وصل إلينا خبره . فحبذا لو أتانا صاحبنا بتعريف المذهب الجديد هذا ودلنا على أمثلة منه وكتب مؤلفة فيه .

إننى أريد أن أنزه صاحب مقالة التطور فى اللغة عن أن يكون مقصده الإنتقاد لأجل الانتقاد ولإثبات فضله واظهار طوله على غيره .

[ثم استشهد الأمير شكيب بأسانيد مختلفة من الاطناب فى اللغة العربية]

٣ — من خليل سكاكينى إلى شكيب أرسلان (١)

---

(١) السياسة ٢٢ نوفمبر ١٩٣٣ .

إن الأمير لم يغضب لأن انتقادى المذهب القديم جاء مباينا لوجه الصواب . إنما غضب لأنى استشهدت بأقواله ، ولم أستشهد بها إلا أنى اخترت أن أستشهد بأقوال كاتب كبير يوثق به . . تركته ولم أترك أحداً من المتقدمين والمتأخرين إلا انتقدته ، لكان الخطب عنده هينا ولكان انتقادى حينئذ فى محلة . ولكنى نفسه مؤونة هذا الرد الطويل العريض الذى أرجوان « لا يتعجل فى الغضب على إذا قلت أن هذا الرد من أوله إلى آخره جاء دليلا جديداً على أن الأمير من اصحاب المذهب القديم ، وأنه لا يزال مولعاً بالمترادفات على غير حاجة إليها ولا فائدة منها .

ثم قال للامير : أن مقاله كله مترادفات . ثم قال : اما كان الأولى بأدبه وعلمه أن يلزم نفسه قاعدة « خير الكلام ما قل ودل » ولكنه يظهر أنه لم يراع هذه القاعدة لا فى منشورة الذى طبعت منه الوف الوف من النسخ ليوزع على ملايين وملايين من الأمة العربية فى المدر والوبر » .

إذا كان لكل مقام مقال فا باله اعزه الله . يجعل المقال الواحد لكل مقام . ولست اظن أن كاتبا كبيرا مثله يتعذر عليه أن يتنكب هذا الأسلوب من الكتابة لولا أنه الفه واتخذه مذهبا فى كل ما يكتب سواء أكان منشورا تقرأه الأمة العربية جمعا أو . . فصار إذا امسك القلم إنهالت عليه المترادفات كانه يتناولها من حبل ذراعه فلا يتركها حتى تجيء على آخرها . وليس هذا اسلوب الأمير ، ولكنه اسلوب قديم أكل الدهر عليه وشرب ولعله يتصل بعصر الكهان وليس الأمير فيه إلا مقلدا .

انتقدت الأمير على أكثاره من المترادفات على غير حاجة إليها ولا فائدة منها فقال أن منشورى للعامة. ياسيدى الأمير. تفهم منشورك. أكثرت

فيه من المترادفات أم أقللت . إذا أردت أن تخاطب الجمهور فلا أخالك تنكر على أنه يجب أن تخاطبه بلغة مفهومة تتجنب فيها مثل قولك « الشقص الأغر » إلا إذا كان قصدك أن تنومه لا أن تفهمه .

٤ — ولكل دولة رجال(١) (رد الأمير شكيب)

كنا نظن أننا بعد الأتيان بنصوص علماء الأدب وشواهد فحول البلاغة مثل الجاحظ والبديع الهمذنى وابن خلدون وأمثالهم نأمن المغالاة والمكابرة ويقع التسلم بأن الترادف مألوف فى لغة القوم قد يأتى فى الاحايين لتمكين المعنى فى نفس السامع . إن للاطناب مقامات وللايجاز مقامات وأن وضع الواحد منهما موضع الآخر مخل بالفصاحة التى هى المطابقة لمقتضى الحال إلى غير ذلك .

لا بل والله كنت غافلا عن أنك صاحب مذهب . ولم يخطر ببالى أن أسلوب الجاحظ صار قديما باليا وأن مثلى ومثلك صرنا مجددين فى اللغة . وإذا كان لهؤلاء مذهب فلست أنت بالذى يقدر أن يأتى بنقيضه . فاربع على ظلعك ولا تركب فى غير سرجك .

وتحرير القصد أنك أنت تنكر المترادف مطلقا وأنا أقول بل له مواضع .

٥ — رد خليل سكاكينى(٢)

وتحرير القصد أنى قلت أن الاطناب ومنه تكرار الكلام بلفظه أو بمرادفه مواطن وشرائط مضى عليها البيانيون ، وأن الأمير يكثر من المرادفات اقتضاها المقام أو لم يقتضيها ، فأنت ترى أن الجدل أصبح عقيما .

---

(١) السياسة ٢٢ ديسمبر ١٩٢٣ .
(١) السياسة ٣ يناير ١٩٢٤ .

إن الأمير أعزه الله وإن تـكلف الدفاع عن مذهبه فى الـكتابة جهد مايستطيعه كاتب كبير مثله لم يسعه إلا أن ينـكب فى ردة هذا الأخير عن مذهبه الذى ألفه وألفناه منه ، إذ لم يأت معه بالمترادفات ليـكيلها كيلا . اقتضاها المقام أو لم يقتضيها .

ولا شك أن تنـكيه عن مذهبه اعتراف منه أنه مذهب بال وأنه ليس طبيعيا ولا عربيا ولا يستمرئه ذوق ذلك العصر .

لست ياسيدى صاحب المذهب الجديد فى الـكتابة ولـكنى من دعاته ، فإذا كان لك شىء فدونك فنفنده ولا شأن لك مع أصحابه ودعاته . إلا إذا كتب ارستقراطى للذهب فى الـكتابة كما أنت ارستقراطى المذهب فى الاجتماع فلا يجوز فى عرفك أن يكون الـكتاب من غير الامراء .

٦ — العربى شرط لازم فى القديم والحديث : رد الأمير شكيب(١)

أنا لم أقل فى وقت من الاوقات أنه لايوجد أسلوب جديد ، أنه يحرم على الناس التجدد وأنه إن جاز فى شىء فلا يجوز فى البيان وإنما قلت أن لـكل لغة أسلوبا أصليا أو نصابا معروفا وليس هذا خاصا بالعرب وحدهم ، إن اللغة العربية يمكنها أن تسع المعانى الجديد ومن المواضيع العصرية مايعون للـكاتب ويتوخاه المؤلف مع رعاية ديباجتها الاصلية التى إن خرج البيان عنها كان عند العرب مستهجنا .

وقلت فى موضوع التجدد : إن العقل البشرى هو بنفسه لا يتغير بل المعلومات هى التى تتغير .

---

(١) السياسة — ٦ مارس ١٩٢٤ .

إذن لست ممن يعترضون على أولئك الذين يريدون (أن يأخذوا بحظهم من الحياة ويريدون أن يفهموا الناس ويفهمهم الناس ويعيشوا مع الجيل الذى هم فيه دون أن يقطعوا الصلة بينهم وبين الاجيال الماضية) .

كلا . لأنى من هؤلاء القوم أنفسهم، لى ماض يشهد لى بذلك و ٣٨ سنة فى عالم للمطبوعات من أهرام ومؤيد ومقتطف ومقتبس وجرائد ومجلات عديدة عشت فيها مع الجيل الذى أنا فيه واجتهدت من أفهم الناس وأن يفهمنى الناس ولكن حرصت على أن يبقى أسلوبى عربيا وأن أقتدى بنغمة السلف فى دولة فصاحتهم .

إن شكيب أرسلان لم يقل أصلا ولا فى موضع من المواضع أن الأطناب خصلة من خصال اللغة العربية . ملازمة لها ولا بد منها . لا ، بل شكيب أرسلان كرر عدة مرات من قبل ومن بعد ، أن كلا من الأطناب والإيجاز والمساواة له مقام أن عدل به إلى غيره أخل ذلك بالفصاحة .

٧ — رد السكاكينى على الأمير(١)

مر زمن غير قصير على اللغة العربية انصرفت عناية الكثيرين من أدبائها وعلمائها إلى الصناعة اللفظية . من ذلك أنهم كانوا يطنبون حيث لا يجوز أطناب ويكثرون من المترادفات اقتضاها المقام أو لم يقتضيها .

وقد سرت عدوى هذا المرض إلى عصرنا هذا فلم يسلم منها أحد من أكبر كاتب مثل الأمير شكيب إلى كاتب هذه السطور . ولم تخف وطأة هذا المرض إلا من عهد قريب ، فأخذ كثير من الكتاب أصحاب المذهب

(١) السياسة ١٩ مارس ١٩٢٤ .

الجديد يميلون إلى الإيجاز ، ولا يطنبون إلا إذا اقتضى المقام الإطناب . إن لكل لغة أسلوب أصلى أو نصاب معروف لابد من المحافظة عليه كما يقول الامير شكيب فالمذهب القديم خروج على ذلك النصاب المعروف والمذهب الجديد رجوع إليه والخلاف بينى وبين الامير ليس على هـذا (النصاب المعروف) ولكن على أسلوبه ، فهو يقول أن أسلوبه ينطبق على النصاب المعروف فى اللغة وأنا أنكر عليه ذلك .

(جمعت هذه المساجلات فى كتاب « مطالعات فى اللغة والأدب » خليل السكاكينى ١٩٢٥ مطبعة القدس) .

٣ — أساليب الكتابة

بين شكيب أرسلان ومحمد كرد على

هذه مساجلة أخرى حول أساليب الكتابة بين أدباء الشام . بدأها محمد كرد على في نقد كتاب (قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث) لجمال الدين(١) القاسمي وهاجم طريقة المؤلف وأخنى باللائمة على الكتاب الذين قدموا كتابه وهم ثلاثة من بينهم شكيب أرسلان وقال أن هذه المقدمات لم يخرج الكلام في بعضها عن الدعاية والتمجيد . في حين أن الكتاب لم يأت بجديد وأن المؤلف « إقتصر على نقل كلام غيره من أول الكتاب إلى آخره » وقال « كأن هذا السفر كان مجموعة من مفكرات يريد واضعها أن يضع كتابا في هذا الفن ويقتبس أقوال المؤلفين الذين درجوا . وقال أن القاسمي جرى على طريقة الأقدمين في الجمع والنقل (فما كتبه في أكثر تآليفه ببسط آراء غيره).

وقال أن طريقة التأليف اليوم هي الانجاز من دون إخلال بالمعاني . وبأسلوب سهل سائغ خال من الخطابيات والسجع » .

ولما كان الأمير شكيب أرسلان أحد كتاب هذه المقدمات فقد دخل في سجال مع محمد كرد على حول الأسلوب العربي وتطوره على هذا النحو :

١ — من شكيب أرسلان إلى كرد على

إننى فى كتابى عن الشيخ جمال القاسمى رحمه الله لم أدخل فى علم الحديث دخول من تصدى لترجيح أو تجريح وخاض فى الحديث خوض من يعلمه ، بل بقيت واقفاً على الشاطىء على حين أن محمداً الكرد على دخل فى الموضوع وحكم فيه حكمه . وهو مع ذلك يقول : إننى أنا وإياه لسنا من هذا العلم فى ورد ولا صدر . فإذا كان الامر كذلك فما كان أحراه بأن يترك انتقاد كتاب مؤلف فى الحديث الشريف وقد أطنب فى وصفه مثل الاستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله الذى إذا تكلم فى هذا الفن يقال : القول ما قالت حذام .

---

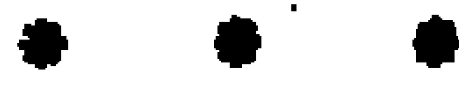
(١) أول يولية ١٩٣٥ — الرسالة

كان أكثر كلامى فى محاسن الاستاذ جمال القاسمى تغمده الله برحمته ، فإن كنت لست من علماء الحديث فإنى لست جاهلا معرفة الرجال ولامسلوبا مزية التمييز بينهم ولولا حسن فراستى ما كان الاستاذ كرد على عظيما فى عينى وقد اخترته لاخائى منذ اثنين وأربعين سنة .

أما السجع وما أدراك ما السجع . فالكلام العربى ينقسم إلى مرسل ومسجع ، وموزون ومقفى . ولكل نوع من هذه الانواع الثلاثة مقام يجيء فيه أكثر من غيره . والمرسل هو الكلام المعتاد الطبيعى الذى به أكثر تفاهم الناطقين بالضاد والموزون المقفى هو الشعر الذى لا رونق للغات بدونه .

والسجع وسط بين المرسل والموزون . وله وقع فى النفوس لا جدال فيه ويكفيه من الشرف أن كتاب الله أنزل بهذه الطريقة . وأنه نهج البلاغة وكثير من كلام أفصح العرب هو من النوع المسجع .

فإن كانت اللغات الاوربية ليس فيها سجع إلا من ندر فليس هذا بحجة على اللغة العربية فلكل لغة خواص تمتاز هى بها وقد خلق الله الناس أذواقا مختلفة وجعل لكل أناس مشربهم والعرب غير العجم والشرق غير الغرب .



إن هناك غمزا بالسجع . وليس الاخ (كرد على) وحده الذى بدأ بهذا الغمز ، بل إن أحد الاصحاب أطلعنى على كتاب للدكتور زكى مبارك لحت فيه كلاما يشبه أن يكون استصغارا للسجع أو استكبارا لاتيانه . وهذا باب جديد عجيب إذا أردنا أن ندخل فيه يطول بنا الامر .

ولم نعلم أحداً عاب السجع من حيث هو ، وإنما يعاب السجع بالنسبة إلى المقام الذى يستعمله فيه الكاتب . أى أنه لما كان السجع تقييدا بفواصل

كما هو الشعر تقييد بقوافٍ فلم يكن السجع مستحسنا فى المواطن التى يجب أن يطلق منها عقال القلم تأدية المعانى على وجهها . أما فى المواطن التى هى أقرب إلى الشعر منها إلى المباحث العلمية الصرفة فليس السجع بالذى يعد سبة على العربية . بل هو من محاسن هذه اللغة . وإن كان يجب حذفه من هذه اللغة من أجل كونه طريقة قديمة ، ومن أجل أنه عبارة عن زينة كلامية فإن هذا يؤدى بنا إلى اقتراح حذف الشعر .

وأن العرب قد اصطلحوا على السجع فى اسماء الكتب ولم يخطئوا فى ذلك لأن الكلام المسجع أعلق فى الذهن من غيره[1] .

من محمد كرد على إلى شكيب أرسلان[2]

نعم ، شق على يا أخى أن تلقى دلوك فى الدلاء وأن تكتب مقدمة « قواعد التحديث فى فنون مصطلح الحديث » بهذا اللسان الذى ماعهده فيك من تأدبوا بأدبك وأكبروا عظمه بيانك . بالامس كتبت مقدمة النقد التحليلى لكتاب فى الادب الجاهلى فمن منا لم يعجب بما كتبت وحبرت وإن كنت قد أطلت وتوسعت .

واليوم تكتب ماتكتب لقواعد التحديث فى فن لست منه ولا أنا فى العير ولا فى النفير وجئت تغالى بكتاب ليس فيه من حديثه ولا أسلوبه أسلوب المؤلفين .

أنا أجلك عن الدخول فى هذا المأزق ، لانك فى غنية عنها ولست بحمد الله محتاجا إلى مصانعة الناس ولا نضبت أمامك الموضوعات ، تحتاج لمعالجتها

---

(١) الرسالة — ٥ أغسطس ١٩٣٥ .

(٢) الرسالة — ١٩ أغسطس ١٩٣٥ .

لتورثك شهرة وحسن ذكر ، وما أخالك إلا كتبت ما طلب منك فى غير وقت نشاطك . وليس لك من القول ماتقول نتبدع على عادتك . ومهما كانت منزلة الكتاب وكاتبه من نفسك . ما أرى لقلمك أن يجرى إلا فيما يصلح أن ينسب إلى إحسانه . وحملة الأقلام مسؤلون إذا اقتصروا مع المؤلفين والطابعين على مقارضة الثناء .

ولم يتعاودوهم بالنقد الصحيح . والإفراط فى التقريظ شيمة المتأخرين من أهل عصور الانحطاط الادبى فى العرب . والنقد المفيد عادة نقاد الأفرنج فى زماننا . ومن الامانة للعلم والأدب أن يدل كل كاتب على مواطن الخطل فى كلامه . وإلا أن نفشه وننفش قراءة فنجسم ما صغر حجمه فى الأذهان ولا يشول مهما نفخناه فى الميزان ثم عرض نموذجا لما قال فى مقدمته وقال :

بأبى أنت وأمى ياشكيب ! هل هذا بيانك الذى عرفته وعرفه فيك قومك أنا لا أطلب غير حكمك . فلا أحتكم إلا إليك ! أهذا كلام ترضاه لنفسك فى كتاب يبقى .. وما هذا القلق فى للمعانى والمبانى .

وحديث السجع . . أنت عرفت رأيى فيه ولعلك تذكر أنى كنت لفت نظرك إلى ما أسميت به كتاب رحلتك إلى الحجاز « الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج إلى أسمى مطاف » . وقلت لك يومئذ مهما بلغ من تقوب ذهنه لا يدرك لأول وهلة معنى هذا العنوان المسجوع إلا بكثير من إجهاد الفكر .

وهكذا كنت باستعمالك السجع فى بعض المقامات والغلو فى تقريظ من ترى تقريظه أن تنسينا حسناتك علينا فى كلامك المرسل الكثير وأنا على ماتعلم من أحرص الناس على تخليده وتأبيده .

بحقك هل رأيت لأحد من بلغاء القرون الأولى سجعا فى شىء من أسماء كتبهم وهذا الجاحظ وابن المقفع . وهذه اسماء كتبهما ورسائلهما . هل وجدت لهم سجعا تتقزز منه كصاحبك أبى إسحاق الصحابى الذى أفسد اللغة على علو مكانته فى الأدب بما سجع ورصع .

وأظنك موافقى على رأى فى أن التسجيع أضعف ملكات المؤلفين من عهد ابن العميد إلى زمن أستاذنا الشيخ محمد عبده الذى قضى بقوة حكومته على استعمال السجع فى الصحف والرسائل الرسمية ، فعد عمله هذا أكبر حسنة من حسناته ولولا عمله ما دخلت اللغة فى هذا الأسلوب الممتع الذى تقرؤه للمنشئين والمؤلفين . ونرجو أن تعود به اللغة إلى رونقها السالف من الرشاقة والجزالة .

ولو كنت على مقربة منك ما تركتك تقول فى مقدمة الديوان الذى نشرته بأخره ودعوته (روض الشقيق فى الجذل الرقيق) ما قلته فى فاتحته :

« . . الذى لا أجد لشعره وصفا فى عرضه عن الأنظار . ولا لديوان حلية أجمل نشره فى الاقطار . وخير وصف الحسناء جلاؤها والجواد عينه تغنى عن الفرار . ولعمرى لو وصفته بأزهار الربيع وأنواع البديع وشققت فى تحليته أصناف الاساجيع وكان هو فى الواقع دون ما أصف ما أغنيته فتيلا ولا رفعته عن درجته كثيراً ولا قليلا .

ولو كنت مقامك لقلت وما باليت « . . الذى لا أجد لشعره وصفاً أوفى من عرضه على الانظار . ولو وصفته بأزهار الربيع وكان فى الواقع دون .

ما أصف لما أغنيته فتيلا . ولو قدمته للقراء فريده معطالا . وكان هو فى نفسه درًّا نظيما لما خفى أمره . . »

أليس هذا الإيجاز أوقع فى النفس وأجمل فى أداء المعنى وأدعى إلى الإفهام من إسجاع تثقل على الطباع . ونحن إنما نكتب لنفهم لا لنعجم ونبهم .

الباب الخامس

معارك النقد

أولا : حول الآراء والمذاهب

١ ـ أساليب طه حسين :

(للمازنى وطه حسين)

٢ ـ مقومات الأدب العربى :

(زكى مبارك وأحمد أمين وعبد المتعال الصعيدى)

٣ ـ مذهبان فى الأدب :

(سيد قطب وسعيد العريان وشاكر والطنطاوى)

٤ ـ النقد الذاتى والنقد الموضوعى :

(أحمد أمين وطه حسين)

٥ ـ الأديب بين التجديد والإنحراف :

(زكى مبارك وزكى أبو شادى)

٦ ـ هل نقتبس أم نقلد :

(منصور فهمى وطه حسين)

٧ ـ معركة فقدان الثقة :

(هيكل وطه حسين)

٨ ـ الفن للفن والفن للمجتمع :

(أحمد أمين وتوفيق الحكيم)

الفصل الأول

أسلوب طه حسين

معركة بين المازنى وطه حسين

عند ما أصدر عزيز أباظة ديوانه « أناث حائرة » كتب الدكتور طه حسين مقدمة للديوان فنشر المازنى مقالا فى البلاغ هاجم فيه هذه المقدمة وقال أن الدكتور طه حسين قد خسره الأدب ولم تربحه الحكومة وقد أثارت هذه « المقدمة » ثائرة الدكتور طه . التى وجه خطابا الى رئيس تحرير البلاغ ضمنه نوعاً جديدا من الهجاء اصطنع فيه أسلوب الرمز والايماء واعتذر عن ذلك بأنه لا يتحدث إلى القارىء بقدر ما يتحدث إلى المازنى نفسه .

غير أن الدكتور زكى مبارك لم يدع هذا الكلام ينشر فى الصحف دون أن ينقله إلى مجلة الرسالة ويفسره . ويكشف رموز الهجاء التى ضمنها طه حسين مقالة.

والمعتقد أن هذه المعركة ليست شيئا قائما بذاته وإنما هى متصلة بمعارك سابقة أغضى الدكتور عنها فى حينها ثم انتهز هذه الفرصة فانتقم من المازنى . من هذا ما تجده فى معركة لقمة العيش بين الدكتور مبارك وبين الدكتور طه . ومنها ما أورده الدكتور طه من نقود متعددة لكتابية حديث الأربعاء والشعر الجاهلى مما أوردنا نموذجا منه فى معركة « كتابة التاريخ » وفى هذه المعركة .

إبراهيم عبد القادر والمازنى (١) .

وتوكلت على الله وقرأت التصدير الذى كتبه الدكتور طه حسين له فقلت لنفسى لاحول ولاقوة إلا بالله هذا طه حسين يخسره الأدب ولا تكسبه الحكومة فما خلق لها بل للادب وأنه ليضيع نفسه فى هذه المناصب التى تشغله وتستنفد جهده ووقته ، فإذا كتب جاء بماذا ؟ بمثل هذا الكلام الذى لامحصول وراءه ولاأعرف له رأسا من ذنب ، فلماذا لا يستقيل ويريح نفسه من هذا العناء الباطل ويتفرغ للادب فماذا يفتنه من هذا العرض الزائل والتى أهمل أو ترك أبقى ، كيف يستطيع بالله أن يواظب على التحصيل وتغذيه

---

(١) البلاغ فى ٢٥ يونية ١٩٤٢ .

عقله ونفسه ـ وهو مالاغنى بأديب عنه ـ وكيف يتسنى له التجويد حين يكتب وهو مشغول فى ليله ونهاره بهذا الذى لا آخر له من شئون الوظيفة. واللجان وما إليها.

حملت على طه لأنى لم أفهم تصديره لالأنه غير مفهوم أولا يفهم بل لأنى كنت ذاهلا شارد اللب وآية ذلك أنى لم أعرف من هذا التصدير أن الكتاب شعر لا نثر، وأن كان قد ذكر هذا فى غير موضع.

ورجعت إلى الكتاب بعد أيام فادهشنى أنه شعر أنه فوق هذا جيد عامر

طه حسين [١].

أراد الأستاذ المازنى أن يثنى على ديوان شاعرنا المدير أو مديرنا الشاعر الأستاذ عزيز أباظة فلم يستطع أن يصل إلى غرضه دون أن يقدم بين يدى مقالة برثاء لى وإشفاق على لأن الأدب قد خسرنى وأن الحكومة لم تكسبنى ولأنى كتبت فى تصدير هذا الديوان كلاما لا محصول وراءه ولا يعرف له رأس من ذنب

أنا أستأذنك فى أن أشكر للاستاذ رثاءه لى وأشفاقه على، فذلك أقل ماينتظر من أديب مثلى لايكتب إلا ماوراءه محصول وما يتبين رأسه من ذنبه وأريد أن أوكد أنى أسف أشد الأسف لأن الأستاذ عزيز أباظة لم يطلب إليه هو كتابة هذا التصدير إذن لكان له المحصول كل المحصول ولكان له رأس كقمة الجبل وذنب كالذى خوف به المنجمون المعتصم حين هم بفتح عموريه.

وآسف أشد الأسف لان الحكومة لم تكل إلى الاستاذ على فى وزارة المعارف وفى جامعة فاروق إذن لكسبته الحكومه والادب جميعا والاستاذ

---

(١) البلاغ – ٢٦ يولية ١٩٤٣

المازنى يعرف أن لابى العلاء قصة مع الشريف المرتضى واظنه يأذن لى فى أن أسرق من هذه القصة شيئا فالسرقة فى الادب مباحة ولاسيا حين تكون فى العلن لافى السر ، وهى حينئذ أشبه بالسطو . ولست أسرق من قصة أبى العلاء أو لست أسطو منها إلا بمقدار . فأنا أرجو أن يقرا الاستاذ سورة الفلق وأن يقرا مطولة لبيد ومطولة طرفه وعينية سويد بن ابى كاهل التى مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا
فبسطنا الحبل منها ما اتسع

ورائية الاخطل التى مطلعها :

الا ياسلمى ياهند هند بنى بدر
وأن كان حيانا عدى آخر الدهر

ولامية المتنبى التى مطلعها :

بقائى شاء ليس هم ارتحالا
وحسنى الصبر زموا لا الجمالا

وسيقول القراء انى الغز بهذا الكلام ولكنى اعتذر إليهم فانى لا أكتب لهم وإنما اكتب للاستاذ المازنى . وأنا اسلك فى ذلك طريقة الاستاذ نفسة فمن المحقق انهم لم يفهموا عنة ما قال أمس لانهم لم يقرأوا التصدير الذى لا محصول وراءه والذى لارأس له ولاذنب ولان اكثرهم لن يقراه لأن الكتاب ليس معروضا للناس واحبب إلى بأن استقيل وأفرغ للادب ولكنى أود أن استيقن قبل ذلك بأن الحكومة ستضع الأستاذ المازنى مكانى لنرى أيكتب كلاما كالذى أكتبة أم يكتب كلاما خيراً منة .

زكى مبارك(١) :

مناوشة عنيفة ثارت بين الدكتور طه والأستاذ المازنى على صفحات جريدة البلاغ وهى مناوشة تمثل التجنى والتظالم على اعنف ما يكون بغى الرجل على الرجل ، وسنقف من المناوشة موقف القاضى العادل فقد ساءنا أن يتقارض هذان الرجلان الظلم والعدوان بلا ترفق ولا استبقاء بعد أن ظلا صديقين حينا من الزمان وأصل القصة ان عزيز اباظة مدير البحيرة اصدر مجموعة شعرية سماها (انات حائرة) مع تصدير بقلم الدكتور طه حسين .

فلما بدا الاستاذ إبراهيم المازنى ان يتحدث عن تلك المجموعة بدا بالهجوم على صاحب التصدير فغضب الدكتور طه وكتب ردا اراد به دفع العدوان بما هو اقسى من العدوان ثم قال إنه سيفسر للقارىء هذه الرموز .

ولخص زكى مبارك كلمة المازنى فى عناصر اربع :

١ — إن الدكتور طه خسره الأدب ولم تكسبه الحكومة ومعنى ذلك انه يتولى عملا لم يخلق له . وسنرى كيف ان الدكتور طه ثار على هذه العبارة وعدها تحديا لقدرته فى الاعمال الحكومية .

٢ — إن الدكتور طه يضيع نفسه فى مناصب تشغله وتستنفد جهده ووقته فإذا كتب جاء بكلام لا محصول من ورائه ولا يعرف له راس من ذنب

٣ — إن الافضل للدكتور طه ان يستقيل ويريح نفسه من العناء الباطل (وهو عمله فى الحكومة) ويتفرغ للادب .

---

(١) الرسالة — ٩ أغسطس ١٩٤٣ .

٤ — إنه لا يمكن للدكتور طه أن يزود نفسه بالتحصيل أو يتفرغ للتجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره بأعمال كل واحد منها كاف للارهاق

ونسارع فنذكر أن الإشارة إلى سورة الفلق منصب على آية « ومن شر حاسد إذا حسد » .

وإن الإشارة إلى مطوله (لبيد) يتجه إلى هذين البيتين :

فأقنع بما قسم المليك فإنما
قسم الخلائق بيننا علامها

وإذا الأمانة قسمت فى معشر
أوفى بأعظم حظها قسامها

وأنه يريد من مقوله (طرفه) هذا البيتان :

فلو كنت وغلا فى الرجال لضرنى
عداوة ذى الاصحاب والمتوحد

ولكن نفى عنى الاعادى جرأتى
عليهم وإقدامى وصدقى ومحتدى

ومن عينيه (سويد) أشار الدكتور طه إلى هذين البيتين :

رب من أنضجت غيظاً قلبه
قد تمنى لى موتاً لم يطع

وترانى كالشجا فى حلقه
عسراً مخرجه ما ينتزع

وأراد من رائية (الاخطل) هذين البيتين :

تنق بلا شيء شيوخ محارب

وما خلتها كانت تريش ولا تبرى

ضفادع فى ظلمات ليــل تجاوبت

فدل عليها صوتها حية البحر

ومن لامية (المتنبي) أراد هذين البيتين :

أرى المتشاعرين غــروا بذمى

ومن ذا يحمــــــل اداء العضال

ومــن يك ذا فم مر مريض

يجد مراً به المـــاء الذلالا

وما أردت تبليغ هذه التعاريض إلى الاستاذ المازنى . وإنما أردت منفعة القراء والشر يتمم بالخير فى بعض الاحايين .

غمزات الدكتور طه .

١ — كان يستطيع أن يقول أن « يستعير » قصة أبى العلاء مع الشريف و« يستعير » هو اللفظة المطلوبة فى هذا الموقع . ولكنه قال أنه « يسرق[١] » ليندد بالأستاذ المازنى ولم يكتف بذلك بل جعل سرقته علمية ، وهى « حينئذ أشبه بالسطو » كما قال .

٢ — صور الأستاذ المازنى بصورة الحاسد لمن كتب تصدير الديوان .

---

(١) كان قد وجه للمازنى فى بعض المناسبات إتهامات السرقة من قصائد بعض الشعراء الانجليز وكتاب القصة .

٣ — صوره بصورة من يعجز عن عمل المستشار الفنى لوزارة المعارف ويعجز عن إدارة جامعة فاروق .



وقد فصلنا الخصومة بين الرجلين بوضوح ولم يبق إلا نكف شر الاستاذ المازنى عن الدكتور طه . وشر الدكتور طه عن الاستاذ المازنى . لاننا نكره أن تختل الموازين فى هذه البلاد .

ولم ينس الدكتور زكى مبارك أن يهاجم الدكتور طه بعد أن أشاد بقدرته على إدارة الاعمال الحكومية فقال :

أما قول الاستاذ المازنى بأن شواغل الدكتور طه تصرفه عن تزويد عقله بالمطالعات والمراجعات فهو قول صحيح . ولكنه لا يؤذى الدكتور طه فى شىء لأن الدكتور طه قد اختار بنفسه أن يكون من رجال الدولة لا من رجال الادب وهو لن يزاحم أحداً من الباحثين ولن يقول أنه أوحد الناس فى جميع الفنون فما يجوز لمن يكون فى مثل حصافته أن يتناسى أن الاستاذية فى الادب توجب الإنقطاع إلى الادب . وتفرض الخلوة إلى النفس ساعات من كل يوم وذلك لا يتيسر لمن تكون الاعمال الإدارية عناءه بالنهار وهمه بالليل .

٢ — رأى المازنى فى أسلوب طه حسين

إذا أردنا أن نعرف لماذا هاجم طه حسين المازنى على هذا النحو ، علينا أن نرجع الى ما قبل ذلك بعشرين سنة منذ ما هاجم المازنى أسلوبه طه حسين فى حديث الأربعاء فقال :

والآن ما رأينا فى أسلوب صديقنا الدكتور طه حسين .

الحق أن هذا موضوع يدق فيه الكلام !

تناولت القلم فكتب به الشيطان ما يأتى :

الدكتور طه حسين رجل انيس المحضر زكى الفؤاد جرىء القلب تعجبك منه صراحته ويعلق بقلبك إخلاصه ووفاؤه . ويثقل عليك أحيانا اعتداده بنفسه .

ولما كان قد ألف أن يملى كتبه ورسائله ومقالاته فإن كتبه وحديثه خين يجد فى مستوى واحد ، كائنا ما كان ذلك المستوى ، فلست تفقد فى أحاديثه ما تجده فى كتابته من الخصائص والشيات وينذر فى غيره مثل ذلك .

ومن شأن الإملاء أن يحول دون مط الكلام وأن يجعل الجمل قصيرة فلا تطول مسافة ما بين أولها وآخرها . وأن يغرى بالتكرير والإعادة إلى حد ما ، إذن أنا أخرجها من عالم الكتابة . نعم ولن أراها إلا خطبا مدونة .

وقد صدق فى قوله «أنى ما كتبت فصلا إلا وأنا أعلم أنه شديد النقص يحتاج إلى استئناف العناية به والنظر فيه وإنا أقدر أن سيتاح لى من الوقت وفراغ البال ما يمكننى من استئناف تلك العناية وهذا النظر حتى إذا فرغت منه ونشوته السياسة وعرضت لغيره فى مثل هذه الحالة العقلية التى عرضت له

---

(١) فيض الربيع للمازنى — ص ٣٠ .

فيها معتزماً أن استأنف العناية به والنظر فيه مستحييا أن أقدمه إلى الناس على مافيه من نقص وحاجة إلى الإصلاح . والأيام تمضى والظروف تتعاقب مختلفة متباينة أشد الاختلاف وأعظم التباين ولكنها كانت تحول دائما بينى وبين ما كنت أريد من تجديد العناية واستئناف النظر » .

ولا شك أن أظهر عيب فى مقالات الدكتور هو التكرار والحشو وما إليهما من سبيل وعندنا أن علة ذلك ليست فقط انه يملى ولا يراجع بل الأمر يرجع فى اعتقادنا إلى سببين جوهرين :

أولهما : إن ما أصيب به فى حياته من فقد بصره كان له تأثير لا يستطيع أن نقدر كل مداه فى الأسلوب الذى يتناول به موضوعاته . وليس يخفى أن المرء إذا حيل بينه وبين المرئيات ضعف أثرها فى نفسه ولم تعد الكلمة الواحدة تغنى عن إحضار الصورة المقصودة إلى ذهنه بالسرعة والقوة الكافيتين ، فلا يسعه فيما يعتقد إلا الإسهاب ومحاولة الإحاطة ومعالجة الإستقصاء والتصفية .

وثانى هذين السببين : أنه استاذ مدرس وقد طال عهده بذلك والتعليم مهنة تعود المشتغل بها التبسط فى الإيضاح والأطناب فى الشرح والتكرير أيضا وبعبارة أجلى تضطر المدرس إلى تجنب التعمق والغوص ، وأن يكتفى ما وسعه الإكتفاء — بما لا عسر فى فهمه ولا عناء فى تلقيه وتلك آفة التدريس . :

٢ — هل[١] زادت معارفنا به قليلا أو كثيراً ؟ (يقصد كتاب حديث الأربعاء) أكنا نكون أجهل مما نحن الآن لو لم يكتبه . وأذكر أن الأدب العربى ليس إلا بعض الأدب العالمى وأن الدكتور لم يتناول فى كتابه سوى

(١) ص ٤٥ — من كتاب قبض الريح .

جانب واحد من فترة من عصر من عصور الأدب العربي . وأعنى بذلك أن الدكتور لم يزدنا علماً بالعصر العباسي ولم يضف إلى ما نعرفه عنه جديداً فلو لم يكتب هذه المقالات لما فاتنا شيء يذكر من هذه الناحية . ولكن هذه المقالات كشفت عن جانب من جوانب نفسه هو ، لم يكن يتأتى لنا العلم به والإطلاع عليه لو فقدنا هذه المقالات . وهذا هو الذى ربحناه . والواقع أننا جميعاً نترجم لنفوسنا ونحدث الناس عنها ونكشف لهم عن دخائلها حين نكتب مؤرخين أو مترجمين أو ناقدين أو غير ذلك .

٣ — ألف(١) الدكتور كتاباً ودفعه إلى الناس وقال لهم فى تواضع كله كبر : هذا ما رضيت لكم : وماهو بسفر أو كتاب كما أتصور السفر والكتاب وإنما هى مباحث متفرقة (لست تجد فيها الفكرة الواضحة القوية المتحدة التى يعبر عنها المؤلفون حين يؤلفون كتبهم) وبالغ فى هذا التواضع المقلوب فأعلن إلى الناس أنه لم يعن بهذه المباحث العناية التى تليق بكتاب يعده صاحبه ليكون كتاباً حقاً) كأنما أراد أن يقول لقراء الصحف السيارة وهم جمهور القراء فى مصر: لستم أهل للعناية . كلا ياسيدى . ولكم وددت أنا — المازنى — حين قرأت هذه المقدمة التى صدر بها الدكتور كتابه وقبل أن يعتل حائك الأقدار مابين أسبابى وأسبابه أن اعلمه احترام القراء .

ولقد سمعت الدكتور مرة يقول وقد عرض ذكر أسلوبه ما معناه أنه لا يطمع من الشهرة فى أكثر ماوفق إليه من كثرة المقلدين الذين يقتاسون به وعندى أن الأساليب التى يسهل محاكاتها هى أخلى الأساليب من المياسم الشخصية والميزات الخاصة التى يختلف بها كل كاتب عن كاتبه .

---

(١) ص ٤٧ — من كتاب قبض الريح للمازنى .

— ٢ —

مقومات الادب العربى

معركة بين زكى مبارك وأحمد أمين

كتب أحمد أمين مجموعة مقالات فى مجلة الثقافة تحت عنوان (جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى) ٩ و ٢٣ مايو ١٩٣٩ و ٤ يونية ١٩٣٩ و ٤ و ١٠ أغسطس ١٩٣٩ ثم كتب تحت عنوان (أدب الروح وأدب المعدة) مقالا فى ٦ يونية ١٩٣٩ .

وفى ١٢ يونية ١٩٣٩ فاجئت مجلة الرسالة قرائها باستهلال لسلسلة من المقالات العنيفة فى الرد على أحمد أمين بقلم الدكتور زكى مبارك تحت عنوان (جناية أحمد أمين على الأدب العربى)

وقد اتصلت هذه المقالات حتى ١٣ نوفبر ١٩٣٩ أى أنها استمرت ستة شهور وبلغت ٢٢ مقالة .

ولم يشترك أحمد أمين فى المعركة على نحو سافر مما يمكن معه أنه يطلق على هذا السجال اسم معركة وأن اشترك فيها بعض الباحثين أمثال عبد الوهاب عزام وعبد المتعال الصعيدى .

ولا شك أن هذه المعركة تمثل جانبا هاما من جوانب حياتنا الفكرية ذلك هو اختلاف المدرسة الحديثة على نفسها ووقوف أحمد أمين الأزهرى الذى لم يدرس فى الجامعات الأوربية موقف التطرف فى ترديد أراء المستشرقين ودعاة التغريب بينما وقف زكى مبارك خريج السوربون موقف الاعتدال والدفاع عن تراثنا ومقدراتنا ويمكن القول أن زكى مبارك بالرغم من عنفه وشماسة كان يصدر عن نفس نقية من الخصومة الشخصية : قال :

« أقسم أنى أهجم على هذا الرجل وأنا كاره لما أصنع ، فأحمد أمين رجل محترم وقد صعد بكفاحه إلى منزلة عالية فى الحياة وأنا قد ضيعت جميع أصدقائى بفضل جرائر النقد الأدبى . وكنت أحب أن أداوى ماجرح قلبى لأنجو من الدسائس التى تعترضنى فى جميع الميادين » .

ثم يقول « أن أحمد أمين لم يوجه إلى أية إساءة ، وربما جاز أن يقال أنه لم يؤذ أحداً من معاصريه . ولكن احمد أمين الذى كف شره عن الأفراد وجه شره إلى التاريخ . فهو يدرس ماضى اللغة العربية بلا تحرز ولا رفق ولو تركناه شهرين اثنين يؤرخ الأدب على هواه لجعل الأمة العربية أضحوكة بين العالمين » .

ويصور صلة أحمد أمين بطه حسين فيقول : إن الدكتور طه هو المسؤل من أحمد أمين فهو الذى قال « إن أحمد أمين يكن لم يعرف نفسه فهديناه إليها . ومعنى ذالك أن أحمد أمين لم يكن يعرف أنه أديب قبل أن يدله الدكتور طه على الكنز المدفون فى صدره ، أن أحمد أمين لم يكن أديبا وإنما قال له طه حسين كن أديبا فلم يكن » .

ويقول فى موضع آخر « كان أحمد أمين مشدود البصر إلى رجل وأحد هو طه حسين : كان يكتب وهو يراه أمامه لأنه كان يعرف عداوته له فيخشى صولته .

ويقول : أن أحمد أمين شغل نفسه بالنص على أن العرب فى جاهليتهم « لم تكن لهم وثنية تبدع الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان وذلك يشهد بان الجاهليين لم يكونوا من أهل الخيال »

هل يعرف القراء من أين أخذ « أحمد أمين » هذا الرأى . أخذه من قول الدكتور أحمد ضيف (وقد قال بعض المستشرقين مثل رينان ومن جرى على مذهبه أن العرب كسكل الأمم السامية ليس لها أساطير فى شعرها وفى عقائدها) .

ثم قال « ولو كان أحمد أمين يعرف أن فى مصر رجالا يسايرون الحياة الأدبية مسايرة تمكنهم من رد كل كلام إلى مصادرة الظاهرة والخفية لتهيب عواقب السطو على آراء من سبقوه فى القديم والحديث » وقد ردد مرات أن أراء الدكتور ضيف التى أذاعها ١٩١٨ عاد أحمد أمين إلى ترديدها ١٩٣٨ .

ويرد على قول أحمد أمين ان ادب المقامات « أدب معدة » ان إحتقار

المعدة لا يقوم على أساس من الواقع ولا من المنطق وإنما هو مجاراة للعوام الذين يصعب عليهم أن يدركوا أن النفس تتبع الجسم فى الصحة والمرض والقوة والضعف والنشاط والخمول ويعسر عليهم أن يفهموا أن الإنسان يرى للمعنويات والمحسوسات بأشكال مختلفة فى وجوه متباينة تبعا لإختلاف الذوق والحس والمزاج » .

ولم يلبث زكى مبارك بعد أن أنهى مقالاته الأثنين والعشرين أن عاد إلى مصالحة أحمد أمين (الرسالة عدد ٣٣٦ — ١١ ديسمبر ١٩٣٩) فقال :

ولم يبق شك فى أن الأستاذ أحمد أمين غضبان بسبب المقالات التى تجاوزت العشرين والتى حرضت عليه من خاصموه فى مجلة المكشوف وأغرت بعض أنصاره فى العراق وأخرجته عن وقاره فشتمنا فى مجلة الثقافة بأبيات جاهلية سامحه الله وعفا عنه وأقول اليوم أنى استوحشت بما صنعت والإعتراف يهدم الإقتراف

وليس من الكثير أن أرجو عفوه . فقد عفا أخ له من قبل .

والأستاذ أحمد أمين يعرف أنى رجل ممتحن بعداوات الرجال . وقد عانيت من ذلك مصاعب لو صادفت رجلا غيرى لدحرته فى أقصر وقت . فمن حقى عليه وهو صديقى وجارى وكان زميلى فى الجامعة المصرية أن يتجاوز عن سيئاتى أنه — ولله المثل الأعلى — غفور رحيم .

وهذه مقتبسات من هذه المساجلة :

جناية أحمد أمين على الأدب العربى (١)

لصديقى الأستاذ أحمد أمين مؤلفات جيدة على أساس المنطق والعقل

(١) الرسالة — ١٢ يونية ١٩٣٩ (المقال الأول) .

وهو من كبار الباحثين من العصر الحديث ولكنه على أدبه وفضله لايحسن إلا حين يصطحب الرويه ويطيل الطواف بالموضوع الواحد عاما أو عامين وذلك سر تفوقه فيما نشر من البحوث والتصانيف .

أحمد أمين باحث كبير بلا جدال ولكنه ليس بكاتب ولا أديب أن كان من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية . ولم يستطع أحمد أمين على كثرة ما كتب وصنف أن ينقل القارىء من ضلال إلى هدى أو من هدى إلى ضلال . وإنما كانت مؤلفاته وبحوثه ضربا من التقرير الذى يخاطب الأذهان ويعجز عن مخاطبة العقول والقلوب .

وحياة أحمد أمين تؤيد ما تقول : فهو رجل لا يعرف الخلوة إلى الفكر والقلم . ولا يتسع وقته لدرس مافى الوجود وما فى الأخلاق من مشكلات ومعضلات . وإنما يقرأ ويسمع ويعلق على ما يقرأ ويسمع . بدون أن يتغلغل إلى أسرار المجتمع أو سرائر القلوب .

الخطر كل الخطر أن ينصب هذا الرجل نفسه حاكما بأمره فى مصير الآداب العربية وهو لم يستطع إلى اليوم أن يقيم الدليل على أنه يتذوق المعانى والأساليب .

والخطر كل الخطر أن يتوهم أحمد أمين أنه قادر على زعزعة ما أقامته الأيام . من الحقائق الأدبية . الحقائق التى ساد بها :العرب فى أزمان طوال . وكان لها سلطان مهيب فى إقطار الشرق وإقطار الغرب .

ولكن ما الذى نقل ذلك الرجل الفاضل من حال إلى أحوال وحوله من الروية إلى الإرتجال .

لقد أصبح الرجل صحفيا ، وكان استاذا ، ولكنه لم يراع أدب الصحافة ، لأن الصحافة تقف عن المشاهدات وهو يهيم بأودية الفروض .

أبتدأ الرجل مقالاته فى مجلة الثقافة بتلخيص بعض الكتب الأدبية فكان من الصحفيين الأدباء ثم رابعاه يتحول فجأة فيلخص الأدب العربى فى جميع صوره تلخيصاً يقوم على أساس الخطأ والاعتساف . ويعوزه تحرير الحجة وتصحيح الدليل ، فهل يظن أنه سينجو ومن عواقب ما يصنع ؟

هل يتوهم أن التجنى على الأدب العربى سيمر بلا إعتراض ولا تعقيب ، فما رأيه إذا اقنعناه بأن للادب العربى انصاراً يغارون عليه أشد الغيرة ويقفون لخصومه بالمرصاد .

٢ — أنا[1] أومن بأن الأدب العربى أدب أصيل واعتقد أن من الواجب أن ندعو جميع أبناء العروبة إلى الاعتزاز بذلك الأدب الأصيل لأنه يستحق ذلك لقيمته الذاتية ولأن الإيمان بأصالته يزيد فى قوتنا المعنوية ويرفع أنفسنا حين ننظر فنرى أن أسلافنا كانوا من المبتكرين فى عالم الفكر والبيان .

وقد درج الأستاذ أحمد أمين فى الأيام الأخيرة على الغض من قيمة الأدب العربى وكان من السهل أن نتركه يقول ما يشاء لو كان من عامة الادباء . ولكنه اليوم رجل مسئول ، لانه من أساتذة الادب بالجامعه المصرية ولاغلاطه سناد من تلك الاستاذية فهو يقدر عزعزعة الثقة الادبية فى أنفس طلبة الجامعة حين يريد .

فإن بدأ لهذا الصديق أن يغضب من هجومنا عليه فأمامه الخلاص :

---

(١) الرسالة — ١٩ يونية ١٩٣٩ .

وهو الانسحاب من ميدان الدراسات الادبية إلى أن يعرف أن الادب لايؤرخ على طريقة الارتجال .

ولعل هذا الصديق يرجع إلى نفسه فيذكر أنه لم يخلق ليكون أديبا وأنه لم يفكر فى دراسة الأدب دراسة جدية إلا بعد أن جاوز الاربعين . لو رجع هذا الصديق إلى نفسه لعرف أنه لايجيد إلا حين يشغل وقته بتلخيص المذاهب الفقهية والكلامية . ولو شئت لكررت ما قلت من أن موقفه فى جميع ابحاثه موقف (المقرر) ولم يستطع مرة أن يكون من المبتكرين فى الدراسات الفقهية والكلامية وإذا كان هذا حاله فى الفقه والتوحيد فكيف يكون حاله فى الآدب ، والآدب يرتكز على الحاسة الفنية . وهى حاسة لم توهب لهذا الرجل قبل اليوم ولن توهب له بعد اليوم لأنها من الهبات التى لاتنال بالدرس والتحصيل .

احمد امين ليس بكاتب ولا اديب وان سود الملايين من الصفحات .

ايهدم ماضينا الادبى بمحاولة رجل محروم من الذوق الادبى ، هذا الرجل ينظر إلى الأدب وإلى الوجود نظره عامية : فهو يقسم الأدب إلى قسمين : أدب معدة وادب روح . والسخرية من المعدة لاتقع إلا من رجل يفكر كما يفكر الأطفال فالمعدة التى يحتقرها هذا الرجل العامى هى سر الوجود . وعن قوة المعدة تنشأ قوة الروح .

إن المباعدة بين المعدة والروح عقيدة هندية الأصل وتلك المباعدة هى التى قضت بأن يعيش الهنود فقراء ولو احترم الهندى معدته كما يحترم الإنجليزى معدته لما استطاع الانجليز ان يكونوا سادة الهنود .

لقد فكرت كثيراً قبل ان اقدم على هذه الحملة الأدبية وصح هندى بعد

الروية أن الغض من قيمة الأدب العربى هو عدوان على كرامة الأمة العربية. فأنا استهدف لعداوه هذا الرجل وعداوة أصدقائه فى سبيل المبدأ والعقيدة.

والهجوم على هذا الرجل قد ينفعه أجزل النفع فينقله من حال إلى أحوال ويحبب إليه التروى والتثبت ويصرفه عن التحامل البغيض على الأدب العربى

وإنما يصل إليه الخطأ من طريقين: الاول عدم تمكنه من تاريخ الأدب العربى والثانى عدم تعمقه فى درس السرائر النفسية والوجدانية.

واحدد الغرض من هذه الحملة فأقول: تورط أحمد أمين فى أحكام جائرة وهو يلخص تاريخ الأدب بطريقة صحفية.

٣ — إن(١) هذا الرجل يحكم على الأدب العربى أحكاما تشهد بأن طريقته فى فهم الأدب والحياة طريقة عامية فكيف يكون حاله إذا صححنا بعض ما وقع فيه من أغلاط. أيرجع إلى الحق. أيوجه إلينا كلمة ثناء. هنا تعرف قيمة الأخلاق فى نفس الرجل الذى ألف أول ما ألف فى الأخلاق!! وأقسم أنى أهجم على الرجل وأنا كاره لما أصنع فاحمد أمين رجل محترم، وقد وصل بكفاحه إلى منزلة عالية فى الحياة الأدبية وأنا قد ضيعت جميع أصدقائى بفضل جرائر النقد الأدبى. وكنت أحب أن أداوى ما جرح قلبى فأنجو من الدسائس التى تعترضنى فى جميع الميادين ولكن كيف أسامح رجلا يحاول أن يلطخ ماضينا الأدبى بالسواد. يرى هذا الرجل أن (المديح

---

(١) ٢٦ يولية ١٩٣٩ (الرسالة: المقال الثالث).

والهجاء) هى اظهر الفنون فى الأدب العربى وبذلك يـكون الادب العربى فى اغلب احواله أدب معدة لاأدب روح [1] .

ولو كان هذا الرجل يدقق لعرف أن المديح والهجاء هى السجل الصحيح للاخلاق العربية . فمن المديح نعرف كيف كان العرب يتمثلون المناقب ومن الهجاء نعرف كيف كانوا يتصورون المثالب ومن المحاسن والعيوب. يعرف الباحث صور المتمع فى الحياة العربية والإسلامية .

ولو ضاعت قصائد المديح والهجاء لضاع بضياعها أعظم ثروة يستعين بها علماء النفس لفهم تطورات الافـكار والأذواق فيما سلف من عهود التاريخ

حتى قال ... أريد أن أنزه تاريخ العربى عن وصمة المعدة وللمعدة ليست وصمة إلا فى ذهن الأستاذ أحمد أمين .

أحمد أمين يقول :

« نرى فى العصر العباسى طغيان ادب المعدة على أدب الروح . هذا

---

(١) كتب أحمد أمين يصور الفرق بين أدب الروح وأدب المعدة فقال :

أدب الروح هو الأدب الذى يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغنيها القرآن أدب روح لأنه يسمو بالإنسان عن عالم المادة وتأخذ بيده إلى السماء وباب الحماسة من ديوان الحماسة أدب روح وغزل جميل وكثير والعباس بن الأحنف أدب روح والغزل الفاجر أدب معدة . وأدب الطبيعة أدب روح .

قال زكى مبارك : أن القرآن إذن على هذا الأساس أدب معدة لأنه ذكر الحور العين .

وقال زكى مبارك أنه لا يمكن للمرأة أن تـكون مصدر وحى والهام الرجل إلا إذا اشتهاها بشهوة حسية ومن قال بغير ذلك فهو رجل ضعيف لا يدرك جوهر الصلات بين الرجل والمرأة .

وأن رجال الأخلاق لم يستنكروا الشهوات إلا بسبب الاسراف . أما الشهوات فى حد ذاتها فهى دليل العافية . وأن فضيلة العفاف لا يقام لها وزن إلا حين تصدر من رجال مزودين بحيوية الشهوات .

وقال أحمد أمين أن أدب المعدة فهو ذلك الأدب الذى يدور حول ملء المعدة واستدرار المال وتحصيل القوات . ومثل لذلك بالغزل الفاجر ومقالات الـكتاب التى هدفها الأول ملء الأمعدة والاستيلاء على الرواج وأدب المديح .

البارودى اختار لثلاثين شاعرا من خيرة شعراء الدولة العباسية . وكانت مختاراته فى أربعة أجزاء كبار ، فكان مااختاره من المديح ٢٤٨١٥ بيتا ومن الأدب ١٩٦٧ بيتا ومن الغزل ٤٦١٦ بيتا ومن الهجاء ١٢٢٩ بيتا ومن الوصف ٣٩٩٣ ومن الزهد ٤٧٣ بيتا ونظره واحد إلى هذا الإحصاء تدهشنا أشد الدهش إذ تبين لنا طغيان أدب المعدة — وهو المديح والهجاء ـ على أدب الروح طغيانا كبيرا ، هذا هو أحمد أمين الذى يدرس الأدب بالإحصاء والذى يقيس الدواوين الشعريه بالمتر والباع والذراع .

لو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن طغيان المديح على الزهد كان من علائم الحيوية فى العصر العباسى . فهو الشاهد على أن العرب كانت حياتهم تتزاحم بالأخطار الدنيوية وهو الشاهد على أنهم كانوا أهل نجدة وأريحية وهو الدليل على أنهم كانوا يحيون حياة تفيض بمعانى الأفراح والأحزان وتتسم بعلائم القوة والكفاح .

٤ — يعلن [1] الأستاذ أنه يحتقر المعدة ليصح له التطاول على ماضى الأدب العربى ، واحتقار المعدة لايقوم على أساس من الواقع ولا من المنطق وإنما هو مجاراة للعوام الذى يصعب عليهم أن يدركوا أن النفس تتبع الجسم والصحة والمرض والقوة والضعف .

والواقع أننا عبيد لحواسنا واعصابنا . وأن جمهورنا مدين فى تكوين ذوقه وعقله إلى ما يأكل وما يشرب .

يقول أحمد أمين . .

« ثم أنظر بعد إلى الفن المبتكر فى العصر العباسى . وهو فن المقامات

(١) الرسالة — ٣ يولية ١٩٣٩ (المقال الرابع) .

فقد ابتدعها بديع الزمان الهمزانى فلم يجعل محورها حبا ولاغراما كما يفعل الروائيون ولم يجعل محورها شيئا يتصل بأدب الروح ولـكنها كلها « أدب معدة » فابو الفتح الإسكندرى بطل المقامات كلها : رحل مـكار واحتيال يصطنع جميع المهن لابتزاز الأموال ، نراة مرة قراداً يسلى الناس ويضحكهم ومرة واعظا مزيفا يعظ وينصح ثم تتـكشف حيله فاذا هو مهرج .

وجاء الحريرى فجعل مـكان أبى الفتح الإسـكندرى أبازيد السروجى وهو كصاحبه دناءه نفس وخساسة حرفه » .

— ابهذه الجرأه يحـكم أحمد أمين على فن المقامات .

يلاحظ أولا أن أحمد أمين لم يفهم أغراض الحريرى وبديع الزمان فهو يتوهم أنهما يحاولان إغراء الجماهير بالإقبال على ما فى تلك المقامات من شمائل وخصال بينما الغرض من نظم المقامات عند بديع الزمان هو نقد الحياة الإجتماعية والأدبية فى القرن الرابع .

وغفل أحمد أمين أن للفن غاية أخرى : وهى النظرية التى تقول بأن للفن والأدب غاية أصيلة هى الصدق فى وصف ما ترى العيون وما تحس القلوب وماتدرك العقول

ثم يقول : هل يطلب من الـكاتب ألا يغفل وصف الطفيليين لئلا يقال أن أدبه أدب معدة .

أتحبون أن تعرفوا من أين وصل الخطأ إلى الأستاذ أحمد أمين !

وصل إليه الخطأ من التلمذة للاستاذ الـكبير الدكتور طه حسين؛ فقد حـكم الدكتور طه بأن العصر العباسى عصر شك ومجون لأن فيه عصابة

مشهورة بالزيغ والفسق وهى جماعة أبى نواس ومطيع بن أياس. مع أن العصر الدنى عرف أمثال هذين الرجلين هو نفس العصر الذى نبغ فيه كبار الفقهاء والنساك والزهاد : وهو الذى بلغ فيه الفكر العربى غاية الغايات فى فهم أصول الفلسفة وأصول الاخلاق .

٥ — « عرض [1] زكى مبارك لمـا ورد فى كتاب أحمد الشايب « الاسلوب » الذى قرر فيه بأن أحمد أمين له أسلوب له مزايا وخصائص.

وتساءل : هل لإحمد أمين أسلوب حتى يخلق لاسلوبه مزايا وخصائص ثم قال : أن الدكتور طه وقف فى قصر الزعفران سنة ١٩٢٧ ألقى كلمة فى مهرجان شوقى فقال: أن الجامعة لاتؤرخ الإحياء . ثم هو الذى أرتضى لنفسه أن يدرس أسلوب أحمد أمين بكلية الآداب .

ثم قال : أتريدون الحق أن أحمد أمين لم يكن له اسلوب يدرس فى كلية الآداب إلا لأنه أستاذ فى كلية الآداب . وإلا فكيف غابت قيمة أسلوبه عن أساتذة الازهر واساتذة دار العلوم .

أن الرجل لا يكون له أسلوب الإ يوم يصح انه يحس الثورة على ما يكره والإنس بما يحب ، فعندئذ تعرف نفسه معنى الإنطباعات الذاتية ويعبر عن روحه وعقله وقلبه بأسلوب خاص .

لقد اشتغل احمد امين بالقضاء الشرعى بضع سنين فهل قرأتم له مقالا او قصه تدل على انه توجع مرة واحدة لآلام الإنسانية .

لقد عاش احمد امين بالواحات فهل سمعتم قبل ان تسمعوا منى أنه قد عاش بالواحات .

---

(١) الرسالة — ١٠ يوليو ١٩٣٩ (المقال الخامس) .

ولكن احمد امين لم يكن اديبا ، وإنما كان موظفا مخلصا لواجب الوظيفة لايرى ما عداها من الشؤن ثم قال طه حسين : كن اديبا فكان :

ان هذا الرجل اراد ان يؤرخ العصر العباسى من الوجهة الأدبية فجعله عصر معدة لاعصر روح وشاء له أديه ان يختص البصرة بحكم من احكامه القاسية فزعم انها عرفت « نقابة الطفيليين » فهل خطر فى بال هذا الباحث الفضال ان البصرة عرفت اكرم انواع نكران الذات حين كانت مهدا لإخوان الصفاء .

لو ان احمد امين كان يدقق لعرف ان البصريين لم يصلو إلى ذلك إلا لقوة الروح فكيف شاء له هواه ان يجعلهم اصحاب معدات ! لو ان معدتى كانت كما احب من القوة والعافية لأكلت لحم الأستاذ احمد امين وارحت الدنيا من احكامه الجائرة فى الأدب والتاريخ .

ولكن الدهر حكم بأن اكون من اصحاب الأرواح فلم يبق لى فى محاسبته غير شيطنة الروح وفى الأرواح شياطين

٦ — يشهد (١) الأستاذ « احمد امين » على نفسة فيقول :

« اين الشعر العراقى الذى تجد فيه الشعراء يتغنون بمناظر العراق الطبيعية ويضعون فيه أحداثهم الإجتماعية . واين الشعر الشامى او المصرى او الاندلسى الذى يشيد بذكر مناظر الطبيعة واحوال الاجتماع للشام ومصر والاندلس : انك تقرا الشعر العربى فلا تعرف ان كان هذا الشعر مصرى او عراقى او شامى إلا من ترجمة حياة الشاعر : اما القالب كله فشىء واحد :

(١) الرسالة — ٢٤ يولية ١٩٣٩ .

والموضـــوع كله واحد : مديح أو رثاء أو هجاء أو نحـــو ذلك مما قال الجاهليون » .

يعتقد أحمد أمين أن شعراء العراق لم يصفوا مناظر بلادهم الطبيعة ولم يصفوا أحداثهم الإجتماعية ولو أنه كان اطلع على الشعر العراقى فى عهوده الماضية وهى التى تعنيه لعرف أن شعراء العراق لم يفرطوا فى الحديث عن انهارهم وبساتينهم ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من شوون المجتمع إلا أفردوها بحديث خاص .

— الشعراء المصريون فى نظر أحمد أمين لم يـكونوا إلا مقلدين لشعراء الشام والعراق .

ولأحمد أمين فى هذا الحـكم الجائر عذر معقول ، لأنه لم يدرس الشعر المصرى دراسة تمـكنه من الحكم له أو عليه ، فلو كان من المطلعين لعرف أن الشعراء المصريين وصفوا بلادهم وتحدثوا عنها بأقوى العواطف وتغنوا بمحاسن بلادهم أجمل غناء .

٧ — لقد[1] كان ناس يتوهمون إننا حاربنا الدكتور طه حسين لأغراض شخصية وكان الدكتور طه يلوذ بهذا التوهم فلم يعبر للرد علينا غير ثلاث مرات أو أربع مرات بأسلوب واضح صريح . ثم شاء له الحذر والاحتراس أن يوهم قراءه وسامعيه باننا نحاربه لغرض خاص ثم دارت الأيام واعترف الدكتور طه علانية أمام جمهور من اقطاب الرجال بأن زكى مبارك من « أصحاب العقائد » فى حياته الأدبية ويجب أن ينظر المنصف إلى مصاولاته فى النقد الأدبى بعين الرفق .

---

(١) الرسالة : ٢٤ يولية ١٩٣٩ .

فكيف جاز للاستاذ أحمد أمين أن يهرب من الرد علينا بحجة أننا نشتمه ونؤذيه بغير سبب معقول. وكيف جاز له أن يظن أنى تآمرت مع صاحب الرسالة عليه. مع أن مقالاتى فى الرسالة قد تنتهى بخصومه بينى وبين الزيات. لأن الزيات قد حذف من مقالاتى فقرات كثيرة رعاية لصديقه العزيز أحمد أمين.

أتريدون الحق أيها القراء

الحق أنى فى غربة موحشة بين أخوان هذا الزمان فالإستاذ احمد امين كان ينتظر أن امقشق قلمى لتزكية احكامه الخواطىء على الآدب العربى والاستاذ الزيات كان ينتظر أن أرد على أحمد أمين بأسلوب رقيق شفاف يحاكى نسائم الاصائل والعشيات على ضفاف النيل.

الله يشهد أنى متوجع لما صنعت بالاستاذ أحمد أمين وهو رجل له ماض فى خدمة الدراسات الإسلامية وله مواقف فى مؤازرتى سأذكرها وإن طال الزمان ولكنه فى الاعوام الاخيرة أصيب بمرض عضال هو السخرية من ماضى الامة العربية وأغرم بضرب من الحذلقة لايقره غير الاصحاب المتطفلين الذين لايهمهم غير الاقتراب من روحه اللطيف.

أحمد امين رجل فاضل وإن تردى فى هاوية العماية والجهل حين حكم بأن أدباء العرب كانوا أصحاب معدات لاأصحاب أرواح.

• يقول أحمد أمين أن الأدب يخدم بالنقد أكثر مما يخدم بالتقريظ وهذا حق ولكن هل يدرك المراد من النقد:

النقد هو فى الأصل تمييز الزائف من الصحيح فيدخل فيه اللوم ويدخل فيه الثناء. ولكن أحمد أمين يتوهم أن النقد مقصور على التجريح.

ويرى الكلمة الطيبة بابا من التقريظ وهو عنده معيب . ونحن نقول بلا تردد أن الأدب العربى أدب أصيل والزائف منه لا يقام له وزن بجانب الأدب الصحيح فكيف انحرف بصره عن المحاسن ولم يشهد إلا العيوب وهل فى الأدب حسن وقبيح . الأدب جده جد وهزله جد ، ولا يعاب عليه إلا ما غلب عليه التكلف والافتعال .

لو رزقنى الله الشجاعة لقلت : إن هذا الرجل يتجنى على الأدب العربى لأنه لم يعرفه معرفة صحيحة : ولو قد عرفه حق معرفة لأدرك أنه خليق بأن تبذل فى سبيله نفائس الأعمال من أحرار الرجال .

يعز على أن أراه يحبط أعماله بمقالات خطيرة لم تكن ثمرة لسهر الليل واقذاء العيون تحت أضواء المصابيح . وإنما كانت ثمرة لنزوة وقتية أراد بها أن يخلق حركة فى بعض المجلات ، والمجد كالرزق بعضه حرام وبعضه حلال.

٨ ـ نحن أمام فتنة جديدة : هى فتنه القول بأن الأدب العربى لا يصلح لتربية الأذواق فى الجيل الجديد . وهذه الفتنة ليست من مخترعات أحمد أمين فقد نجمت قرونها منذ أكثر من خمسين سنة حين أراد المستعمرون والمبشرون أن يوهموا أبناء الأمم العربية بأن الصلة بين ماضيهم وحاضرهم لم يبق لها مكان وأن المصلحة تقتضى بأن يوضع الأدب القديم فى المتاحف وألا يدرسه غير المختصين على نحو ما يصنع الأوربيون فى الآداب اليونانية واللاتينية . ثم تقبل كل أمة على لغتها المحلية فتجعلها لغة التخاطب والتأليف . وبذلك تكون اللغة الفصيحة أماً واحدة للغات الشعوب العربية . كما صارت اللاتينية أما أوحدة للغات الشعوب اللاتينية . وقد صرح بذلك المسيو ماسينون فى خطبة

---

(١) الرسالة ـ ١٠ أبريل ١٩٤٤ .

ألقاها فى بيرون سنة ١٩٣١ ونقدتها يومذاك بمقال أرسلته إلى البلاغ من باريس .

والحق أن الفتنة التى أذاعها المستعمرون والمبشرون كانت فتنة براقة جذابة تزيغ البصائر والعقول وقد انخدع بها من انخدع من الأعوام الماضية فكانت المفاصلة بين الفصيحة والعامية من المشكلات التى تقام لها المناظرات فى المعاهد والأندية الأدبية وقد وصل صدى هذه الفتنة إلى المجمع اللغوى بالقاهرة فانقسم الأعضاء إلى فريقين : فريق يقول بدراسة اللهجات المحلية وفريق يقول بأن الأفضل انفاق المال فى إحياء الأدب القديم وقامت بسبب هذه المشكلة مساجلات فوق صفحات الجرائد بين الدكتور منصور فهمى والدكتور طه حسين والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين من أنصار القول بإحياء اللهجات المحلية فهو يدرس على صفحات مجلة الراديو المصرى ألفاظ اللهجة المصرية باهتمام يدل على تأصل تلك الفتنة فى نفسه الواعية

٩ ـ الدكتور[1] طه قد زعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهداه إليها وأنا أيضا أزعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه وسأهديه إليها وفرق بين الهدايتين ، شغل الأستاذ أحمد أمين نفسه بالنص على أن العرب فى جاهليتهم لم تكن له وثنية تبدع الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان . وذلك يشهد بأن الجاهليين لم يكونون من أهل الخيال .

أخذ هذا من الدكتور أحمد ضيف .

« وقد قال بعض المستشرقين مثل رينان ومن جرى على مذهبه : إن العرب ككل الأمم السامية ليس لها أساطير فى شعرها ولا فى عقائدها . وأن

(١) ٦ نوفبر ١٩٣٩ مقال (٢١) الرسالة .

هذا يدل على ضيق الخيال لديهم : لأن الأساطير والخرافات إنما هي نتيجة سعة الخيال. ونتيجة الخبرة والبحث وحب الإطلاع وكل ذلك يظهر أثره فى بلاغات الأمم من نظم ونثر كما هي الحال عند الأمم الاوربية كاليونان وغيرهم .

وقالوا : سعة الخيال ولا يقصدون الخيال ما نقصده نحن من المجاز والتشبيه وإنما يقصدون سعة الخيال فى تصور الحقائق وفى إدراك الموضوعات المختلفة » .

إن الدكتور أحمد ضيف لم يبتكر هذا الكلام ولكنه راعى الأمانة العلمية فذكر مصدره من كلام المستشرقين ، أما الاستاذ أحمد أمين فقد انتهب مانقله الدكتور أحمد ضيف عن المستشرقين ثم ادعى أنه من مبتكراته .

١٠ — يقول أحمد أمين إن الأدب العربى على اختلاف عصوره ليس فيه إلا كاتب واحد يهتم بتحليل المعانى هو ابن خلدون ولا شك إن إعجاب أحمد أمين بابن خلدون يرجع إلى أن الدكتور طه حسين شغل به .

إن بعد الدكتور طه حسين عن مصر فى أيام الصيف عرض الاستاذ أحمد أمين للمعاطب . فلو أن الدكتور طه بقى فى مصر لكان من الجائز أن يعلن إعجابه بكاتب آخر غير ابن خلدون .

فهل نرجو أن يتلطف الدكتور طه حسين فيقول أنه لا يعقل إلا ينبغ فى الأدب العربى غير كاتب واحد فى ذلك الأمد الطويل الذى سيطر فيه على أقطار أسيوية وأفريقية وأوربية .

إن الدكتور طه لو قال هذه الكلمة وهى حق — لسرت عدواها إلى الاستاذ أحمد أمين فاندفع يثنى على الادب العربى بما هو أهله . لكان من الممكن أن يصرخ بأن الأدب العربى نبغ فيه من الكتاب عشرات أومئات .

ولكن الدكتور طه يترفق بأصدقائه أشد الترفق ويحرص على ستر مايقعون فيه عن أوهام وأضاليل ، وقد يقدمهم إلى الجمهور فى جلبة وضوضاء . فكيف ينتظر أن يقول فى الأدب العربى كلمة حق تشجع رجل مثلى على

مهاجمة رجل يستبيح فى العض من أدب العرب مالا يباح . إن الدكتور طه حسين هو المسئول عن أحمد أمين فهو الذى قال « إن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهديناه إليها » ومعنى هذا أن أحمد أمين لم يكن يعرف أنه أديب قبل أن يدله الدكتور طه على الكنز المدفون فى صدره .

مقال الختام

هل(١) أستطيع أن أحدث القارىء مرة عن بعض مكاره النقد الأدبى .

ليتنى أعرف من أغرونى بسلوك هذا الطريق المحفوف بالمخاوف والمعاطب والحتوف ، كنت تبت ونجانى الله من مهلكات هذا الطريق الوعر الشائك فكيف رجعت إليه بعد أن عرفت وجه الخلاص !

كنت يومئذ مدرساً بكلية الآداب . واخرج الاستاذ أحمد أمين الجزء الثالث من ضحى الأسلام . وقد سرق من الاستاذ إبراهيم مصطفى مسألة متصلة بتاريخ النحو وسرق منى مسألة متصلة بتاريخ التشريع الإسلامى . فصاح إبراهيم :

إن هذا أخى له تسعة وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فكيف يسرقها منى ، إنه لطماع !

وجلست أنا وإبراهيم نتشاكى فى غرفة أساتذة اللغة العربية ، وانتقلنا من التشاكى إلى التباكى فهتفت : سأنتقم لى ولك يا إبراهيم :

منذ أشهر نشر الاستاذ أحمد أمين مقالته الأولى فيما سماه جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى فلم تعجبنى . لأنى رأيتها من الحديث المعاد ، ثم لقينى مصادفة فى « المترو » بعد ظهور مقالته الثانية فسألنى عما أراه من الأفكار التى أودعها مقالتيه . فقلت له : لم يعجبنى غير نقد الشاهد الذى

أوردته فى كلام ابن قتيبة . أما سائر أفكارك فتحتاج إلى تحقيق . فقال أنا ادعوت القراء إلى مناقشة تلك الأفكار .

فهل كان يدعونى إلى أن أساجله الحديث !

كانت الصداقة بينى وبين الأستاذ أحمد أمين قد بلغت أقصى حدود المتانة والصدق ، وما كان ينتظر أن يرى منى غير ما يحب . وكنت والله خليقا بالتجاوز عن سيئاته لو لم يسرف فى الإساءة إلى ماضى اللغة العربية فى وقت يحرص فيه العرب على تفهيم أبنائهم أن أجدادهم كانوا من أصحاب المنازل الرفيعة فى العلوم والآداب والفنون. وأنهم كانوا فى ماضيهم من أقطاب الزمان.

وكذلك وقعت الواقعة وكان ماعرفه القراء من تمزيق الأوهام التى اعتز بها ذلك الصديق ، أن الفخر بغيض ممقوت وقد عابه على الأصدقاء قبل الأعداء . ولكن ماذا أصنع وأنا أشهد آرائى تنتهب بلا تحرز ولا ترفق بها يرد على خصومى حين يشتجر القتال .

اهتم الأستاذ أحمد أمين بالنص عن أن الشعر العربى كان فى أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح وحجته فى ذلك أن التكسب بالشعر كان عادة غالبة على أكثر الشعراء . وقد طنطن بهذه المسألة وأخذ يعيدها فى كل مكان وهذا الكلام وارد فى البدائع ج ١ ص ٩٩ .

عاب أحمد أمين على العرب أن يلتزموا افتتاح القصائد بالتشبيب وأن يتصلوا بهذه العادة من جيل إلى جيل فى حين أن الشاعر قد لا يكون مشبوب العاطفة فى كل حين . وهذا الكلام مسروق من مقال أرسلته من باريس سنة ١٩٣١ .

اهتم الأستاذ أحمد أمين بتوكيد القول بأن نزعة القرآن روحية لا حسية فنال بذلك ثناء الاستاذ محمود على قراعة الذى عد كلامه من المبتكرات فهل يعلم أن هذا الكلام مسروق من قول صاحب « التصوف الإسلامى » ج٢ ص٧ .

إن الفخر بغيض ممقوت وقد عابه على الأصدقاء قبل الأعداء ولكن ماذا

أصنع وأنا أشهد آرائى تنتهب بلا تحرز ولا ترفق وبها يرد على خصومى حين يشجر القتال وكأنهاما ابتسكرت من أفسكارهم الثواقب وألسنتهم النواطق .

يقول أحمد أمين وطه حسين : أن الأدب يجب أن يرفع نفسية الأمة ويدلها على مواطن الضعف والقوة لتواجه الحياة عن هدى وبصيرة فهل أستطيع أن أقول أن هذه الآراء منهوبة من قول صاحب رسالة اللغة والدين والتقاليد ص ٤٦ ، ٤٧ . أما بعد فقد أنهيت القول من محاسبه الأستاذ أحمد أمين بعد أن أوقت جفونه خمسة أشهر كانت عنده كألف سـ ة مما تعدون .

انتهيت من محاسبة أحمد أمين الباحث أما أحمد أمين الصديق فله فى قلبى أكرم منزلة وأرفع مكان، ولن يرانى إلى حيث يجب فى حدود المنطق والعقل. فما أرضى له أن يكون من الساخرين بالأدب العربى وماضى الأمة العربية .

وسأبدأ ه بالتحية حيث ثقفته فلا يزوعنى وجها أراه أهلا للسكرامة والحب وسلام عليه من الصديق الذى لايغدر ولا يخون .

هجوم من [عبد المتعال الصعيدى] على زكى مبارك(١)

إن الدكتور زكى مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عن الشعر الجاهلى فهو وأستاذه الدكتور طه حسين لايؤمنان بصحة ذلك الأدب ، فقد ألف الدكتور طه كتابه فى الشعر الجاهلى وكان أكبر جناية على أدب الجاهلية. إذ أنسكر فيه صحة هذا الادب وقلده هذا الرأى أعداء الادب العربى من المستشرقين . لم يكن الدكتور زكى مبارك إلا أن احتفل بظهور ذلك السكتاب وعده فتحا جديدا فى الأدب العربى (مقال جريدة البلاغ الأسبوعى ٣ ديسمبر ١٩٢٦) وقال عنه أنه [آثار ماخمدمن القرائح . وأيقظ ماهجع من العقول] .

والفرق كبير بين رأى طه حسين فى الأدب الجاهلى ورأيى ورأى أحمد أمين فيه فطه حسين يرمى إلى الهدم والطعن فى ثقة السلف ونحن نرمى إلى

(١) الرسالة — أول فبراير ١٩٣٣ .

الإصلاح ومن الغريب أن زكى مبارك يؤمن بالإصلاح ويدعو إليه فى كتابه أحمد أمين . النثر الفنى ولكنه ينسى ذلك فى حب التغلب على الأستاذ

عبد الوهاب عزام يناقش أحمد أمين(١)

بينا أنا فى بغداد . لقينى أحد الأدباء العراقيين يسألنى: أقرأت مقال الاستاذ أحمد أمين عن الأدب الجاهلى . فقلت لا . فأنكر ماضمن المقال من آراء وأحذ على الاستاذ الكاتب أنه ذهب هذا المذهب فى بحثه قلت: سأقرأه لأرى .

جادلت الاستاذ منذ سنين على صفحات الرسالة فى موضوع التجديد فى الادب وهو متصل بموضوع اليوم . كلاهما نتاج آراء اعتقدها الاستاذ فى أدبنا القديم وأبادر إلى حمد أستاذنا فى اجتهاده فى تناول مسائل كثيرة من مسائلنا الأدبية والاجتماعية فما الاستاذ فى هذا إلا مفكر مجتهد مخلص . فله الحمد إن أصاب أو أخطأ .

ثم قدم لبحثه بمقدمات أربع :

١ — إن معيشة العرب فى جاهليتهم وهى المعيشة التى يصورها الادب الجاهلى لم تزل بظهور الإسلام ولم تنقطع بانقطاع الجاهلية الدينية بل هى مستمرة منذ العصر نسميه الجاهلية إلى يومنا هذا .

٢ — هذه البداوة المتصلة بنا ليست سراً ينبغى الابتعاد عنه ولا أمراً يجوز جهله أو إغفاله فهى ممتزجة بتاريخنا . وهى طور من أطوار الجماعات الإنسانية أقرب إلى الفطرة وأحفظ للانسان فى كثير من أحوال جسمه ونفسه .

٣ — الأمة العربية تشمل البادين والحاضرين . ولا تجعلها البداوة والحضارة واختلاف درجاتهما أمما مختلفة .

٤ — الأدب العربى هو أدب الأمة العربية كلها ينبغى أن يصور حياة هذه الامة: حاضرتها وباديتها على اختلاف التصوير باختلاف البيئات والحالات ..

---

(١) الرسالة — ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ .

٥ — إن اللغات على تطورها مع الأمة تحتفظ فى ألفاظها ومجازاتها وأمثالها كثيرا من تاريخ الامة . وكما تتطور الامة فتتقدم ولا يمنعها التقدم أن تحتفظ بما يربطها من سنن وعادات كذلك تتطور لغتها ولا يضيرها الاحتفاظ بكلمات وجمل وكنايات هى من تاريخها . آخذ على الاستاذ الغلو فى الدعوى والإغراق فى تصويرها . ومما يتصل بهذا الغلو أنه جعل رأى طائفة من الادباء فى عصر ما رأى أهل العصر كلهم وعمم الدعوى حيث يقتضى الدليل التخصيص .

حينما تكلم عن الادب العربى نظر إلى الشعر وحده وأغفل النثر .

وعرض لرأى أحمد أمين الخاص بالتزام شعراء العربية فى العصور الإسلامية طريقة الجاهليين فى الاوزان والقوافى وبين أنهم اخترعوا نظاما للتفقيه لم يؤثر عن الجاهلية واخترعوا أوزانا على قدر ما أحسوا من حاجة .

ثم عرض لرأى أحمد أمين فى التزام شعراء العربية موضوعات الشعر الجاهلى وخالفه . ودلل على أن الشعر العربى لم يحجم عن موضوع ما ، وأدخل فى أحوال المعيشة وحادثات الحياة من شعر أمم كثيرة .

وعرض لرأى الاستاذ فى الشعراء حيث قال أنهم لم يمسوا عواطفهم وحالاتهم الاجتماعية وأن شعراء الاقطار العربية : العراق والشام ومصر والاندلس لم يعنوا بمناظر بلادهم الطبيعية وأحداثهم الاجتماعية .

ويرى عزام أن الشعر العربى شارك بيان وجدان الإنسان وآلامه وآماله ، وإن الشعر الذى يصف بيئة إقليم أو حادثة بعينها فهو كثير فى دواوين شعراء العربية ، وإن الشعراء العرب لم يقفوا فى الشعر على موضوعات قليلة يقبلوا فيها الجاهلين . وذكر طرفا من تصوير شعراء مصر التى عاشوا فيها وبين أن شعراء العراق والشام صوروا بيئاتهم وأمعنوا فى الصورة ،

وعرض زكى مبارك لنقد الدكتور عبد الوهاب عزام لأحمد أمين فقال :

قال أحمد أمين [أن علماء العرب رفعوا من فن كل شىء جاهلى وغلوا

فى تقديره فالماء الحقير فى مستنقع جاهلى خير من دجلة والفرات والنيل وكل أنهار الدنيا . والجاريتان اللتان غنتا للنعمان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت ، وكل غناء ، ودوسر كتيبة النعمان بن المنذر أقوى جيش عرفه التاريخ . وأيام العرب فى الجاهلية ووقائعها الحربية لا يعادلها أى يوم من أيام المسلمين وجبلا على خير جبال الدنيا . وحاتم الطائى لا يساوى كرمه كرم . حتى الرزائل لا يصح أن يساوى برزائلهم رذيلة . فليس أبخل من مادر ولا أشأم من البسوس ولا أشرف من شظاظ] .

[قال الدكتور عزام فى نقد هذا الكلام الاجوف : قال إنه يقوم على أساس المبالغة والإغراق . وهناك كلمة طواها الدكتور عزام وهى كلمة [الإفتراء] فقد افترى أحمد أمين على علماء العرب حين زعم أنهم لا يرون أن أى يوم من أيام المسلمين يعادل أى يوم من أيام الجاهلية ونحن نتحداه أن يثبت أنه رأى شواهد هذا الرأى فى أى مكان من كتب الادب والتاريخ نتحداه ، فلينطق إن كان على يقين] .. ما رأيك إذا صارحتك بأن كلامك هذا هو الحجة عليك . ألم تقل أن العرب لم يحسوا الطبيعة فى بلادهم .

موقف أحمد أمين

أردت أن يتحرر الادب من قيوده التى تثقله وأن يكون الحكم فى أدبنا أذواقنا لا أذواق غيرنا وأدبنا معتمدا على شيئين . خير ما فى الماضى مما يتناسب وحاضرنا ويبعث على تحقيق أملنا فى مستقبلنا ودراسة حاضرنا واستقامة أدبنا . لا أن يعيش فى أدبنا على الماضى وحده .

ولا يتم شىء بعد ذلك إذا نظرنا إلى الخلف فقط وإلى الخلف دائما .

ولا يكون شىء من ذلك إلا إذا كسرنا عمود الشعر الذى وضعه الأدب الجاهلى ، إنما يكون ذلك يوم نزن الادب العربى ككل أدب بموازينه الصحيحة من غير عصبية ونصرح بالنقص من غير خجل . ونبنى الجديد فى غير هوادة ونكسر القديم فى غير رفق ..

الفصل الثالث

٢ ــ مذهبان فى الأدب

ترجم الموكبر الرافعى والعقاد إلى ايام الـكتابة فى مجلة (البيان)١٩١١ ، ١٩١٢ ثم امتدت خلال حياة الرافعى حتى توفى ١٩٣٧ على النحو الذى تـكشف عنه وقائع المعارك كما اوردناها ، ثم بدات المعركة بين انصار الرافعى وانصار العقاد بعد وفاته اشترك فيها من جانب الرافعى : الاساتذة سعيد العريان ومحمود محمد شاكر ومن جانب العقاد : سيد قطب وحسم المعركة الاستاذ الغمراوى .

معركة بين أنصار الرافعى وأنصار العقاد

واستمرت المعركة ثمانية شهور من (٢٥ أبريل إلى ١٤ نوفمبر ١٩٣٨) .

وقد صور سعيد العريان موقف الرافعى من الحياة الفـكرية فى عصره فقال (أنه هو الذى ألب على نفسه هذه العدوات حياً وميتا) .

(لقد كان ناقداً عنيفاً حديد اللسان لا يعرف المداراة ولا يصطنع الأدب فى نضال خصومه . وكان فيه غيرة واعتداد بالنفس ، وكان فيه حرص على اللغة (من جهة الحرص على الدين ؛ إذ لا يزال منهما شىء قائم كالأحساس

والبناء لا منفعه بقيا معهما إنهامنفعتهما معاً وكان يؤمن بأنك لن تجد ذا خلة خبيثة لهذا الدين إلا وجدت لها مثلها فى اللغة [1]) .

---

(١) الرسالة — ابريل ١٩٣٨ .

ولقد جرد أنصار العقاد (الرافعى) من النفس والإنسانية والعقيدة الأدبية وقال محمد أحمد الغمراوى [لو غير صاحب تلك المقالات خطر له فى الرافعى مثل هذا الرأى المسرف من أنه ليس للرافعى إنسانية ولا طبع ولا نفس ولا ذوق ولا ذهن ولا حياة إلى آخر ما شاءت له بعضاؤه أن ينفى عن الرافعى ، لو غيره خطر له هذا فى الرافعى لوقف من هذا الخاطر موقف المتهم على أقل تقدير ، إذ غير معقول أن يبلغ الرافعى رحمه الله مابلغ من حسن السمعة وبعد الصيت فى عالم الأدب العربى ثم لا يكون له من كل تلك الصفات حظ يفسر ما نال من صيت حسن وتقدير كبير] وهذه هى فصول المعركة :

بين الرافعى والعقاد

١ — سيد قطب :

قرأت كل ما كتبه الأستاذ سعيد العريان عن مصطفى الرافعى ، قرأته تحت تأثير عامل نفسى خاص ، ذلك أنه كان لى رأى فى المرحوم صادق الرافعى ، لعل فيه شيئا من القسوة ، ولما كنت على ثقة أن هـذا الرأى لم يتدخل فى تكوينه عندى أى عامل خارجى وإنما كان نتيجة لعدم التجاوب بين آثاره الأدبية وبينى ، فقد كنت فى حاجة لأن أسمع من أصدقاء الرافعى ماعساه يخفف شدة هذا الحكم ، ويكشف لى عن بعض حياة الرجل الذى اشتركت فى تكوين أدبه ، فلعل فيها تفسيراً وتبريراً لما كنت أراه فيه مما يستدعى قسوة الحكم وشدة النفور .

والقصة بين الرافعى وبينى أننى قرأت له أول ما قرأت كتابه : «حديث القمر » فاحسست بالبغضاء له . أجل بالبغضاء . فهى أصدق كلمة تعبر عن ذلك الإحساس الذى خالجنى إذ ذاك ولم تكن ثارت بين العقاد وبينى إذ ذاك خصومة ولم أكن سمعت شيئاً عنه من العقاد أو سواه . مما قد يكون

سببا فى هذه البغضاء . ولو خالجنى هذا الشعور بعد خصومته للعقاد لوجدت بعض التفسير ، فأنا لا أنكر انى شديدة الغيرة على هذا الرجل . شديد التعصب له . وذلك ينتجه فهم صحيح لأدبه واقتناع عميق بفطرته ، لا يؤثر فيه أن تجف العلاقات الشخصية بينى وبينه فى بعض الأحيان .

ولقد كنت اكره نفسى بعد ذلك على مطالعة الرافعى فتزداد كراهية لهذا اللون من الأدب، دون أن اجد التعليل ، ذلك انى كنت إلى هذا الوقت أديباً يتذوق فحسب ، لا ناقداً يستطيع التعليل ويصبر على التحليل . والرجل قد مات فما تحسن القسوة عليه . ولكن لا يصح أن يكون الموت معطلا للنقد. ولهذا سأتحدث عنه كما لو كان حيا . .لأن الذى يعنينى هو إنتاجه الأدبى.

كنت أشك فى « إنسانية هذا الرجل » قبل أن أشك فى قيمة أدبه ، وكنت أزعم لبعض إخوانى انه خواء من « النفس » وأن ذلك سبب كراهيتى له ، ولو أنى لم أره مرة واحدة ولم اجلس إليه .

ولذلك كان همى أن أبحث فيا كتب الأستاذ العريان عن حياته لا عن أدبه . وكان يهمنى أن اعثر فى ثنايا هذه الحياة على نفس وعلى إنسانية .

ولهذا اغتبطت ، إن لم أقل دهشت ، حينما رأيت الأستاذ سعيدا يذكر للرافعى (حبا) ويحدثنا عن مظاهر هذا الحب وخطواته . ذلك أن خيالى المنبعث من قراءتى للرافعى لم يكن يطوع لى ان المح إمكان وجود هذه العاطفة فى حياته ؛ فالحب يتطلب قلبا ، وكنت ازعم ان ليس للرجل قلب والحب يقتضى إنسانية وكنت افتقدها فيه .

ولقد ظللت هكذا حتى استطعت أن اكون ناقدا ، لا يكتفى بالتذوق والاستحسان أو الاستهجان ولكن يعلل ما يحس ويحلله فماذا كانت النتيجة؟

لقد عدلت حكمى قليلا . وخفت حدته، ولم أعد استشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه . ولكن بقى الأساس سليما .

كنت انسكر عليه الإنسانية فاصبحت انسكر عليه الطبع . وكنت لا أجدعنده (الأدب الفنى) فاصبحت لاأجد عنده (الادب النفسى) الرافعى اديب معجب ، فى ادبه طلاوة وقوة ، ولكنه بعد أدب الذهن لا أدب الطبع. فيه اللمحات الذهنية الخاطفة ، واللفتات العقلية القوية ، التى تلوح للكثيرين أدبا مغريا عميقا لذيذا ، ولكن الذى ينقصها انه ليس وراءها ذخيرة نفسية لا طبيعة حية .

لم تكن تعنى الرجل فى ادبه الحقيقة الازلية البسيطة بقدر ما يعنيه أن يصور الحقيقة الوقتية محكمة النسج رائعة للظهر ، تشبع الذهن ويستطيبها ولكنها لا تلمس القلب أو يسيغها .

وكثيرا ما يختلط ادب الذهن وادب الطبع إذا كان مع ذكاء وقوة وما من شك أن الرافعى كان ذكيا قوى الذهن ولكنه كان مغلقا من ناحية الطبع والاريحية.

وبعد فما كان يمكن أن يتفق العقاد والرافعى فى شىء . فلكل منهما نهج لا يلتقى مع الآخر فى شىء .

العقاد اديب الطبع القوى والفطرة السليمة والرافعى أديب الذهن الوضاء والذكاء اللماع . والعقاد متفتح النفس ريان القلب والرافعى مغلق من هذه الناحية متفتح العقل وحده للفتات والومضات .

والطاقة العامة لكل منهما فى ناحيته متفاوتة بعد ذلك . فطاقة العقاد النفسية أقوى من طاقة الرافعى الذهنية وعالم العقاد والحياة فى نظره اشمل وأرحب بكثير من العالم الذى يعيش فيه الرافعى ويبصر الدنيا على ضوئه .

وفيما كتبه الأستاذ سعيد عن العقاد كثير من الجهل بطبيعة العقاد ودوافعه فى الحياة وعوامل الكتابة فى نفسه والأستاذ معذور فى هذا لأنه لم يختلط بالعقاد أولا . ولأن نفسه لم تتفتح لأدب العقاد فتفهمه ثانيا . ولقد كان يعيش

فى بيئة الرافعى وجوه ويلوح لى من كتابته أن ذلك يلائم جوه الخاص ويناسب بيئته الروحية . وأول ما يخطىء فيه اعتقاده أن طعن العقاد على الرافعى من ناحيته الوطنية فى رده على نقد وحى الأربعين كان حيلة أملتها البراعة السياسية فإذا اتهم العقاد الرافعى بأن نقده لوحى الأربعين منشؤه ضغينة شخصية وإيحاء سياسى كما فعل فإنما هو معتقد هذا فى صميم نفسه وما يعنيه ما ينال الرافعى من الناحية السياسية قدر ما يعنيه كشفه من الناحية النفسية .

كتب الرافعى عن وحى الأربعين كلاما يعترف الأستاذ ببواعثه الأصلية والعقاد يعرف هذا ويعتقد فى صفات الرجل النفسية وفى نصيبه من الطبع السليم والفهم المتفتح أشد مما اعتقد أنا ودواعيه لذلك الاعتقاد كثيرة ومفهومة . فإذا كتب يصور الرافعى كما هو فى خيال العقاد وكما هو فى الحقيقة فليس الذنب ذنب العقاد فى قسوته فإنما هو يصور حقيقة أو على الأقل ما يعتقده أنه حقيقة . .

(رأيه فى لقب أمير الشعراء) .

* رأيى أن هذا اللقب غير لائق بالعقاد لأن المسافة بينه وبين شعراء العربية فى هذا العصر أوسع من المسافة بين السوقة والأمراء ، قد يكون هناك من يتقاربون مع العقاد . ولكن ليس هناك شعراء فى لغة العرب يتقاربون مع لعقاد . الفرق هائل جدا وأكبر مما يتصوره الأكثرون بين طاقته، هذا الشعر والطاقات الأخرى .

٢ — محمود محمد شاكر

يعلم الأستاذ قطب أنى إذا أحببت لا أغلو . ولا أتجاوز حد الحب الذى يصل القلب بالقلب . فهذا أخلق الحب أن يخلو من سوء العصبية وفساد الهوى،

فلا يجدنى أرفع الرافعى عن الخطأ ، ولا أجله عن الضعف ولا أنزهه عما هو من عمل كل إنسان حى ناطق بأمل ويشتهى .

ولقد عرفنا الرافعى زمنا — طال أو قصر — فأحببناه ومدحناه من أنفسنا ومدحنا من ذات نفسه . ورضيناه . أبا وأخا وصديقا وأستاذاً ومؤدبا فلم نجد إلا حسن الظن به فى كل أبوته وأخائه وصداقته وأستاذيته. ولقدمات الرافعى الكاتب الأديب وهو على عهدنا به إنسانا نحبه ولا ننزهه . ثم جاء الأستاذ سيد قطب بحسن أدبه يقول فى الرجل غير ما عهدناه . يؤول كلامه ويأخذ منه ويدع ويتفلسف ويحلل ويزعم القدرة على التولج فى طويات القلوب وغيب النفوس فيكشف أسرارها ويميط اللثام عما استودعت من خبيئاتها . ثم هو فى ذلك لايتورع ولا يحتاط. ولا يرعى زمام الموت ولا يوجب حق الحى .

هذا الذى ترك الدنيا بالأمس وحيداً . وخلف من ورائه صغاراً وكبارا من أبنائه وحفدته وأصحابه واللائذين به . ثم يرام والدمع يأخذهم بين الذكرى المؤلمة والألم البالغ . ولو فعل لعرف كيف أخطأ ومن أين أساء ولوجده لزاما عليه أن يقدر عاطفة الحى أن لم يعظم حرمة الموت .

جعل[1] الأستاذ يستثير دفائن الأحن والأحقاد التى كانت بين الرافعى والعقاد ليتخذ منها دليله الذى يفزع إليه فى أحكامه على الرافعى لا بل على قلب الرافعى ونفسه وإيمانه بعمله وعقيدته فيه . ثم لم يرض بذلك حتى نفخ فيها من روح الحياة ما جعلها مما يكتب الأطباء عن الأحياء للايلام والاثارة لا للجرح والتعديل والنقد . وكأن الفتنة عادت جذعة بين الرافعى نفسه وبين العقاد وإلا فما الذى رمى فى صدر الأستاذ بهذه الغضبة الجائحة من أجل العقاد !

---

(١) الرسالة — ٩ مايو ١٩٣٨ .

حقيقة لابد من تقريرها عن الرافعى والعقاد :

ذلك أن الرافعى رحمة الله لو كان يرى العقاد ليس بشىء البتة وان أدبه كله ساقط ذاهب السقوط . . وأن مما كان يكتب ليغهظ به العقاد من جراء العدواة التى ضربت بينهما — لما حمل الرافعى عناء الكتابة فى نقد العقاد وتزييف أدبه وابطال أصل الشعر فى شعره .

ولو كان العقاد يرى فى الرافعى بعض رأيه الذى كتب لما تكلف الرد على الرافعى ولا التعرض له . فالرافعى والعقاد أديبان قد أحكما أصول صناعتهما : كل فى ناحيته وغرضه وافنيا الليالى والأيام والسنين فى ممارسة ما هو فيه واليه . وكلاهما يعلم عن عمل صاحبه مثل ما يعلم عنه ولا يظن بأحدهما أنه يجهل قيمة الآخر . فلما كانت العداوة بأسبابها بينهما بدأت قوة تعارض قوة ورأى يصارع رأيا وكان فى كليهما طبيعة من العنف والعرام والحدة. ولع العقاد بارسال العبارة حين يغضب على هينتها صريحة لا صنعة فيها . وأغرى الرافعى بالسخرية والمبالغة فى تصوير ما نصبه لسخره وتهكمه على طريقة من الفن . فمن ثم ظهرت العداوة بينهما فى النقد وفى أذيالهما أذى كثير وغباره ملؤه القواذع والقوارص من اللفظ .

وعلى جنباته صور ينشئها أحدهما لصاحبه للكيد والغيظ والحفيظة ولا يرد بها إلا ذلك .

وخليق بنا وبآدابنا أن نطوى الآن سيئة رجلين قد تفارط أحدهما فى غيب الله وبقى الآخر .

الكلمة الأولى أنها تدور رحاها عن نفى الإنسانية عن ذلك الإنسان رحمة الله عليه وخلوه من النفس . وفقدانه الطبع . وفقره إلى الأدب النفسى — وما إلى ذلك من لفظ ضل عنه معناه وتهافت عليه حده .

وإن كان — رحمة الله عليه — ذكيا قوى الذهن ، ولكنه كان مغلقا من نفحية الطبع والأريحية . وأن أدبه كان أدب الذهن لا أدب الطبع فيه اللمحات الذهنية الخاطفة واللقطات العقلية القوية ، ولكن الذى ينقصها أنه ليس وراءها ذخيرة نفسية ولا طبيعية حية . . .

فى القبول والإنكار . ولكى نقدت ما فيها من نقص الحيوية واستغلاق الطبع وأتيت على هذا بالأمثلة التى تثبت موت هذه الطريقة وعجزها عن مسايرة الحياة وهذا هو مناط الحكم .

إما قول أحدهم بأنى رفعت صاحبى ولم يقل هو فى صاحبه بعض ما قلت فلكأننا فى معرض مفاخرة على طريقة القدماء ، لايهم فيهما الواقع والصدق وإنما يهم الفخر والفخم .

٥ — على الطنطاوى[١] :

إنما المناظر والناقد من اتقن وسائل النقد واستكمل إرادته . وسبيل الأستاذ قطب إذا أراد نقد الرافعى رضى الله عنه أن يدرس كتبه كلها ويحكم عليه حكما عاما ويبحث فى أسلوبه وفى ألوان أدبه ويشرح مزاياه وعيوبه لا أن يأخذ كلمة من هنا وبيتا من هنا . .

لقد تعلمت وعلمت تلاميذى أن النقد يستند إلى دعامتين : دعامة فى اللغة وعلومها — يعرف بها خطأ الكلام من صوابه ودعامة من الذوق يعرف بها جماله من قبحه ، أى أن النقد علم حين يدور على الخطأ والصواب وفن حين يبحث فى الجمال . أما فن النقد فلا يمكن الجدال فيه لأن أداته الذوق والذوق شيء شخصى ومداره على الجمال ، والجمال لا يتبع من قاعدة ولا يعرف له مقياس . .

---

(١) الرسالة — ١٣ يوليه ١٩٣٨ .

٦ — إسماعيل مظهر :

تاريخ[1] الصراع الأدبي في مصر . وتاريخ الصراع السياسي يتلخصان في معارك تقوم بين أشخاص . ولقد أدركت هذه الظاهرة النقد أيضا : فتاريخ النقد في مصر عبارة عن موازنة بين كاتبين أو شاعرين يحاول الناقد أن يعلي أحدهما على الآخر .

أما مذاهب الأدب ومذاهب النقد فهذه لا قيمة لها في نظر الأديب .. ولا في تقدير الناقد .

أفهم أن يقوم الصراع الأدبي بين مذهبين يمثلهما كتاب أو شعراء يعتنقون في الأدب مذهبا محدود المرامي بين الغايات .. وأفهم أن يقوم النقد على فكرة منطقية يقتنع الناقد بصلاحيتها وحقها في البقاء فيمضي في نقد الكاتب أو الشاعر انتصارا لتلك الفكرة . وأفهم فوق هذا كله أن يقتتل كاتبان ولكن انتصارا لمذهبين يعتنق كل كاتب مذهبا منهما والغلبة للاصلح بين المذهبين .

وما ابرىء نفسي فإن عدم قدرتي على فهم هذه الأشياء قوة لم أشهدها في نفسي إلا منذ عهد قريب وما بعثها إلا ذلك الصراع الذي قام على صفحات الرسالة بين أنصار صديقي الأستاذ العقاد وصديقي المرحوم الأستاذ الرافعي : صديقان مات أحدهما وادعو الله أن أن يمد في عمر الآخر . سكت أحدهما وطواه الزمن . وصمت الآخر على ما كان بينه وبين الأديب الراحل تجلة للموت . ودفنا لحزازات ما أجدر الموت ان يكون ماحيا لآثارها وذكرياتها .

صمت صاحب الحق وتكلم غيره احتسابا وحاشيا ان اقول هنا لوجه الله ، لأن الله لا يأمر ان تنبش الحزازات وتحتفر الضغائن .

---

(١) الرسالة — ١٣ يونيه ١٩٣٨.

٧ — سيد قطب (رد على اسماعيل مظهر) :

.. إن الذى لا يفهم ولا يستطيع أن يفهمه يوما من الأيام أن يكون رجل كالأستاذ اسماعيل مظهر أو أقل منه درجات، يقرا ما كتبناه ثم لا يتبين معه اننا ننقد مذهبا معينا فى الأدب ونعتنق مذهبا بينا منه كذلك وإن الكاتب الذى ننتصر له يمثل مذهب بينا يدعو إليه منذ خمس وعشرين سنة وما يزال يشرحه ويفسره ويعود إليه فى نثره وشعره وأنا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب لطريقته وأشد الناس فهما لها واقتناعا بها ونسجا على منوالها .

ويتحدث الأستاذ عن الشذوذ فى نصرة كاتب على كاتب فإن شاء أن يعرف الشذوذ حقا فنحن محدثوه عنه .

إنه يا سيدى فى تقديم هذه السوأة الأدبية الخلقية الإنسانية المسماه « على السفود » . فى تقديمها ذاته . وفى طريقة تقديمها . وفى نشرها ، دون تأذ ولا تألم . ولا خشية على آداب الحديث فى الأمة ولا آداب الطريق . ودعك من آداب النقد ودون رحمة باسماع الناس وأبصارهم وآنافهم .

وإذا شاء الأستاذ أن يعرف نوع هذا الشذوذ فليعلم أن هذه « السوأة » التى كشف عنها من قدمتها للناس لم يستطع أشد تلاميذ الرافعى إخلاصا أن أن يبلعها . ولقد حاول أن يمحيها فى خفة عن أعين النظارة وهو يزن حسنات الرافعى . ويرعم وزن سيئاته ، حتى لا تهبط هذه السوأة بالكفة إلى الحضيض لو هى لامت الميزان .

قال الأستاذ سعيد العريان أنه قرأ (على السفود) فعابه على الرافعى وأنزله

غير ما كان ينزله من نفسه وإذا قال الأستاذ سعيد مثل وهو يدغم الكلام ويدحرجه ليبعد بهذه السوأة عن الأنظار فالذين لم يصابوا بداء العدالة التاريخية يستطيعون أن يعرفوا مقدار شفمها .

ولولا أنى أكرم اسماع القراء وآدابهم وإنسانيتهم من التدهور أو التأذى والتأنف لنقف لهم شيئا من « على السفود » الذى لا يعتبر تقديمه ونشره شذوذا ولا عناصرة لأديب على أديب ، وإنما يعتبر نصره لمذهب بين على مذهب بين فى الآداب والآراء .

٨ — إسماعيل مظهر :

إن[1] انفعال سيد قطب فيما كتب لم يكن ليجعل لعقله محلا من الأثر فى صوغ المعانى التى أرادها فأخذ يرمى الجمل والكلام ذات اليمين وذات الشمال .. شأن الثائر ، لا شأن الناقد ثم خانته ثورته وخذله انفعاله فاستيقظ عقله الباطن استيقاظه الحقيقة فرجع إلى قوله « أنا » كأنما طبيعته لم تقو على احتمال تلك الثورة ولم تستطع مقاومة ذلك الانفصال فتبدت فى ثوب ذى ألوان .

.. إذن فالأديب سيد قطب أشد الناس فهما لأدب[2] الأستاذ العقاد وليس ذلك فقط فهو أيضا أشد الناس اقتناعا بطريقته ، وليس هذا ولا ذاك فقط بل هو فوق هذا وفوق ذاك أقدر الناس على النسج على منوال الأستاذ العقاد وأن يكون الأديب سيد قطب أديب طبعة ثانية فهو باعترافه اديب غير أنه عبارة عن نسخة من أديب آخر ، أديب شخصيته صورة من شخصية أديب آخر

---

١ الرسالة — ٢٧ يونية ١٩٣٨ .

(٢) الرسالة — الفن العدد .

وأدبه لوحة من ادب شخص آخر ،أديب أسلوبه كالطبعةالتى يتركهافى الرمل قدم أديب آخر . أديب بنفسيته وطبعه وذاتيته كالصورةالموهومةالتى تلتقطها الصورة الضوئية وتطبعها على الرق المعروف ، ولكنها صورة وهمية .

.. هذه الصورة الوهمية قد أفرغ عليها صفات وحلاها بفضائل، لاأنكر أنه نسبها إلى العقاد لتكون نسبتها إليه منصرفة بالتبعية إلى الطبعة الثانية من الأستاذ العقاد وتلك الطبعة هى الأديب سيد قطب ..

٩ — سيد قطب ،

(عرض(١) بعض جمل من كتاب على السفود ورد عليها فيما يتعلق بحديث العقاد عن رأى شو بنهور فى الجمال) .

قال فى مقدمتها « سيعرف الناس كيف يكون الإنسان سىء الفهم ـ يقصد الرافعى ـ قاصر الاطلاع ، ثم يناقش العلماء النيرى البصيرة المطلعين ـ يقصد العقاد ـ ولا يكلف نفسه الإطلاع على أصل المسائل إلى يناقش فيها ويجد من الجرأة فى نفسه أن يقول : لم يطلع على هذا الموضوع ولكنه يجزم بأنه كيت وكيت أما الذى أطلع فهو جاهل ..

« ثم ينقل كلام الرافعى فى العقاد » .

« على مثل تلك الطريقة من الغباوة سوء الفهم وقبح الاجتراء والغرور والحماقة . يجد كل ما يوالده العقاد أو أكثره ثم يزين له لؤم نفسه وعمى بصيرته أنه هو وحده الذى يهدى إلى سرائر الأشياء ويلهم حقائق المعانى .

---

(١) الرسالة ـ ٢٧ يونية ١٩٣٨ :

(٢) الرسالة ـ ٢٧ يونية ١٩٣٨ .

ثم يقول قطب « ولولا أننا نسمو بآدابنا وآداب المجتمع لرددنا هذه السكلمات إلى من يستحقها بعد هذا البيان من الرجلين.

رأى سعيد العريان فى كتاب « على السفود »

« الحق الذى اعتقده أن هذا الكتاب ـ على ما فيه ـ نموذجا فى النقد يدل على نفاذ الفكر ودقة النظر وسعة الإحاطة وقوة البصر بالعربية وأساليبها. ولكن فيه مع ذلك شيئا خلقيا بأن يطمس كل ما فيه من معالم الجمال فلا يبدو منه إلا أدم الصور واقبح الألوان . بما فيه من هجر القول ومر الهجاء.

.. وإننا لنريد للناقدين فى العربية أن يكونوا أصح ادبا وأعف لسانا من ذلك وأنها لخسارة ان ترى التمثال الفنى البديع مغمورا فى الوحل فلا تصل إليه إلا ان تخوض له الحمأة المقننه وانها الخسارة على العربية ان ترى هذا الفن البديع فى النقد يكتنفه هذا الكلام النازل من هجر القول ومر الهجاء.

« الرسالة ٢٧ يونية ١٩٣٨ »

١٠ ـ على الطنطاوى :

ما هكذا[1] يكون النقد ولا هكذا تكون المناقشة.

إنى سقت رايا ان كان خطأ عدت إلى الصواب الذى تكشفه لى فيه ، وان كان صوابا وجب ان تعود انت إليه فتبين خطأه من صوابه .

وعد عن هذا الأسلوب : اسلوب التعريض والسخرية . واعلم انى ان

---

(١) الرسالة ـ ٢٧ يونية ١٩٣٨ .

حططت عليك ساخرا ومعرضا لم ادعك حتى تلتصق بالأرض . وانا من اقدر الناس على ذلك . ولكن ذلك شيء يأباه الخلق الكريم وتأباه الرسالة . ولقد كانت لي في هذا الميدان جولات ، صرعت فيها كثيرا من الكتاب المدعين المستكبرين . ثم اقلعت عنها واستغفرت الله . .

. قال لصاحب الرسالة :

لماذا تنشر الرسالة هذه المقالات للأستاذ قطب : الحقيقة والحقيقة لا ظل لها في هذه المقالات . ام من اجل الأستاذ العقاد .

وفيها من الايذاء للعقاد مثل ما فيها من المس بالرافعي . ام بغضا بالرافعي وصاحب الرسالة صديقه الحميم . وهو شريكه في التلبس بجريمة البلاغة والحرص على البيان المشرق الذي يسوء هؤلاء المجددين ام لماذا ؟ اننا لم نفد من هذه المقالات إلا فائدة واحدة ، هي اننا عرفنا ان الجديد ان كان كما يصوره سيد قطب فهو اهون شيء وابعد عن الحق ، واننا رضوان لقديمنا مطمئنون إلى « رجعيتنا .. » .

« كلمة الرسالة » : وقالت الرسالة أن من مبادئها ان تكون صورة صادقة لأدب العصر فلا تسجل مذهبا دون مذهب ولا تتوخى اسلوبا دون اسلوب . ومعارك النقد ظاهرة مألوفة عفت الرسالة عنها حينا ثم رأت ان تسجل هذه المعركة ، لأن ادب الرافعي وادب العقاد يمثلان وجهتي الثقافة في اقطار العروبة ومن حسن القول ان يتكلم الناظر في الأدب بلسان الأدب وان يعتقد ان ادب الرجل شيء آخر غير شخصه فلا ينبغي ان يدخل الناقد في حسابه الحياة والموت : ولا الصداقة والعداوة .

١١ — سعيد العريان(١)

لقد كانت بين الرافعي والعقاد عداوة وشحناء سارت مسير المثل بين أدباء الجيل فهل كان من الحتم تبعاً لذلك أن يكون سعيد العريان وسيد قطب عدوين ؛ لأن أولهما يؤرخ للرافعي والثاني يجرى فى غبار العقاد .

ولكن سيد قطب يرشح ليكون فى عد شيئاً له فى الأدب خطر ومقدار. وما يرى نفسه بالغاً هذه المنزلة إلا أن يجرى على نهج صاحبه ويتأثر خطاه . فكان أول سعيه إلى غايته أن احتقب كنانته وخرج إلى الطريق يرمى الناس باليمين والشمال . لا يعنيه أن يصيب ولا من يصيب . ولو كان أحرص الناس عليه وأرأفهم به . .

.. لقد ظل المرحوم الرافعي دائباً على تجديد الآداب العربية سبعة وثلاثين سنة . يتردد اسمه فى المحافل والنوادى ومجامع الأدب فليس بين قراء العربية أحد لا يعرفه . وسيد قطب واحد من قرائها الاخصائيين فى اللغة كما قد يعرف القراء . ولكنه مع ذلك لم يشرع قلمه ليجرد الرافعي من النفس ومن الإنسانية ومن العقيدة وليزيف أدبه ويكشف عيبه إلى حين غيبة التراب وآن أوان ذكراه .

هذه هى عربيتنا نحن أنصار المذهب القديم فبأى عربية فهمها الناقد المجدد الإخصائى فى اللغة وفى أساليب البيان .

١٢ — سيد قطب (الرد على اسماعيل مظهر)

أنت ياسيدى(٢) لم تفهم الكلام ومن هنا كان تفسيرك للجملة التى أقول

---

(١) رسالة — ٤ يولية ١٩٣٨ .

فيها » وأقفنا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب لطريقته وأشد الناس فهما لها واقتناعا بها ونسجا على منوالها »

ففهمت منها أن الذى يقول ذلك يكون (طبعة ثانية) للعقاد وهنا كلام تقوله للناس وكلام تقوله لك :

* إن الإخلاص لطريقة فى الأدب والاقتناع بمذهب خاص والنسج على منوال مدرسة معينة لا يعنى تقليد شخص معين ، فقد ينشأ أمام وينشىء له مدرسة ويكون لهذه المدرسة تلاميذ، ثم يكون لكل تلميذ من هؤلاء طابعه الشخصى ومميزاته الذاتية . ولا سيما إذا كانت هذه المدرسة هى مدرسة العقاد التى تقوم على أساسها الدعوة إلى أدب (الشخصية) وتنكر التقليد وتشتط فى إنكاره .

. . أما كلمتنا لك فنحن نسلم أننا « طبعة ثانية » من العقاد فماذا تكون أنت ، إننا نقول لك : كن أنت — إن استطعت — طبقة ثانية من العقاد أو اى فنان سواء . أو كن على حد تعبيرك للؤدب الطبعة التى تتركها فى الرمل قدم العقاد تكن خيرا مما أنت الآن عشرات المرات .

. . إنك تحقد على العقاد حقدا دفينا لا سبب له — إذ ليس بينكما منافسة، لا منافسة على أدب ولا موهبة فنية — وإنك لهذا ترحب بشتائم الرافعى له وتطبعها وتروج لها وتسديها علوا عن الشخصيات .

١٣ — محمد أحمد الغمراوى

مسألة[1] القديم والجديد طولها لا يزيد على ثلاثين عاما أثارها من الناس

---

(١) الرسالة — يولية ١٩٣٨ .

لقد تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأحدهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور ، والغرب والشرق على طرفى نقيض . لا يلتقيـان . كما يقول ريارد كبلنج . إن كان من الممكن أن يلتقيا فى العلم الذى هو معجزة الغرب والذى هو جزء من الاسلام الذى يدين به الشرق . لـكن الذين أثاروا مسالة القديم والجديد لم يكونوا يعرفوا . ولعل أنصارهم لا يزالون يجهلون أن العـلم الذى يظهر به الغرب هو فى الإسلام جزء من الدين ، وأن المدينة الغربية ليس فيها ما يستحق أن يطلب ويؤخذ إلا ذلك العلم الطبيعى الذى اهتدى إليه الغرب بالعقل والتجربة والذى يمثل فطرة الله التى فطر عليها الأشياء . أما نظرة الله لتى فطر الناس عليها فتلك يمثلها الإسلام عن يقين . فـكأن الغرب والشرق قد اقتسما علم الفطرة . علمها الغرب فى الماديات بالعلم والتجربة . وعلمها الشرق فى الروحانيات والإجتماعيات بالدين والوحى . فـكان الشرق مخطئا حين لا يأخذ بعلم الغرب وكان الغرب ضالا حين يخالف الإسلام . . .

علم الغرب الطبيعى ودين الشرق الاسلامى . . هـذا هو سبيل التمدن الصحيح لمن يريد أن يكون مجددا مصلحا ؛ يجدد للشرق شبابه ومجده من غير أن يعرضه لشر ما يهدد الغرب من أخطار .

لـكن دعاة التجديد الذين جاءا بعدهما (بعد جمال الدين ومحمد عبده) ولم يكن لهما مثل علمهما ضلوا سبيل الدعوة . وصدقوا الغرب فى ظنه الذى ظن بالإسلام من أنه كان سبب تأخر الشرق . ولمـا لم يطيقوا أن يهاجموا الإسلام مواجهة فيدعو الفاعن صراخة إلى نبذه إلى مهاجمته مداورة بدعـوة الناس إلى قبول كل ما عليه الغرب أن كانوا يريدون أن يكون لهم ما للغربيين من قوة وحياة . وزعموا للناس أن المدينة الغربية كل لا يتجزأ فأما أن تؤخذ

كلها أو تترك كلها ، أما أن تؤخذ باجتماعياتها وأدبياتها وعلمياتها وأما ألا يؤخذ فيها شيء .

ونجحت حركة الالتفاف التي قام بها دعاة الغرب ضد سلطان الإسلام في نفوس من أصغى إليهم من الناس حين الجأوهم إلى أن اصابتهم فتنة ذلك التجديد كمن احاط به العدو لابد له من الموت أو التسليم .

ومن هنا كان ما اصاب أولئك المجددون من نجاح . وما يهدد الإسلام في بلاده وفي نفوس أهله من خطر . ومن هنا ايضا هب لدرء هذا الخطرفريق من المجاهدين المحتسبين الذين آتاهم الله فقها في الدين وقوة في الجنان وبسطه في البيان وفي طليعة هؤلاء كان الرافعي رحمه الله عليه .

فالمسألة بين القديم والجديد كما يسمونها ليست مسألة اختيار بين ادب وأدب وطريقة وطريقة ولكنها في صميمها مسألة اختيار بين دين ودين .

فالذين يسمون انفسهم انصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون ان يحملوا الناس على دينهم هذا .

وكل خلاف بين انصار القديم وانصار الجديد منشؤه هذا ومرده إلى هذا . هؤلاء مثلا يريدون متابعة الترب في والسفور والاختلاط . واولئك يرون السفور والاختلاط مفسدة ثم انصار الجديد يضيقون ذرعا بالقيود الأخلاقية التي قيد الدين بها الناس فيا يعملون ويقولون . يريدون أن يتحللوا منها فيزعموا للناس ان هذه الأخلاق وقيودها ان هي إلا عرف وتقاليد . وان التقيد بالعرف والتقاليد في الفن والأدب يعوق الفن ويحول دون ترقي الأدب فيجب إذن إطلاق الفن وتحرير الأدب من تلك القيود ومن هنا نشأ خلاف

آخر بين الفريقين ، نقل العراك بينهما من ميدان الاجتماع إلى ميدان الأدب فأنصار الجديد يدعون إلى الفن الصادى والأدب المكشوف ويدعون للفن والأدب حرية فى القول والعقل . . .

واتسع الخلاف وتشعب بين الفريقين يمضى أنصار الدين الجديد فى توجيه السد الاسلامى الذى يجدونه قائماً فى وجوههم أينما يلتفتوا فيزعمون للناس من طرف خفى أن القرآن من صنع عبقرى لا من صنع الله . وأنه آية فنية ، لكن آية فنية إنسانية لا معجزة إلهية . . وإذن فينبغى أن يخضع له كل عمل إنسانى من النقد والفحص والبحث العلمى فيما يزعمون ويهب لدرء هذا الأفك العظيم كل كريم ويقاتلونهم على اعجاز القرآن وحرمته وتقديسه ويدعونهم إلى خطة انصاف ليس من انصاف بعده .

إن من أشد ما يؤسف له أن يفترق قوة أولى القوة فى الشرق هكذا فريقين إحداهما تهدم والأخرى تدفعها عن الهدم فيشغل الفريقان جميعا عن عن التجديد والبناء وعدوهما واقف لهما بالمرصاد .

١٤ — سيد قطب : (فى الرد على سعيد العريان)

« لعل القسوة ليست فى الحكم الذى أصدرته ولكنها فى وضع الرافعى مقابلا العقاد والجميع بينهما فى عنوان . فمن هنا بدأت مطالبة الرافعى بأدب الطبع وأدب النفس . لأن المقابل له فياض بهذا النوع . مبرز فيه ، بل هو ميزته ورمز فيه . وقد كان من جراء مطالبة الرافعى بهذا اللون الرفيع من الفن الأدبى ظهور خوائه وأفكار إدبه . فهذه هى القسوة ، ومتى أعفينا الرافعى من أدب النفس والطبع فقد نجده بعد ذلك شيئا من التعبير . وفى الأخذ بطريقة خاصة فى هذا التعبير . . . »

لقد قرأت كل ما كتبه الرافعي في هذا الباب (الغزل) فإذا هو خواء مقفر من كل عاطفة وإحساس فإذا أنا عرضته فإنما أعرض قطعة من صحاري النفوس ليس فيها ندى ولا حياة — ولن يضير القراء معي — إذا أنا صبرت على قطع هذا القفار الموحش المتشابه الارجاء .

* والثاني : وقد اخترته أن أعرض غزل العقاد فأكشف عن هذا العالم الحي المائج المضطرب بشتى الانفعالات والاتجاهات .

• إن العقاد والرافعي مختلفان متناقضان . ولقد شاءت الظروف أن يكون العنوان بين العقاد والرافعي فتوجد رابطة بين اسمي هذين الرجلين لا وجود لها في أدبهما ولا اتجاههما ولا في شيء مما يصح فيه التشابه والارتباط .

والواقع ؛ لقد كان هذا الجمع بينهما ظلم لكليهما ، فأما العقاد فظلوم — ولا شك — أن يقرن إسمه إلى اسم الرافعي . وبينهما هذه الهوة السحيقة الفاصلة ، والهوة إلى تفصل بين الصورة الفنية ترمز إلى معنى وتكاد تجيش بالحياة وتهمس بالنطق والتعبير وبين النقوش التي تراها على أبواب المساجد ونوافذها . خطوط متعرجة أو مستقيمة ودوائر ومثلثات ومربعات كلها من عمل المسطرة والبركار . ولا شيء وراءها غير المهارة في اللعب والتزويق .

١٥ — محمد أحمد الغمراوي :

١ ـ العقاد : أديب الطبع القوي الفطرة السليمة والرافعي أديب الذهن والوضاء والذكاء الالماع والعقاد متفتح النفس ريان القلب . والرافعي مغلق هذه الناحية متفتح العقل وحده للفتات والومضات .

٢ ـ كنت انكر عليه الإنسانية فأصبحت انكر عليه الطبع . وكنت لا أجد عند الأدب النفسي فأصبحت لا أجد عنده الأدب النفسي .

هكذا حكم سيد قطب بين الأديبين الكبيرين ، والحكم لا يعطى للعقاد شيئا من الفتح العقلى ولو للفتات والومضات . فقد سوى بين الاثنين تسوية تكاد تكون تامة أو بالأحرى جمل المزايا الأدبية قسمة بينهما عن سواء تقريبا : أخرج العقاد من دائرة الذهن والعقل . كما أخرج الرافعى من دائرة النفس القلب ، وخص أحدهما بما نفى عن الآخر . فإذا شك أنصار العقاد فى أن هذا مفهوم حكم صاحبهم على صاحبه ومنطوقه فليقرأوا مقدمة الحكم إذا شاءوا :

« وبعد : فما كان يمكن أن يتفق العقاد والرافعى فى شىء . فلكل منهما نهج لا يلتقى مع الآخر فى شىء » إذا لو كان العقاد يشرك الرافعى فى أدب الذهن لا تفق الاثنان فى شىء . والتقى الأديبان على شىء . أما وهما لا يتفقان ولا يلتقيان فى شىء فى حكم هذا الحكم المجدد فما اثبته للرافعى من أدب الذهن الوضاء والذكاء اللماع لا بد أن يكون نفاه عن العقاد إن كان يعرف ما المنطق وما التفكير . ليس عن ذلك محيص .

والرافعى كذلك مظلوم — ولا شك — أن يقرر اسمه إلى اسم العقاد . فيطالبه النقاد حينئذ بالحياة والحركة والعمق . أو يطالبونه برأى معين فى مسائل الحياة الكبرى وفى نواحى الإحساس والشعور . والرجل فى عالم آخر غير هذا كله ؛ عالم الأخشاب المنقوشة والشرفات المزركشة .

« لقد أخذ يردد نغمة العوام فى الموتى والأحياء ويعتمد على شعور هؤلاء العوام فى تقدير موقفى وأنا أتحدث عن العقاد الحى . وموقفهم وهم ينافحونه عن الرافعى الذى مات .

« فأنا فى دفاعى عن العقاد أمجد وأشرف من دفاعهم عن الرافعى . فماذا يكلفهم الدفاع عن الرافعى ؟ إنه لا يكلفهم شيئا . بل على العكس يكسبهم

حسن الأحدوثة لدفاعهم عن رجل ميت . ويكسبهم سمعة الدفاع عن الدين . ويكسبهم محبة الأسلوبيين والعاجزين عن التحليق فى الأجواء الفنية العالية .

أما الدفاع عن العقاد فيكلفنى التعرض لغضب الكثيرين من ذوى النفوذ. لأن العقاد رجل لم يبق له قول الحق صديقا وكثير ممن يظهرون صداقته يكنون له غير ذلك لأنهم ينفسون عليه شموخه واعتداده بنفسه وتعاليه على الضرورات .

١٦ — سعيد العريان

الجديد والقديم حديث طويل فى تاريخ الرافعى فهو قد وقف نفسه على الدفاع عن الدين والحفاظ على لغة القرآن . ذلك مذهب درج عليه وأعانته عليه نشأته وتدينه ، فهو إنما يحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين . إذ لا يزال منهما شىء قائم كالأساس والبناء ، لا منفعة فيهما معا إلا بقيامهما معا »

فما نعرفه ناقدا عنيفا إلا حين يتناول الجديد والقديم وإذا نحن تدبرنا ما أسلفناه من تلخيص رأيه فى الجديد والقديم ومن مقدار حماسته فى الذود عن الدين والعربية عرفنا لماذا يؤثر الرافعى ذلك الأسلوب العنيف فى مهاجمة خصومه والطعن عليهم إذ هو لا يعتبر حينئذ إلا شيئا واحدا هو الدفاع عن الدين وتراث السلف مؤمنا بأنك «لن تجد ذا دخلة خبيثة لهذا الدين إلا وجدت له مثلها فى اللغة » .

وقد تعجب أشد العجب أن ترى الرافعى ينسى حين يجرد قلمه للنقد كل اعتبار مما يقوم به الصلات بين الناس ولكنه هو يعتذر من ذلك بقوله إنما نعمل على إسقاط فكرة خطرة ، إذا هى قامت اليوم بفلان الذى نعرفه فقد

تكون غدا فيمن لا نعرفه . ونحن نرد على هذا وعلى هذا برد سواء ، لا جهلنا من نجهله يلطف منه ولا معرفتنا من نعرفه تبالغ فيه . فإن كان فى أسلوبنا من الشدة والعنف أو القول المؤلم أو التهكم فما ذلك أردنا ولكنا كالذى يصف الرجل الضال ليمنع المهتدى أن يضل ، فما به زجر الأول بل عظة الثانى .

٧ — محمد أحمد الغمراوى :(١)

جرى الناس على رد التفاصيل فى الأدب إلى أصلين: اللفظ والمعنى وأبدأوا فى ذلك وأعادوا وأسرفوا فى الاختلاف بينهم : أى هذين الأصلين يقدم على الآخر فى تقديم أديب على أديب واختلافهم فى هذا شىء عجيب . فإن اللفظ والمعنى ركنان متلازمان لا ينبغى التقصير فى أيهما للأديب المكتمل .

إن امتلاك ناصية اللغة أمر لابد منه لكل أديب يريد أن يبلغ فى الأدب مرتبة الخلود وليس معنى هذا أن امتلاك ناحية اللغة وحدة كاف للخلود . فليس فى الأدب مكانة لخلود صاحب المعنى الخسيس فى اللفظ الأنيق .

وإذا تساءل متسائل : أى الأديبين أدل على امتلاك لناصية اللغة واقتدار على التفنن والتصرف فى التعبير بها . أدب الرافعى أم أدب العقاد ؟ كان الجواب الذى يسرع إلى الإنسان فى غير تكلف ولا تحيز : أدب الرافعى ؛ كان أملك لناصية اللغة من شك وأكثر افتنانا فيها وتصرفا بها . ولا نظن أن العقاديين يمارون فى هذا فأكبر ما أدعاه العقاد مفتونهم به هو الأسلوب الفخم والتعبير الجيد غير بعيدين عن شعر العقاد .

بقيت ناحية المعنى ولم تر أحدا ظلم فى معانيه مثل ما ظلم الرافعى ومعانى الرافعى يكثر من بينها الطريف كثرة تدعو إلى العجب . كثرة لا تظن أحدا من المحدثين يفضله فيها أو يزحمه .

---

(١) الرسالة = ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨ .

.. ثم قال : فالمسألة فى الأدب ليست مسألة لفظ ومعنى فقط ولكنها فى صميمها مسألة روح . فريق يريد أن يجعل روح الأدب روحا شهوانيا بحتا وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة فى حدودها الواسعة . إن أدب الفريق الأول هو ما يسمونه بالأدب الجديد ويمثله العقاد . وأدب الفريق الثانى هو ما يسمونه بالأدب القديم ويمثله الرافعى .

الرافعى يتفوق على العقاد فى التعبير وفى الخيال وكلاهما يحتفل بالمعنى أكبر احتفال . غير أن الرافعى عنده نور يهدى به ليس عند العقاد ، فكان لذلك أقل من العقاد عابا وأكثر صوابا .

إنما الخلاف الأساسى بينهما فى الروح : هما من حيث الروح مختلفان كل الاختلاف وعندك للحكم بين الروحين معيار صدق لا يخطىء هو معيار الدين ومعيار الخلق الفاضل . وإذا قيمت الأديبين بأحد هذين المعيارين لم يبق عندك شك فى أيهما أولى بالاكبار وأصلح للبقاء .

الفصل الرابع

بين النقد الذاتي والموضوعي

الفصل الرابع

بين النقد الذاتي والموضوعي

بين أحمد أمين وطه حسين(١)

هذه معركة داخل جبهة للمدرسة الحديثة ، بين رجلين عرفا بالسير في الطريق الواحد ، كان أحمد أمين قاضيا واختاره طه حسين ليعمل أستاذا في كلية الآداب بعد أن دافع عنه في لجنة الأزهر عند بحث مسألة الشعر الجاهلي ثم فكرا مع عبد الحميد العبادي على نشر كتاب «فجر الأسلام» يختص كل منهما بجانب منه ثم مضى أحمد أمين فأتم الدراسة وتوقف طه والعبادي

وبالرغم من هذه الصداقة والأنباط في اتجاهات الفكر والثقافة والجامعة فان أحمد أمين حين عرض النقد الأدبي لم يتراجع عن أن يعلن رأيه صريحا في موقف الادباء الذين برزوا بعد

ولقد جرى في هذا الشأن سجال بين أحمد أمين وطه حسين أصر فيه أحمد أمين على رأيه في أن كتاب هذه الفترة كانوا متحمسين مندفعين أول الامر حتى إذا تحققت لهم الشهرة والمكانة عادوا إلى شيء كثير من الاعتدال وهذه هي المعركة .

هذه معركة ١ — أحمد أمين

« .. حدث في تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلحوا بالشجاعة فاظهروا آراءهم في صراحة تامة ولم يبالوا الرأي العام سواء في ذلك بحوثهم أو نقدهم ، وكانت هذه البذرة الأولى للشجاعة الأدبية في مصر فألفوا كتبا عبروا فيها عن آرائهم في جلاء ووضوح ، وكتبوا مقالات تعبر عما يختلج في نفوسهم وإن لم تكن على هوى الجمهور ، ونقدوا أدب الأدباء وإن بلغوا القمة في نظر الناس ، فكان صراع بين القديم والحديث وبين التفكير الحر والتقاليد وبين الأدب الناشيء والأدب المورث . ولكن هذا الصراع انتهى بغلبة الجامدين . ونال الأحرار من العسف والعنت فوق ما ظنوا .

وشعر القائمون بهذه الحركة الجديدة أنهم اصيبوا في سمعتهم ثم رأوا أن

---

(١) الرسالة — أول يونية ١٩٣٦ .

أتباعهم تخلوا عنهم فى وقت الضيق ، ومن عطف عليهم فعطف أفلاطونى ، عطف يتبختر ، وكان الرأى العام قويا مسلحا فتغلب وانتقم وأصبحت له السلطة التامة ، وانهزم أمامه فريق المفكرين الصرحاء هزيمة منكرة . ولم تكن لة أمثلة كثيرة فى تاريخه القريب فاضطر إلى التسليم . وتعود المجاراة بدل المقاومة .. والمداراة مكان الصراحة . فلم يعد هناك معسكران ولم يعد صراع وإنما هو معسكر واحد ولا قتال، وتعلم الجيل اللاحق مع الجيل السابق السابق فاختط خطته ونهج منهجه وأخذ الدرس عن أخيه الأكبر ففضل السلامة . وبذلك اختنق النقد الأدبى فى مهده وأصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافا طفيفا ، فى العرض لا فى الجوهر . ولا أمل فى عودة النقد الصريح إلا ببذرة جديدة وروح جديد على شرط أن تكون البذرة صلبة تتحمل حوادث الدهر وعوادى الأيام .

ويتصل بهذا أن الأدباء عندنا صنفان : صنف نضج وتكون واستوى على عرش الأدب . وهؤلاء هم القادة ، وهم أفراد معدودون تسالموا وتهادنوا وحرموا ما بينهم من خصومة أدبية وعلمية ، وصنف ناشىء فى طور التكوين وهو يخشى أن يتعرض لمن استوى على العرش فيبطش به بطشة جبارة تقضى عليه ، فلما جامل الكبراء بعضهم بعضا ، وخاف الناشئون من الكبراء ، ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء .. »

٢ — طه حسين(١)

فأنت ترى أن جماعة النقاد الذين كانت إليهم قيادة الرأى الأدبى أو قيادة الحياة العقلية منذ حين قد اصطدموا الشجاعة اول امرهم. واثروا الصراحة

---

(١) الرسالة : ٨ يوليه ١٩٣٦.

أو كانت الصراحة لهم خلقا . فكتبوا كما كانوا يرون ، وأخذوا بحظوظهم الطبيعية من الحرية ، فلم يحفلوا بالجمهور ولم يخافوا الرأى العام . ولم يحسبوا لمقاومة المحافظين حسابا . ونشأ عن شجاعتهم تلك وعن صراحتهم هذه أن بعثوا فى الحياة العقلية نشاطا لم تألفه مصر، فكان الصراع العنيف بين القديم والجديد . وكان الخصام الشديد بين الحرية والرجعية .

وكذلك ترى بعد ذلك أن هؤلاء الكتاب قد أوذوا فى مناصبهم وفى أنفسهم وفى سمعتهم وفى أرزاقهم فلم يثبتوا للأذى ، ولم يمضوا فى المقاومة ، ولم يعنهم اتباعهم وأولياؤهم على الثبات ، وإنمـــا عطفوا عليهم عطفا أفلاطونيا..فلانوا ودانوا وجاروا وداروا وآثروا العافية ومضوا مع الجمهور إلى حيث أراد الجمهور . ونشأ الجيل الجديد فاقتدى باخوته الكبار وسار سيرتهم وأصبح النقد مصانعة ومتابعة وأصبح الأدب تملقا وتقليدا .

وهذا أيها الأخ العزيز هو الذى اخالفك فيه أشد الخلاف وانكره عليك أعظم الإنكار يدفعنى إلى ذلك أمران : احدهما أن رأيك بعيد كل البعد عن أن يصور الحق . والثانى أن رايك يمسنى وأؤكد لك انه يحفظنى كل الاحفاظ ويؤذينى كل الإيذاء . ولعله يحفظنى ويؤذينى أكثر مما احفظنى وآذانى كل مالقيت من ألوان المشقة والإعنات .

فهل من الحق أن هؤلاء الكتاب الذين تشير إليهم قد ادركهم الضعف والوهن فالأوا الجمهور وصانعوا السلطان ، واثروا العافية فى أنفسهم وأموالهم ومناصبهم ؟ ومتى كان هذا ؟ أحين عصفت العواصف بمصر فأفسدت امرها السياسى والعقلى والغت نظامها الحر وفرضت عليها نظاما آخر مصنوعا الغيت فيه كرامة الأفراد والجماعات .

تعال أيها الأخ العزيز نبحث معا عن هؤلاء الكتاب أين كانوا فى ذلك الوقت ؟ وماذا صنعوا ؟ وإلى أى خد جاروا وداروا وأثروا العافية ؟ لست فى حاجة أن اسميهم فأنت تعرفهم كما يعرفهم الناس جميعا ، لم يكن لأكثرهم منصب فى الدولة ، ولعلى كنت من بينهم الوحيد الذى كان يشغل منصبا من المناصب ، فلما عصفت العاصفة اقصيت عن هذا المنصب فأدركت الزملاء ووقفت معهم حيث كانوا يقفون ، ومضينا جميعا إلى حيث كان يجب أن نمضى واحتملنا جميعا ما كان ينبغى أن نحتمل من الأثقال . فكنا ايها الأخ العزيز السنة الساسة وسيوف القادة والسفراء بينهم وبين الشعب . وكنا سياطا فى ايدى الشعب يمزق بها جلود الظالمين تمزيقا .

وكنتم تعجبون منا بذلك وتحمدونه لنا وتؤيدوننا فيه . وكنتم تقومون على الشاطىء وترونا ونحن نغالب الأمواج ونقاوم العواصف تظهر عليها حينا وتظهر علينا احيانا فكان بعض الناس يصفق لنا إذا خلا إلى نفسه لا إذا رآه الناس ويعطف علينا إذا لم يحس السلطان منه هذا العطف ولست ازعم أنى قد استأثرت بهذا الفضل فقد كان نصيبى منه أقل من نصيب كثير الزملاء . لم ادخل السجن وقد دخله منهم من دخله . . .

أترى أن مواقفنا تلك كانت مواقف المنهزمين ؟ أننا شغلنا عن النقد الأدبى بأنفسنا واموالنا وإيثارنا للعافية ومجارآتنا السلطان .

والغريب أن أريك هذا فى إخوانك الكتاب يظهر انه قد اعجبك حتى ألهاك عن حقائق ما كان ينبغى أن تلهو عنها . فهؤلاء الكتاب المنهزمون فى رأيك لم تشغلهم هذه السياسة العنيفة المنكرة عن الأدب ولا عن النقد . وإنك لتعلم انهم جميعا كانوا يخاصمون فى السياسة وجه النهار ثم يفرغون

لأدبهم آخر ، وكلهم قد أنتج فى الأدب اثناء المحنة وفى الأدب الخاص الذى لا يتصل بالسياسة ولا يمت إليها بسبب . ومن منهم اتخذ السجن وسيلة إلى هذا الانتاج .

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واجبهم الأدبى كما استطاعوا ومازالوا يؤدونه كما يستطيعون ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرضى والحياة المستقيمة المطمئنة ثم لا ينقدون لأنهم لا يقرأون ، أولا ينقدون لأنهم يقرأون ويشفقون أن اعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس وأن يسلقهم أصحاب الكتب بالسنة حداد .

٣ — أحمد أمين

شرحت وجه نظرى فى بعض وجوه العيب فى النقد العربى من ناحيته العامة . فإن[١] أراد أخى طه أن يحورها من عمومها إلى شخصياتها وينقل المسألة من النقد الأدبى إلى النقد السياسى ويجعل الأمر يدور حول أنا وأنت ونقدت ولم تنقد ، وكتبت ولم تكتب . وبئست ونعمت ، وشقيت وسعدت لم إجاره فى ذلك ، ووقفت حيث أنا إلا أن يعود إلى أساس النظرية ويقرع حجة بحجة وبرهانا ببرهان فأنى اذن أساجله القول حتى ينجلى الحق ويظهر الصواب .

٢ — إنى اقارن[٢] بين النقد من نحو عشرين عاما والنقد الآن فأجده ليس خاضعا لسنة النشوء والإرتقاء . بل لسنة التدهور والإنحطاط حتى وصل إلى حالة من العجز يرثى لها .

(١) الرسالة ١٥ يونية ١٩٣٦ .
(١) الرسالة أول نوفمبر ١٩٣٦ .

فقد كان الكتاب إذا ظهر هبت الصحف والمجلات لعرضه ونقده فاللغوى ينقده نقدا لغويا والمؤرخ ينقده نقداً تاريخيا والأديب ينقده نقداً أدبيا وتثور معركة حامية بين انصار الكتاب وأعداء الكتاب . .

ولست أنسى ما كان يقوم به الأستاذ إبراهيم اليازجي فى نقده لمجانى الأدب وأقرب الموارد كما لست انسى مانقد به كتاب التمدن الإسلامى وكان شوقى أو حافظ يقول القصيدة فيقوم ناقد معترض يبين معايبها، ومادح مقرظ يبين محاسنها ومن هذا وذاك يستفيد الأديب ويرقى الأدب .

وكان يؤلف الكتاب الذى مثل كتاب الإسلام وأصول الحكم فتنشب معارك حامية وينقسم المفكرون إلى معسكرين .

تعال فانظر معى الآن إلى ماوصلنا إليه . لقد كثرت الكتب يخرجها المؤلفون واصبح الإنتاج الأدبى اضعاف ما كان ، ولكن من الغريب أن تحدث هذه الظاهرة وهى رقى الأدب وإنحطاط النقد .

. . ولكن ماهى علامات هذه الظاهرة فى الأدب العربى .

أهمها أن النقد الصريح الصحيح يحتاج إلى شجاعة ادبية قوية من الناقد .. ورحابه صدر من المنقود . وقد حدث فى تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلحوا بالشجاعة الأدبية فى مصر فألفوا كتبا عبروا فيها عن آرائهم فى جلاء ووضوح وكتبوا مقالات تعبرعما يختلج فى نفوسهم وأن لم تكن على هوى الجمهور . ونقدوا أدب الأدباء وأن بلغوا القمة فى نظر الناس فكان صراع بين القديم والحديث وبين التفكير الحر والتقاليد .. ولكن هذا الصراع انتهى بهزيمة هذه الطليعة من المعسكرين وتعرضوا للخطر فى

مناصبهم وأرزاقهم . ونالوا من العسف والعنت ماليس فى طاقتهم . وهذا يحدث مثله فى كل أمة من الأمم الأوربية ولـكن كان هناك فرق كبير بيننا وبينهم . ذلك أن اصحاب الرأى الجديد فى البلاد الراقية إذ أوذوا فى العصر الحديث رأينا من مقلديهم واتباعهم فى الرأى من يمدونهم بالمال والمعونة .

أما فى مصر فقد شعر القائمون بهذه الحركة الجديدة انهم اصيبوا فى سمعتهم وفى منصبهم وفى مالهم ثم رأوا أن اتباعهم تخلوا عنهم فى أوقات الضيق ومن عطف عليهم منهم فعطف افلاطونى ، عطف يتبخر . عطف لا يمـكن أن يتحول إلى مال أو مجهود .

وكان الرأى العام قويا مسلحا فتغلب وانتقم واصبحت له السلطة التامة. وانهزم امامه فريق المعسكرين الصرحاء هزيمة منكرة . ولم تعد له أمثلة كثيرة فى تاريخه القريب فاضطر إلى التسليم بل وفى بعض الأحيان رجع عن رأيه إلى آرائهم . وعن منهجه إلى منهجهم وتعود المجاراة بدل المقاومة ، والمداراة مكان الصراحة فلم يعد هناك معسكران ولم يعد صراع . وإنما هو واحد ولا قتال .

وتعلم الجيل اللاحق من الجيل السابق فاختط خطته ونهج منهجه وأخذ الدرس عن أخيه الأكبر ففضل السلامة وبذلك اختنق النقد الأدبى فى مهده واصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافا طفيفا فى العرض لا فى الجوهر لا مدارس متعددة تتناحر وتتعاون وتتعادى وتتصادق .

ولا أمل فى عودة النقد اله ر لا ببذرة جديدة وروح جديد .

ولعل من أسبابه ضعف النقد « السياسة » قاتلها الله فقد تدخلت فقصرت

الجمهور على القادة ، وعلونت الرأى العام على المفكرين وما كان الجمهور والرأى العام ، ينتصران ، هذا النصر لو وقفت السياسة على الحياد ولو فعلا لكانت الحرب سجالا ولظل المعسكران فى قتال .

ثم أن السياسة دخلت فى الأدب ولونت الأدب بلونه السياسى ولم يستطع الناس التفرقة بين موزين الأدب وموازين السياسة فأفسد ذلك الأدب والنقد معا .

الفصل الخامس

الأدب بين التجديد والانحراف

بين زكى مبارك وزكى أبو شادى

هذه واحدة من معارك الفكر بين التجديد والانحراف ، في فترة غلبت فيها نزعة « التغريب » واتخذت سبلا غاية فى الدقة والبراعة لتصل إلى إذاعة الآراء المتحرفة . فلقد كان الكتاب يتناولون موضوعات خطيرة بأسلوب غاية فى النقاء والاعتدال ثم إذا بهم يزجون بين أحشاء هذه الابحاث عبارات تليه لها بريق ومظهر واجمال وآخر ليثيروا البلبلة وكانت كل عناصر « التغريب » تكمن فى إذاعة الآراء حول بعث فرعونية مصر وأصلها المسيحى السابق للاسلام . ومهاجمة الأزهر وعلماء الأزهر باسم مهاجمة الكنائس والمساجد معا ، ومهاجمة الاسلام باسم مهاجمة الاديان جميعا . وإذاعة آراء (فرويد) لأنه يدعو إلى فرض الرأى الذى يقول بأن الجنس هو الدافع الأول للحياة ومقاومة الدعوة إلى القومية العربية باذاعة آراء الاقليمية والتجزئة .

ولقد وقف الدكتور زكى مبارك من صديقه الدكتور زكى أبو شادى موقفا حاسما وما أبو شادى فتكلم عن حرية الفكر ونقل أصول كلماته المسمومة التى دسها فى مقالاته وفصوله ليبين أنها جرت مجرى السياق وأنها لم تكن تستهدف غرضا معينا .

وهذه هى المعركة :

١ — الدكتور زكى مبارك :

قرأت مقال الدكتور أبو شادى (عن فرويد) فلم يرضينى وقرأت له مباحثات عن الدولة والدين فلم ترضينى (نشرها الدكتور أبو شادى فى مجلة أدبى) وما احب للدكتور أبو شادى أن يتورط فى مسائل تسع المجال أمام الدساسين وما احب له أن يفتح اعيننا على مأساة جديدة فى عالم الأخلاق

سأحاسب الدكتور أبو شادى على مقاله بأقسى ما يكون من العنف ولكن على شرط يتيح له الدفاع عن نفسه فى حدود المنطق

لقد عرفت وعرف الجمهور أن فريقا من خصومك شكوك إلى النيابة العمومية وقال بعض للطلمين أن مشيخة الأزهر اهتمت بدرس ما نشرته فى مجلتك .

أأنت الذى قلت فى مجلتك (أن جميع أبناء مصر أقباط ضميمون أغلبيتهم أسلمت بحكم الفتح الحربى» .

أأنت الذى قلت ذلك . أن كنت قلته فأين الدليل ، أين دراساتك التاريخية ، أين اطلاعك على تفاصيل ماظفرت به مصر بفضل الإسلام . أين ماروى التاريخ حين حدثنا أن والى مصر كتب إلى عمر بن عبد العزيز يخبره أن حالة مصر فى خطر لأن الأقباط سارعوا إلى الإسلام فقال :

« إن رسول الله بعث هاديا ، ولم يبعث جابيا » لنفرض جدلا أن أكثر الأقباط أسلموا بحكم الفتح العربى. فهل من الذوق أن تقول ذلك وأنت رجل مسلم اسمه أحمد ، إن هذه سقطة ذوقية يجب أن تستغفر منها الذوق إن لم تستغفر الحق ، ومن موجبات الأسى أن هذه السقطة الذوقية تردى فيهامن قبلك رجل مسلم اسمه طه حسين فى مقال كتبه فى جريدة كوكب الشرق ولكنه حوسب على ذلك حسابا عسيرا وهدده أهل سوريا بإحراق مايوجد من مؤلفاته فى مكاتب دمشق .

أأنت الذى قلت فى مجلتك بوجوب هدم الأهرام وهدم الكنيسة ليحيا المصريون حياة مدنية .

أنت قلت ذلك وقد نقل ما كتبته فى مجلتك إلى المجلة الجديدة (مجلة سلامه موسى هداه الله) وسلامه يسره أن ينشر فى مجلته ماخططه بقلمك فى مجلتك وليس عنده مايمنع من هدم الأزهر وهدم الكنيسة تأسيا بقول الشاعر

اقتلونى وما لكا واقتلوا مالكا معى

ولكن أتعرف ما يكون لو هدمت الكنيسة وهدم الأزهر فى يوم واحد أتعرف النتيجة أيها المسلم الذى اسمه أحمد بن محمد والذى يرتفع نسبة إلى الحسين، تكون النتيجة أن يهدم الأزهر ثم لا يبنى أبدا لا قدر الله ولا سمح، أما الكنيسة فتهدم، ثم تبنى من جديد على قواعد أمتن وأرسخ.

من أين جاءكم هذا التسامح يا أبناء اليوم. من أين جاءتكم هذه الغفلة ياشعراء الجيل.

أنت تشير بهدم الأزهر يا أبا شادى؟ ولم ذلك؟

أتستكثر أن يقوم أولئك المشايخ بنشر الثقافة الإسلامية والثقافة العربية ويرفعوا رأس مصر فى العالمين[1].

أمن القليل فى مجد مصر أن يذكر اسمها فى كل لحظة بين أهل الشرق والغرب بفضل الأزهر الشريف.

سيطول بلاؤك يا أبا شادى حين تذهب الثقافة الأزهرية وإلى من يستند الأدب الحق حين يقترض هذا النوع من التثقيف.

---

(١) أقرأ المقال بالكامل فى البلاغ ٢٣ أغسطس ١٩٣٦.

والأزهر مدرسة . ومن مجد الإسلام أنه يرى الدرس أفضل من العبادة لأن الإسلام منذ نشأ يحمل طابع المدينة ، ويجعل المساجد معاهد للدرس والتثقيف .

وليس فى الدنيا كلها أمة متدينة دعت إلى العلم كما دعت إليه الأمة الإسلامية والمسلمون هم وحدهم الذين لا يفرقون بين المدنية والدين ..

٢ — (قال زكى أبو شادى عن فرويد أنه الرسول الجديد ..)

وهاجمه زكى مبارك وقال: إن الجزء الأعظم من فلسفة فرويد تنتهى إلى غاية واحدة هى أن الناس جميعا متأثرون بالغريزة الجنسية فى جميع المعاملات أما الأنبياء فهم ميادين أخرى، الأنبياء يفهمون أن الناس لا يعيشون للجسد وبالجسد الأوهم حيوانات . ليست النيابه العمومية التى تملك تقويمك وإنما يملك تقويمك من يفهم خائنة الأعين وما تخفى الصدر ...

٢ ـ زكى أبو شادى

كتب[1] زكى مبارك مقالا فى البلاغ خصه بما سماه (الدمامة الخلقية البشعة) التى تتمثل فى كيد الأدباء بعضهم لبعض . .

وقد أضحكنى أن واحدا من أولئك المساكين الكائدين أضاع معظم الساعات التى ينفقها عادة فى دعايته لنفسه يستعدى على النيابة ومشيخة الأزهر وغيرهما فليفهم هذا القزم وأمثاله أن كاتب هذه السطور بعد معالجته للادب زهاء ثلاثين عاما ليس فى حاجة إلى من يفهمه ماهى أحكام القانون فى الكتابة ولا ما هو واجب الأدباء فى احترام عقائد الناس ولا ما هو مبلغ سياج الحرية الفكرية التى يحميها الدستور .

إن المقال الذى أشار اليه صديقى نشر فى مجلة المهذب.. وقد أعيد نشره بعد ذلك بزمن طويل فى مجلة (أدبى) لأنى اعتدت أن أجمع فيها شعرى وبحوثى .

وبديهى اننا لو أخذنا نحاسب جميع الكتابات الأدبية والفلسفية والكتابات العلمية على أساس ذلك التخريج العجيب لا ينتهى الأمر بالطعن فيها جميعاً وعلى الأخص الكتابات الصوفية ، وأن ما ذكرته عن فرويد ونتائج أبحاثه التى تعارض الدين على الأقل فى ظاهر الأمر لا علاج لها سوى قيام المتنورين من علماء الدين (ولا اعنى بذلك علماء الإسلام وحدهم) للرد الغابة عليها بدل العادة القديمة فى طلب مصادرة كل مالا يرضيهم .

---

(١) البلاغ ٣٠ اغسطس ١٩٣٩ .

ليس لمشيخة الأزهر ولا لغير الأزهر ذرة من الحق فى محاسبتى على مذهبى الدينى وتفصيل عقيدتى .

فليس الذى يلخص آراء فرويد ونتائجها فى نزاهة كما يراها العلماء الأوربيون مع الحرص على الاشارة إلى اختلاف أصحاب الاديان ، مثل هذا الرجل لا يجوز أن تقام له محكمة تفتيش إسلامية سنة ١٩٣٦ إذ لا محل لقيامها من الناحية الدستورية ولا من ناحية الإسلام نفسه الذى سامح فى أزهر عصوره حتى مع العقائد المخالفة له نهاية التسامح .

أما هذه الوصاية المقوتة على آراء الناس التى يتهافت عليها طائفة بين شيوخ الأزهر فأمر لا يليق لا بكرامة الإسلام ولا بكرامة الأزهر .

وإذا سكت عنه مؤلف أو أكثر بين الحسرة والالم فلن يسكت عنه كاتب هذه السطور بقية حياته التى وهبها لتحرير الفكر والوطن لا لعبودية الجمود والرجعية .

ولا يفوتنى أن أذكر أن بين الأزهر وكاتب هذه السطور خصومة قديمة ترجع إلى اعتبارات نقدية فلو تقرر أن يكون الأزهر حكما قانونيا لوجب حتما رده . .

٣ — لا يجوز حمل تعابيرى الشعرية فى مقال عن (فرويد) على المحمل الذى ذهب إليه إذ ليس من المعقول أخذ هذه التعابير على حرفيتها ولولا الجو الذى خلقه حب التكيد لى لما رأى أحد فيها شيئا .

وهذا الجو نفسه مسئول عن نظرات صديقى الدكتور إلى فقرات أخرى من كتابى بحيث أخرجتها تماما عن دائرة تفكيرى .

---

(١) البلاغ ٣ سبتمبر ١٩٣٦ .

إن قولى (لا أومن بقيام وحدة وطنية سليمة إلا إذا توافرت عوامل الاندماج فى الأمة ومن حسن حظ الأمة المصرية أنه من الناحية الوطنية لا توجد فيها أكثرية وأقلية . لأن جميع أبناء مصر أقباط صميمون أغلبيتهم أسلمت بحكم الفتح الحربى وأقليتهم بقيت على مسيحيتها التى كانت حينئذ دين الشعب المصرى) إن هذا القول لا يتعارض بتاتاً والروح النقية التى أبداها عمر بن عبد العزيز .

وليس هو مذكوراً فى معرض بيان أسباب إسلام المسيحيين المصريين إذ أن هذا خارج عن موضوعى وليس فيه أى انتقاص للاسلام إذ لولا الفتح العربى لما عرف أقباط مصر شيئا عنه وتهيئوا للدخول فى الاسلام حتما نظراً للعصبية الدينية الهائلة من النصارى حينئذ ، وإنما سقت هذا القول إشارة إلى أن أصل المسلمين والمسيحيين واحد بالدليل العلمى الذى أثبته الدكتور محمد شرف بك فى فحص دمائهم وهو أن الجميع أقبــــاط ومن شعوب البحر الأبيض المتوسط .

٤ — لا أعرف أنى قلت بهدم الأزهر وهدم الكنيسة ليحيا المصريون حياة مدنية . إنما هذا ما قلته بالحرف الواحد .

« وإننا نغتبط بكل حركة إصلاحية يستفيد منها الأزهر والكنيسة القبطية ولكن عنايتنا بكليهما يجب أن تكون محدودة ويجب أن توجه العناية الكبرى إلى تهذيب الروح المدنية فى الشعب .

٥ — إنى أتمنى على صديقى الدكتور زكى مبارك أن يبقى حسن ظنه فى كاملا ثم يراجع كتاباتى فسيجد لها معانى جد مختلفة عما ساقته إليه حماسته الدينية فى الجو الشاذ الذى خلقه الكائدون ..

والمضحك المحزن أنى بالرغم من اعتدال أسلوبى وعفة قلمى وحرصى

على نزاهة القصد يعاب على ماتعرضه ثقافتى من تلخيصات فلسفية وأدبية لقرائى كأنما الواجب أن احتفظ بمعارفى لنفسى وأحتقر أبناء المصريين الذين يجهلون اللغات الأوربية .

٦ — إن لغتنا الشرعية محرومة من مئات التصانيف الذائعة فى شتى اللغات الحية والميتة فى نفس بلادنا ، لا لسبب سوى أن حركة النقل إلى اللغة العربية غير مشجعة ولا تنال التصفيق والتطبيل والتزمير إلا النقل من الكتب القديمة من أساسات التثبيط النقاد والتقليدية العنيفة التى يبديها بعض الجامدين .

وما دامت هذه الحالة المخزية فليست لها أى معنى سوى أنها سترتد فكرنا إلى حياة القرون الوسطى وسيكون للأهواء لا للقوانين العليا الحكم فى تكييف الثقافة والأفكار .

إن الأيدى المصرية المتعلمة تتداول مئات الكتب الأدبية التى لا يجوز ترجمة واحد منها لما فيها من الفكر الحر وإن جاء فى أدب واتزان مع أن الخير كل الخير فى ترجمتها وإثارة النقاش الأدبى والفكرى .

٧ — وظاهرة أخرى عجيبة نقرأها فى كتابات من يتصدرون للنقاش وهى الجهل التام بحقائق التاريخ والعلوم والآداب الحديثة مع أنهم لو شجعوا النقل الوافى إلى لغتنا ثم التفتوا إلى الرد على مالا يعجبهم من هذه الترجمات لجاءوا لنا بردود أقوى وأحكم لا بمهازل سخيفة يبرأ منها الدين والعلم والأدب معا .

الفصل السادس

هل نقتبس أم نقلد ؟

بين منصور فهمى وطه حسين

قال زكى عبد القادر معلقاً على حديث الدكتور طه عن التعليم الجامعى[1] فى مصر ومقارنته بفرنسا « أما الزج[2] بفرنسا وغيرها من البلاد الغربية حين يكون الكلام خاصا بمصر فكم كنت أود لو أعفانا منه الدكتور طه فإن مصر لن تكون كفرنسا وفرنسا لن تكون كمصر . والأسلوب الذى تتناول به فرنسا مشاكلها لا ينبغى أن يكون هو الأسلوب الذى تتناول به مصر مشاكلها . فإن لنا مشاكلنا الخاصة ، لنا حاجتنا وبيئتنا وشعبنا وتاريخنا ونهرنا وصحراؤنا . ولنا أخيراً عقولنا وثقافتنا فلنعالج مشاكلنا على الأسلوب الذى نراه إلى أدنى تحقيق مصالحنا .

فرد طه حسين علية[3] وقال :

إنما أكتب اليوم لأنى أرى فى تفكيرنا الاجتماعى والتعليمى شيئا من العوج وأود أن نلتفت إليه ونعنى بتقويمة ، فمن أشد الأشياء خطرا أن نفكر فى شئوننا الاجتماعية والثقافية تفكيراً معوجا ، ثم نقيم على هذا التفكير نتائج ذات خطر ثم نتخذ هذه النتائج أصولا للاصلاح الاجتماعى والثقافى .

ولأضرب لذلك مثلا قريباً جداً فالأستاذ زكى عبد القادر يريدنى على ألا أذكر فرنسا ونظمها التعليمية لأن فرنسا ليست مصر ولأن ظروف فرنسا

---

(١) الأهرام — ٣ يونية ١٩٣٩ « إسراف » لطه حسين
(٢) الأهرام — ٥ يونية ١٩٣٩ زكى عبدالقادر
(٣) الأهرام — ٧ يونية ١٩٣٩ « تقويم » لطه حسين

ليست ظروف مصر . وهذا كلام يستقيم فى ظاهره كل الاستقامة ولكنه لايثبت للتحقيق . فإذا كان من الحق ألا نذكر فرنسا وألمانيا وإنجلترا . فقد يكون من الحق ألا نفكر فى التعليم الإلزامى ولا فى التعليم الجامعى الحديث ، ولو أننا أردنا أن نلاحظ ظروفنا الخاصة وألا نلاحظ غير هذه الظروف فقد كان حقاً علينا أن نكتفى بما كان عندنا من ألوان التعليم قبل أن تنتظم الصلات بيننا وبين أوربا بتعليم الكتاتيب وتعليم الأزهر الشريف فقد عشنا قرونا على هذا اللون من ألوان التعليم حتى كون شخصيتنا أو كون جزءاً عظيما من هذه الشخصية . ولكننا منذ أوائل القرن الماضى نظرنا إلى أوربا واتخذناها مثلا نحتذية ونقلده ، فاستعرنا منها فكرة التعليم الإلزامى ومجانيته وفكرة التعليم الجامعى العالى .

أترى إلينا ننظر إلى أوربا نظراً متصلا ونقلدها تقليداً مستمراً ونفكر فى الوقت نفسه النظر إلى أوربا والانتفاع بما خضعت له من التجارب وما اختلف عليها من الخطوظ .

منصور فهمى(١)

أكاد أرجع أكثر الخصومات فى الرأى حول مشاكلنا الاجتماعية إلى علة واحدة : تلك هى « الرغبة فى تقليد الغربيين أو كراهية هذا التقليد » .

أقرأ لزميلى الدكتور طه حسين مقالا حديثاً من مقالاته فى جريدة الأهرام فأجد ما يأتى « لكننا منذ أوائل القرن الماضى نظرنا إلى أوربا واتخذناها مثلا نحتذية ونقلده ، فاستعرنا منها فكرة التعليم الإلزامى ومجانيته وفكرة التعليم الجامعى العالى . أترى إلينا ننظر إلى أوربا نظرا متصلا

(١) الأهرام ٢٠ يونية ١٩٣٩

وتقلدها تقليداً مستمراً ونفكر في الوقت نفسه النظر إلى أوربا والانتفاع بما خضعت له من التجارب ولما اختلف عليها من الخطوط. »

وطالما قرأت لغيره من ذوى الرأى وسمعت منهم حين يتحدثون في اتخاذ طرائق الغربيين أو تجنبها ، ما يخالف رأى الأستاذ الصديق ويغايره. وعندئذ يتردد إلى خاطر زوار فأقول في نفسى : أيهما يا ترى أهدى إلى الحق وأدنى إلى سبيله ، أذلك الذى يجد أن حياتنا الاجتماعية تظل في عوج واضطراب مادمنا لا نحتذى إثر الغرب ونقدم على اصطناع مثله في صراحة وعزم ؟ أم ذلك الذى يرى أن أمتنا ليست كأمم الغرب في كل شيء ، وأن اتخاذ أكثر من نظم الغربيين لا يجدى في رقينا وأسعادنا . وقد يعود علينا بالشقوة والخسران .

وفي الحق أننى طالما عجزت عن الجواب على هذا السؤال ، وتولتنى منه حيرة من هذه الحيرات التى تتجمع فيها النفس لتستعين بالله عساه يقودها إلى رأى ويسكنها إلى مذهب تجد عنده راحة اليقين وتتخلص به من ألم الحيرة .

كدت أشعر أحياناً بدافع إلى الميل لرأى زميلي طه فهؤلاء ذوو الشأن فينا يتأثرون الغربيين في غير هوادة ولا مبالاة ، فأوربا إمام في التعليم وأوربا إمام في أكثر مسائل التشريع ، وأوربا إمام في أكثر مظاهر الأخلاق والنظم وقد يجرنا القادة إلى اتباع أوربا فيما هو أبعد الأمور عن طباعنا . فهل من المستطاع حقاً بعد ذلك أن تسهل علينا الرجعة والنكوص .

سبحانك اللهم أى السبيلين لنا فيه هدى وتوفيق ؟

على أننى بعد هذا الجذب الذى يراد به تقريبى إلى ما يقولون . أعود فأستمع من أعماق القلب صوتاً مدوياً يشق سبيله إلى عقلى الحائر فأقول إلى

نفسى «سبحانك اللهم فليست بيئتى التى أعيش بها ولها وفيها هى بيئة الغرب. فهذه سماؤها غير سماء الغرب وهذه تربتها غير تربته وهذا موقعها فى ملكوت الله غير موقعه . وهذه لغتنا غير لغته وما ورثناه من عادات ونحن وظروف وصروف غير ماورث الغرب . فتكون مسكنو ناتنا ، ومميزاتنا غير مميزاته وظروفنا وصروفنا غير ظروفه وصروفه، ثم يراد بنا على أن نكون كالغربيين ويحاول داعية صريح ، أن يقنعنا بأن نتخذ من الغرب إماما فأتم به فى كليات مايسير عليه الغرب وفى جزئياته ؟

عفوك اللهم وهداك ، إن نفسى وعقلى مازالا راغبين فى سبيلها بل إن النفس لتدعونى أن أحتفظ بالخصائص التى أراد الله أن يميز بها أمة أنا من بينها وأن أتمسك بميراث انحدر إلى بلدى من قرون . وأن استوحى به تاريخى وأن استلهم مايلهمنى به جو بلادى وما تلهمنى به تلك الأرواح الخفية الحائمة فى سماواته » .

عند سكون نفسى إلى هذه النزعة أعود فأهمهم فى شدة وحماسة : لسنا من الغرب فى شيء . وإنها لكبيرة أن ننتهج فى كل شيء سبيل الغربيين فالتقليد حدودنا هى يا ترى حدوده ؟» .

الفصل السابع

معركة فقدان الثقة

بين الدكتور محمد حسين هيكل وطه حسين

عندما أصدر الدكتور هيكل كتابه « ثورة الأدب » استقبله الدكتور طه استقبالا حافلا كعادته فى استقبال كتب زميله ، غير أن الدكتور طه لم ينس بذور الخلاف التى كانت قد نشأت بينه وبين زميله القديم ، وهو خلاف جوهرى يتعلق بصميم العقيدة والتفكير والاتجاه ، ذلك أن هيكل رأى أن الغرب قد خدعنا عن نفسه حتى تكشف لنا أنه إنما يهدف إلى تغريب الشرق ، وقد ظهر هذا حين أصدر المستشرق « جب » كتابه (وجهة الإسلام) الذى كان بعيد الأثر فى تحول تفكير هيكل ولكن طه حسين الذى ظل مصراً على آرائه انتهز الفرصة ليعاتب الدكتور هيكل فى هذا التحول وهكذا دارت هذه المعركة التى تمد نقطة ارتكاز فى تمزق تيار للمدرسة الحديثة .

من طه إلى هيكل

وهيكل كالسيل إذا عرض لموضوع أندفع فيه فجاء بالجيد الكثير ولكن لا يسلم أحيانا من العثار فكثيرا ما يتورط فى الخطأ لأنه يسرع ولا يتكلف التحقيق والتثبت .

.. ونستطيع أن نأخذ هيكلا بطائفة غير قليلة من الخطأ الذى مصدره الإهمال والسرعة وشيء من الازدراء لتحقيق المحققين ، ا متفق أننا بعد هذا كله مع هيكل فى أرائه كلها حول القديم والجديد ، ما أظن إلا أننا نتفق فى أكثرها ونختلف فى أقلها ، ولعل اختلافنا أن يكون ناشئا من شيئين : أحدهما . هذا الإهمال الذى أخذ به هيكلا والذى يدفعه إلى المبالغة ويضطره إلى التقصير أحيانا . والثانى . أن هيكلا رجل أديب . ولكن اشتغاله المتصل بالسياسة قد أثر فى تصوره للأشياء وحكمه عليها بعض الشيء . فهو يسرف حين يسيء الظن بما يكتبه الأوربيون عنا حين يمسون حياتنا الأدبية ويسرف أيضا حين يحسن الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الإنتاج .

ولكنه رجل سياسي حين يكتب في الأدب يريد أن يدافع عن مصر والشرق كما يفعل في السياسة ، أما أنا فأريد أن أدافع عن مصر والشرق وأريد أن أرضي مصر والشرق ولكن بشرط ألا يورطني هذ في تغيير الحقائق العلمية أو مسها بشيء من التشويه ولو قليلا .

من هيكل إلى طه

وقد لاحظت يا أخي أن اشتغالي المتصل بالسياسة قد أثر في تصوري الأشياء وفي حكمي عليها بعض الشيء وذكرت لذلك مثلين . أحدهما ، أني أسرفت حين أسأت الظن بما يكتبه الأوربيون عن حياتنا الأدبية بينما أنت تظن أن جب وأمثاله لا يأخذون السياسة وأهواءها مقياسا لدراساتهم الأدبية والثاني . إني أسرفت حين أحسنت الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الإنتاج وإني إنما فعلت ذلك لأرضي المصريين والشرقيين في الأدب كما أفعل في السياسة وانك أنت ترى هذا شرا لأنه تغيير للحقائق العلمية وإني أؤكد لك أن الحقائق العلمية أثر عندي أنا أيضا من كل شيء ومن كل إنسان .

وإن كان اشتغالي بالسياسة قد أثر في تصوري الأشياء وفي حكمي عليها فإنما كان أثره أن زادني تقليبا للأشياء وامتحانا لها وتعمقا في بحث ما تنطوي عليه وما ترمي إليه وإذا كانت الأهواء السياسية ليست هي التي توجه دراساتهم فدراساتهم يقصد بها في كثير من الأحيان إلى خدمة تلك السياسة.

وما أحسبك تخالفني ياصديقي في أن كتاب « وجهة الإسلام » الذي ألفه خمسة من كبار المستشرقين المشتغلين بالأدب، الحديث في بلاد الشرق المختلفة . إنما هو كتاب سياسة مداه بحث ما وصلت إليه أوربا مما يسميه الأستاذ جب « تغريب الشرق» وما يرجى لهذا التغريب في المستقبل من نجاح

وأنا لا أعيب هؤلاء العلماء بهذا بل أحسدهم عليه أعظم الحسد فهم به يخدمون أوطانهم ويخدمون العلم ويخدمون الحقيقة من ناحية سياسة بلادهم ومن ناحية الحضارة الغربية التي يريدون أن تظل المدنية الحاكمة في العالم .

وهذه الخدمة الجليلة التي يقومون بها لأوطانهم وللعلم ولحضارتهم حقيقة علمية يسر لي اشتغالي بالسياسة الوقوف عليها ولو أنك انقطعت للسياسة ياصديقي إنقطاعي لها وأفنيت من تفكيرك ما أفنيت أنا لوافقتني على هذه الحقيقة ولم تتهمني بالإسراف إذ علمتها .

* * *

أما إني أسرفت متأثراً باشتغالي المتصل بالسياسة في حسن الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الإنتاج فأحسب صديقي يوافقني على أنه إذا زالت عوامل الفتور والضعف مما أشرت إليه في تضاعيف كتابي لما كان فيما قلت شيء من الإسراف . يومئذ يكون القول بقصورنا في الخيال وفي القوة على الإنتاج تجنيا على هذه البلاد وعلى الحقيقة ، هذا إلا أن تكون ياصديقي من الذين يقولون بأن الأوربيين ينتمون إلى الجنس الآري وهم لذلك أرقى منا ونحن ننتمي إلى الجنس السامي بالطبع .

وما أحسبك تقول بهذا أو تعتبره حقيقة كما يود بعض العلماء في أوربا اعتباره . بل أحسبك ترى هذه حقيقة سياسية يراد بترويجها « تغريب الشرق » والقضاء عليه بأن يبقى خاضعا للغرب إلى الأبد .

اعترافات الدكتور هيكل[1]

والآن علينا أن نستعرض القضية من أولها ذلك أن هذا التحول كان بعيد الأثر فى الفكر العربى المعاصر وهو ليس هينا على النحو الذى يبدو من العاجلة ولكنه كان عميقا وخطيراً بالنسبة للمثقفين الذين سافروا إلى أوربا واعتنقوا مذاهب الغرب فى الفكر ثم فقدوا ثقتهم فى هذا الفكر فيما بعد ولذلك يعرض هيكل هذه القضية عندما أصدر « جب » كتابه وجهة الاسلام قال

عاد هؤلاء (المبعوثون من شباب العرب) إلى بلادهم يبشرون بالحضارة الغربية، لكنهم مالبثوا أن صدمتهم ظاهرتان عجيبتان أثارتا دهشتهم لتناقضها مع أصول الحضارة الغربية تناقضا بينا. الأولى: هذه الحرب المنظمة التى يقوم بها الاستعمار الأوربى لحرية العقل حرية مستندة إلى النظام الجامعى الذى يقرر البحث العلمى الطليق من كل القيود سواء أكانت دينية أم غير دينية والمستند إلى القواعد العلمية الصحيحة. وقد راعهم من هذه الحروب أنها لم تكن تقبل هوادة قط وأن ممثل انكلترا فى مصر لم يكن يأبى أن يكتب فى تقاريره أن مصر بغير حاجة إلى علماء بالمعنى الغربى وإنما هى بحاجة إلى موظفين مطواعين.

والظاهرة الثانية: انتشار المبشرين الغربيين فى كل مكان فى المدن الكبيرة والصغيرة بل فى القرى يدعون إلى المسيحية ولا يأبون التعريض بالإسلام. وبالرغم من هاتين الظاهرتين ظل هؤلاء الشبان يدعون إلى الحضارة الغربية مستندة إلى أصلها الصحيح. أى إلى حرية البحث ونزاهة العلم ويدعون إلى ذلك فى حرارة لم تكن من شأن الجامدين على التقليد الدينى الذين رمزهم بالإلحاد، إلا أن ذادها قوة استمارا، ولكن مرور الزمن فتح عيونهم على حقيقة أخرى لم تكن أقل إثارة لدهشتهم من

---

(١) ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ ملحق السياسة الأسبوعية

الظاهرتين اللتين قدمتا . فما يصدر الغرب للشرق من آثار حضارته قد وقف أو كاد عند أسوأ ثمرات هذه الحضارة وعندما كان يؤتى بلاد الغرب من الربح المادى ما يمده بأسباب الرخاء والترف . فتجارة الرقيق الأبيض والكحول ومواد الزينة واللهو وجوقات المذر المسرحى كانت أول مايصدم الناظر لآثار الغرب فى الشرق . ولم يقدم الغرب إلى جانب هذا من صالح ثمرات حضارته مايستر سوآتها هذه ، بل هو كما قدمنا قد وقف حائلا دون سرعة انتشار العلم الصحيح مما كان هؤلاء الشبان يجاهدون بكل مايدخل فى حدود طاقتهم لنشره والتمكين له .

ثم كشف تعاقب السنين من بعد الحرب عن الحقيقة المؤلمة المضنية ، فقضية أوربا التى حاربت فى سبيلها أربع سنوات تباعا والتى بذلت فيها مهج أبنائها وملايين ما كدست من الثروة على السنين ، لم تكن إلا قضية الاستعمار ومن يكون له حق التوسع فيه . دول الوسط أمام الحلفاء . ثم بدت حقيقة أشد من هذه الحقيقة مرارة وإيلاما ، تلك أن الغرب الذى تزعم دولة أنه تحرر من قيود التعصب الدينى مازال يذكر الحروب الصليبية التى نشبت خلال القرون بين المسيحية والإسلام . وإن كلمة لورد اللنبى يوم استولى على القدس وقوله أن الحروب الصليبية قد انتهت كانت تعبر عن معنى يجول بخاطر الدول الأوربية جمعاء .

فى ظل هاتين الحقيقتين الأليمتين جعلت دول الغرب التى وضعت يدها على العالم الإسلامى تمد فى أسباب الجمود الدينى عن طريق الجامدين المتعصبين لتزيد الشعوب الإسلامية جمودا ليزيدها الجمود ضعفا . وجعلت تحمى الجماعات التبشيرية الدينية وتمدها بكل ما يستطيع من قوة وتحاول أن تحطم كل قلم وكل رأس يقف فى وجه هؤلاء وأولئك .

هنا اليقظة المرعبة ، يقظة هؤلاء الشبان الذين درسوا فى أوربا وجاءوا يبشرون فى البلاد الإسلامية لواء حضارة الغرب . ماهذا ؟ إلى أى حضيض يهوى أهل الحضارة . كيف تطوع لهم ضمائرهم أن يستخدموا العلم الإنسانى لإذلال الإنسانية وإهدار كرامتها ؟

وكيف تظل أوربا على تعصبها الدينى الذى انبعثت جنودها فى القرون الوسطى باسمه لمحاربة المسلمين ؟

وكيف تسيغ أوربا فى سبيل الحياة المادية وتوفها أن تحول بين شعوب كاملة . بل بين عالم بأسرة وبين النور القدسى الذى يضىء به الله الأرواح والقلوب عن طريق العلم والمعرفة وكيف تطمع المسيحية فى أن تكتسح الإسلام وهو أسمى الأديان التى دعت إلى الحرية الحقة ماأخذ فى صفاء جوهره ومانفيت عنه هذه الترهات التى أضيفت إليه على أنها منه وليست منه .

وقامت لذلك فى نفوس الذين ألقى إليهم النهوض بأعباء الحركات القومية التى اهتزت بها أمم الشرق فى أعقاب الحرب ثورة على هذه الأساليب التى لجأ إليها الغرب . وجعل كل يفكر .

والذين يقومون بأمر الصحف فى الشرق ويؤيدون هذه الأفكار الثائرة على الغرب وعلى استعماره وتبشيره كثرتهم الساحقة إن لم نقل كلهم من الذين تعلموا علوم الغرب وكانوا يبشرون بحضارته ومن الذين يؤمنون مايزالون بأن الأساس الذى قامت عليه : حرية العقل والتفكير وحرية البحث العلمى هو خير أساس تقوم عليه حضارة على أن لا ينكر هذا الأساس حاجات الروح للاتصال بالعالم على أنه فكرة لا على أنه آلة . وعلى أن لاينكر على العاطفة وعلى وحى النفس وإلهام الفؤاد سلطانهما فى الحياة .

ثم أشار الدكتور هيكل إلى هذا التحول من جانبه وجانب زملائه فقال : وليس أدل على ذلك مما لاحظه الأستاذ جب وزملاؤه مؤلفو « وجهة الإسلام » من أن كثيرين من الشبان الذين حملوا لواء الحضارة الغربية وصاروا يبشرون بها قد عاد الكثيرون منهم يشعرون شعورا قويا صادقا بأنهم فى حاجة إلى أكثر مما تمدهم الحضارة الغربية به ، وأنهم لذلك يجب أن يلجأوا إلى تراث السلف من المسلمين لالتماس ما ينقص هـذه الحضارة الجديدة .

وزادهم شعوراً بهذا النقص أن رأوا الفكرة القومية تقوم فى الغرب على نضال اقتصادى عنيف لا يعرف هوادة ولا يقف فى وجهه اعتبار من قواعد الخلق أو من الإخاء الإنسانى أو من المودة والرحمة . نضال فى سبيل المادة بين أهل البلد الواحد وبين الدول المختلفة هو الذى كان مثار الحروب ومثار أسباب الشقاء والتعس فى هذا العصر من عصور الإنسانية فهل ترى يجد العالم فى تراث الماضى مايشفى غلة روحه مما عجزت الحضارة الغربية عن أن تقوم به وما يقيم حياة جديدة وحضارة جديدة ليس فيها هذا الجشع المادى الفظيع الذى يهوى بالإنسان إلى مرتبة لا ترضاها النفس الفاضلة . إن هذا التراث قد اختفى تحت طبقات وطبقات من أباطيل عصور الإنحلال الذى أصاب العالم الإسلامى قرونا متواصلة . فليكن من عمل رجال العالم الإسلامى أن يزيحوا أكداس هذه الطبقات وأن يعيدو إلى الوجود فى إحدى صور الوجود وعلى طريقة علمية صحيحة ما يشتمل عليه هذا التراث الذى غزا العالم وغذاه بأدوات الحضارة أجيالا وقرونا طويله .

عند هذه النقطة يقف العالم الإسلامي اليوم ، ومظهرها الواضح الصريح أن أولئك الذين كانوا دعاة الحضارة الغربية وحملة أعلامها والذين بلغوا

من إدراك حقيقتها ، أن وقفوا على هذا العجز والقصور فيها ، هم الذين يقومون اليوم بهذه الدعوة وكثيرون منهم هم الذين يقومون اليوم بهذا البحث ، أولئك يشعرون شعور الواثق بأنهم سيجدون ولا ريب فى هذا التراث مايبعث إلى عالم اليوم الرازح تحت ظلمات المادة ضياء روحيا ، هم وجدهم القديرين على بعثه من جديد لأن إتصاله بروحهم دون روح الغرب هو الذى يذكى ضياءه . ويوم يدفعون إلى هذا فسيتاح للعالم الإسلامى بموقعه الجغرافى بين الغرب والشرق وبين المسيحية والديانات الأسيوية أن يمد يدا إلى ناحية ويدا إلى الأخرى ليرتفع بهؤلاء وأولئك إلى ميادين الحضارة الصحيحة . الحضارة التى تقوم على أساس الإخاء وتقول إن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . الحضارة التى لا تعرف إسلاما لغير الله . ولا تعرف للحق حدوداً ولا لحرية العقل قيودا . والتى تنير ظلمات العيش بالرحمة والمؤخاة بين الناس جميعاً أيا كانت أجناسهم وعقائدهم .

الفصل الثامن

الفن للفن والفن للمجتمع

بين أحمد أمين وتوفيق الحكيم وعبد الوهاب عزام

جرت مساجلة حول « مستقبل الأدب العربى » حيث أنشأ أحمد أمين فى مجلة الثقافة عدة مقالات فى هذا الموضوع تناول فيها ضرورة إنشاء أدب جديد يعنى بالإصلاح الاجتماعى وعرض للادب الإجتماعى الأمريكى وهاجم الأدب الذى يعتمد على التراث القديم ويستوحى أساطير واليونان والرومان ورد عليه « توفيق الحكيم » مبينا أن الأدب الباقى وهو الذى لايرتبط بالأحداث ولا بالمشاكل الإجتماعية العامة ؛ وإنما يبقى الأدب حين يتصل بالنفس الإنسانية :

وهاجم توفيق الحكيم دعوة أحمد أمين الى « أخلاقية الأدب » وقال أن الفنان ليس مطالبا بأن ترسم له الطريق وله أن يكون حراً فى عمله .

وكان توفيق الحكيم فى هذا متأثرا بالنظرية الغربية التى تفرض فصل الأدب عن المجتمع هى نظرية تخدم الإستعمار والتغريب إذا قبلناها على علاتها .

أحمد أمين[1]

أول واجب على الأدب العربى فى نظرى أن يتعرف الحياة الجديدة للامة العربية ويقودها . ويجد فى إصلاح عيوبها ويرسم لها مثلها الأعلى ويستحثها للسير إليه . أن الأدب العربى إلى الآن تغلب عليه النزعة الفردية لا النزعة الاجتماعية . وأرى أن الأدب العربى يجب أن يتجه من جديد – بقوة ووفرة – إلى النزعة الاجتماعية حتى يعوض مافاته منها ومستقبل الأمم العربية وحاضرها فى أشد الاحتياج إلى الأدب الاجتماعى ينهض بها .

أطمع أن يكون لنا فى الأدب العربى أمثال برناردشو فى الأدب الإنجليزى وأناتول فرانس فى الأدب الفرنسى وتولستوى فى الأدب الروسى

---

(١) العدد ٢٧٥ مجلة الثقافة — ٤ ابريل ١٩٤٤ .

وأمثالهم ممن وقفوا أدبهم على خدمة المجتمع وإشعاره واستثارته إلى التسامى .

وهذا هو الأدب الأمريكى يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية فى شتى شئونها . ثم لم يكتبوا فى خيال أو أوهام وأحلام . وإنما يكتبون أكثر ما يكتبون فى مشكلاتهم المالية ومسائلهم اليومية وحياتهم الاجتماعية وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان وإنما يستوحون مجتمعهم وما فيه وما يصبو إليه وللأديب العربى أن يستوحى امرؤ القيس أو شهرزاد ولكن يجب أن يكون ذلك نوعا من الأدب لا كل نوع وهو النوع الغالب ولا هو الأرقى .

والذى أوقع الأدب العربى فى هذا النقص أن الأدب ظل من ظلال الحياة الاجتماعية وللبيئة أثر كبير فى تكوينه والأمم العربية قضت عهداً طويلا فى دور قوى فيه الوعى الفردى ولم يقوم فيه الوعى الاجتماعى شأن الأمم كلها . ولكن الأمم الحية قطعت هذا الدور ، وتعلمت الوعى الاجتماعى والأمم العربية لا يزال الوعى الاجتماعى فيها فى حالة التكوين لم يتم ولم يقو. فالوعى لاجتماعى يكون حيث يكون شعور أفراد الأمة بملاقاتهم وخيرهم وتجاه تفكيرهم وإرادتهم لخير المجتمع بجانب الشعور بالتفكير والارادة فى أشخاصهم .

إن الأمم الشرقية فى بدء عهدها بالوعى الاجتماعى يجب أن يكون لها أدباء يدفعون هذا الوعى العام إلى الإمام حتى يكمل وينضج .

توفيق الحكيم(١)

مع الأسف أرانى مضطرا أن أقول أن استهجاء أساطير اليونان والرمان

---

(١) مجلة الرسالة — عدد ٥٦٢ — ١٠ إبريل ١٩٤٤ .

وامرىء القيس و « شهر زاد » هو هو النوع الأرقى فى الأدب ، فى كل أدب ، لا فى الماضي وحده ولا فى الحاضر . بل فى الغد أيضاً وبعد الاف السنين مادام الإنسان إنساناً . وما دام رقية الذهني بخير لم يصبه نكاس . فالإنسان الأعلى هو الذى يصون « الجمال الفنى » من الاستغلال فى أى صورة من صورة . ويحتفظ به لمتعته الذهنية وثقافته الروحية . وأن اليوم الذى نرى فيه « الأدب » قد استخدم للدعايات الاجتماعية ، والتصوير استغل فى معارض الاعلان عن السلع التجارية ، و « الشعر » جعل أداة لأثارة الجماهير فى الانتخابات السياسية ، لهو اليوم الذى نوقن فيه بأن الإنسان قد كر فانقلب طفلا يضع فى فمه تحف الذهن وطرف الفكر لأنه لا يدرك لها نفعاً غير ذلك النفع المادى المباشر ، والأدب الأمريكى الذى يعجب به أحمد أمين هو فى أغلبة صحائفه راقياً أكثر مما هو أدب حقيقى . والأدب الحقيقى فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان ، أى مخلوقات الإنسانية التى أبدعتها أحلامها وخيالها الرائع .

فالخلاف بينى وبين الأستاذ أحمد أمين هو على معنى الرقى فأنا لا أسلم أبداً بأن رقى الإنسان هو فى تقدم أسباب معايشه المادية ، هذا حقا هو الرقى بالمعنى الأمريكى ، ولكن الرقى بالمعنى الإنسانى المثالى شىء غير ذلك . أن الإنسان الأعلى ليس ذلك الذى يضع كل شىء فى فمه . . ولكنه ذلك الذى يشعر بحاجته إلى متع معنوية وأغذية روحية وأطعمة ذهنية لا علاقة لها من قرب أو بعد بتطورات حياته المادية أو الجثمانية .

إن مطامع الناس شاءت أن تمتد أيديها الفانية إلى هذا الجوهر السامى لتسخره فى شئون الأرض فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية ... فاستخدم الشعر أحيانا لمدح الملوك والأمراء من أجل المال والثراء . أو لنشر الدعوة فى الدين والسياسة من أجل الثواب أو الجزاء . ولكن كلمة الفن هى العليا دائماً .

(المعارك الأدبية)

وذلك مالا يسلم به الأستاذ أحمد أمين فهو يعتقد الفن المسخر لخدمة الضرورات اليومية فى المجتمع هو الفن الأرقى، متأثراً ولاريب بتلك النظريات الحديثة فى السياسة والاقتصاد التى ترمى كلها إلى تملق الجماهير ومداهنة الدهماء ومصانعه الجماعات والنقابات ومسايرة الكتل والسواد من الناس والشعوب .

أما إذا كان فى الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فإنى أرحب به وأسلم من الفور بأنه الأرقى.

ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون فى كل زمان .

أحمد أمين (١)

إنه — أى الأستاذ توفيق الحكيم — قلب غرضى رأسا على عقب ونسب إلى ما لم أقل . أنى دعوت إلى أن يكون من مصادر الأدب حياتنا الاجتماعية التى نحياها فيكون لها روايات تمثل بؤس الشعب وإغلالها والإستبداد بها وتدعو إلى حياة اسمى من حياتنا وإلى تكسير اغلالنا والثورة على الظلم الذى ينتابنا ، فاستنتج من هذا استنتاجا عجيبا . أنى أدعو إلى المادية وإلى تسخير الأدب فى خدمة العيش وأنى أريد — على حد تعبيره — أن استخدم الأدب للدعايات الإجتماعية .

لا يا أخى ؛ فرق كبير بين الدعوة إلى أن يكون من مصادر الأدب الحياة الإجتماعية والوعى الاجتماعى وبين الدعوة إلى مادية الأدب وتسخيره للاغراض الوضيعه ، فالأدب الاجتماعى قد يكون فى اسمى مراتب الروحانية .

---

(١) مجلة الثقافة العدد ٢٧٧ — ١٨ إبريل ١٩٤٤ .

الحق أن فى الأدب الفردى ما هو مادى وما هو روحانى ، وفى الادب الاجتماعى ما هو مادى وروحانى . فتعميك بأن الأدب الاجتماعى أدب مادى ، وأنه هو الذى أقصده دون سواء ، ظلم فى الحكم لا ترضاه .

ولعل الخلاف الحقيقى بينك وبينى أنك تفضل الادب الذى ينبع من الوعى الفردى على الادب الذى ينبع من الوعى الاجتماعى ، وأنك تفضل الادب الذى يستوحى الحياة الاجتماعية الحاضرة وتفضل الفن للفن على الفن للمجتمع .

أو من الحق أن تستلهم الادب اليونانى والرومانى وتترك استلهام قومك. وهم أولى بالاستلهام ، ونحن أكبر تذوقا لما يستلهم منا واشد انتفاعا به من غير أن ينقص الفن شيئا .

أيعجبك أن ينصرف الادباء كلهم إلى وصف لوعة الحب والاستمتاع باللذة والتغزل فى الخمر ، ولا يتعرضون لمكبلين بالاغلال يجب أن يفكوا وإلى غارقين فى الجهل يجب أن يتعلموا ومصابين بالخمول يجب أن ينشطوا ولاصقين بالأرض يجب أن يعلوا إلى السماء ثم تقول الفن للفن وماذا يضير الفن لو نظر إلى المجتمع فوقعه كما فعل برناروشو وتولستوى وأمثالهما .

توفيق الحكيم[1] .

مناقشتنا تقوم فى جوهرها على الرغبة المجردة فى الوصول إلى غرض واحد . هو كيف نبلغ بأدبنا العربى قمة الكمال !

الغاية واحدة لا ريب . ولكن السبل مختلفة فاحمد أمين يرى أن أدبنا

---

(١) الرسالة العدد ٥٦٤ — ٢٤ إبريل ١٩٤٤ .

ان يصل إلى مرتبة الآداب الأوربية إلا إذا خاض مثلها فى طريق الحياة العامة . فنقد الفاسد من أوضاع المجتمع وقوم المعوج واقترح وسائل الاصلاح ونادى بالنافع من العلاج وللستحدث من النظم .

وهنا يجدر بنا أن نسأل : أهل من الحق أن الأدب الاوربى بلغ مبلغه بفضل نزوله معترك الحركات الاصلاحية . أو بفضل قيمته الفنية ومزاياه الادبيـة .

الذى أعلمه هو أن أناتول فرانس أديب وأن برناردشو مؤلف مسرحى وان تولستوى قصصى .

وتلك هى صفاتهم التى تؤخذ على سبيل الجد أما ميول فرانس وشو الاشتراكية ونزعات تولستوى الاصلاحية فهى نواح ينظر إليها تارة بغير إحتفال وتارة أخرى على أنها توابع أو ظواهر ودلائل قد تفسر على ضوئها بعض أعمالهم الأدبية أو آثارهم الفنية .

* * *

لقد تحدث الأستاذ أحمد أمين فى أكثر من موضع عن الروايات الغرامية وغرامة الحب بما ينم عن الازدراء . كم من المؤلفات المملوءة بالارشاد والإصلاح .

قد نشرت وظهرت ولم تحتفظ بها ذاكرة الزمان ولكنها احتفظت بقصة غرامية أو قصيدة غزل أو رواية حب عارم . كلا ؛ لا ينبغى علينا أن نملى على الفن اتجاها بعينه ولا يجوز لنا أن توصية بارتداء لباس الحكمة الرزينة أو رداء الاصلاح الوقور .

إن الآداب الاوربية لم تحترم يوماً فنانا اديبا لأنه مصلح . ولكنها قد تحترم المصلح إذا كان أديبا أو فنانا .

ونحن الشرقيين تبهر عيوننا دئماً كلمة« مصلح » بقدر ماتستهوين بكلمة فنان. أن الفنان ليس مصلحا ولكنه هو صانع المصلح . كل أولئك المصلحين ما كونهم وهيأهم لرسالات الاصلاح غير ادب الادباء ، وشعر الشعراء وفن الفنانين . وان الفنان هو مصلح المصلح ولا شيء غير ذلك.أما أن ينزل الفنان بفنه إلى الميدان فيناقش ويدافع ويهاجم وينافح . . فهذا ما لم نره حتى الآن فى فن استحق البقاء فى أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات .

إما أن يخدم الفنان والعالم أمته وقومه فهذا واقع بالبداهة والضرورة . لأن آثار الفن والعلم لا تبقى ولا يمكن أن تبقى إلا إذا رأى النـاس فى بقائهـا منفعة .

أحمـد أمين

إنى أوافقك تمـام الموافقة على أن الأدب أخلد من العلم، ومن النظريات السياسية والاجتماعية . والعلة فى هذا أن الأدب متصل بالعاطفة والعواطف بطيئة التغير . أما العقل فى تغير مستمر ورقى مستمر ، فمـا يصلح له أمس لا يصلح له اليوم ، وما يصلح له اليوم لا يصلح له غدا .

إن الأدب يجب أن يكون صورة للنزعات كلها : السامية منها والوضيعة إما أن يكون كله أو أكثره تصويرا للعـلاقات الجنسية ففقر فى الأدب ، وضيق فى الأفق .

إن أدب الأمة الحق ما صور الأمة وصور الحياة فى مختلف نواحيها وكما أن الحياة الحقة ما انسجمت فيها نواحيها ، فـكذلك الادب الحق ما انسجم إنتاجه ،فإذا كان أدب أمة واسعاً عريضاً فى الحب والعلاقة والجنسية ضيقـا كذافيما عداه فهو صورة مشوهة لاتمثل الواقع. انـكم مقررون أن كل شيء صالح

لأن يكون موضوع أدب إذا رددتم على من يطالبكم بفاحية فى الادب جديدة، ولـكن فى موضوع واحد هو الحب والغرام .

وظيفة الأدب الحقة أن يغنى نواحى الانسانية ويرقى مشاعرها ، ويعلى من مداركها ويوسع أفقها .

لعل نقطة الخلاف الحقيقية بين الأستاذ توفيق الحكيم وبينى هو أنه يريد أن يقدر الفن بجماله فقط وأ ريد أن أقدره بجماله واخلاقيته معاً ، وقلت : لا ينبغى لنا أن نملى على الفن اتجاها بعينه ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة .. وهذا حق إلى حـد ما ولم أرد فيما قلت أن أرسم منهجاً للادب احمل الأدباء على السير فيه ولو أردت ما استطعت(١) .

(١) مجلة الثقافة عدد ٢٧٩ — ٢ مايو ١٩٤٤ .

الباب السادس

معارك النقد حول الكتب

رسالة منصور فهمي للدكتوراه		— ١٩١٣
الخلافة وأصول الحكم	على عبد الرازق	— ١٩٢٥
الشعر الجاهلى	طه حسين	— ١٩٢٦
النثر الفنى	زكى مبارك	— ١٩٣١
أوراق الورد	مصطفى صادق الرافعى	— ١٩٣٢
ثورة الأدب	هيكل	— ١٩٣٣
مع المتنبي	طه حسين	— ١٩٣٧
مستقبل الثقافة	طه حسين	— ١٩٣٩

الفصل الأول

رسالة منصور فهمي الدكتوراه

كان الدكتور منصور فهمي من أوائل المبعوثين إلى الجامعات الأوربية . منذ سافر ١٩٠٨ إلى باريس ، حيث أعد أطروحة الدكتوراه تحت إشراف (ليفي بريل) الإسرائيلي وموضوعها « حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها » وقد طبعت هذه الرسالة في باريس ١٩١٣ ؛ ولم تنشر باللغة العربية وإذا أثارت ضجة حينما نقلت بعض نصوصها إلى الصحف وقد اضطرت الجامعة المصرية بعد أن راجعت نصوص الكتاب إلى الإستغناء عن منصور فهمي وتناولت جريدة المؤيد أمر هذا الكتاب بعدد من المقالات نشرتها خلال شهر يناير ومارس ١٩١٤ وكان أبرزها مانشره محمد لطفي جمعة (وهو أحد كتابنا الذين درسوا في أوروبا وفرنسا بالذات) مفنداً أخطاء منصور فهمي وقد دافعت « الجريدة » دفاعا حاراً عن منصور فهمي كما نشرت الجريدة مقالا بعنوان حرية الفكر وأدب النقد لعبده البرقوقي ذكر فيه أنه نائب عن جمعية الطلبة المصريين بباريس ينعى فيه على من هاجموا منصور فهمي ونالوا منه وسفهوا رأيه وقال أن الإنسان حر في معتقده .

ولكن الدكتور منصور فهمي لم يلبث أن صحح معتقده وألقى خطابا في الإحتفال بعيد الهجرة (١٣٦١ — ١٩١٥) تحدث فيه عن أنشودة البطولة المحمدية الرائعة) وقال أنها تهز هواطفنا لمطلع دين جديد إنسانى سمح عظيم يذكرنا بروائع الجهاد البالغ من جل رسول الله أمانته فحملها واثقا لكي يبلغها إلى الناس كاملة .

وكان في خلال المرحلة التالية من حياته إلى أن توفى ١٩٥٧ مدرة العربية والإسلام وأحد أقطاب جمعية الشبان المسلمين ومن الدعاة إلى أمجاد العرب في اعتدال رأي وحماسة صادقة .

وهذه هي النصوص التي هاجمها النقاد :

(ص ١٥) محمد يشرع لكل الناس ويستثني نفسه ومع أنه « يعني محمد » كان المشرع الذي ينبغي أن يخضع لما يدعو إلى تطبيقه على الآخرين إلا أنه كان له ضعفه واختص نفسه ببعض المزايا .

(ص ١٦) وهكذا نجد أنه — يعني محمدا — بعد أن ينام نوماً عميقاً، يقوم ليؤدي صلواته دون أن يجدد طهوره ووضوءه على حين أن المؤمنين

الآخرين كان عليهم الشروع فى وضوء وطهور جديد ومن أجل أنه يبرر الاستثناء الذى عمل لصالحه أكتفى بأن قال : إن عينى تنام ولا ينام قلبى أبداً .

(ص ١٨) لقد حد النبى من نظام تعدد الزوجات إلا أنه تعدى بالنسبة إلى نفسه ماوضعه من حدود للآخرين فمع أن بقية المؤمنين لم يكن فى مقدورهم أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء فإن محمداً أجاز لنفسه أن يتزوج بأكثر من ذلك كما أنه استلزم لشرعية الزواج دفع مهر ووجود شهود إلا أنه فى زواجه أعفى نفسه من المهر والشهود .

محمد لطفى جمعه(١)

عاد منصور فهمى من أوربا بعد دراسة الفلسفة حاملا لقب دكتور جامعى وهى درجة فى العالمية حديثة الوضع أنشأتها جامعة باريس إكراما لطلاب العلم الأجانب الذين يعجزون أو يضيق وقتهم عن تحصيل الدكتوراه الحقيقية التى اختص بها الفرنسيون أنفسهم وقليل من الأجانب المجدين .

إن أعلى الألقاب العلمية وأشرف المناصب المعنوية لا تبيح للرجل أن ينتهك حرمة دين قوم من الأقوام أو يهاجم أمة فى معتقدها أو يقلل من مجد وكرامة نبى مرسل شهد له بالفضل أعداء دينه .

لا يظن منصور فهمى أننا نناقشه فى رسالته مناقشة من يمكن رميهم بالتعصب وضيق الفكر من المتشددين المغالين فى المحافظة على القديم إلى درجة الجمود ولكننا سنناقشه الحساب مناقشة العلم الحديث الذى بهرت بصره قشوره ولم يصل إلى بصيرته .

---

(١) المؤيد — ٢٨ يناير ١٩١٤ .

لن نجادله دينيا لأننا لو طرقنا معه باب الدين فقد كفر لمجرد قوله — « أن محمداً شرع للناس واستثنى نفسه » ص ١٣ من رسالته .

فهو بهذا القول ينكر الوحي وينكر العصمة ويؤكد أن محمداً هو واضع الشرع .

نحن نريد أن نتجرد عن صفتنا الدينية مؤقتا لنثبت بالعلم القديم والحديث وبالأدلة العقلية والمنطقية .. جهله وتعديه حقوقه وعبثه بحرية القول والفكر والاعتقاد .

يقول منصور فهمي في فاتحة رسالته أنه نشأ مسلما في وسط إسلامي وأنه قصد باريس ففتح عليه بارشاد العلامة ليفي الإسرائيلي فظهرت فيه المؤثرات السعيدة فدون هذه الرسالة التي بحث فيها في حالة المرأة في الإسلام .

ألا يعلم حضرته أن العالم الحقيقي إذا أراد البحث والاستقصاء عن أمر من الأمور ذهب إلى مصدر الأمر واستقصى الحقيقة من نبعها الأصلي حتى أن داروين القائل بمبدأ التطور والنشوء لما أراد التثبت من مبدئه طاف جزر المحيط الهندي الخصيب منها والمجدب ليقف على طبائع ما يوجد فيها من أنواع المخلوقات .

كذلك علماء الاجتماع الذين جعلوا همهم درس شئون الأمم والشعوب المختلفة لم يقولوا برأى من الآراء دون الذهاب إلى أوطانها ودرس أحوالها من قرب .

فغريب جدا من منصور فهمي للشرق المصري المسلم . . أن يترك الوسط الإسلامي ، وسط علماء الأزهر ووطن جلال الدين السيوطي وابن تيمية والشافعي ويذهب إلى باريس مقر الحاخام ليفي الإسرائيلي للبحث عن حقائق

الدين الإسلامى والإهتداء بنور هذا الأستاذ للوقوف على تاريخ محمد وحياته الخاصة والعامة .

إن كثيرين من المستشرقين الذين أخذ عنهم منصور أقل بضائعهم وأحقرها قبل أن يدونوا مادونوا أنهم تحملوا الشدائد فى تعلم اللغة الدينية وانتقلوا إلى وسط إسلامى وخاطروا بحياتهم فى سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وصاحبنا منصور فهى قصد باريس مقر العلامة ليفى ليعود إلينا بالطعن فى نبينا ومعتقداتنا المقدسة .

وهنا ننقل لحضرته رأى العلامة فيلها وزن الألمانى مؤلف كتاب تاريخ الدولة العربية إذ يقول ، إن كثيرين منا يذهبون إلى الشرق للبحث عن عيوب فيجدوا أموراً تبدل عقيدتهم وفضائل لم تكن تخطر على بالهم فتتغير آرائهم تمام التغيير .

وإنى أذكر منصوراً بعبارة لابد سمعها من الأستاذ أدوار لامبير وهى قوله « إننى قبل أن أقصد مصر كان رأيى فى الإسلام مخالفاً لرأيى بعد إقامتى بضعة شهور حتى إننى مضطر لتغيير ما جاء فى كتبى عن الإسلام مما دونته قبل ذهابى إلى مصر » .

إننا نعرف المصادر التى استقى منها منصور ، وبئست تلك المصادر ، هى كتب بعض المتعصبين من المستشرقين الذين يرمون بكتاباتهم أغراضا سياسية أكثر منها علمية .

أن حرية الاعتقاد تبيح لكل شخص أن ينتحل أى دين أو يقيم شعائر معتقده دون اضطهاد أو تعذيب وشتان بين حماية التدين وبين الطعن فى صاحب شريعة عظمى .

إن العاقل الكبير النفس هو الذى يرحل إلى الغرب مملوء القلب بالآمال العالية فيعود إلى وطنه وقد ازداد حبه لقومه ودينه وقد يرحل أحدنا وهو ضعيف العقيدة ويعود إلينا وهو شديد التعصب لملته وقومه .

يقول منصور فهمى فى مقدمة كتابه[١] .

« إن هذه الرسالة تعطينا فرصة لإظهار المؤثرات السعيدة التى أثرت على تفكيرنا العلمى فقد ولدت مسلماً وقضيت شبابى فى وسط إسلامى ثم رحلت إلى باريس وحصلت العلوم بإرشاد ورعاية العلامة ليفى بريل » .

ومعنى هذا أن نشأته فى وسط إسلامى كان حائلا بينه وبين النور الإسرائيلى الذى أشرف عليه مجلس الأستاذ ليفى وهو فيما نعلم رجل خامل الذكر لم نسمع عن مؤلف من مؤلفاته وربما خدع منصور أفندى بما يقوله بعض أدعياء العلم فى أوربا من أن النبى عليه الصلاة والسلام تزوج عدداً عظيما من النساء بلغن الثلاثة عشر عدا حبا منه فى التمتع وأنه عليه السلام لم يبح لأمته إلا أربعا على أن منصور أفندى لو نظر إلى شخصيات زوجات النبى نظرة الفيلسوف العالم الباحث عن الحقيقة ، الآخذ بلب الأمور المعرض عن قشورها لعلم أن هناك أسباب عليا دعت النبى محمداً إلى التزوج من نساء يزيد عددهن عن الأربع وتلك الأسباب أولها وأهمها رغبته فى ربط الأسر والعائلات الكبرى ببيته الطاهر .

---

(١) نشرت جريدة الجريدة عدد ٢١٩٧ مقالا بعنوان حرية الفكر وادب النقد لعبده البرقوقى ذكر أحد أن الطالب عن جمعية الطلبة المصريين بباريس ينعى فيه من ردوا على منصور فهمى أنهم نالوا منه وسفهوا رأيه وتناولوه بالسب والشتم وقالوا أن الإنسان حر فى معتقده .

الفصل الثانى
الخلافة وأصول الحكم

معركة حول كتاب على عبد الرازق

فى أوائل عام ١٩٢٥ كانت تركيا قد ألغت الخلافة وقام فى العالم الإسلامى عراك سياسى ضخم حول إعادة الخلافة . وتقدم الشريف حسين فدعا إلى نفسه بالخلافة ، فى مصر قام الأزهر بحملة كبرى دعا فيها إلى عقد مؤتمر لبحث الخلافة ورددت الصحف أن الملك فؤاد أصلح ملوك العالم الإسلامى لحمل لواء الخلافة وفى هذه الفترة كان الملك عبد العزيز آل سعود قد استولى على الحجاز ودعا إلى عقد مؤتمر اسلامى فى مكة .

وفيما كانت هذه المعركة تشغل الصحف والهيئات السياسية وتجد صداها فى الصحف الأجنبية المختلفة ، كان هناك تيارا خفيا يجرى خلف واجهة حزب الأحرار الدستوريين يحمل لواء الدعوة إلى مهاجمة الخلافة والحيلولة دون قيامها ومعارضة رغبة الملك فؤاد فى أن يصبح خليفة المسلمين .

وقد أخذ هذا التيار صورة علنية عندما أذاع الشيخ على عبد الرازق قاضى محكمة المنصورة الشرعية فى يونية ١٩٢٦ كتابه الذى أثار ضجة كبيرة إذاك « الإسلام وأصول الحكم » والذى حاول فيه أن يثبت بالأدلة المختلفة) أن الخلافة ليست أصلا من أصول الإسلام) .

وكان الشيخ عبدالرازق واحداً من أسرة عبد الرازق التى كانت دعامة من دعائم حزب الأمة قبل الحرب العالمية الأولى ثم حزب الأحرار الدستوريين من بعدها .

وقد أثار كتاب (الإسلام وأصول الحكم) جدلا وضجة شديدين حيث قامت هيئة كبار العلماء بالتحقيق مع المؤلف الذى هاجمته صحف الوفد وهاجمه علماء الأزهر والغيورين على بقاء الخلافة كنظام من أنظمة الإسلام التى رافقت تطوره على الطريق الطويل .

وقد انتهى التحقيق بان أخرج على عبد الرازق من زمرة العلماء فى أغسطس ١٩٢٥ ومصادرة كتابه ووقعت من أجل هذا الكتاب أزمة أدت إلى استقالة الأحرار الدستوريين من الوزارة القائمة إذ ذاك .

وليس يعنينا هنا إلا جانب المعركة الفكرية التى قامت حوله . أما أثره الفكرى فلذلك مكانه كتابنا (قضايا الفكر وتيارات الثقافات فى الأدب العربى المعاصر) .

آراء على عبد الرازق

(١) إن هذه المسألة (الخلافة) دنيوية وسياسية — أكثر من كونها مسألة دينية وأنها مع مصلحة الأمة نفسها مباشرة .. و لم يرد بيان صريح فى القرآن الكريم ولا فى الأحاديث النبوية فى كيفية الخليفة وتعيينه وشروط الخلافة ما هى .

٢) . إنه لعجب عجيب أن تأخذ بيدك كتاب الله القرآن الكريم وتراجع النظر فيما بين فاتحته وسورة الناس فترى فيه تصريف كل مثل وتفصيل كل شئ عن أمر هذا الدين « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة أو الخلافة . إن ذلك لمحال للقال . ليس القرآن وحده هو الذى أهمل تلك الخلافة ولم يتصد لها بل ألسنة كالقرآن أيضاً ، قد تركتها ، ولم تتعرض لها .

رأى هيئة كبار العلماء

١ — جعل المؤلف الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ أمور الدنيا ، مع أن الدين الاسلامى على ما جاء به النبى [ص] من عقائد وعبادات ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة فى أمور الدنيا وأحكام كثيرة من أمور الآخرة .

٢ — زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبى [ص] كان فى سبيل الملك لا فى سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين .

٣ ـ زعم أن نظام الحكم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان موضع

(١) ص ٥ من كتاب الإسلام واصول الحكم .
(٢) ص ١٦ من نفس المصدر .

غموض وابهام أو اضطراب أو نقص وموجبا للحيرة .

٤ — زعم أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ .

٥ — انكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لابد لسلامة من يقوم بأمرها فى الدين والدنيا .

٦ — أنكر أن القضاء وظيفة شرعية وقال ان الدين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرغا من الخلافة .

٧ — زعم أن حكومة أبى بكر والخلفاء الراشدين من بعد — رضى الله عنهم — كانت لا دينية وهذه جرأة لا دينية .

وقد حكمت الهيئة بإخراج على عبدالرازق من زمرة العلماء غير أن الهيئة عادت وغيرت رأيها فى على عبد الرازق عام ١٩٤٧ فطالت بالعفو عن الأثر المترتب على الحكم السابق وعين وزيراً للاوقاف (مارس ١٩٤٧)

١ — رشيد رضا :

صرح الدكتور منصور فهمى بأن مؤلف كتاب الإسلام وأصل الحكم وأنصاره يذهبون إلى أن الإسلام لاشأن له بمسائل الخلافة ولا بصورة خاصة من صور الحكم وصدقه فيما يحكيه عن المؤلف وأنصاره وهو فى مقدمتهم .

قال «لأنه فكر على أسلوب غير أسلوبهم» وهذا خطأ محض فليس الانكار لأسلوب من أساليب التفكير ولا لوجه من وجوه النظر فى المسائل ، لقد كنت أول هؤلاء المفكرين رداً على الكتاب فى بعض الصحف إنالم ننكر أسلوبا من أساليب التفكير ووجها من وجوه النظر فى مسألة من المسائل النظرية

فى الإسلام وإنما أنكرنا على صاحب الكتاب أنه خرج فى كتابه من عقائد جميع المسلمين فى الخلافة وحكم الإسلام، وقرر أن الحكومة يجب أن تكون (لادينيه) فى السياسة والقضاء بجميع أنواعه وفروعه لا شأن للدين فى ذلك. وإنما مأخذه عندما تنتج العقول وتدل عليه تجارب الأمم.

.. نعم أنه حاول الاستدلال على ذلك بأساليب كتابية لا تخرج عن السفسطة والتخيلات الشعرية، وأنها أساليب باطله ولكننا تجنبنا إلى الآن البحث فى ذلك الأساليب لئلا تشغلنا عن الحقيقة الصريحة التى هى مخالفة دعوى المؤلف فى أن الحكومة فى الإسلام يجب أن تكون «لا دينية»

هذا ملخص ما ننكره على صاحب هذا الكتاب فهو قد صرح فيه بمخالفة جميع المسلمين سلفهم وخلفهم فمواققه خروج من حظيرة الإسلام والمسلمين.

طه حسين(١):

سنعرف أهى – أى مصر – جزء من أوربا كما قال اسماعيل أم هى قلعة من الشرق المظلم كما يزعم المصريون وعرفنا وسنعرف أيستطيع الناس أن يفكروا أحراراً وأن يكتبوا أحراراً ويعيشوا أحراراً أم هم مأخوذن بلون من التفكير والكتابة والحياة يأمنون ما حرصوا عليه فإن عدوه وأعرضوا عنه فويل لهم من عذاب أليم.

لقد :ألب رجال فى الأزهر، فالأزهر شىء والدين شىء آخر — على الرجلى فأخرجوه من زمرتهم. أفليس هذا خليقاً بأن يهنأ به «على» ؟ بلى ؛ وماذا يضر «عليا» أن يخرج من زمرة علماء الأزهر وماذا ينفع «عليا» أن يبقى فى زمرة علماء الأزهر.

إيه أيها الطريد من الأزهر ؛ تعالى نتحدث ضاحكين عن هذه القصة

(١) السياسة اليومية — ١٤ أغسطس ١٩٢٥ لم يكتبها بإمضاءه، بل بإمضاء.

(—) وكذبت السياسة فى اليوم التالى من أرسل يقول أن طه هو الذى كتبها.

المضحكة قصة كتابك والحكم عليه وعليك وطردك من الازهر . ما بال رجال الأزهر لم يقضوا على كتابك بالتحريق وقد كان يلزمنا أن نرى نسخة تجمع فى صحن الازهر أو أمام باب المزينين .

ألست قد دخلت الازهر واختلفت إلى شيوخه وجلست فيه مجلس الأستاذ وقد أخرجوك منه لأنك لا تليق به فليمحوا آثارك منه ليطهروه ، ليحرقوا كتابك من ناحية أبحاثه أو زاوية من زواياه .

وأنت ماذا يصنع بك ، يجب أو تحمد الله على السلامة فلو أننا فى تلك العصور التى يحكم فيها الاحبار والكهان لحرقت مع كتابك .

دعنا نتحدث فى حرية ، ولا تكن أزهريا فقد أخرجت من الأزهر ، نعم سنضحك منك ومن كتابك وسنضحك من الأزهر ومن الذين أخرجوك منه ، ماذا قلت فى هذا الكتاب ؟ قلت أن الخلافة ليست أصلا من أصول الإسلام مهلا ! كملت البحث وأتممت النظرية ، فالخلافة ليست أصلا من أصول الإسلام وإنما هى أصل من أصول الفقه الرومانى .

سترى أن الخلافة عند المسلمين ليست إلا مناصب الإمبراطورية الرومانية وأن الخليفة ليس إلا امبراطور وأن مناصب الحكم عند المسلمين ليست إلا مناصب الحكم عند الرومانيين .

تعالى نضحك فقد كان كتابك مصدراً لتغير الارثوزكسية فى الإسلام ولست أنت الذى غيرها أيها الطريد المسكين وإنما غيرها الذين طردوك وخرجوك من الأزهر .

وقد كنا نعلم أن القاهرة مركز أهل السنة وموطن الأشاعرة ومستقر الارثوزكسية الإسلامية .

ثم ماهذه الهيئة التى أخرجتك من الأزهر وما سلطتها الدينية . هل أثر من آثار الاستبداد أنشأها عباس يوم كان يريد أن يستهوى ويوم كان يريد أن يكيد وهى أثر من اثار الاستبداد لايليق بعصر فؤاد مصدر الدستور .

الدكتور هيكل(١)

لقد ذهبت الأمم العريقة فى الحرية والمدنية إلى إطلاق الرأى إطلاقا لا يحد فيه قيد ولا تقف فى سبيله عقبة وهؤلاء هم الكتاب فى فرنسا وإنجلترا يعلنون آرائهم الاشتراكية بل الشيوعية ولا يضار أحد منهم بسبب رأيه ولا يقوم فى وجهه قائم لمناقشته وتفنيد آرائه .

أقل مانطمع فيه أن تكون حرية البحث العلمى والاجتهاد الدينى القائم على تسامح الشريعة الغراء بحيث لا يضار أحد من ورائها ولا يترتب على مخالفة إنسان لغيره فى الرأى أن يصاب بأذى أو يعتدى على حقوقه .

إسماعيل مظهر(٢)

قد يكون الشيخ الأستاذ على عبد الرازق مخطئا وقد يكون خطؤه فاحشا فأنا مثلا لا نوافقه على القول بأن الخلافة ليست حكومة الاسلام .

كذلك نصرح بأن فى نظام الخلافة مناقضة صريحة لنظام الديمقراطية الممثلة فى الحكومات النيابية الحديثة .

ولكن هل يصح أن يجرد عالم من ألقابه العلمية لمجرد أنه دافع عن فكرة فيها شيء من روح المناقضة لما يعتقد به أصحاب المدرسة القديمة التى

(١) ١٩ أغسطس ١٩٢٥ :
(٢) السياسة ٢٠ أغسطس ١٩٢٣ .

تفكر على ذات الأسلوب الذى فكر به أسلافنا منذ أزمان بعيدة . ذلك مالا تقر عليه هيئة كبار العلماء .

على عبد الرازق : رأيه فى حكم هيئة كبار العلماء

١ — كنا[1] وجلين نعجب للقوم يتهموننا فى ديننا ويحاولون أن يعتدوا علينا فيه وما كنا نخاف منهم أن ينزعوا من قلبنا إيمانه ولا من أنفسنا يقينها ولو أن يخرجونا بحق من ديننا الذى ندين الله به ولكن خفنا عليهم عليهم أن يتورطوا حتى يزعموا أنهم حكام على القلوب حراس على العقائد وأن بيدهم مفاتيح هذا الدين يدخلون فى حظيرته من يشاءون ويخرجون من يشاءون .

٢ — أن[2] النقط السبع التى اعتصرها حضرات السادة من كتابنا أعتصاراً وحسبوها موضع مناقشة بيننا وبينهم واتخذها حجة علينا لهم ، هى خارجة عن موضوع الكتاب إلا نقطة واحدة منها .

وليس يضير الكتاب ولا يطعن فى موضوعه ولاينقص من قيمة المباحث الأساسية فيه أن تكون صحيحة أو فاسدة .

والواقع أننا كمؤلفين وأصحاب رأى معين ومذهب جديد فى مسألة من المسائل لا يهمنا أن يكون حضرات العلماء قد أصابوا أو أخطأوا فى أكثر تلك الملاحظات التى ناقشوا بها الكتاب خارج موضوعه الأصلى .

ولاشئنا لوافقنا حضراتهم وقبلنا منهم تلك الملاحظات وأرضيناهم وأرحنا أنفسنا وحذفنا من الكتاب الجمل التى بنوا عليها التصور وأقاموا فوقها

(١و٢) السياسة ٤ سبتمبر ١٩٢٥ ، ٧ سبتمبر ١٩٢٥ .

اليها كل وانقلاع ثم وجدت الكتاب بعد ذلك سليما لم يتغير ولو جدت عنوانه باقياً وصحيحاً كما هو .

هى الملاحظة الخامسة وحدها التى قد تتصل على نحو ما بموضوع الكتاب فأما الملاحظات الست غيرها فالحق أنها خروج من الموضوع وتنكب عن حدود البحث . وانزلاق فى الجدل لا يرضى عنه كثير.

لقد قالوا أننا جعلنا الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم وأنكرنا ومازلنا ننكر أننا نعتقد أن الإسلام شريعة روحية محضة .

تفاصيل المعركة

بدأت السياسة فى ٢٠ يونية سنة ١٩٢٥ أول حملاتها لتأييد على عبدالرازق ومهاجمة الأزهر وهيئة كبار العلماء . وقالت أننا نريد صيانة الدستور فى روحه وفى كليانه وحماية حرية الرأى . وقال المحرر (لا نريده هو — أى الأزهر — أن يضيق الخناق على عقول فئة من الناس وتفكيرهم بدعوى من الأديان والتعويض بها مختصمة الناس وحاكمة عليهم فى وقت واحد .

وكتب العقاد فى البلاغ فتناول المسألة من الناحية السياسية بعنوان « روح الاستبداد فى الآراء[1] » قال « إن من العزاء للمتشائمين من هذه الضجة التى ثارت حول كتاب الإسلام وأصول الحكم أن نعلم أن أكثر القائمين بها مدفوعين إليها بدوافع لا علاقة لها بالعقائد والآراء ، وأنها لم تمنع أن يروج الكتاب بين الخاصة والعامة وأن يقبل على قراءته الذين حذروا من الاطلاع عليه ، أننا لا نعرف صاحب (الإسلام وأصول الحكم) إذ رأيناه فى الطريق ، وليس هو من شيعتنا السياسية أو غير السياسية فنحن

---

(١) البلاغ ١٩ / ٧ / ١٩٢٥ .

لا ندافع عن شخصه ولا عن مذهبه السياسي حين نكتب هذه الكلمة ولكنا نود أن يعلم الذين لا يعلمون أن قد مضى الزمن الذى تتصدى فيه جماعة من الناس بأى صفة لإكراه الأفكار على النزول عند رأيها .

وقالت البورص اجبسيان : أن الدوائر العليا قد أبلغت عن الأستاذ أنه يعمل لمصلحة حزب سياسى معين . وأن آراء الشيخ قد البست منذ الساعة الأولى لباس السياسة الممقوت . ولعل السياسة قاتلها الله هى التى لعبت كل هذه الأدوار المحزنة .

وقالت الصحف البريطانية : أن الشيخ عبد الرازق هو المصلح العظيم الذى يشبه لوثر بين المسلمين .

وهاجمت جريدة السياسة أعضاء اللجنة واحداً بعد واحد وفى مقدمتهم الشيخان : شاكر وبخيت .

وقالت[1] : إن إقدام الشيخ بخيت على ما أقدم عليه من أعتداء صريح على حرية الرأى لهو أكبر عار يسجله على نفسه فى حياته لم تكن كلها مما تطمئن إليه النفوس العالية ودعا الشيخ بخيت إلى مقاطعة جريدة السياسة .

وقالت جريدة الأهرام : لقد أحدث الشيخ بخيت حدثا نأمل أن تقابله الأمة بالعبوس والسخط لا بالرضا .

وقالت السياسة : أن الشيخ بخيت أخو ماسونى من إخوان محفل الشيخ حسن الطويل وأنه فارس الصليب الأحمر .

---

(١) السياسة ٢٣ سبتمبر ١٩٢٥ .

وقالت جريدة الاتحاد : إن جمعية العلماء تأسست لحماية الدين من اعتداء جريدة السياسة برئاسة الشيخ الدجوى .

وقال الشيخ (على) رداً على ماوجه إليه من حملات : أن فكرة الكتاب الأساسية التى حكم عليه من أصلها هى إن الإسلام لم يقرر نظاما معيناً للحكومة ولم يفرض على المسلمين نظاما خاصاً يجب أن يحكموا بمقتضاه ، بل ترك لنا مطلق الحرية فى أن ننظم الدولة طبقاً للأحوال الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التى توجد فيها مع مراعاة تطورنا الاجتماعى ومراعاة مقتضيات الزمن .

وقال : إن الخلافة ليست نظاماً دينياً والقرآن لم يأمر بها ولم يشر إليها .

وإن الإسلام برىء من نظام الخلافة وقد أثبت فى كتابى أن النبى لم يكن قط ملكا . وأنه لم يحاول قط أن يبنى حكومة أو دولة ؟

ثم تساءل : هل أردت خدمة حزب معين .

وأجاب : لست عضواً فى أى حزب ، إنى رجل دين ورجل شريعة ولم يحملنى على وضع كتابى إلا غاية علمية وقد كتبته بعيداً عن أهواء السياسة . بل ليست لموضوع الكتاب علاقة بالسياسة ، وأن كثيرين يروون رأيى لا فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى بأسره وأن الحكم الذى صدر لم يعدل طريقة تفكيرى .

لقد أخرجنى الحكم من هيئة علماء الأزهر وهى هيئة علمية أكثر منها دينية . ولم ينشئها الدين الإسلامى ، ولكن أنشأها شرع مدنى لم يكن له أية صبغة دينية . ولن أكون فى حسن الإيمان والإخلاص للاسلام بأقل من أولئك العلماء الذين قضوا بإخراجى .

وقد أشار محمد سيد كيلانى مؤلف كتابه « فصول ممتعة » إلى هذه المعركة فقال :

الحقيقة أن حزب الأحرار الدستوريين كان يضم بين رجاله كثيراً من العناصر المنحرفة عن الدين فلطفى السيد مثلا كان الصحفى الوحيد الذى نشر فى الجريدة دفاعا عن منصور فهمى (إبان حادث كتابه الذى هاجم فيه الإسلام) وطه حسين مؤلف كتاب الشعر الجاهلى . وعبد الخالق ثروت الذى تولى الدفاع عن طه حسين فى مجلس النواب وأبى أن يفصله من وظيفته وهدد بالاستقالة كما أن عبد العزيز فهمى رفض فصل الشيخ على عبد الرزاق من وظيفته بعد صدور حكم هيئة كبار العلماء » .

وقد أنهت المعركة السياسية الكتاب ولكن المعركة الفكرية ظلت حية فى آراء مختلفة أثارت معارك فرعية بين على عبد الرزاق وبعض الكتاب .

فقد كتب فى أول رمضان (١٥ مارس ١٩٢٦) فى السياسة مقالاً عده الأمير شكيب أرسلان هجوما خفياً على الدين فكتب فى كوكب الشرق بإمضاء (ش) تحت عنوان « أيهزأ أم أنا لا أفهم العربية » قال فيه : قرأت فى السياسة مقالا للشيخ على عبد الرازق عن رمضان أعدت النظر فيه كرتين فلم أقدر أن أفهم منه إلا أنه يهزأ بالدين ، ويذم فى معرض المدح ويشير من طرف خفى إلى أن القرآن حمل الناس على الضرر بل على المحال . فهمت أن الدين يأمر الإنسان بأمور لو أردنا تعليلها لم نجد لها تعليلا وأن أوامر الله قد تخالف العقل وتحمل المرء على مافيه ضرره .

وإذا جرى التسليم بنظرية الشيخ على عبد الرازق هذه ؛ أى أن الدين

مناقض للعقل وأمر بما يضر الناس كان لابد من اتهام النقل ، ومن القول بأن ديناً يقول المحال ويأمر بالضرر لا يكون سماوياً .

وجرى سجال بين الكاتبين حتى قال شكيب ، أنا آسف ولكن ضاق الصدر بكتابتك وأنت من واحدة إلى أخرى تتحكم بهواك تارة فى التاريخ وطوراً فى التوحيد وتوهم الناس أنك فهمت مالا يفهم وليس الأمر كذلك.

معركة « الشعر الجاهلي »

أثار صدور كتاب (الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٦ ضجة كبرى . هذه الضجة تتصل بالمشاعر الدينية من ناحية وبالصراع الحزبي من ناحية أخرى . وكانت النقطة الخطر فيه أنه ألقى على طلبة الجامعة . والجامعة يومها حديثة العهد . لم يمض عليها أكثر من عامين منذ ضمتها الحكومة إليها : كما كان صدى كتاب « الخلافة وأصول الحكم الذي أصدره على عبد الرازق لم يزل ماثلا في الأذهان .

والكاتبان متصلان بحزب الأحرار الدستوريين وجريدة السياسة التي كانت وقتها تجمع الكتاب المجددين الذين يثيرون المعارك حول التجديد ويصطدمون بعلماء الأزهر والكتاب المحافظين ، لذلك قامت معركة أدبية كبرى حول الشعر الجاهلي ، فقد نشرت فصول في الصحف وصدرت مؤلفات في الرد على الكتاب بأقلام محمد فريد وجدي ومحمد لطفي جمعه ومصطفى صادق الرافعي وشكيب أرسلان ومحمد أحمد الغمراوي ويوسف الدجوى وعبد المتعال الصعيدي ومحمد عبد المطلب وعبد ربة مفتاح . وكما حملت جريدة السياسة لواء الدفاع عن طه حسين حملت جريدة كوكب الشرق لواء الحملة التي بدأها شكيب أرسلان في مقال كتبه من (روما (١٩ مارس ١٩٢٦) تحت عنوان (التاريخ لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم) . ثم بدأت مقالات الرافعي في ٢٣ مارس ١٩٢٦ وامتدت وتعددت حتى كانت بعد مادة كتابة « تحت راية القرآن : الرد على الشعر الجاهلي » واشتركت مختلف الصحف في هذه المعركة فنشرت الأهرام في ٢٨ أبريل ١٩٢٦ مقالا للشيخ عبد المطلب وصمتت جريدة السياسة حتى ١٣ مايو ١٩٢٦ حينما نشرت كتاب طه حسين الذي ينص على أنه مسلم مؤمن بالله واليوم والآخر ثم عادت إلى الصمت حتى ١٦ مايو حيث نشرت حديث طه حسين مع جريدة فرنسية هي (الأنفورماسيون) . وكتب طه حسين مقالا في ١٦ يوليو ١٩٢٦ في السياسة يهاجم الأزهر ونظام التعليم فيه .

ومن هذه المقالات التي نشرتها جريدة كوكب الشرق ما كتبه عبد المتعال الصعيدي (١٢ مايو) واسماعيل حسن ومحمد أحمد العدوى ١٨ مايو و٢٢ مايو و١٩ يونيه ويوسف الدجوى (٢١ مايو) وكانت هذه المقالات تحمل هذه العناوين : جماعة الملاحدة ، مهزلة الجامعة المصرية . من يهد الله فهو المهتد : طه حسين يعادي التاريخ والعلم فوق عداوته للدين ، حول

الدكتور طه حسين : نفسية شعوبية . شعوذية على ديكارت وعشرات المقالات بدون إمضاء .
وفى الأهرام كتب عبد ربه مفتاح بعنوان (الآن وقد عصيت قبل) .
وامتدت المعركة فى الصحف حتى شهر سبتمبر ١٩٢٦ حين تحولت إلى استجوابات فى البرلمان وتحقيقات فى النيابة .

وقامت فى هذه الفترة مظاهرات اتجهت إلى مجلس الوزراء وخرج سعد زغلول ليخطب فيها ويقول (الأهرام — ٧ نوفمبر ١٩٢٦) . « إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر فى هذه الأمة المتمسكة بدينها . هبوا أن رجلا مجنونا يهذى فى الطريق فهل يضير العقلاء شيء من ذلك . إن هذا الدين متين وليس الذى شك فيه زعيما ولا إماما حتى نخشى من على شكه العامة فليشك ما شاء : ماذا علينا إذا لم يفهم البقر »

وقد كتب الدكتور طه مقالا واحداً فى هذه المعركة هو المقال الذى هاجم فيه تعليم الأزهر ، وكتب زكى مبارك مقالا عن ديكارت ثم طلب الدكتور الى بعض أصدقائه ومنهم زكى مبارك أن يكفوا عن الرد فقد كان المطلوب أن تمر العاصفة بسلام .
وصورت جريدة الأهرام الموقف على هذا النحو :

★ ★ ★

« من المسائل[1] التى ثارت حولها الاشاعات مسألة كتاب الشعر الجاهلى الذى أخرجه الدكتور طه حسين الأستاذ بالجامعة واستنكر العلماء وغير العلماء بعض ما احتواه من العبارات الماسة بالدين ، فإن كثيرين من النواب يستنكرون بقاء الدكتور طه أستاذاً بالجامعة بعد أن اجتمعت كلمة العلماء على خروجه على الدين وكان صاحب الفضيلة النائب المحترم الشيخ مصطفى القاياتى فقد أعلن عزمه على استجواب رئيس الوزراء فى هذا الشأن ثم بذلت مساع حثيثة لحمله على العدول عن الاستجواب ثم إبدال الاستجواب بسؤال نشرناه منذ أيام على أن يكون الرد عليه كتابة . ولم يرد رئيس الوزارة

(١) ١٢ سبتمبر ١٩٢٦ .

على السؤال وأشيع أن كثيرين من النواب سيعرضون مسألة الدكتور طه حسين على المجلس أثناء بحث الميزانية وقيل أن بعضهم سيطلب إلغاء وظيفته فبذل أصدقاء الدكتور طه حسين مساعي حثيثة للوصول إلى إقناع الذين ينوون المطالبة بالغاء الوظيفة بالعدول عن ذلك على أن يكتفى المجلس باستنكار عمل الأستاذ طه .

وحدث أمس أن ثارت المناقشة فى مجلس النواب فى شأن كتاب الشعر الجاهلى ومؤلفه والقيت الخطب مما يراه القراء بنصه فى محضر جلسة المجلس . وقدم النائب المحترم عبد الحميد البنان نائب الجمالية اقتراحا من ثلاثة أقسام .

(١) إبادة كتاب الشعر الجاهلى . (٢) إحالة الدكتور طه حسين إلى النيابة (٣) إلغاء وظيفته .

وقد سلم معالى وزير المعارف بالقسم الأول من الاقتراح وتكلم دولة عدلى باشا رئيس الوزراء عن القسم الثانى وجرت بينه وبين دولة الرئيس الجليل (سعد زغلول) مناقشة إشترك فيها وزير المعارف والحقانية انتهت بأن ذكر عدلى باشا أن قرار المجلس بإحالة المؤلف إلى النيابة يكون بمثابة اعتراض على تصرفات الحكومة وذكر مسألة الثقة بالوزارة .

وكان جو المجلس مملوءاً كهرباء فاقترح النائب الدكتور أحمد ماهر رفع الجلسة عشر دقائق للاستراحة ولما رفعت ذهب الرئيس الجليل إلى مكتبه بمجلس النواب وتبعه إليه عدلى باشا ورشدى باشا وبقيا معه عشر دقائق .

وكان دولة الرئيس الجليل سعد باشا متعباً فاستقل سيارته إلى داره . واتفق بعض النواب على تأجيل الجلسة إلى غد .

وعلى أثر انصراف دولة سعد باشا قصد دولة عدلى باشا ومعه دولة رشدى

باشا إلى بيت الأمة كما قصدها إليها صاحب المعالى فتح الله بركات باشا ومحمد محمود باشا وتكلم عدلى باشا عن ظروف الحادث وذكر أنه قام على سوء تفاهم فإنه لم يقصد تحدى المجلس فى سلطته وبعد انصرافهما سألنا بعض الوزراء عن النتيجة فقالوا لنا أن الحادث سوى وأصبح كأن لم يكن » .

وقالت الأهرام أنه فى جلسة يوم الثلاثاء قال عبد الحميد البنان فى مجلس النواب « أنه قدم بلاغا إلى النيابة العمومية للتحقيق مع الدكتور طه حسين عما كتبه طعناً على الدين الإسلامى وبناء على ذلك لم يبق محل للقسم الثانى من اقتراحى الذى قدمته أمس فى المسألة . وبما أن مصادرة الكتاب لا يمكن أن تكون إلا بحكم وهذا تابع بطبيعة الحال للقضية المطلوب تحقيقها فإنه لم يبق محل للقسم الأول من إقتراحى » .

* * *

وتولى محمد نور « بك » رئيس نيابة مصر التحقيق مع الدكتور طه حسين وحصره فى أربعة أمور هى :

- أنه كذب القرآن فى أخباره عن إبراهيم وإسماعيل .
- أنه أنكر القراءات السبع المجمع عليها فزعم أنها ليست منزلة من الله تعالى .
- أنه طعن فى نسب النبى .
- أنه أنكر للاسلام أوليته فى بلاد العرب وأنه دين إبراهيم .

وقال النائب العام فى تقريره أن طه حسين أدلى بردود وأدلة على النقط الثلاث . وأجاب رداً عما إذا كان قد استنتج هذا الكلام أم نقله [إن هذا

فرض فرضته دون أن أطلع عليه فى كتاب آخر وقد أخبرت بعد أن ظهر الكتاب أن شيئا مثل هذا الفرض يوجد فى بعض كتب المبشرين ولكن لم أفكر فيه حتى بعد ظهور كتابى .

وقد قال أن كلامه ليس فيه طعن فى نسب النبى وأن أورده بشكل غير لائق ولم يكن فى بحثه مايدعوه إلى ايراده بهذا الشكل .

وقال أنه لا ينكر أن الإسلام دين إبراهيم ولا أن له أولية فى بلاد العرب وأن ماذكره هو رأى القصاص فقد أنشأوا حوله كثيرا من الشعر والأخبار .

وقال عن القراءات ، أن القرآن نزل بلغة قريش ولكن القراء من القبائل لم يكادوا يتناولونه بلهجاتهم حتى أمالوا فيه حيث لم تمل قريش .

وأنكر المؤلف فى التحقيق أنه يقصد الطعن على هذا الدين وذكر أنه ورد فى كتابه على سبيل البحث العلمى من غير تقييد بشىء . وأنه كمسلم لا يرتاب فى وجود إبراهيم وإسماعيل ولا فيما جاء عنهما فى القرآن ، ولكنه كعالم مضطر أن يذعن لمناهج البحث فلا يسلم بالوجود العلمى التاريخى لإبراهيم واسماعيل .

ورأى رئيس النيابة أن العقاب على الخطأ فى الرأى مكروه ومن ثم حفظ القضية .

* * *

وصور الدكتور طه حسين موقفه من المعركة فيما بعد فقال فى كتابه (فى الصيف) أنه سافر فى ذلك العـام (على كره من قوم لو استطاعوا لأمسكونى فى مصر ، وأنا الآن أسافر رغم هذا الشيخ الذى نهض فى مجلس

الشيوخ يستصرخ المسلمين ، ويستغيث برئيس الوزراء على . لأنى — فيما زعم مسخروه — عرضت الدين للخطر .

نعم ، وزعم هؤلاء الشيوخ الأزهريين الذين أبرقوا إلى رئيس الوزراء من أقصى الصعيد يستغيثون به لأن الصحف نقلت إلى عرضت الدين للخطر.

وقال الدكتور طه أنه سافر « مغيظا محنقا على هؤلاء الناس الذين يتخذون الدين والسياسة وسيلة للكيد وبث الفساد فى الأرض ليعلموا أن الدين أثبت وأمكن من أن يعرضه للخطر رجل كائناً من كان . »

وذكر الدكتور طه ذلك الرجل الذى لم يكن يعرفه إلا بما كان بينهما من خصومة سياسية عنيفة . والذى وقف أمام البرلمان وهو يتألف من كثرته الحزبية وقفة الحزم والمروءة والأباء والدفاع عن حرية الرأى « نعم إنى لجاحد منكر للجميل أن نسيت موقف على باشا الشمسى أمام النواب وأمام الشيوخ وأمام أولئك وهؤلاء من السعاة وأصحاب الكيد ، لا يضطرب ولا يتردد ولا يفرط .

« أأذكر عدلى وموقفه يوم ثارت الثائرة ، كلا فما كنت أنتظر من عدلى غير هذا . أأذكر ثروت وموقفه يوم استقلت فرفض الاستقالة . ويوم سعى إليه الساعون وكاد عنده الكائدون فأبى ألا أن يكون وفياً شريفا .

أهداف الكتاب

استهل الدكتور طه حسين بحثة على هذا النحو :

هذا نحو من البحث عن تاريخ الجاهليين ولغتهم وأدبهم جديد ، لم يألفه الناس عندنا من قبل ، وأكاد أثق بأن فريقا منهم سيلقونه ساخطين عليه ، وبأن فريقا آخر سيزورون عنه ازوراراً ولكنى على سخط أولئك وازورار هؤلاء أريد أن أذيع هذا البحث ، وبعبارة أصح أريد أن أقيده ، فقد أذعته قبل اليوم حين تحدثت به إلى طلابى فى الجامعة وليس سراً ما تتحدث به إلى أكثر من مائتين .

ولقد اقتنعت بنتائج هذا البحث اقتناعا ما أعرف أن شعرت بمثله فى تلك المواقف المختلفة التى وقفتها من تاريخ الأدب العربى . وهذا الاقتناع القوى هو الذى يحملنى على تقييد هذا البحث ونشره فى هذه الفصول ، غير حافل بسخط الساخط ولامكترث بازورار المزور وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسخط قوماً وشق على آخرين » فسيرضى هذه الطائفة القليلة من المستنيرين الذين هم فى حقيقة الأمر عدة المستقبل وقوام النهضة الحديث وذخر الأدب الجديد .

* * *

ونحن بين اثنين : إما أن نقبل من الأدب وتاريخه ماقاله القدماء لايتناول ذلك من النقد إلا بهذا القدر اليسير الذى لايخلو منه كل بحث والذى يتيح لناأن نقول : أخطأ الأصمعى أوأصاب وأما أن نضع علم المتقدمين كله موضع البحث . لقد أنسيت . فلست أريد أن أقول البحث وإنما أريد أن أقول الشك .

« لاينبغى أن تخدعك هذه الألفاظ المستحدثة فى الأدب ولا هذا النحو من التأليف الذى يقسم التاريخ إلى عصور ويحاول أن يدخل فيه شيئا من الترتيب والتنظيم فذلك كله عناية بالقشور والأشكال لايمس اللباب ولا الموضوع .

وقال طه حسين إنهم لم يغيروا فى الأدب شيئا أما أنصار الجديد فالطريق أمامهم معوجه ملتوية تقوم فيها عقاب لاتحصى . وهم لايطمئنون إلى ماقال القدماء وإنما يلقونه بالتحفظ والشك . وأن النتائج اللازمة لهذا المذهب الذى يذهبه المجددون عظيمة جليلة الخطر فهى إلى الثورة الأدبية أقرب منها . إلى آخر كل شىء » .

وقال طه حسين « أن أول شىء أنبؤك به فى هذا الحديث هو أنى شككت فى قيمة الأدب الجاهلى وألحت فى الشك » وأنتهى بى الشك إلى أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية فى شىء وإنما هى منتحلة بعد ظهور الإسلام فهى إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليه .

وصور طه حسين منهج البحث فقال أنه سيسلك إلى هذا البحث منهج ديكارت الذى يطالب الباحث بأن يتجرد من كل شىء كان يعلمه من قبل . وأنه ينسى عواطفه القومية والدينية وألا يتقيد بشىء ولايذعن لشىء . وقال أن علينا أن ندرس الأدب العربى غير حافلين بتمجيد العرب أو الغض منهم ولا وجلين حين ينتهى بنا هذا البحث إلى ما تأباه القومية أو تنفر منه الأهواء السياسية .

ثم صور طه حسين هدفه فى كتاب الشعر الجاهلى فقال .

إنه إنما يرمى إلى تحرير الأدب العربى من القيود التى تربطه بالعلوم العربية والعواطف الدينية وحتى يدرس الأدب لنفسه دون أن يكون وسيلة لفهم القرآن والحديث . وقال أنه يريد أن يدرس تاريخ الآداب فى حرية وشرف كما يدرس العلم الطبيعى وعلم الحيوان والنبات وقال . من الذى يستطيع أن يكلفنى أن أدرس الأدب لأكون مبشراً بالإسلام أو هاديا للالحاد وأنا لا أريد أن أبشر ولا أريد أن أناقش الملحدين . .

النصوص موضع الاعتراض

١ — للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم واسماعيل . وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى . فضلا عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة . ونشأة العرب المستعربة فيها ونحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى فهى حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلها الإسلام بسبب دينى وسياسى أيضاً . فيستطيع التاريخ الأدبى واللغوى ألا يحفل بهما عندما نريد أن نتعرف أصل العربية ، ونستطيع أن نقول أن الصلة بين اللغة العربية الفصحى التى كانت تتكلمها العدنانية واللغة التى كانت تتكلمها القحطانية فى اليمن كالصلة بين اللغة العربية وأى لغة من اللغات السامية وأن قصة العاربة والمستعربة وتعلم اسماعيل من (جرهم) كل ذلك أحاديث أساطير لا خطر لها ولا عناء فيه (ص ٢٦ من كتاب الشعر الجاهلى) .

٢ — ونوع آخر من تأثير الدين فى انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبى من ناحية أسرته ونسبه من قريش فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبى يجب أن يكون صفوة بنى هاشم وأن يكون بنى هشم صفوة بنى عبد مناف وأن يكون بنى مناف صفوة بنى قصى . وأن تكون قصى صفوة قريش . وقريش صفوة مضر . ومضر صفوة عدنان . وعدنان صفوة العرب والعرب صفوة الإنسانية . (ص ٧٢ من الشعر الجاهلى)

٣ — وشاعت فى العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده ، فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم ، ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب فى عصر من العصور ، ثم اعرضت عنه لما أضلها المضلون وانصرفت إلى عبادة الأوثان . (ص ٨١ من الكتاب)

دفاع الدكتور طه(١) عن نفسه

حديث طه حسين مع جريدة (الأنفورماسيون)

• إن الأستاذ الذى يلقى دروسه بأمانة كثيرا ما يعرض له فى المادة التى يدرسها ملاحظات ومباحث شخصية كما تعرض له فى بعض الأحايين نظريات أيضاً وطبيعى جداً أن يجمع هذه الملاحظات ويصوغها فى قالب تحليلى يعرضه مع شىء من التفصيل على زملائه .

• طلبت مدفوعا بسبب مهنتى إلى أولئك الذين لا يعرفون مناهج النقد المدنية والبحث الحر إلا يقرأوا كتابا لم يكتب لهم .

• خصومى فريقان ، رجال الدين ومعلموا الآداب فى مدارس الحكومة ،

---

(١) ٢٦ مايو ١٩١٦ — السياسة اليومية .

رجال الدين يرمونني بالالحاد على أن ٩٨ فى المائة ممن يتهموننى لم يقرأوا كتابى ..

• إن الآداب تعتبر لدينا حتى اليوم علما تابعا للدين فأى بلد فى العالم يتهم فى القرن العشرين بالإلحاد أستاذا يريد أن يدرس الآداب ذاتها .

طه حسين : خطران

وكتب طه حسين مقاله الوحيد السياسة الذى هاجم فيه خصومه الأزهريين طالبا إلغاء الأزهر .

أولهما[1] الجهل وثانيهما الجمود وكلاهما عقبة كؤود فى سبيل الحياة الدستورية الصالحة فى سبيل الحياة الصالحة من حيث هى .

أحب ألا يغضب صاحب الفضيلة مولانا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومن حوله من الشيوخ ..وأنا أريد أن أصارح البرلمانيين والذين إليهم أمور مصر فى هذه الأيام بأن مصر شرا عظيما هو جود الشيوخ .

إن واجبهم الوطنى يقضى عليهم أن يتخذوا من الوسائل التشريعية والسياسية ما يحول بين الشيوخ وبين التسلط على الحياة العقلية والعلمية والسياسية .

والأمر الثانى ، هو استئصال هذا الجمود ووقاية الأجيال الحاضرة والمقبلة من شره .

وأؤكد للبرلمان أن الشر مستمر متضاعف مادام الأزهر قائما كما هو وأنا لا أريد أن أتدخل فى شئون الأزهر .

إن حياتنا العقلية والعلمية لن تصلح ولن تتجه إلى خير ما دام فى مصر نوعان من التعليم يقف كلاهما فى وجه صاحبه عدوا مبينا وخصما عنيدا .

(١) ١٦ يوليو ١٩٢٦ (السياسة اليومية) .

التعليم المدنى فى مدارس الحكومة وما إليها والتعليم الدينى فى الأزهر وملحقاته ؛ هـذا النوعان من التعليم يخرجان لمصر فى كل عام جيشين مستعدين للخصام : أحدهما جيش المتعلمين الطامحين إلى المثل الأعلى الراغبين فى الاتصال بحياة العالم الحديث والآخر جيش الجامدين المتعصبين الذين ركبت رءوسهم مدارة إلى الوراء ، فهم ينظرون إلى أمس بينما ينظر خصومهم إلى غد ، وسيظل هذا الجيشان فى خصومة وحرب حتى يظفر أحدهما ، وليس من شك فى أن جيش التعليم المدنى هو المنتصر ، ولـكن انتصاره سيكون بعيدا وسيكون عنيفا وسيكلف مصر ضروبا من الضحايا إذا تركت الأمور فى مصر بحيث هى الآن .

نحن بين أمرين ، إما أن ندع الأزهر كما هو والمدارس المدنية كما هى وأن ندع مصر تعانى هذه الخصومة المنكرة بين فريقين من أبنائها لـكل منهما عقلية خاصة وفهم للحياة خاص وأن يتحمل ما يستتبعه هذا الإهمال من النتائج وأما أن نحتاط لحماية مصر من هذه النتائج .

ولنا إلى ذلك سبيلان : أحدهما إصلاح الأزهر (وليس إليه كما أعتقد سبيل) . ويجب أن نلاحظ أن طلاب الأزهر وملحقاته يعدون بالألوف أو عشرات الألوف فهم فى حقيقة الأمر قوة لا يستهان بها فى حياة الأمة فإذا نحن تركناهم كما هم أضعنا على الأمة عدداً ضخما من أبنائها وأعددنا فى الوقت نفسه جيشاً ضخما يحارب العمل ويحارب الحرية ويحارب العلم نفسه .

ينبغى أن نمهد السبيل لطلاب الأزهر وملحقاته حتى يستطيعوا أن يتحولوا إلى التعليم المدنى أو أن يجمعوا بينه وبين التعليم الدينى وسبيل ذلك :

أن يحال بين مناصب الدولة وبين الذين لا يحصلون على الشهادات الدنية مهما تكن هذه المناصب بحيث لا ينهض للقضاء الشرعي إلا من حصل على الليسانس ولا للتعليم إلا من حصل على دبلوم المعلمين العليا .

جريد السياسة وكتاب الشعر الجاهل[1]

رجال الدين وحركاتهم السياسية

لما صدر كتاب الدكتور طه حسين « في الشعر الجاهلي » وتناوله حضرات رجال الدين بالنقد لم نرد أن ندخل في جدل أو مناقشة لتؤيد حرية الرأي أو البحث العلمي ولو كان صاحبه مخطئا وآثرنا أن يتلافى أولو الأمر الخلاف بالحكمة والأناة .

فلما طلب بعض المشايخ محاكمة الدكتور طه حسين وإخراجه من الجامعة ومصادرة كتابه أفهمهم من بيدهم الأمر أن ليس في الكتاب ما يحاكم عليه وأعلن الدكتور طه للناس أنه يؤمن بالله وكتبه واليوم الآخر . واتفق على أن تشترى الجامعة الكتاب فلا تتداوله أيدى الناس .

ولم يكن أحد يتوقع أن تثور مسألة الدكتور طه وكتابه من جديد ، ولكن حضرات العلماء تحركوا في المرة الأولى لم يدعوا الوزارة تطمئن إلى مجالسها في الحكم ثلاثة أيام حتى قدموا عرائض يطلبون فيها فصل الدكتور طه من الجامعة ومصادرة كتابه وإحالته إلى المحاكمة .

وكنا نود أن الوزارة قوية غاية القوة مؤيدة أشد التأييد وأن محاولتهم إحراجها على هذه الصورة لن يصل بهم إلى أية نتيجة ، وأنهم يقصدون

---

(١) السياسة ٧ يوليو — ١٩٢٩ .

لغايات خاصة أو لأفساد الجو السياسى مما لم يستطيعوا الوصول إليه ، وإنا لنود مخلصين أن يذر المشايخ هذه السياسة التى لا تفيدهم ولا تفيد أحداً والتى تحرجهم ولا تحرج أحداً وأن ينصرفوا إلى التفكير فى إصلاح حال المسلمين الدينية .

من محضر جلسة مجلس النواب

عبد الخالق عطية[1] :

حدث ياحضرات الأعضاء حادث بالجامعة المصرية وقام من ناحيتها صوت أفقدها عطف الكثيرين فقد أدى إلى فتنة أو كاد والأشد والأنكى أن البلاد لم ينلها حظ ولم تنلها مصالح ظاهرة من أثارة ذلك الموضوع .

أظن أنكم فطنتم إلى ما أريد وتبينتم أن الصوت المعنى بقولى هذا هو كتاب الشعر الجاهلى الذى تضمن طعنا ذريا على الموسوية الكريمة والعيسوية الرحيمة وعلى الإسلام دين الدولة بنص الدستور .

أن تصرف هذا الشخص كان أيضاً مخالفا للذوق فإنه مدرس بالجامعة المصرية وهى معهد أميرى يعيش من أموال الحكومة وهو يتقاضى مرتبه من هذه الهيئة التى دينها الإسلام فلم يكن من المفهوم ولا من المعقول أن يقوم هذا الشخص فيبصق فى وجه الحكومة ..

أننا إذ نسلم أولادنا للحكومة ليتعلموا فى دورها نفعل ذلك معتمدين على أن بيننا وبينها تعاقداً ضمنيا على أن الديانات محترمة ..

وأغرب مافى هذا التصرف أن صح ما بلغنى أن إدارة الجامعة أشترت

---

(١) انظرا محضر جلسة المجلس فى الأهرام ١٤ سبتمبر ١٩٢٦ .

من مؤلف هذا الكتاب كتابه ، أشترته من أموال الأمة الموتورة بهذا العمل . فإن كان هذا الكتاب سيدرس فى الجامعة فتلك ثالثة الأثافى

وزير المعارف : إننا لا نرضى أن تكون كراسى الأساتذة منابر تلقى منها المطاعن فى أى دين من الأديان . وحادث كتاب الشعر الجاهلى وقع فى عهد الوزارة السابقة . وقال أن مدير الجامعة أن الجامعة منعت انتشار الكتاب بشراء جميع النسخ من المكاتب وحصرتها فى مخازنها .

الشيخ القاياتى : الحق أنه ما كان من المظنون أن يوجد بين المسلمين فى مصر من يجرؤ على الدين إلى هذا الحد الذى بلغه الشيخ طه حسين . قبائح متعددة مابين تكذيب لصحيح التاريخ وتكذيب لنصوص القرآن ونسبة التحايل إلى الله وإلى النبى وإلى موسى .

ثم اقترح عبد الحميد البنان : مصادرة الكتاب وتكليف النيابة برفع الدعوى على طه حسين وإلغاء وظيفته فى الجامعة .

من تقرير النائب عن طريقة طه حسين فى الكتابة

أن الذى[1] نريد أن نشير إليه إنما هو الخطأ الذى اعتاد أن يرتكبه المؤلف من أبحاثه حيث يبدأ بافتراض بتخيله ثم ينتهى بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابتة . كما فعل فى أمر الاختلافات بين لغة حمير وبين لغة عدنان ثم فى رسالة إبراهيم واسماعيل وهجرتهما إلى مكة وبناء الكعبة .

٢ — أما إذا رأى المؤلف فى بحثه إنكار شىء فيقول : لا دليل عليه

(١) الفتح — ١٢ مايو ١٩٢٧ العدد ٥٤ .

من الأدلة التي تطلبها الطرق الحديثة للبحث حسب الخطة التى رسمها فى منهج البحث .

[الشك فى وجود إبراهيم واسماعيل] سئل الأستاذ فى التحقيق عن أصل هذه المسألة : فقال هذا فرض فرضته أنا دون أن أطلع عليه فى أى كتاب آخر ، وقد أخبرت بعد أن ظهر الكتاب أن شيئا مثل هذا الفرض يوجد فى كتب المبشرين (هذا المبشر هو هاشم العربى) .

وقد يكون للمبشر عذره فى سلوك هذا السبيل لأن وظيفته التبشير لديه وهو غرضه الذى يتكلم فيه . ولكن ما عذر المؤلف فى طرق هذا الباب ، وما هى الضرورة التى ألجأته أن يرى فى هـذه القصة نوعا من الحيلة .

(الافتراض فى أول الأمر ثم الجزم كأنما هى حقيقة) .

عندما سألناه فى التحقيق عن السبب الذى دعاه أخيراً لأن يقرر بطريقة تفيد الجزم بأن القصة حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام قال (هذه العبارات إذا كانت تفيد الجزم فهى إنما تفيده أن صح الفرض الذى قامت عليه وربما كان فيها شىء من الغلو ولكنى اعتقد أن العلماء جميعا عندما يفترضون فروضا علمية يبيحون لأنفسهم مثل هذا النحو من التعبير .

— تورط المؤلف فى هـذا الموقف الذى لأصلة بينه وبين العلم لغير ضرورة يقتضيها بحثه ولا فائدة يرجوها .

— لا نفهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم

وهو القائل بأن الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذى هو بطبيعته قابل للتغيير والنقض والشك والإنكار .

وأننا حين نفصل بين العلم والدين نضع الكتب السماوية موضع التقديس ونعصمها من أنكار المنكرين وطعن الطاعنين ولا ندرى لم يفعل غير مايقول فى هذا الموضوع .

نماذج من حملات المعركة

١ — مصطفى صادق الرافعى (١)

ما رأيت فئة يأكل الدليل الواحد أدلتها جميعا كهؤلاء المجددين فى العربية فهم عند أنفسهم كالجمرة المتوقدة لايشبعها حطب الدنيا .

ولقد كان من أشدهم عراما وشراسة وحمقا هو الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربية فى الجامعة المصرية فكانت دروسه الأولى فى الشعر الجاهلى كفرا بالله وسخرية بالناس فكذب الأديان وسفه التواريخ وكثرة غلطه وجهله فلم تكن فى الطبيعة قوة تعينه على حمل كل ذلك والقيام به إلا المكابرة والجاجة فمر يهذى فى دروسه لاهو يثبت الحقيقة الخيالية ولا يغرك الحقيقة الثانية ، على أن أستاذ الجامعة انما يقلد المدامين من جبابرة العقول فى أوربا وأنه منهم ، ولكن كما تكون هذه الكرة الجغرافية المدرسية التى تصور عليها القارات الخمس من كرة الأرض التى تحمل القارات الخمس :

والرجل متخلف الذهن تستعجم عليه الأساليب الدقيقة ومعانيها وأكبر ماهمه أنه يتحداق ويتداهى ويتشبه بالمفكرين ولكن فى ثوب الرواية .

هو وأمثاله المجددين يسمون كتابا وعلماء وأدباء إذ كان لأبد لهم من نعت وسمة فى طبقات الأمة غير أنهم على التحقيق غلطات انسانية تخرجها الأقدار فى شكل علمى أدبى لتمارض بها صوابا كاد يهمله الناس فيخشى الناس أن يخيف الخطأ صوابهم أو يذهب به فيتمسكون بحبله ويعدون عليه .

— من أقبح ما فى كتاب الدكتور طه حسين أنه يعلن فى مقدمته تجرده من دينه عند البحث ، يريد أن يأخذ الشىء بذلك اتباعا لمذهب ديكارت الفلسفى الذى يقضى على الباحث بالتجرد من كل شىء عندما يبحث عن الحقيقة .

---

(١) ك : تحت راية القرآن : الرد على الشعر الجاهلى .

قال الأستاذ : يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربى وتاريخه أن ينسى قوميتنا وكل مشخصاتها « وأن ننسى ديننا وكل مايتصل به » .

وهذا لعمرى هو منتهى الجهل فإن هناك فرقا بين البحث عن حقيقة فلسفية عقلية محضة وبين البحث عن حقيقة أدبية تاريخية قائمة على النص ، وقول فلان وفلان ، وإذا هو نسى دينه (وتأمل هذه العبارة) فماذا يكون من أثر هذا فى التاريخ مادامت المادة التاريخية لم تجتمع له كما أسلفنا وما دام الأستاذ مبتلى من كل جهة .

— إن طه حسين مجموعة أخلاق مضطربة وأفكار متناقضة وطبائع زائفة وما من عالم فى الأرض إلا وأنت واجد آرائه قائمة بمجموع أخلاقه أكثر مما هى آتية من صفاته العقلية . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » وطه رجل أرسلوا لسانه إلى أوروبا فرجع بلسانه وترك قلبه هناك فى خرائب روما .. فيجب أن يكون نفاقه وثرثرته مقصورتين على نفسه وإذا كان عميد كلية الآداب لا يحسن من العربية شيئاً ولا يفقه من هذه المباحث شيئاً ولا هو من دين الأمة فى شىء فماذا نقول فى الأستاذ الأديب الذكى البليغ مدير الجامعة الذى اسمه أحمد .

والأمر الذى نخشاه من طه أنه « أداة » أوروبية استعمارية تعمل على إفساد أخلاق الأمة وحل عروتها الوثقى من دينها فى أدبه ولغته وكتابه وتحقير كل من يتسم بشىء من ذلك عالما أو متعلما أو متورعا ، فهو دائب على إزالة ماوقر فى نفوس المسلمين من تعظيم نبيهم وكتابه وإيثار دينهم وفضيلتهم وإجلال علمائهم وسلفهم مرة بالتكذيب ومرة بالتهكم ومرة

بالزيادة ومرة بإفساد التاريخ ومرة بنقل الأخلاق الفاحشة المتمهرة من مدينة الفرنسيين .

إن التاريخ الإسلامى إذا حمل على غير طريقته وتولاه غير أهله لم يأت منه إلا ماهو دخيل فيه وتقل الرواية ويكثر التكذيب ، ويحصل الخطأ ويقع الخلل لأن الأشياء بما كانت عليه لا بما تتوهم أنت أنها كانت عليه . وذلك هو السر فى خلط المستشرقين والمسيحيين والديكارتيين من أمثال طه حسين إذا هم تعاطوا الكلام فى المصدر الأول أو مايتصل به نوعا من الاتصال فى الأدب فى الشعر أو نحوهما وإذا كتبت الشياطين تاريخ الملائكة واتبعت مذهب ديكارت . . فتجردت من قوميتها ودينها فهل تراها تسلب طبيعتها وخبثها وهل يدخل عليها الخطأ إلا من ناحية هذه الطبيعة فى تركيبها على غرائز وأوصاف لا تتحول .

٢ — محمد فريد وجدى

رأيت منه أخطاء اجتماعية وسيكولوجية وفلسفية لا يصح السكوت عليها والفيت الدكتور لاضطراره إلى تصيد الأسباب التى حملت ذو النفوس المريضة على اختلاق الشعر ونسبه إلى الجاهلين قد عول على كتب المستشرقين وهى قرارة الأكاذيب ومستنقع المقدمات من كل نوع فجاء كتابه بما حمل من أوزار المفتريين وبما غلا هو فيه من تقصى إغواءات المتناظرين وتسويدات المتنافسين من القادة الأعلين طامسا لمعالم أكبر ثورة اجتماعية حديثة فى العالم ألا وهى ظهور الديانة الإسلامية وما استتبع انتشارها من سقوط دول وقيام دول .

---

(١) ك/ نقد كتاب الشعر الجاهلى — ص ١٢٩٦ .

فبينما علماء الغرب لا يتمالكون أنفسهم من الدهش من قوة هذه الحركة الاجتماعية التي انبعثت من بلاد العرب فجأة فرجت العالم كله رجة أذهلته عن كل شيء يصعب علينا أن نرى واحداً منه يضع كتابا بالغرض قليل الخطر وهو إثبات أن الشعر الجاهلي مختلق يكون أثره على قارئه أن يحتقر هذه الثورة الكبرى ويستخف برجالها الذين أخذوا حظا من تمثيلها والاضطلاع بأعبائها .

٣ — محمد لطفي جمعه

هذا المؤلف لم يترك فضيلة للعرب في علومهم وتاريخهم وآدابهم وعقائدهم دون أن يحاول هدمها بشدة وتهكم واستهزاء لم يعد له مثيلا في كتب العلماء فيخيل للقارىء أن المؤلف يلعب ويلهو بأشرف الأشخاص وأسمى المبادىء التي خلقتها المدنية العربية الإسلامية منذ أربعة عشر قرنا . وكنا نود أن نظن بكتابه خيرا فلم نجد له في الخير محملا . وحاولنا أن تلمح بصيصا أشبه بالبصيص شيئاً في وسط هذه الظلمات المتكاثفة المتطالعة من أول الكتاب إلى آخره لأنه للأسف طافح بالأوهام فهو سراب يحسبه الإنسان من بعيد ماء . والحقيقة أن كتاب (في الشعر الجاهلي) عبارة عن بعض نصوص صحيحة أو مزورة وبعض أكاذيب وأساطير وشيء من التهويل وشيء من السياسة وشيء من الخرق وكثير من الشعوبية والتعصب ضد العرب وعقائدهم :

---

(١) سؤال : هل رجع طه حسين عن آرائه . كلا — والدليل أن الكتاب مايزال يطبع الطبعة الخامسة والسادسة ولذلك فهو يناقض نفسه في آرائه فيما كتب عن الإسلام في الفتنة الكبرى وهامش السيرة .

(٢) ك/ الشهاب الراصد على الشعر الجاهلي .

ولم يترك المؤلف نبيا أو صديقا او عالما أو راوية أو شاعراً إلا يترك في عرضه ابتراكا ونال من شرفه وسمعته .

يقول المؤلف أنه ليس لنا أن نتمسك بالقديم لمجرد قدمه وهو يعد أعظم مفاخر المدنية العربية في القوانين والأنظمة والعلوم والآداب قديما ، يجب تركه . ولا يؤيد أقواله بدليل أن مرجع صحيح أو إسناد يعول عليه . فيقول ليس لنا أن ننبذ القديم لمجرد قدمه فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ ، والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه مالم تقم الأدلة على صحة الجديد وهـذا مافعلته الأمم الأوربية فلم تترك قديمها بل فتشت عنه وبعثته وأحيت العلوم والآداب التي كانت مفاخر اليونان واتخذتها أساساً متيناً إلى الجديد في عهد إحياء العلوم على أن معظم قديمهم أساطير وخرافات وأخبار لم يستطع أحـد من علمائهم تحقيقها بيد أن قديمنا معظمه حقائق وشرائع وقوانين وآداب .

لقد طعنت في هدم العرب وتاريخهم وآدابهم قبل الاسلام وبعده[1] بثلاثة قرون ولم تترك فرصة إلا اختلقت فيها غميزة ضد المدنية العربية وشرائعها وقوانينها وآدابها وتاريخها لي عمد وأصرار كأنك تهدم بمعول الحقد السكمين بناء شاده أعـــداء لك ألداء وطعنت قبل كل شيء في الرواية والتواتر والاسناد وهي وسائل العلم والدين والأدب عند العرب في جاهليتهم وأسلافهم ولم يسبق لأحد من الباحثين أن طعن في تلك الوسائل من علماء المشرقيات الأجانب .

---

(١) قال ص ٥١ « ولـكن النبي توفي بعد الفتح بقليل ولم يضع قاعدة الخلافة ولا دستوراً لهذه الأمة .

٤ — شكيب أرسلان (١)

« ليس طه حسين فى هذا الرأى القائل والمنطق المقلوب إلا مقلدا لمرغليوث أو لغيره من الأوربيين بسائق عقيدة سخيفة فاشية —ويا للأسف— فى الشرق وهى أن الأوربى لا يخطىء أبداً . وأنه من حيث اخترع الأوربى سكة الحديد والغواصة والطيارة والسيارة وما أشبه ذلك فلاشك أنه صار يفهم أحسن مما يفهم سيبويه والخليل بن أحمد وليس فى الدنيا خطأ أعظم من هذا ولا طيش يفوت هذا الطيش فكل علم له أربابه الذين هم أدرى به .

أننا لا ندعى كون الشرقيين أعلم من الغربيين وحاشا أن نقول هذا بل أولئك اليوم على وجه الاجمال أعلم منا بلا جدال . ولكن الحقيقة القائلة هى أن الشرقى يتهم أخاه الشرقى فى نقله ويسفهه فى عقله ويحتقر رأيه ولا يقبل له قولا لمجرد أنه شرقى حتى إذا أطلع على تأليف أوربى ولو محشواً بالهذيان تلقى ما فيه نازلا من السماء وعض عليه بالنواجذ وأبى أن يرتاب فيه أو يماحكه . ومن هنا نشأ ما نحن فيه من الأزمة الأدبية والاجتماعية واللغوية والتخبط الذى ترانا نتخبطه لأن حقائقنا انقلبت ضلالات بلا سؤال . وضلالات الأفرنج تلقيت حقائق بلا جدال .

النظرية الجديدة غير الحقيقة العلمية .

الحقائق العلمية ما تزال يتجدد وينقض آخر منها أول .

الهوس بقبول الجديد .

---

(١) مقدمة — كتاب النقد التحليلى — الغمراوى »

مخالفة رأى الجمهور .

ليس كل شيء قديم منبوذاً وليس كل شيء جديد مرغوباً فيه .

أني لا ألوم الدكتور طه حسين الذى قصاراه أن يسرق رأيا لمستشرق أوربى خالف به جمهور المستشرقين فضلا عن علماء العرب وأن ينتحل هذا الرأى لنفسه متبجحا به .

٥ – محمد عبد المطلب(١)

سخطت وازوررت لأني أجد ضعفا فى أسلوبه العربى وضعف تأليف وخطأ فى اللغة وقواعد الإعراب . وسخطت وازوررت ثم تنظمت وأوردت إذ رأيت أكبر أستاذ فى أكبر معاهد مصر يتردد بين التناقض فى الرأى والخطأ الفاحش فى الفن .

فأما قصور اللفظ فأنى وجدت الدكتور يفزع فى كل دعوى الشك والتشكيك عجزاً عن الدليل القويم ولا ينتج من المقدمات فى أدلته إلا العقيم وما كان الشك والتشكيك يوما عكازاً لأحد من العاجزين . أما التقصير فى الاجتهاد فإنك تراه لا يزجر نفسه ولا يكلفها شيئاً من الجهد فيستمرىء الكسل عن التحقيق فى أقل المواطن كلفة وأيسرها منالا ويتستر بالتعمية فى الأسلوب والمراوغة فى الجدال والختل فى الاستدلال ولو كلف نفسه قليلا لبدا له العلم الصحيح .

أما ضعف الأسلوب فإنه يجيئك بالمعنى القليل المزيل فى اللفظ الكثير والتركيب المملول .

على أنى حائر فى الحكمة التى يرمى إليها بافتتاحه القول مغيظاً محنقا

(١) الأهرام — ٢٨ إبريل ١٩٢٦ .

مجالا واسعاً للبحث والتدقيق . ولحضرات القارئين مجالا أوسع للموازنة والتحكيم .

ثم أشار الكاتب إلى أنه ألقى محاضرة فى دار العلوم عن أسلوب المبرد فى كامله ثم ذكر أن طالبا تحدث بعد المحاضرة فرمى المبرد بالغرور والإدعاء ثم ذكر أنه دافع عن المبرد . وتطرق الكلام إلى المرصفى لأنه هو شارح كتاب (الكامل) للمبرد فأشار إلى أن مؤلفات المرصفى هى التى تنم عن خلق الغرور والإدعاء فيه وأن ذلك يظهر فى شرح الكامل وفى ديوان الحماسة وقال السباعى : وانه لتأصل هذا الخلق فيه كان شديد التحامل على المبرد والتشهير به فيما يظن أن المبرد اخطأ فيه .

ثم قال . وكم كنا نتمنى للشيخ المرصفى أن يجرد علمه من غروره ويسبل على تأليفه ثوبا ضافياً من التواضع والاعتدال حتى يكون ذلك أبين لفضله وأدل على نبله .

ثم اشار إلى أن هذا الكلام قد حرف بما وصف بأنه رمى المرصفى « بكثير من الأخلاق الذميمة .. الخ » .

وقال . وما كان منى عن الشيخ المرصفى — علم الله — إلا أسفى على ما خالط مؤلفاته من غرور وإدعاء وتطاول على المبرد فى أسلوب غير حميد ومازلت معتقداً هذا رضى الدكتور (مبارك) أم سخط .

ثم قال « هـــذا ياصديقى الدكتور هو الأمر الأصيل على جبلته وقد بسطته موضوعا فى نصابه مقرراً على وجهه ، لا كما تطايرت به الإشاعات .

وقديماً قالوا . وما آفة الأخبار إلا رواتها .

أما قولك (وإلى أن يثبت أن الراوى افترى عليك اعلن غضبى على

مابدر منك (فسبحانك اللهم وتعاليت) فما كان لأحد أن يقول (من يحلل عليه غضبي فقد هوى) إلا أنت .

زكي مبارك(١)

هذه طلائع لغزوة شريفة تنقل عقل الأستاذ السباعى من وضع إلى وضع ، وذلك فضلى عليه ، إلى أن اصفح عنه أو يشتغل محرراً متطوعا بمجلة الرسالة ثلاث سنين كما قهرت أخا له من قبل على أن يشتغل محررا متطوعا بجريدة البلاغ ، هى محنة صبت من شاهق على الأستاذ السباعى فليتحملها صابراً وليوطن نفسه على أن الخصومة بينى وبينه لن تنتهى قبل شهر مايو وهو الموعد الذى حدده الشيخ الأسيوطى لنهاية الحرب بين الإنجليز والألمان .

وكيف يخيفنى تهديد الأستاذ السباعى وليس فى ماضيه الأدبى غير نقل نصوص كتاب الكامل من مكان إلى مكان وتلك مهمة يقوم بها أحد النساخين بدراهم معدودات .

أمثلى يخاف من عواقب الجهر بكلمة الحق وقد قضيت دهرى ممتحنا بعدوات الرجال .

لقد تلطفت معه اكثر مما يجب ، ولم يحفظ عهدى ، فكيف يرانى أعطف عليه وقد تردى بثوب العقوق .

السباعى بيومى(٢)

جعلت كلمتك «الهجوم الآثم» على الشيخ سيد المرصفى وهذا أمر غبت عنه،

---

(١) الرسالة ـ ١٧ فبراير ١٩٤١ .
(٢) الرسالة ـ ٢٤ فبراير ١٩٤١ .

ولم تشهده فكيف أقدمت عليه قبل أن ينجلى الك ، وإذا سوغك تطاولك أن تسميه هجوما فكيف وصفته متسرعا بالإثم فكنت الآثم بما وصفت .

وتزعم أن الخطابات قد كثرت عليك فى تحقيق ما ادعيته على من حق الشيخ المرصفى وأنا اجزم قاطعاً — واحلف غير حانث ، أنه لا خطابات ، وتقول وكنت أى لولا تلك الخطابات — قد اغفلت هذا الموضوع عن عمد ، لأن الأستاذ السباعى له على حقوق » وما كنت أفهم إلا أن تلك الحقوق هى حقوق الصداقة فإنى لا زلت بها حفيا وعليها حريصا ، ولكنك جعلتها بأصدقى « إننى كنت دائما من انصارك » وليس لمثلى أن ينخدع بخدعة الصبى هذه تسوقها إليه ، فالحقيقة المرة التى اسمعك إياها الآن بعد أن ظمئيت زمنا ولم ترد ، إنك ما كنت فى يوما زعيما فى الأدب حتى يصح أن يكون لك أنصار . وإنما زعامتك نسج عنكبوت حكته من حولك وتركك الناس تلهو به وتلعب ، ثم زدت هذه العلة أخرى تقول فيها « ولأن مقام الشيخ المرصفى أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تساق إليه فى إحدى المحاضرات وأنى احذرك جريئا على تحذيرك إن كنت تريدها خصومة أدبية بينى وبينك أن تترك الآن الشيخ المرصفى فإن التحكك به لن يغنى عنك فى الموضوع شيئاً ، وإذا ما صفى الحساب بيننا عدت أبين لك أن مكانة الشيخ المرصفى لا تعلو فى النقد ، وأن الذى يصفه ببعض ما وصف به المبرد لا يكون قد عدا الحقيقة ولا تعدى على السلف الصالح ، فإن المبرد على أى حال أعلم من المرصفى ، علماً وأدب منه أدبا ، ثم هو ادخل فى السلفية الصالحة دخولا .

[وأشار إلى ماذكره زكى مبارك من سكوت الأزهريين عن الانتصار للمرصفى] ثم قال . إن عبارتك هذه من باب الاستعداء الذليل والملق الرخيص الذى ينقص منك ولا يزيد فيك . وقد فاتك أن الأزهريين

يقدسون حرية البحث فى دراساتهم أول ما يقدسون وأنهم يرثون المبرد قبل أن يرثوا المرصفى .

* * *

وإننى بهذه الخصومة لجد مسرور ، أتدرى لماذا ؟ لأنى سأعرضك فيها للجمهور على حقيقتك التى غشيتها ما غشيتها وتسامح الناس معك فيها ماتسامحوا وسيكون أول كشف لك فيما عملت واقعا على كتاب « زهر الآداب » لأنه دون سائر أعمالك أشبه بما عملت فى تهذيب الكامل الذى عددته جناية أدبية .

أما قولك بأن « قول الحق لم يدع لى صديقاً » فإن الذى لم يدع لك صديقاً هو دأبك على الباطل فى كثير مما تبحث وبغيك على حق الصديق فى جل ماتنقد حتى لقد أقللت وأملت .

زكى مبارك[1]

عرض زكى مبارك لأشياء كثيرة فقد اتهم السباعى بأنه سرق منه نظرية من كتابه « النثر الفنى » عن نشأة المقامات وقال انه كتم سرقته أربع سنوات « لأنى اشعر بالارتياح كلما تذكرت أن عندى ذخائر يتطلع إليها الناهبون من الفضلاء » .

وأشار إلى أن الدكتور طه حسين هاجم دار العلوم وقال أنها مدرسة عاقر ومن الموجب أن النفاق دون تسويف فلم يتحرك الأستاذ السباعى ولم يغضب « وكيف يغضب والدكتور طه رجل يضر وينفع . وهو يملك المحو

---

(١) الرسالة : ٢٤ فبراير ١٩٤٧ .

والإثبات من أعضاء بعض اللجان بوزارة المعارف » وقال « أما الشيخ سيد المرصفى فهو اليوم جسد هامد لا يملك دفع الضور عن سمعته » مات المرصفى ولكن تلاميذه أحياء والويل كل الويل لم يتعرض لشيخنا العظيم بكلمة سوء .

ثم أشار إلى أن السباعى أخرج كتابا سماه « تهذيب الكامل » فى جزأين أولهما فى المنثور والثانى فى المنظوم ومعنى ذلك أنه قدم وآخر فى نصوص الكامل فهل يرى القراء أن هذا عمل مطلوب ، وهل يرون أن المبرد كان يعز علية أن يصنف كتابة على هذا الوضع لو أراد .

المبرد راوح بين المنثور والمنظوم لحكمة تعليمية ، هى نقل الذهن من فن إلى فن ليبعد عنة السآمة والملال وقد أضاع السباعى تلك الحكمة التعليمية بصنيعة « الجميل » .

وقال أن السباعى طارد المرصفى وكتابة (شرح الكامل) من دخول دار العلوم ليجهل طلبة تلك الدار أسرار كتاب الكامل وليجهلوا مبلغ أستاذهم السباعى من العلم بما وقع فى الكامل من تحريف وتصحيف ، ثم قال أنه سيصحح كتاب السباعى بيومى خدمة لأبناء دار العلوم وطلاب الأدب العربى .

« وعلى الأستاذ السباعى أن يناقشنى أن استطاع وهو لن يستطيع ولو ظاهره ألوف من المعجبين بقدرته على الاستهانة بفضائل التدقيق والتحقيق . والأستاذ السباعى شتمنى فى مجلة الرسالة مرتين فليكف عن شتمى — غير مأمور — فإن الألسنة والأقلام لم تبق فى شتمى مزيدا لمستزيد ، ولو حاسب الله أعدائى وخصومى على ما اجترحوا آثمين فى إيذائى لسلط عليهم شآبيب

البلاء . لا تشتمنى ياسيد سباعى فحسبى ما أعانى من البلوى بمحنة النقد الأدبى . ألا ترانى أحاور أناسا لا أرتضيهم نساخا لمقالاتى ومؤلفاتى .

لقد لامنى الناصحون على ما اقترفت من التنازل إلى مساجلة بعض الناس . فهل تعرف كيف كان جوابى .

لقد أجبت بأن الأدب كالعلم ، والعالم يشرح جسد الضفدعة كما يشرح جسم الإنسان ، فمن واجب الأديب أن يفهم أن لا عيب فى أن يهتم بتشريح ما يضاف إلى الأدب لو صدر عن نكرات ، لا تشتمنى يا سيد سباعى فأنا رجل « شتيم » وذلك حرف لا يخفى عليك . لا تشتمنى فما أملك محاسبتك لو أردت الانتصاف لنفسى ، وماذا أقول فى تجريحك ولست بشاعر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب .

أن قلبى ليستكحل بالغبار الذى يثيره قلمى ، فمن طاب له أن يلقانى فى ميدان النقد الأدبى فليوطن نفسه على مكاره لا يصبر على لأوائها غير الجهابذة .

السباعى بيومى(1)

تدعى أن صديقا عزيزاً قال لك : لم يرضينى تحديك للاستاذ السباعى فقد كان يتفق أحيانا كثيرة أن يجعل مقالاتك من موضوعات الدرس فى دار العلوم وذلك من شواهد الإعجاب » ويظهر يا دكتور أن هذا الصديق من الخبثاء الظرفاء الذين عرفوا فيك ماقرره ابن المقفع من أن عجب المرء بنفسه أرحب باب يدخل علية منه الضاحك وعليه والمضلل له ، فهو قدأضلك

(1) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤١ .

وضحك عليك بما تخيل فتحققت ، وما كان لشيء من مقالاتك أن يكون موضع الدروس في دار العلوم ، ولو حدث ما سميت دار العلوم .

ويقول أنك لن تصفح عني أو أشتغل محرراً متطوعاً بالرسالة ثلاث سنين وما هذا لي بالتهديد فما أنا ممن يضيرهم التحرير ولا ممن تعودوا أخذ أجر على ما يكتبون لأني أكتب للكتابة لا طمعا في مال .

ولذلك يصدر ما أكتب من غير كلفة ولا إكراه .

وسأعلمك بأن ماضي لم يكن قائما على خدمة الكامل وحده وأن تهذيبي له لم يكن عملا يقوم به أحد النساخين بدراهم معدودات ، وذلك أنما أقفك عليه من أنه كان خدمة يعرفها العارفون .

وتزعم أنك قضيت دهرك ممتحنا بعدوات الرجال ، ورجائي أن يكون رجلا فيما أصبت به عدائي ، وأن لا تغالي في عدم العطف على ذلك الذي أزمعت تركه لأني ترديت لك ثوب العقوق ، والحقيقة يادكتور أنه لا عطف منك علي ولا عقوق مني إليك ، وإنما هو نقاش وحساب يتطلب منك أن تكون الجلد الصبور .

قلت : « فليواجهني أن استطاع وأنا ماض إلية بقلم أمضى من السيف وأعنف من القضاء » وستعرف أينا الذي سيكون قلمه أمضى من السيف . إما أن قلمك أعنف من القضاء فمعاذ الله أن أشاركك هذا الكفران .

وإذا بك تقحم الدكتور طه حسين في الموضوع بأنه أتعب نفسه في النيل من دار العلوم ولم أغضب مع أني أستاذ بها ، وهذا غير ما كان يا دكتور ، فقد كتبت في الصحف ولكنك لم تقرأ ، كما لم تعرف ماضحيته وما زلت مستعدا لتضحيته في سبيل الدفاع عن دار العلوم ، ثم توغل في الأقحام فتدعي

أن علة سكوتى أن الدكتور طه يضر وينفع ويملك المحو والإثبات فى أعضاء بعض اللجان ، وردى على هذه الأكذوبة عنى وعن الدكتور أنى لم أسكت ومع هذا كنت عضوا فى اللجان ، وما ذنبى إذا كنت أدعى وتترك ، وأعرف وتنكر .

وأخيراً تكثر من الجملة « لا تشتمنى يا سيد سباعى » معقبا إياها بتعاليل هى الأباطيل ، فالشاتم أنت وأنا عن الشتم بعيد وإذا كنت تلحن لى فى ذلك بأنك « شتيم » فأنا ألحن لك بأنى « بشر بن عوانه » .

وتقول : « فما أنت بشاعر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب » فأما الشعر فلو رضيت لنفسى ما قلته كما رضيت أنت ما قلت ، لسويته ديوانا كما سويت ، ولوقعت فى الشرك كما وقعت ، فقد اغتررت فى طبع ديوانك بضحك من غرروا بك ، وخالفت قول من نصحوا لك وما ديوانك بشعر شاعر ولكنه تجميع ناظم ، أما الكتابة فها نحن فى ميدانها وسيصدر الجمهور حكمه .

أما التأليف فقد عرفت من عملى فيه (تهذيب الكامل) وستعرف غيره من مؤلفاتى متى انتهيت منه ونقاشنا فيه الآن فاثبت ولا تفر من الميدان .

أما الخطابة فرأيى لك فيها يا دكتور أن نتلاقى فى حلبتها أمام جمع من الأدباء وجمهرة من السامعين ويقترح على كلينا التكلم بداهة فى موضوع عام من أدب أو اجتماع وهنالك فقط — ولست مزكيا نفسى — تجد بحر يغمرك وأمواجا تقطعك وتبهرك . فتندم طالبا النجاة ولات حين مناص .

زكى مبارك[1]

أنى لم أكن أعرف أن اللغة العربية غنية بألفاظ الهجاء قبل أن أقرأ

---

(١) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤١ .

كلمته الثانية . وأنا من الذين يدينون بوجوب طلب العلم من المهد إلى اللحد . فمن واجبي أن أرحب بمن يعلمني طرائق السباب ومن أجل هذا الرفض كل الرفض أن ينتهي ما بيني وبينه بالصلح . السباعي يهدد ويهدد بنقد مؤلفاتي وهو من فضلها يعيش فهل رأيتم أقبح وأشنع من هذا الكفران[1] .

---

(١) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤١ .

(٢) انتهت هذه المساجلة بأن أعلن الدكتور زكي مبارك « أن بعض كبار الموظفين في وزارة المعارف رأوا وقف الجدال الذي أثرته في وجه الأستاذ السباعي بيومي وحجتهم أنه وصل إلى درجات من العنف تؤذي كرامة المشتغلين بخدمة اللغة العربية . وقال : أني أجيب هذه الدعوة لأنها أول دعوة كريمة تكف الشر بيني وبين من أخاصمهم بقلمي لا بقلبي . فلم أسمع هذا الصوت يوم خاصمت رجالا أعزاء لم يكن يسرني أن يقصم القلم ما بيني وبينهم من عهود وأنصافا للنفس أقول أنني كتبت ما كتبت وأنا ابتسم . فأني قد أخاصم ولكن لا أعادي فما استطاعت الدنيا بأحداثها الفواتك أن تضيفني إلى أرباب الضغائن والحقد ، وأنا أتهم بالقسوة والعنف بغير حق فيما كان همي في كل ما أثرت من المجادلات إلا ايقاظ الروح الأدبي واللغوي . أما ايذاء الأدباء فهو معنى لا يمر بخاطري » وعلق سيد قطب على ذلك فقال أنه إذا كان لدى الدكتور ما يقوله بالأسلوب اللائق فليستمر فإن الوساطة كانت منصبة على أسلوب الجدل لا على موضوعه ، وصمت زكي مبارك . .

الإسلام لم يكونوا على شيء من مؤهلات المدنية والنهضة بل كانوا على العكس فى حضيض من العصبية الحمقاء والمطامع الاشعبية وحب الانتقام والتفريق بين القبائل والاستهزاء بروابط الألفة القومية .

رد زكى مبارك على لطفى جمعه(١)

١ — قد جدت الحرب بكم فجدوا .

هممت أن أسوق إلى الأستاذ ألوانا ممـــا جرى به قلمه من التهكم والسخرية والاستخفاف ولكنى بعد لحظات تذكرت أن هذا كاتب سبقنى إلى خدمة اللغة العربية بأكثر من عشرين عاما وليس من البر ولا المروءة أن نتعالم على رجال كانوا أساتذة يوم كنا طلابا وتذكرت بعد ذلك أن لى قراء كراما يراقبونى مراقبة شديدة ويحاسبونى على صغار الهفوات .

٢ — أن كنت ريحا فقد لاقيت أعصارا(٢) .

أننا لانستبيح لأنفسنا تحويل الخصومات العقلية إلى خصومات شخصية ولكن الأستاذ لطفى جمعه عاد فلاً مقاله بعبارات يعرف هو كيف صيغت وكيف بنيت على روح الغدر وأنا عائد إليه وماض فى مقارعته ليعلم أنى أصلب عوداً من أولئك الرجال الذين استلانهم فصال فى نقدهم وجال وألف على حسابهم الأسفار الطوال (يقصد طه حسين) .

ولقد استطاع الأستاذ أن يباهى بأنه شغل بهذه الموضوعات قبل اليوم وله فيها أبحاث ودراسات فأنى سأريه أن الأدب أصعب مرتقى وأعز منالا

---

(١) البلاغ — ٤ سبتمبر ١٩٣١

(٢) المصدر السابق — ١١ سبتمبر ١٩٣١ .

من أن يمتلك ناصيته من يقرونه فى أوقات الفراغ . ولست بهذا أغض من قيمة الأستاذ فهو رجل قانون ويعرف كما أعرف أن الأدب يقتل من يفرغ له قتلا ذريعا ولا يبقى له من الوقت ومن البال مايتفوق به فى القانون أو غير القانون . وقد تكون حرفة المحاماة قد علمت الأستاذ كيف ينقل مذاهب مهنته إلى الدراسات الأدبية التى يحاول أصحابها أن يصبغوها بالصبغة العلمية وتبعدها عن مداورات المحامين الذين يصورون الباطل بصورة الحق حين يشاءون .

عبد المتعال الصعيدى[1]

أن هذا الشك وتلك الشعوبية التى يجارى فيها زكى مبارك الأستاذ طه حسين قد فرغنا من أمرها معه منذ سنين وعندنا ماهو أهم منهما مما لا نحب أن نعطله إلى إعادة الكلام فيها وأن إعجاز القرآن وأعجاب العرب كان يرجع إلى بلاغته وإنشائه كما يرجع إلى روح ومعناه .

— هل القرآن الكريم من شواهد النثر الجاهلى ؟ ...

إن عند زكى مبارك مقياس قريب من كلام البشر أنفسهم فى عصر القرآن الكريم وعنده خطب الرسول وخطب أصحابها فلماذا لا يأخذ منها شاهدا على النثر الفنى ويعقد المشابهة بين كلام البشر فى العصرين ويترك كلام الله تعالى .

رد زكى مبارك[2]

أما أنا فأمثل مدرسة ثانية ، هى المدرسة التى تحكم العقل فى كل شىء

(١) البلاغ ـ ١٠ و ١٦ أغسطس ١٩٣١ .

(٢) المصدر السابق ٢٨ أغسطس ١٩٣١ .

وتفرض على الباحث أن ينقد أولا المصادر التي يعتمد عليها وتروضه على أدراك الفرق بين الأذواق والأحاسيس فى مختلف العصور الأدبية . ولهذه المدرسة الأدبية أشياع عديدون . ولكنى أمتاز من بينهم بميزة ظاهرة هى أنى لا أعرف ماهو الحقــد وما هو الضغن ولا أفهم مطلقا كيف تنقلب الخصومات العقلية إلى خصومات شخصية .

وفى يقينى إنى سأحول النقد الأدبى فى مصر تحويلا حديا وخلاصة القول إنى لا أتفق مع الأستاذ على الأساس الذى بنى عليه ماينشىء من النظريات والفروض . وأرى أن المدرسة التى يمثلها لا تتناسب مع الجيل الجديد وللمدرسة الحديثة أشياع عديدون . ولكن أمتاز من بينهم بميزة ظاهرة هى أننى لا أعرف ماهو الحقد وما الضغن ولا أفهم مطلقا كيف تتحول الخصومات العقلية أى خصومات شخصية يقال فيها هذا الله وهذا للشيطان .

الفصل الخامس

كتاب (أوراق الورد)

بين مصطفى صادق الرافعى ولطفى جمعه وإبراهيم المصرى

عندما أصدر (مصطفى صادق الرافعى) كتاب أوراق الورد قال إنه لون جديد من أدب الحب فى الأدب العربى لم يكتب من قبل ، وعرض فى مقدمة مطولة لفن رسائل الحب فى الأدب العربى خاص منها إلى أنه استحدث فنا جديدا فى الأدب العربى بكتابه هذا .

وقد واجه الرافعى مساجلات متعددة بالنسبة لأسلوبه وفنون كتاباته وكان هذا الكتاب فرصة جديدة لمعارك حول الأسلوب القديم والأسلوب الجديد فى الأدب العربى المعاصر .

١ — لطفى جمعه(١)

صاحب أوراق الورد : يريد القارىء على أن يعتقد أن أوراق الورد تكملة على كتابى رسائل الأحزان والسحاب الأحمر ، وإن لم يكن بين الكتب الثلاثة رابطة سوى كونها نوعا من الأدب الذى أراد الرافعى أن يظهر به الأسلوب القديم قادراً على مسابقة الأسلوب الجديد وأنه هو الكاتب العربى القح الصميم الذى لم يغرف من حياض الآداب الأوربية قادر على الغوص فى لجج المعانى والظفر بدرارى ولآلىء لا تقل عما يظفر به أهل الفرقة الجديدة من المحدثين .

إن كنا لا نزال نذكر أنه بجانب جمال أسلوبها ونقاء ديباجتها التى قد لا تجارى من حيث الفصاحة والبيان إلا أن المعانى كانت مبهمة وبها بعض الغموض ، لقد كان الأسلوب فى تلك الكتب يشبه ثوباً واسعاً جميلا مزركشاً ولكن لابسه طفل صغير ، وهذا هو الأثر الباقى فى ذهننا وربما كان الأثر خاطئا .

---

(١) البلاغ — ١٩ إبريل ١٩٣١ .

غاية الرافعى أن يظهر اللغة العربية بمظهر القادر على احتواء المعانى وكسوتها بأجمل شكل وأبهى صورة ، إذ العبرة فى نظره وفى نظر كل كبار الأدباء ليست بغرابة المعنى ، ولكن العبرة بجمال الشكل .

موضوع الجدل بينه وبين خصومه هو أنه يقول أنه لا يوجد فى العربية قديم وجديد ولكن يوجد أسلوب واحد فصيح من ذاق حلاوته ووصل للقدرة على احتلال ناصيته لا يسلوه ولا يستطيع التخلى عنه مهما أعطى من المزايا .

قد وجدنا الأستاذ قد قطع شوطا بعيدا فى التجديد من حيث لا يدرى ولعله بذلك أن يعجمهم بممارسة كافة أنواع الأدب بين دفتى هذا الكتاب حتى الشعر المنثور الذى ليس موزونا ولا مقفى .

٢ — إبراهيم المصرى(١)

الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ولوع بالأدب العربى وطريقة التأليف العربية تستهويه الجملة المتماسكة والعبارة المصقولة واللفظ السليم فيشتغل بالعرض عن الجوهر ويصيب من بلاغة القول أضعاف ما يصيب من بلاغة الحياة .

وهو غنى بالألفاظ غنى يحسد عليه ، لا يحفل بالفكرة وتناسبها وعمقها قدر احتفاله بصياغة اللفظ وحلاوته وحسن رنينه .

ومن هذه الناحية فهو فنان ، فنان مغرم بالشكل الظاهرى وتطريك أهازيج أسلوبه ، ولكنها لا تنفذ إلى قرارة نفسك ولا تستطيع أن تؤثر فى مجرى تفكيرك . على أن الرجل يحاول أن يفكر وقد يصادقك فى كتابه

---

(١) المساء — ٢٣ يوليو ١٩٣١ .

الجديد «أوراق الورد» خواطر مبتكرة رائعة ولكن إفراطه فى حب العبارة وتحتها يسوقه إلى تضحية الفكرة فى سبيل اللفظ .

والأستاذ مصطفى صادق الرافعى هو دون شك أقرب أدباء الثقافة العربية المحضة إلى روح العصر الحديث . نفى أسلوبه عذوبة وله نصوع وفيه لمحات من الشعر الوجدانى الصادق ولولا عبادة اللفظ المشئومة لكان شأنه غير هذا الشأن .

ولكن ماحيلته والثقافة الغربية لا تصل إليه واطلاعه لا يجاوز حدود الأدب العربى وبعض الأعمال الأوربية المترجمة .

والواقع أن أسلوب الرجل يتمثل فى الصراع الدائم بين النزعة الخيالية والنزعة الواقعية الأولى فيه تتغلب على الثانية وهذا سر ضعفه ولكنه لايلبث أن يهجر الخيال الأجوف ويتوخى البساطة والحقيقة حتى يعتدل أسلوبه ويفيض على القارىء بأروع العواطف وأفتن الأنغام .

٣ — رد مصطفى الرافعى

أنا أقرر أن البيان فى اللغة أسمى وأدق وأظرف من البيان فى لغة باريس ولندن وبرلين وغيرها ، وليس عندنا عبادة لفظ ولا ألاعيب ألفاظ ولاشىء يسمى استعارة أو مجازا فإن هذه كلمات اصطلحوا عليها بعد الإسلام عند تدوين العلوم ولم يعرفها العرب ولا تعمد صناعتها رجال البيان .

إنما البيان العربى فن دقيق يحقق فى اللغة ناموس الجمال وطبيعة الوزن .

قال لإبراهيم المصرى : إن كتابته لا تسمو إلى طبقة الفصيح وهو أمثاله يعيبون هذه اللغة بما يعجزهم منها كأنها اشتراكية لغوية .

إنى لأدعو كتابنا وأدباؤنا أن ينبذوا التقيد بآراء كتاب أوربا وأدبائها فهم قوم يصيبون ويخطئون . فإذا قالوا أن الفن فى كتابة الحب (أن ترى فيه قوة هائلة من قوى الغريزة الجامحة العمياء تشترك فيها المادة والروح . والعاطفة والشهوة) .

إن الفن عندنا فى كتابه فن إسلامى عربى يقوم على الضمير الطاهر والنزعة الشريفة وعلى الخلق القوى الدال على المروءة والشجاعة وضبط النفس ، وعلى الإيمان بحق المرأة فى الحياة وسموها . وإن كانت ضعيفة فلا يتغفلها الرجل ولا يطلب عزتها ولا ينتفع من ضعفها بل يحميها من نفسه ولا يكون معها كالمفترس يشبع من فريسته ويحيا من قتلها .

وقلنا لهم : أن الكتابة عندنا يجب أن يكون لتهذيب النفس الناشئة لا لإسقاطها ولضبط الغريزة الحيوانية لا لإثارتها .

وقلنا أن الكاتب الإسلامى يضع فى كتابته عن الحب نفسه لا أغراضه ويحيي بما هو الحى فيه لا بما هو حيوانى منه ويكون كالطبيعة نفسها تظهر للاعين مابدا من جمال الجسم وتستر عن الأعين مافى داخله .

أنا أعرف أن الأستاذ المصرى مأخوذ بآراء ديستويفسكى فهو من أجل ذلك ومن وجهة نظره نظر تقليد ينتقد الحب فى أوراق الورد بأنه : مجرد فكرة فلسفية أفلاطونية تحلق فى سموات الخيال .

« ولذلك أنت لا تسمع من خلال سطوره هدير الحب الإنسانى الحى » نعم يا صاحبى أنت لا تجد فى أوراق الورد قلما موسلا بالرفث والنخاسة والتعهر ولا تجد فيه مثل قولك أنت فى رواية سخرية الميول التى تقول فيها على لسان بطلها [ألست الرجل الذى تمرغ فى حمأة فسقه كتيس مخمور]

كلا يا هـذا لا تيس ولا مخمور ، التمس هـذا ونحوه عند صاحبك ديستويفسكى الذى يريد أن يقارف أبطاله كل محرم وأن يتمرغوا فى حماة الفسق كالتيوس المخمورة ليتألموا من بعد ذلك .. ثم يكون الألم آخر الأمر سموا وروحانية .

هذه سخافات دنيئة بعيدة عن الفن تتضع عن قدرة النفس المؤمنة ويجب أن لا يكتب فيها كاتب مسلم ولا كاتب شريف .

الفن عندى فى الحب أن يبدأ فى المرأة ولـكنه لا ينتهى فيها .

فالمرأة طريقة لا غاية وهى وسيلة لفهم الجمال وإدراكه فيما هو أجمل منها ، أى فى الوجود نفسه بكل ما فيه ، كان الخلود الروحى فى الإنسان يحاول بالحب أن يحس معانيه السامية الخالدة .

أما أنى أرى أن شيوع الـكتابة فى الحب المادى الفاسق ليس معناه إلا تحول نساء الأمة التى يشيع فيها ذلك إلى بغايا ..

وهذا هو رأيى وهذا هو الفن عندى .

٤ — رسائل الحب فى اللغة العربية — زكى مبارك

كان الأستاذ محمد على غريب استـكثر على الأستاذ مصطفى الرافعى أن ينـكر خلو اللغة العربية من رسائل الحب وقال قد يـكون هذا الرأى صائبا فلم ينته إلينا مؤلف كهذا إلا ما تفرق بين أسفار الأدب من بعض الرسائل مما جرى بين المحبين .

وقرأت رد الأستاذ الرافعى ونقضه هذه الجملة إذ قال [فأين هذه الرسائل التى تشقت فى أسفار الأدب . انها كلمة تـكتب فى دقيقة ولـكن برهانها لا يجىء إلا من عمر طويل يفوق على مكاتب الدنيا فى مشارق الأرض ومغاربها .

وأنا أحب أن أقدم للقراء نماذج من رسائل الحب التى عثرت عليها فى كتب الأدب بدون أن أبذل عمرا جديدا فى طلبها .

لقد قرأت كتاب أوراق الورد واستجدته وفى رأيى أن المؤلف لاغضاضة عليه فى أن يتنازل عن الأولية فى كتابة رسائل الحب فقد كانت للناس أقلام وقلوب منذ مئات السنين .

الفصل السادس

كتاب ثورة الأدب

بين فريد وجدي والدكتور هيكل

هذه المعركة نموذج طيب للنقد فى الأدب العربى المعاصر ، فهى مساجلة خلت من كل عبارات السخرية أو الغرض أو الاندفاع وراء الأهواء ، ناقش بها محمد فريد وجدى آراء الدكتور هيكل فى كتابه (ثورة الأدب) مناقشة موضوعية هادئة .

بحث[1] فى ثورة الأدب — من فريد وجدى

قال هيكل : الأدب فن جميل غايته تبليغ الناس رسالة مافى الحياة والوجود من حق وجميل بواسطة الكلام . والأديب هو الذى يؤدى هذه الرسالة .

فريد وجدى : فى رأى أنا أن هذا التجديد على افتراض صحته ناقص : وكان حقه أن يقول : أن غاية الأدب تبليغ الناس ما فى الحياة والوجود من حق وباطل وجميل وقبيح وخير وشر ، فإن فى الحياة والوجود كل ذلك بدليل أن كثيرا من القطع الأدبية نثرا وشعرا قديما وحديثا قد بالغت فى الباطل والقبيح والشر إلى حد أن أنكرت معه الحق والجميل والخير معبرة عن مذهب المتشائمين من الفلاسفة وهذه القطع من الكثرة بحيث لا يمكن أن تعتبر من النادر الذى لا حكم له .

وهذا الاقتصار من الدكتور فضلا عن أنه يخل تعريف الأدب فإنه يدمجه فى دائرة الفلسفة التفاؤلية فإن غرضها هى أيضاً بيان مافى الوجود من حق

---

(١) الأهرام — ١٨ يونيه ١٩٣٣ .

ثم قال : «نحن هنا بإزاء أديبين كبيرين يكتبان فى موضوع واحد فيقول أحدهما : أن كل حركة فى حياتنا الأدبية اليوم ثورة وأن المحافظين أنفسهم ثائرون على ما يؤيدونه . والآخر يقول أن حركة مهما كبرت عندنا وعند غيرنا يصح أن تسمى ثورة » .

ولو سألت أديبا ثالثاً ورابعاً وخامساً على أن يكتبوا لوجدوا وجوها أخرى من الخيال والتلاعب بالألفاظ فى تعليل صحة اسمه وفى التدليل على عدم صحته تناقض هذين الرأيين(١) .

— ٢ —

عرض لما ذكره هيكل من أن الأدب فى ثورة منذ الثورة العرابية وإلى الإحتلال إلى ثورة ١٩١٩ .

ثم قال : نحن نخالفه فى وجود ثورة أدبية أولا . ونقرر أن هناك نهضة لغوية لا أكثر ولا أقل .

وقال : إن أركان الثورة غير مستوفاة وقال إن الثورة كما عرفها العلم هى انقلاب فجائى يحدث فى الأشياء والآراء أو الحكومة فلدينا بموجب هذا التعريف أركان ثلاثة : أولها الانقلاب والثانى الفجاءة والثالث العنف .

ونحن إذا بحثنا فيما نحن بصدده لم نجد واحداً منها فلم يحدث انقلاب فى اللغة فإن ما كان يكتب به الناس على عهد محمد على هو ما نكتب به اليوم اللهم إلا تعبيرات اقتبسها بعض الكتاب عن اللغات الأوربية لا يزال يعف عنها كبار الكتاب ويعدونها مجافية لروح البلاغة العربية وكل ما حدث هو ميل هؤلاء الكتاب الكبار عن طريقة الترسل التى كان قد أغرى بها كتاب القرون

---

(١) الأهرام — ١٨ يولية ١٩٣٣ .

الإسلامية الوسطى من الإطالة والتحذلق والتخطيط إلى الطريقة البدوية الصريحة الموجزة التي تهجم بالقارئ على الغرض من أقرب الطرق وأوقعها في النفس.

ثم يحدث عن تطور اللغة في عهد عبد الله نديم ومحمد عبده ... « فجرى هؤلاء بالعربية شوطاً بعيداً وعملوا على نشرها بين أحاد الشعب فزادوا في تذوقهم اللغة الصحيحة وتبع ذلك تحسن كثير في اللهجة العامية.

وبينما اللغة تسير سيراً طبيعياً (بطيئاً) في هذا الدرب إذا برأى إرتآة بعضهم وعده شرطاً أولياً في إنهاض الأمة من الناحية الأدبية ، وذلك بإشراكها في كل ثمرات العقول مؤداه توحيد لغتي الكلام والكتابة بالاعتماد على اللغة العامية مستنداً في ابداء هذا الرأى على ما حدث لجميع أمم العالم من اتخاذ لهجة الكلام في كل منها لغة للأدب والعلم والدين معاً . واهمال اللغات الرئيسية التي اشتقت تلك اللهجات منها فثار على هذا الرأى بعض الكاتبين وعاونهم العامة أنفسهم بالتقزز منه . وكان السائق إلى هذا الاجماع المحافظة على لغة القرآن وحمايتها من التدهور فيحال بين الناس وبين كتابهم السماوى المعجز . وما هى إلا بضع عشر مقالة حتى قبع صاحب هذا الرأى في كسر مكتبه ولم يجرؤ على استئناف البحث فيه(١).

ثم شرح الوسائل إلى تقريب الشقة بين لغة الكتابة ولغة الكلام وهى حروف الكتابة وحروف الطبعة على وجه يكفل عدم اللحن . ووجوب النظر في إصلاحها بواسطة جماعة من كبار أهل العصر . يستند إليهم ابتكار طريقة صالحة لأن يقرأ بها قراءة صحيحة بدون. الجأ إلى معاجم اللغة فإذا كتبت هذه اللغة بحروف تمثل النطق بكاملها .

... ثم قال :هذا الداء الناجز الذى فتك باللغة العربية ومزقها شذر مذر

---

(١) يشير الكاتب إلى مقالات لطفى السيد فى الجريدة عام ١٩١٣ .

وجميل . وهذا الادماج لو صح فى بيئة لا تزال على حالة السذاجة الأولى فلا يصح فى بيئة أخذت من الفلسفة والعلوم بحظ كالبيئة التى نعيش فيها وقد أصبح تحديد منطقة الأدب من الضرورات العقلية للعلة التى ذكرناها .

هيكل : الأدب من الفلسفة وفن العلم كالزهرة الجميلة وكالثمرة الناضجة وكالخمرة : النضرة من الشجرة الضخمة شجرة الفلسفة . فلكى تكون حديقة الأدب جميلة ولكى يكشف الأدب للناس عما فى الحياة من حق وجميل يجب أن يتغذى ما استطاع من ورد الفلسفة وورد العلم .

(فريد وجدى) : وفى رأيى أنه لو قال «الأدب من اللغة الصحيحة المعقولة ومن الخيال العالى الجذاب كالزهرة الجميلة والثمرة الناضجة ولكى يكون مادة الأدب اشهى للمتناول ولكى يكشف الأديب للناس عما فى الحياة من حق وباطل وجميل وقبيح وخير وشر يجب أن يتغذى ما استطاع من ألباب الفلسفة والعلم .

هذا التعريف أقرب إلى تعريف الأدب النافع ، والأدب الصالح . واجمع لأدواتهما من التعريف الأول . فنحن اليوم لسنا بحاجة إلى التأنقات الكتابية والإطلاقات الخيالية فى وضع حدود لمناطق النشاط العقلى ولكن بحاجة ماسة إلى تسمية كل شىء باسمه وقرنه بميزاته ليقف عند حده .

ثم عرض لما كتبه طه حسين عن الكتاب فقال عنه « وهل حياة الأدب العربى فى هذه الأيام إلا ثورة متصلة . كل انتاجنا الأدبى ثورة حتى الذين يسمونه أنفسهم محافظين ويلحون فى المحافظة ، هؤلاء أنفسهم ثائرون يفرون من القديم الذين يحرصون عليه » .

وعرض لما قاله المازنى « أو من بأن الثورات أكاذيب وأنا أدور بعينى فلا أرى ثورة متصلة ولا منقطعة لا فى الأدب ولا فى سواه . وإنما أرى خطوات بطيئة طبيعية » .

لا يزال يفت فى عضدها إلى اليوم ويقطع عليها سبيل الاتصال بالذهماء !

— ٣ —

قال هيكل : وقد احتدمت معركة القديم والحديث هذه منذ سنين طويلة وتنقل المحاربون فيها فى ميادين مختلفة ، كانت هذه الميادين قبل الحرب العامة) تتناول أساليب الكتابة الكتابة وتتناول الالفاظ العلمية وغير العلمية إلى يومئذ كانت الغلبة لأنصار تقليد الأدب القديم وكان السجع والأغراب فى اختيار الألفاظ بعض مايمتاز به كتاب العصر :

(فريد وجدى) : ونحن نرى أن إيراد تاريخ الادب على هذه الصورة يطمس معالمه . لم تحتدم معركة ما بين قديم وحديث فى أساليب الكتابة ولا فى نقل الالفاظ العلمية غير العلمية إلى العربية .. ولا كان السجع والاغراب فى الالفاظ مميزين للبلاغه العربية ما قبل الحرب العالميه ...

والذى يعرفه كل مطلع على تاريخ هذه اللغة أن الكتاب كانوا احراراً فى تخير أساليبهم . لم يحجز على كاتب أسلوبا يتميز به إلا ما كان من استحسان الناس أو استهجانهم له شأن أسلوب كتابنا إلى اليوم ، نعم أعتبر السجع وجها من وجوه المحسنات اللفظية ولم يقل أحد أنه الاسلوب المميز للبلاغة العربيه .

وكيف يعقل أن تتشبث أنصار القديم بالسجع والأعراب . وقد قال أئمتهم الأولون بان السجعة لا بأس بها أن جاءت عفواولم يكن بها تكلف. وقد وعدوا الأغراب فى الألفاظ من العيوب التى تحط من قدر البلاغة ، أما الالفاظ العلمية فلم تنشب بسببها لدينا معركة ، وكل ما حدث حولها شكوى الكاتبين والمترجمين من حيرتهم حيالها والتماسهم من كبار العارفين بالعربية العمل على تعريبها تعريباً لا يجافى أصول اللغة الصحيحة .

نعم ، رأى بعضهم أن تكتب تلك المصطلحات على ما هى عليه ، ورأى

---

(١) ٢٣ يونيه ١٩٢٣ ـ الأهرام .

الآخرون تعريبها . ولـكن لم يتعد هذا الخلاف منطق الحوار إلى النزال والنضال فكان الأولون يقولون أنهم يستغنون بتلك الألفاظ أسنة وأثلها فأنهم لم يتحرجوا أن يطلقوا على كل علم أو أداة أو عقار أسم مستكشفيه ، وكانت حجة الآخرين أن العربية تسع جميع المصطلحات فيمكن أن يطلق عليها ألفاظ عربية فلم يصادف رأى أحد الفريقين إجماعا وظل كبار الكتاب يكتبون ما يبدو لهم غير مقيدين بمذهب ، أما صور الأدب وما يصح أن يكون عليه فلم يعترك عليها قلمان . ولم يقل أحد بوجوب قصر تلك الصور على حال لا يجوز تعديلها .

وتخير الأسلوب يرجع إلى ثقافة الكاتب العلمية وقدرته اللغوية فكل ما شهدناه فى هذا الباب أن شبابا ممن لم يتسع لهم الوقت لدراسة العربية يريدون فى نفس الوقت أن يكونوا كتابا ونقده أدب أكثروا من الكتابة فى وجوب التحلل من قيود العربية وفى الاشارة بسمو الأساليب الغربية وجعلوا من اللغط حول هذه المسألة مادة ليوهموا قارئيهم بأنهم فى طليعة أهل التجديد . والواقع أنهم قاصرون فى اللغات التى يدعون إلى تحدى أساليبها قصورهم فى العربية نفسها ولـكن لأجل أن يعتبروا فى الرعيل الأول من المجددين كان لابد لهم من كلام يلوكونه بالسنتهم ويصرفونه باقلامهم كلما لاح لهم الكلام أو الكتابة فإذا طلبت إليهم أن يستنوا بالسنة التى يدعون إليها أتوا بكلام سمج مزدول من العبارات التى لا تمت إلى أحد الأسلوبين بصلة .

أن اللغة العربية لم تبلغ إلى اليوم على أقلام كتابها السمو الذى كان للغة فى عهدها الذهبى عند اسلافنا . وفى رأينا أنها كانت قد وصلت إلى منزلة من الصقل والفخامة تستطيع معها أن تقف جنبا إلى جنب مع أية لغة من لغات الغربيين اليوم .

نعم؛ أن أكابر كتابنا ليقصرون عن أن يبلغوا شاو فحول العربية في عصرنا القديم لا من ناحية تخير الالفاظ والابداع في صوغها فحسب ولكن في أسلوب الاداء ودقة التركيب أيضاً .

— ٤ —

الدكتور هيكل : إن شبابنا الذين وفدوا إلى أوربا كانوا قد فتنوا بالأدب الكبير فيها فلما عادوا كان هذا الأدب الكبير قد دالت دوالته وحل محله نوع من الأدب يصح أن يوصف بالصغير .

(فريد وجدى) : أن ما يسميه الدكتور بالأدب الكبير في أوربا في العهد الذي كان شبابنا يدرسون الأدب فيها كان يعتبر في نظر أئمة الأدب في القرن السابق أدبا صغيراً قصد به الكتاب أرضاء شهوات النفوس وأمتاعها بذكر اللذات الجسدية . وكان علماء الاجتماع يعدونه خروجا بالأدب عن صراطه إلى مالا يتفق ومصلحة الاجتماع وشبابنا لما يلزموا سمت الأدب الأوربي الذي يصفه هيكل بالكبير ولكنهم يجرون على سنة ما يدعونه بالأدب الصغير الذي يخدم شهوات النفوس ويثير فيها ما كمن رعوناتها البهيمية فكل ما يكتبه قصاصونا وما تمثله مسارحنا اليوم صورة صحيحه من هذا الأدب الصغير بل هو ترجمة حرفيه له يصح أن توصف بكل ما وصف به الدكتور هذا الأدب المنحط وكيف يتأتى أن يكون الأمر على غير ما يقول وقد تشبعنا بروح الفلسفة المادية وتدهورها في أخلاقنا وعاداتنا إلى حيث لم يصل إليه الأربيون بعد ، أفيستطيع ناقد بصير أن يعين لى وجها من وجوه الخلاعة والتهتك وضربا من ضروب الاستخفاف بالآداب والاخلاق مما يصادف في أوربا لم نأخذ به ولم نسبق أهله فيه . . .

---

(١) ٧ يوليو ٢٩٣٢ ـ الأهرام .

(هيكل من الحضارة) : إن الكثرة من الأدباء رأوا أن تكون تلك الحضارة حضارتنا الماضية .

(فريد وجدى) . وهذا فى نظرنا رأى غريب بل هو من المستحيلات العقلية فإن أدب أية أمة لا يمكن أن يكون إلا مظهراً لحضارتها الراهنة التى هى عليها ، لا حضارة ماضية إلا كان عبثا محضا .

كيف يعقل أن يكون مظهر الأدب حضارة قديمة قد لا يعرف القراء عنها أكثر مما قرأوه فى الكتب المدرسية وكل من طالع ما كتبه كتابنا وما يكتبون لا يجد فيه غير مظاهر حضارتنا الحاليه .

والأدب لا يكون إلا مظهر حضارة الأمة فى الوقت الذى يكتب فيه . لأن الأدب مبنى على وصف الواقع وما يمكن أن يقع .

فإذا قيل أن الأدب الأوربى قد حمل نير المدينتين اليونانية والرومانية أجيالا فلا يعنى أن القطع الادبية فى أوربا كانت توضع فى قوالب حضارة يونانية أو رومانية ولكن بمعنى أنها حملت تقاليـــدها العلمية والفلسفية والشرعية واللغوية .

وهذا النير محكوم ببقائه على عاتق أوربا ما دامت علومها وفلسفاتها وشرائعها مستمدة من هاتين الأمتين .

ونحن على هذا القياس محكوم علينا بحمل نير التقاليد اللغوية والعلمية والفلسفية والتشريعية لأسلافنا عن طريق الحتم لا التمييز .

يقول الدكتور : ورأى لأقاوم الأخذ بالحضارة الأوربية فى كل مظاهرها كا فعل الأتراك .

ثم علق على ذلك بقوله : أن كلهنا فى هذه الجيل كفرمى رهان فإننا

مدفوعون للأخذ بحضارة الغرب فى كل شىء — فى لباسنا وأكلنا وعاداتنا وثقافتنا العقلية لا يمتاز عنا الترك إلا فى شىء واحد ، هو أنهم أشد تحوطا من الفناء فى جثمان الأمم الغربية منا لأنهم يأخذون بمظاهر مدنيتهم مع الاحتفاظ بقوميتهم.

ولكننا لا نحتفظ بمميزات قوميتنا . وقد تركنا لعوامل التحلل تنتاشها من كل جانب فكثير منا يتكلمون فى بيوتهم باللغات الأجنبية والتكلم بغير اللغة التركية محظور فى تركيا فنحن لا نكتفى بالأخذ بمظاهر المدنية الأوربية فحسب . ولكننا نهدر قوميتنا فى سبيلها والترك مع أخذهم بمظاهر هذه المدنية يقتبسون حوافظ قومياتها أيضاً .

فإن كان عندنا أدب فليجعل همه التنبيه على هذه النقائص القومية فإن لغتنا أثرى اللغات ألفاظا وأرقها منطقا وأدقها معانى فلا يحل لنا أن نحملها نهباً للعجمة تتحيفها من جميع نواحيها . وأننا لنأسف أن كتابنا قد وقفوا أدبهم على الهوى .

— ٥ —

تحدث عن رأى الدكتور هيكل من مهمة الأدب فى « تجلية جانب الإيمان فى النفس » .

كيف يرجى من أديب كل همه مصروف إلى تحليل عاطفة الهوى ودرس تيارات الجوى أن يتناول بالبحث أعلى عواطف النفس وهى عاطفة الدين بمثل أسلوبه الذى مرن عليه واستولى على شعوره ، وهى تستدعى أسلوبا يجافى ذلك الأسلوب . ولا يمت إليه بصلة من درس النفس فى حالة عزوفها من الشهوات الجسدانية .

أمن الحق أن يكلف الكاتب التبريز فى تصوير المتناقضين فيراد منذ

أن يقدله فى الجمال الصورى ثم أن يعود فيضرب بهذا كله عرض الحائط ويدرس عاطفة تحقره كل الاحتقار .

ولسنا ننسى ما جره تدخل الأدباء فيما ليس من اختصاصهم فى العشر السنين الأخيرة فى المباحث الدينية فقد تناولوها على طريقة الماديين وأثاروا فيها شكوكا لا محل لها لو كانوا عنوا بدراستها دراسة علمية فكان من أثر ذلك أن هاجوا الناس عليهم هياجا مشروعا فخرجوا من هذه المعمعة على غير ما كنا نرجوه لهم .

ولا ندرى كيف ساغ للدكتور هيكل أن يقع فى هذا الخطأ بعد ما رأى من هذه التجربة المؤلمة ، وهو بكتابه يرمى إلى تأييد الدين لا إلى إفساد عقائد الناس فيه وأثاره الشبهات عليه ولا إلى قطع صلة الماضى بالحاضر معه .

ومن الأمثلة القريبة على ذلك أن إماما من أئمة الأدب فى بلادنا انتدب لإلقاء خمس محاضرات فى الجامعة الأمريكية عن الأدب فى العصر الأموى فكان مما قاله : أن الخليفة الوليد بن يزيد انما قتل لأنه كان يود أن يعيش على ما تقتضيه الحضارة فكان جزاؤه أن لقى حتفه .

فايراد التاريخ على هذه الوجه جناية على التاريخ وعلى الحقائق الاجتماعية ويشين الدين الذى ينتمى إليه الخليفة . فالذين لم يدرسوا تاريخ بنى أمية دراسة علمية ولم يقعوا على سيرة هذا الخليفة يصدقون هذا الحديث ويستفكرون ما حدث له .

والحقيقة أن الوليد هذا كان متجرداً للهو والبطالة ، شغوفا بالفسوق والاباحة مستخفا بالدين مجاهراً بالكفر . فهل هذه السيرة المعوجة من إهمال الرعية والانقطاع للهو يعتبر من مقتضيات الحضارة .

---

(١) ١٩٣٣/٧/١٠ ـ الأهرام .

الفصل الثالث

(كتاب) مع المتنبي

بين محمود محمد شاكر وطه حسين

هذه مساجلة من نوع آخر : عرض فيها محمود محمد شاكر لآراء الدكتور طه حسين التي أوردها في كتابه (مع المتنبي) .

وهذه المعركة نموذجا من معارك كثيرة من نوعها جرت (بين الشباب والشيوخ) من ناحية وبين (مدرستي المحافظة والتجديد) من ناحية أخرى وبين نظريتي (الترجمة ودراسة تاريخ الأعلام) : (إحداهما : التي تمزق الحجب عن الشخصيات على أساس أثارة الشكوك وافتراض الفرض ثم التدليل عليها . والثانية : التي تنظر في تجرد علمي إلى مختلف العوامل التي أثرت في تكوين الشخصية من غير تحيز أو خصومة .

المتنبي : بين طه ومحمود شاكر(1)

وصف شاكر كتاب طه حسين [مع المتنبي] بأنه [جيد النسق جميل الرونق . لو عني عالم عزب لألقى في أهميته أن يكون له بعدادها ولد يحملون عنه العلم من جيل إلى جيل] .

ثم قال أنه — أي شاكر — عاش مع المتنبي زمنا وكتب عنه كتابا متواضعا في ١٧٠ صفحه نشره المقتطف (يناير ١٩٣٦) فمن حق المتنبي [على أن أقرأ ما كتب عنه الدكتور طه وغير الدكتور طه . كما أنه من حق نفسي على أن أضع التاريخ في موضعه الذي أرخته به مجلة المقتطف .

فإن التاريخ لا يصلح معه الأدب الذي أدبنا به الله تعالى في قوله [يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم] فوالله أنا لنفسح للدكتور الجليل في مجالسنا حتى يبلغ الغاية التي هو لها أهل

---

(1) البلاغ ١٣ فبراير ١٩٣٧ .

وعلى ودنا أن نفسح له فى التاريخ أيضاً .. لولا أن التاريخ « يحتج بشدة » .

وكان أهم ماركز عليه شاكر هو مولد المتنبى ، فقد سجل طه حسين فى كتابه أن مولد المتنبى كان شاذا وأن المتنبى أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته كلها » .

قال شاكر :

« إن الدكتور طه رجل عبقرى ليس فى ذلك شك عندى فهو من قبل شكه فى نسب أبى الطيب قد استطاع بتوفيق الله أن يتغلب على خصومه والمناوئين له واستطاع أن يقوم كالجبل لا يعمل فيه السيف عمل السيف . ويعمل هو فى السيف عمل الجبل فى تثليمه وتكسيره ورجع السيف عوده على بدئه حديدة لا ينفع ولا يقطع .

ولكن هل يستطيع الدكتور الجليل أو كتابه الأجل أن يجيبنى لماذا شك فى نسب أبى الطيب . وما هى الأسباب الذى دفعته إلى هذا الشك . أما الدكتور الجليل فأكبر الظن فيه أنه يترفع — على عادته — عن الإجابة فهو رجل عبقرى والعبقرى لا يقال له لماذا ، فإذا قيل لماذا ، زوى وجهه وانصرف وترك سائله لصخرة الأعشى التى ذكرها لامهته المشهورة ، أما كتابه الأجل فهو أطوع لسائله وأسرع إلى جوابه .

أن الدكتور يزعم « أنك إذا قرأت ديوان أبى الطيب مستأنيا متمهلا لا تجد فيه ذكراً لأبيه وإنك تجده لم يمدحه ولم يفخر به ولم يرثه ولم يظهر الحزن عليه حين مات ، وهذا كاف فى تشكيك العلماء فى نسب أبى العلاء . . وهو كاف فى اليقين بأن للمتنبى لم يعرف أباه ، هذه هى الأسباب التى وقفت الدكتور طه .. إلى الشك فى نسب المتنبى فمن حق المتنبى علينا أن ننظر

فيها ، أهى مما يحمل على الشك فى نسب رجل لم يشك فى نسبه الذى رواه المؤرخون أحد . من يوم أن روى ذلك النسب إلى اليوم .

إلا فليحدثنا الدكتور طه : أيكون لزاما على كل شاعر أن يمدح أباه وأن يفخر به وأن يرثيه وأن يظهر الحزن عليه حين يموت ، فإن لم يفعل الشاعر ذلك فهو شاعر لا يعرف أباه ! أنى أجد من الشعراء من فخر بأبيه وقد كان ذلك فى شعر كثير .. وأجد فيهم كثيرا لا يعد كثرة لم يفخر بأبيه ولا ذكره فى شعره ، أفكل هؤلاء لم يكن يعرف أباه . ولا يثبت نسبة لضعفه وخسته .

ليحدثنا الدكتور الجليل عن هؤلاء الشعراء الذين أظهروا الحزن على آبائهم حين ماتوا ، وليرجع الدكتور إلى ماشاء من كتب الشعر وكتب الأدب فيجمع لنا أسماء الشعراء الذين رثوا أباءهم وحزنوا عليهم وليثبت أن هؤلاء كانوا من الأشراف ذوى الأنساب وأن سائر الشعراء الذين لم يفعلوا مثل الذين فعلوا من السوقة الملطمين الاقطاء الذين لا يعرفون أباءهم ولا يثبتون أنسابهم .

أن الدكتور طه رجل ذكى صاحب حيلة نفاذ . فربما رأى الرأى فأراده ليتخذه رأيا فيختلق له الأسباب فيرى الأسباب لا تغنى فى الرأى وأن الاعتراض يأكلها سببا سببا فيحتال بحمل الاعتراض فى سياق قوله ، ويأتى به على وجهه ليجعله ظهيرا لرأيه وهذا الذى نقوله ليس برغم من عند أنفسنا بل هو ماترى .

ورأى الدكتور طه أن إغفال الشاعر ذكر أبيه لا يدل على شيء البتة وأن الشعراء الذين لم يفخروا بآبائهم ليسوا أقل نسبا ولا أحط مغرسا من الذين فاخروا ونافروا أباءهم ، وأن التاريخ يحدثنا أن أبا جرير الشاعر لم

يكن شيئا وأن جرير أضاف إليه من إنحلال الخصال والأخلاق ما لم يكن منه بسبب حتى خلب به الشعراء وقهر الفحول ثم لم يمنعه ذلك من أن يظهر للناس كما هو ليثبت لهم أن شعره كان أكبر من غروره .

لقد عرف الدكتور .. أن المتنبى هو الشاعر الذى رمى شعراء عصره فأصماهم فغلبهم فذهب بأرزاقهم عند الأمراء ، كان يستطيع أن يفعل مافعل جرير وأن يفخر بأبيه السقا على أبى فراس الحمدانى وغيره من اشراف الشعراء فى عصره ، وعرف أن كثيرا من الشعراء غير جرير قد فخروا بآبائهم على من كان أكرم أبا وأما ، فماذا يفعل الدكتور بعد ذلك . أنها لمشكلة تلد مشاكل ، إذن فما الذى يضيره أن يقول : أما المتنبى فلم يستطع شعره أن يغلب غروره ولم يستطع أن يضيف إلى أبيه ماليس فيه .

حقا أن الدكتور طه حسين رجل صاحب حيلة لاتفرغ ، وحقا أن له فنا غلب به أهل الفنون وحقا أنه لعبقرى ، هذا الدكتور الذى يقول أن شعر جرير قد أعانه على أنه يخلق خلقا جديدا .. فإذا كان المتنبى لا يعرف أباه كما يزعم فإن ذلك لابأس به لأنه إذا أراد أن يصوره فلن يرجع إلى حقيقته لينتزع منه الصورة كما أن جرير لم يرجع إليها وإنما المرجع هنا إلى شيطان الشعر فهو وحده الذى لا يخلق أباه خلقا جديدا . وجهد المتنبى فى هذا أقل من جهد جرير .

فشيطان أبى الطيب كان أنثى ضعيف المنه قليل الخير يكذب صاحبه فى طلب الخيال القوى للآباء . وكان شيطان جرير ذكراً فحلا قد امتلأ قوة لايطلب خيالا إلا أدركه وظفر به وغالب به الشعراء .

أنى أشفق على الدكتور طه حسين من بدوات عبقريته (فهى تصور له

الأشياء كما تريدها هي لا كما يجب أن يكون فتتورط فيحتال فتكون حيلته كالكذبة البلقاء لا تجد من يسترها .

لقد مضى على زمن وأنا أجد اللذة فى تتبع كتب الفكاهة فكان أعجب ما يعجبنى منها المحالات ، وهو الكلام الذى يأتى به الرجل تحسبه مستقيما وهو محال لا يكون ولا يفهم على وجه من الوجوه .

وأشهد الله أن فن الدكتور طه فى شرح هذا الشعر أعجب إلى الآن من ذلك . كيف لا وهو عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية وهو بعد ذلك أمام الأدباء المجددين فى هذا العصر . أى امرىء فى القراء فهم شرح الدكتور الذى نقلناه ذله عندنا ثلاث نسخ من كتابنا عن المتنبى . .

أى شيء هذا الذى يقوله الدكتور « أنه ينسب نفسه إلى متجزىء بعضه يمتاز عن كله » أنا أتولى تفهيم الدستور معنى هذا الشعر فالمتنبى يقول : أنا ابن من ولده يفوق أبا الباحث ويعنى بذلك نفسه . هذا كل ما أراد المتنبى أن يقول والذى أوهم الدكتور فأوقعه فمرغ كلامه فى هذا (المتجزىء الذى له بعض يمتاز عن كله) أهو قول أبى الطيب (بعضه) فى البيت . .

أن الدكتور طه حسين (عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية) رجل قد أثبتت التجارب والأيام ثم مؤلفاته أنه لا بصر له بالشعر ولا بمعانيه .

الفصل الثامن

معركة مستقبل الثقافة

بين طه حسين وساطع المصرى وزكى مبارك و م . محمد حسين

أثار كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) الذى أصدره الدكتور طه حسين عام ١٩٣٨ ضجة كبرى ومعارك متعددة : فقد صدر هذا الكتاب عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ حيث أن الاستعمار يركز جهوده فى حركة « التغريب » وخاصة الغزو الثقافى الفرنسى الذى أراد أن يعوض مافقده من الأرض بالغاء الامتيازات الأجنبية وسيطرتها على الارساليات التعليمية . ويحاول أن يفرض على مناهج التربية والتعليم أهدافا من شأنها القضاء على كل معالم الشخصية الاسلامية وذلك بالقضاء على (١) أنظمة التعليم فى الأزهر (٢) اعتبارات مصر العربية . (٣) مقومات الكيان العربى . (٤) أثر الدين والإسلام بالذات فى ثقافتنا وتفكيرنا .

فقد وقفت فرنسا منذ توقيع اتفاقية مونترو سنة ١٩٣٧ لإلغاء الامتيازات مالم تتأكد من أن حملتها فى التغريب فى مصر ستظل محروسة وفى هذه اللحظات الحاسمة أهدى طه حسين وشاحاً نيراً من جامعة ليون التى تعلم فيها وعاد هو يحمل معه أصول هذا الكتاب .

وبعد أن كانت هذه المعركة تدار عن طريق آراء المستشرقين أمثال جب وماسنيون والمبشرين وغيرهم أمثال ولكوكس وزويمر وغيرهم ، أصبح هناك من الكتاب العرب من يحمل لواء هذه الأفكار ويدعو إليها كمحاولة لتثبيت دعائم التجزئة وخلق ملامح مصطنعة لما يسمى بالفكر المصرى المنعزل عن الفكر العربى .

وقد رد ساطع المصرى رداً علميا على آراء طه حسين وفند مافيها من اضطراب وخطأ وانحراف . وقال الدكتور م . محمد حسين أن معظم هذه الآراء منقولة من دعاة التغريب الذين يهدفون وفق خطة شاملة إلى تغريب الفكر العربى وتجزئته والقضاء على مقوماته ومعالمه وأن طه حسين حاول أن يثبت أن مصر ليست جزءا من الأمة العربية .

وهذا مجمل آراء طه حسين :

آراء طه حسين

إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره

وما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع (نظرية الانصهار فى حضارة الغرب) .

٢ — العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشىء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط . وأن تبـادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها فى شعوب البحر الأبيض المتوسط .

٣ — إذاً فالعقل المصرى القديم ليس عقلا شرقيا ، وقد نشأ هذا العقل المصرى فى مصر متأثراً بالظروف الطبيعية والإنسانية التى أحاطت بمصر وعملت على تـكوينها . فإذا لم يكن أن نلتمس أسرة العقل المصرى نقره فيها فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول (نظرية البحر المتوسط) بحر الروم .

٤ — التاريخ يحدثنا بأن رضاها « أى مصر » عن السلطان العربى بعد الفتح لم يبرأ من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة فى ظل ابن طولون فلما كان فتح الاسكندرية للبلاد الشرقية واستقرار خلفائه فى هذه البلاد اشتد اتصال الشرق بحضارة اليونان واشتد اتصال مصر بهذه الحضارة بنوع خاص . وأصبحت مصر دولة يونانية »(محاولة هدم صلة مصر بالأمة العربية) .

٥ — لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها فى الحـكم ، ونسير سيرتها فى الإدارة ونسلك طريقها فى التشريع ، التزمنا هذا كله أمام أوربا . وهل كان امضاء معاهدة الاستقلال ومعاهدة الغاء الامتيازات إلا التزاما صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين فى الحـكم والإدارة والتشريع ، فلو هممنا الآن أن نعود أدراجنا وأن نحيى النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلا ولوجدنا أمامنا عقبات لا تجتاز ولا تذلل .

٦ — شيء آخر لابد من التفكير فيه والطب له . وهو أن التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر أساغة الوطنية القومية بمعناها الأوربى الحديث . أن التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر أساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوربى الحديث .

(نظرية القومية الضيقة والتجزئة)

٧ — إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للقومية السياسية ولا قواما لتكوين الدول . إن المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع العملية وعدلوا عن أقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضاً ، وقد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة وهى أن السياسة شيء والدين شيء آخر .

٨ — يجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل المصرى أو لم يغير عقل الشعوب التى اعتنقته والتى كانت فيه متأثرة بهذا البحر الأبيض المتوسط . بل يجب أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول مطمئنين : أن انتشار الإسلام فى الشرق البعيد ، وفى الشرق الأقصى قد مد سلطان العقل اليونانى وبسطه على بلاد لم يكن قد زارها إلا لماما .

(نظرية اتهام الإسلام) :

٩ — من الجهل وأخطأ الخطأ أن هذه الحضارة المادية قد صدرت عن المادية الخالصة أنها نتيجة العقل ، انها نتيجة الخيال . انها نتيجة الروح . انها نتيجة الخصب المنتج . نتيجة الروح الحى الذى يتصل بالعقل فيغذوه وينميه ويدفعه إلى التفكير ثم إلى الإنتاج .

١٠ — إن حديث « الشرق الروحى » هذا حديث لا غناء فيه ، وهو

مضحك إذا نظرنا إليه نظرة عامة ، ولكن هذا الحديث خطر لأنه يلقى فى روح الشباب بعض الحضارة الأوربية التى يعرفونها فتثبط هممهم وتضعف عزائمهم .

(تمجيد الحضارة الأوربية والسخرية بالتراث الاسلامى)

١ — ساطع الحصرى[1]

إن المسألة التى يفتتح بها الدكتور طه أبحاث كتابه تتلخص فى السؤال الآتى .

هل يوجد فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى :

أما الحكم الذى يصل إليه فهو : « فكل شىء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربى يمتاز عن هذا العقل الشرقى الذى يعيش فى مصر وماجاورها من بلاد الشرق القريب (ص ٢٨) فمهما نبحث ومهما نستقصى فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل المصرى والعقل الأوربى فرقا جوهريا (ص ٢٩) .

وإنى أشارك الدكتور طه فى هذا الحكم الصريح مشاركة تامة .

ومما يجدر بالملاحظة أن مغالاة المؤلف فى تشبيه المصريين بالأوربيين وإنكار وجود الفروق بينهما — لا تنحصر فى هذه القضية وحدها بل تتعداها إلى أمور أغرب منها : إذ أننا نراه يدعى عدم وجود فروق بينها من حيث الطبع والمزاج أيضاً .

فهو عندما يصرح بأنه (لايخاف على المصريين أن يفنوا فى الأوربيين)

(١) الرسالة : ٢٤ يولية ١٩٣٩ .

يبرهن على ذلك بقوله « ليس بيننا وبين الأوربيين فرق فى الجوهر ولا فى الطبع ولا فى المزاج » ص ٦٣ .

« ليس بين المصريين والأوربيين فرق لا فى الطبع ولا فى المزاج » لا أدرى كيف يستطيع أحد أن يدعى ذلك بصورة جدية ! فإن الفروق بين الطبع والمزاج من الأمور التى تشاهد على الدوام فى الأمم الأوربية نفسها وهى تبدو للعيان بين الإنجليزى والفرنسى والألمانى والإيطالى .

حتى بين الشمالى والجنوبى من الفرنسيين . والشرقى والغربى من الألمان وبين الريفى والمدنى والمثقف والعامى .

فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه .

إننى أميل إلى الحكم بأن الدكتور طه لم يكتب هذه العبارة أيضاً عن تأمل واقتناع ، بل كتبها بدافع الاستعجال وتحت تأثير توارد الكلمات .

إنى لا أكون من الغالين إذا قلت إن « نزعة التسرع فى الحكم والإسراف فى الكلام » من النزعات المسئولية على معظم مباحث كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) .

وهذه النزعة هى التى ورطت المؤلف فى مآزق غريبة ، وأوقفته مواقف لا تخلو من التناقض فى بعض الأحيان .

الثقافة والأزهر

٢ — يذكر الدكتور طه الأزهر فى كتابه هذا ، أولا عندما تبحث عن اتصال مصر بالحضارة الأوربية فيوسع كثيراً فى وصف هذا الاتصال . لأنه يعتبره دليلا على عدم وجود فرق جوهرى بين العقلية المصرية والعقلية

الأوربية ، وعن مايتطرق المؤلف إلى حالة الأزهر خلال هذا البحث يعرضه لنا كمعهد مسرف فى التجديد .. [كل شىء يدل ، بل كل شىء يصيح بأن الأزهر مسرف فى الإسراع نحو الحديث] غير أننا نراه فى محل آخر من الكتاب يتراجع قليلا عن تعبير (الإسراف) الذى استعمله فى هذا المقام ، كما أننا نراه فى محل آخر . يتناسى كل ذلك فيقول « إن الأزهر بحكم تاريخه وتقاليده بيئة محافظة تمثل المعهد القديم ، ثم يقول أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يحمل من المسير على الجيل الأزهرى الحاضر أساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوربى الجديد .. ثم لا يتحرج المؤلف من إبداء رأى يناقض رأيه الأول مناقضة صريحة (يقتضى أن يعدل الأزهر عدولا تاما عما دأب عليه من الانحياز على نفسه والعكوف عليها والانقطاع من الحياة العامة » .

أريد أن ألفت الأنظار إلى الاختلافات الموجودة بين هذه الآراء التى صدرت من قلم واحد فى موضوع واحد فى كتاب واحد .

مصر بين الشرق والغرب

٣ — لا يكتفى المؤلف بالبرهنة على عدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى ، بل يحاول أن يبرهن على أن مصر ليست جزءاً من الشرق ويسير بين سلسلة آراء وملاحظات يكتنفها الغموض والتضارب من كل الجهات ، ويلوم الأوربيين الذين يقولون أن مصر جزء من الشرق ، وأن المصريين فريق من الشرقيين ثم يقول [أن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق] غير أنه لا يلبث أن يتناسى قوله هذا ويدخل المصريين فى عداد الشرقيين فى عشرات من المواضع فى الكتاب .

٤ — وبعد ما يسأل المؤلف : أمصر من الشرق أم من الغرب ، يوضح قصده من هذا السؤال بقوله :

[أنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافى والغرب الجغرافى ، إنما أريد الشرق الثقافى والغرب الثقافى : فقد يظهر أن الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف : ويتصل بينهما صراع بغيض : ولا يلقى كل منهما صاحبه إلا محاربا أو متهيأ للحرب : أحد هذين النوعين الذى تجده فى أوربا منذ العصور القديمة ، والآخر هـــذا الذى نجده فى أقصى الشرق منذ العصور القديمة أيضاً .

٥ — يصعب على جداً أن أوافق المؤلف فى قوله [لا أدرى ماهى الثقافة التى كانت موجودة فى أوربا منذ القرون القديمة ، ولا ماهو الصراع البغيض الذى اتصل بين هذه الثقافة وثقافة الشرق الأقصى المخالفة لها ! ومتى و كيف حدث هذا الصراع .

وكل ما أعرفه فى هذا المضمار يحملنى على القول بخلاف ذلك تماما ، كل ماأعرفه فى هذا المضمار يحملنى على القول بأن الصراع الذى حدث بين الثقافات والحضارات التى نشأت وترعرعت حول بحر الروم نفسه ، كانت أشد وأعنف وأطول من الخصام الذى حدث بين هذه الثقافات ، والثقافات الهندية والصين بدرجات كبيرة .

ما شأن هذه القضية بشرقية مصر أو غربيتها ، وهل من علاقة منطقية بين هذه القضية وبين حالة وجود أو عدم وجود فروق جوهرية بين العقل المصرى والعقل الأوربى :

وحدة الدين ووحدة اللغة

٦ — يشير المؤلف [تأثيرة وحدة الدين ووحدة اللغة فى تكوين الدول فيقول : من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول .

فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية ، لا على الوحدة المسيحية لا على تقارب اللغات والأجناس .

٧ — يسوى المؤلف فى كلماته هذه — بين وحدة الدين ووحدة اللغة فى وجهة التأثير السياسى ويدعى أن تأثيرهما فى السياسة كان من خصائص القرون الوسطى ، أننى اعتقد أن كل ذلك مخالف لحقائق التاريخ وقوانين الاجتماع مخالفة صارخة ، فإن عمل وحدة اللغة فى الحياة الاجتماعية والحوادث التاريخية ، يختلف عن عمل وحدة الدين اختلافا كليا .

أن وحدة اللغة لم تصبح من القوى الفعالة فى تكوين الدول وتوجيه السياسات إلا فى القرن الأخير ، وإلا بعد أن فقدت وحدة الدين قوتها وتأثيرها فى هذا المضمار كما أن تأثير وحدة اللغة فى السياسة لم ينته بانتهاء القرن المذكور ، بل ازداد شدة فى القرن الذى نعيش فيه . وهو لا يزال مستمراً وشديداً .

لهذه الأسباب أقول أن قياس وحدة اللغة على وحدة الدين فى هذا المضمار والادعاء بأنها فقدت تأثيرها السياسى وعملها التكوينى منذ عهد بعيد لا يتفق مع حقائق التاريخ بوجه من الوجوه .

أننى اعتقد اعتقاداً جازما أن اللغة يختلف عن الدين فى وحدة الطبيعة

الذاتية والتأثير النفسى والعمل الاجتماعى . أن عدم ملاحظة هـذا الفرق الجوهرى — الموجود بين اللغة والدين — فى هذه الوجوه المختلفة، قد عرض المؤلف لأخطاء كبيرة وأوقعه يخالف فيها أثبت وقائع التاريخ وأظهر حقائق الاجتماع مخالفة صريحة .

يحاول المؤلف أن يستشهد على أقواله الآنفة بتاريخ الإسلام أيضاً ، غير أن محاولاته هـذه لا تزيد إلا تغلغلا فى الأغلاط وتباعداً عن حقائق التاريخ .

التحليل والخلط

٨ — من المعلوم أن التفكير العلمى يتطلب تحليل المسائل وتجزئة المشاكل ، ليسهل معالجة كل جزء منها على حدة ، أما الخطة التى يسير عليها الدكتور طه حسين فى أبحاثه هذه فى أكثر الأحيان فمعكوسة لذلك تماما ، لأنه كثيرا ما يخلط المسائل بعضها ببعض ، ويدخل بعضها فى بعض ، فيزيد بذلك تعقيدا وأشكالا .

لاشك أن الطريقة المثلى لدرس مثل هذه المسائل درساً علمياً وحلها حلا منطقياً هى طريقة الاستقراء والمقارنة : إجراء مقارنة مباشرة بين الشرق والغرب ، بين مصر وأوربا — من حيث العقل والثقافة والطبع والمزاج واستعراض الفروق والمشابهات التى تتجلى بينهما من هذه الوجوه المختلفة . ثم البحث عن جوهرية وعدم جوهرية الفروق المذكورة .

أن الدكتور طه بقى بعيداً عن هذه الطريقة من أول أبحاثه هذه حتى آخرها ونجم عن هذا الابتعاد :

أن المؤلف : لم يلتفت إلى أهم الفروق الموجودة بين الشرق والغرب ،

وهى التى تشاهد بينهما من وجهه نظم الأسرة وأوضاع المرأة والأوصاف النفسية — الخلقية والعقلية — التى تتبع تلك النظم والأوضاع .

• اللاتينية[1] واليونانية :

يقول طه حسين :أنا مؤمن أشد الإيمان وأقواه بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعى الصحيح ، ولن تفلح فى تدبير مرافقها الثقافية العامة إلا إذا عنيت بهاتين اللغتين لا فى الجامعة وحدها بل فى التعليم العام قبل كل شىء ، لأن اللاتينية واليونانية أساس من أسس العلم والتخصص ، ولأن التعليم العالى الصحيح لا يستقيم فى بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية على أنهما من الوسائل التى لا يمكن إهمالها والاستغناء عنها] : والسؤال الذى يجب أن نلقيه وأن نجيب عنه فى صراحة وإخلاص وفى وضوح وجلاء هو : أنريد أن ننشىء فى مصر بيئة للعلم الخالص تشبه أمثالها من البيئات العلمية فى أى بلد من البلاد الأوربية الراقية أو المتوسطة أم لا نريد . فإن كانت الثانية فقد خسرنا القضية وليست مصر فى حاجة إلى الجامعة وإلى كلياتها بل حسبها أن تعود إلى عهد أيام الاحتلال وأن تسير سيرة المستعمرات »

• يظهر من هذه العبارات أن الدكتور يعتبر هاتين اللغتين من لوازم الجامعة الأساسية ويدعى أن عدم العناية بهما لا يختلف كثيراً عن طلب إلغاء الجامعة نفسها ، ويرى بأن ذلك لا يجوز إلا إذا طلب من مصر أن تعود إلى عهد أيام الاحتلال وأن تسير سيرة المستعمرات .

• وإذا كانت المسألة بهذه الدرجة من الوضوح والجلاء فكيف

(١) الرسالة ٨ — أغسطس ١٩٣٩ .

وجدت هذه المقاومة وهذا الأزورار فى دوائر المعارف ومحافل المثقفين .

أن الدكتور طه يبدى هذا الاستغراب فيقول « ومن أغرب الأشياء فى نفسى وأبعدها عن فهمى إلا يفطن ولا يهتدى إليها الذين ينهضون بشئون مصر ويقومون على تدبير الأمور فيها والذين يشرفون على التعليم منها بنوع خاص ».

ويبحث الدكتور أسباب هذه المقاومة عدة مرات غير أنه يعزوها إلى عوامل أساسية تتلخص من حيث الأساس فى نقص ثقافة القائمين بشئون التعليم فى مصر فيقول « وأكبر الظن أن مصدر هذا إنما هو الجيل الحاكم والمرتقى إلى الحكم الذى لا يتقن العلم بالشئون الثقافية فى أوربا ولا يكاد يعرف من أمرها إلا ظواهرها وظواهرها الغريبة اليسيرة التى لا يحتاج فهمها ولا العلم بها إلى جهد وعناء إذ أن منهم من تعلم فى المدارس المصرية وانتهى إلى غاية التعليم العالى المصرى أيام وقف ولم يتجاوزه ، ومن اتصل بالجامعات الأوربية قبل أن يتم التعليم العالى فى مصر أو بعد أن أتمه فدرس وظفر ببعض أجازاتها ، ولكنه درس فيها عجلا وظفر باليسير من أجازتها وأهونها ولذلك عاد من أوربا دون أن يعرف من الحياة العقلية الأوربية إلا ظواهرها وأشكالها ، وأن بين الذين ذهبوا إلى أوربا وعادوا منها وبين الذين أقاموا فى مصر واتصلوا بأوربا بعض الاتصال من ألم إلماما يسيرا بل إلماما ناقصا مشوها بهذه الخصومة التى قامت فى أوربا منذ أواخر القرن الماضى بين الديمقراطيين والمتطرفين من جهة وبين المعتدلين والمحافظين من جهة أخرى حول تعليم اللاتينية واليونانية وأنهم فهموا هذه الخصومة على غير وجهها الصحيح ، وظنوا أن التجديد يقتضى بعض هذه الأشياء القديمة

ثم قال أن المقاومة التى تلقاها اللاتينية واليونانية فى مصر نشأت من هذا النقص الأساسى .

ثم يقول : أنا أسمع فى أثناء إملائى هذه الكلمات صياح الصائحين وأحس هياج الهائجين وأشعر بما سيثور من سخط ولكنى مع ذلك مقتنع بما أقول . مذعن بصواب ما أدعوا إليه ، ملح فى هذه الدعوة . غير حافل بالرضا ولا بالسخط ولا معنى إلا بما اعتقد أنه يحقق المنفعة الثقافية للمصريين »

★ ★ ★

(الرد) : من المعلوم أن اللغة اللاتينية كانت لغة روما فى القرن الأول غير أنها صارت بعد ذلك لغة الطبقة المديرة والمستنيرة فى جميع أنحاء أوربا الغربية عند مادخلت تحت حكم روما . كما أصبحت لغة الدين والصلاة فى تلك البلاد عندما اعتنقت الديانة المسيحية . وأخيرا صارت من دعائم الكنيسة الكاثوليكية عندما تكونت الكنيسة المذكورة وأخذت تبسط سلطتها على جميع الدول والدويلات التى تدين بها .

أما اليونانية فقد حافظت على كيانها فى معظم البلاد التى انتشرت فيها بالرغم من استيلاء الرومان عليها . كما أنها أصبحت لغة الدولة بعد انفصال الشرق عن الغرب وتكون الإمبراطورية الشرقية مستقلة عن إمبراطورية روما الغربية كما أصبحت لغة الدين والصلاة فى العالم الأرثوذكسى عندما اعتنقت الإمبراطورية المذكورة ، الديانة المسيحية .

بهذه الصورة تقاسمت اللغتان اللاتينية واليونانية السيطرة على الحياة الدينية فى أوربا المسيحية . فأصبحت الطقوس والصلوات المسيحية تحت احتكار اللاتينية فى أوربا الغربية فى جميع البلاد التى اعتنقت المذهب الكاثوليكى . وتحت احتكار اليونانية فى أوربا الشرقية . فى جميع البلاد

التى اعتنقت المذهب الأرثوذكسى ، أما الحياة الأدبية والعلمية فى القرون الوسطى ، فمن المعلوم أنها لم تجد من يزاولها ويهتم بها إلا من بين رجال الدين نماشت وترعرعت تحت ظلال الكنائس وفى أروقة الأديرة .

٢ — الدكتور زكى مبارك

يادكتور : قلت[1] أن عقلية مصر عقلية يونانية وصرحت بأن الإسلام لم يغير تلك العقلية فى حين أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرنا وهى مؤمنة بالعقيدة الإسلامية ، والأمة التى تقضى ثلاثة عشر قرنا فى ظل دين واحد لا يستطيع ان تفر من سيطرة ذلك الدين ، إن الإسلام رج الشرق رجة أقوى وأعنف من الرجة التى أثارتها الفلسفة اليونانية .

أن الديانات تفترق ثم تجتمع وهى فى روحها تحدث الناس بأسلوب واحد فى أوقات الضعف ، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك خصائص للعقلية الإسلامية والعقلية المسيحية .

كيف جاز عندك أن تتوهم أن الإسلام لم يغز العقلية المصرية بتغيير أو تبديل . أنا لا أنكر أن مصر ورثت ماورثت من علوم اليونان ولكنى أنكر أن تكون مصر عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف السنين إلى اليوم .

فى الحق أن المصريين فى حياتهم الإسلامية شغلوا أنفسهم بعلوم اليونان أكثر من عشرة قرون ، ولكنك وقد جلست على صحن الأزهر كما جلست تعرف أن المصريين لم يتذوقوا تلك العلوم ، والأزهر لا يزال باقيا .

أنا لا أنكر قيمة التراث الذى خلفه اليونان القدماء ولكن ارتاب فى أنه وصل إلى القاف العقلية المصرية .

---

(١) الرسالة ٢٣ يناير ١٩٣٩ .

أنت تعرف فيما تعرف أن الفقه الإسلامي نفسه كان يتغير بانتقال من أرض إلى أرض فكان للشافعي مذهب في مصر ومذهب في العراق ومعنى ذلك أن العقليات تتغير من وقت إلى وقت باختلاف ظروف الزمان وظروف المكان .

والموجه الإسلامية التي طغت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ومن دين إلى دين والتي قضت بأن تنفرد مصر بحراسة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد ، هذه الموجة الصائبة لا يمكن أن يقال أنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية .

ولكن ماهي تلك العقلية الإسلامية ؟ هي لون آخر غير العقلية اليونانية بلا جدال .

أقول هذا وأنا أشعر بأني لم أزحزحك تماما عن موقفك ، ولكني موقن بأني عرضت صدرك لشبهات ستوجب عليك الحذر حين تتكلم في هذا الموضوع مرة ثانية وأنت تعرف ما أعنى .

٢ — الدكتور م . محمد حسين

يمكن رد ماحواه هذا الكتاب إلى ثلاثة أصول وهي :

• الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها وقطع ما يربطها بقديمها وبإسلامها .

• الدعوة إلى إقامة الوطنية وشئون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين ، أو بعبارة أصرح : دفع مصر إلى طريق ينتهي بها إلى أن تصبح حكومتها لا دينية .

• الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها إلى طريق ينتهي

باللغة الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية .

ويرد المؤلف على خصوم الحضارة الأوربية ممن يشفقون على كياننا الدينى فيقول : إن الحياة الأوربية ليست إثما كلها ، ففيها خير كثير ، ويستدل على ذلك بأنها حققت للأوربيين رقيا لا شك فيه والإثم الخالص لا يمكن من الرقى .

والمؤلف لا يطالب بإلغاء المدارس الأجنبيه فى مصر بل هو يقرر أنه نافر من ذلك أشد النفور (لا لأن التزاماتنا الدولية تحول بيننا وبين ذلك ، بل لأن حاجتنا الوطنية تدعو إلى الاحتفاظ بهذه المدارس والمعاهد) ، وهو يدعو ألا تقتصر الدراسات الأدبية فى مدارسنا على الأدب العربى بل يجب أنه تدرس الآداب الأجنبية على أن يكون تدريسها باللغة العربية ، وكلام المؤلف هنا يلبس ثوب الوطنية والتعصب للغة القومية ولكن مقصده الحقيق الذى يتفق مع مذهبه فى الكتاب كله هو نشر آداب الغرب وثقافته على أوسع نطاق . وذلك هو ماتفعله الدول الاستعمارية الآن ، على أن الأولى بأن يدعو إليه المؤلف هو أن يترجم كتب العلوم من طب وهندسة وزراعة وطبيعة وكيمياء إلى العربية وأن تدرس هذه العلوم فى الجامعات المصرية باللغة العربية .

ويمضى المؤلف فى سائر كتاب على اعتبار صلات مصر بالغرب أوثق من صلاتها بالشرق حتى أنه ليجوز على التاريخ فى بعض الأحيان كى يقيم به مذهبه الذى يزعمه ، وذلك فى مثل تصويره العرب بأنهم غزاة دخلاء لا يطمئن إليهم المصريون فى الوقت الذى يصورهم فيه مطمئنين إلى الفتح اليونانى لا ينكرونه ولا يثورون عليه .

وتقرير المؤلف أن سبيل الحضارة الغربية هو السبيل الذى لا بد من سلوكه والمضى فيه ، لا لأن تاريخنا يؤيد هذا المذهب فى زعمه ، ولا لأن مصلحتنا تقتضى ذلك على ما يدعى لأن التزاماتنا الدولية فى المعاهدة التى يسميها معاهدة الاستقلال تجبرنا على ذلك .

ألم يسأل المؤلف نفسه : لماذا تحرص الدول الغربية كل هـذا الحرص على أن تحملنا على حضارتها ، وتذهب فى حرصها إلى حد لا تقتنع معه إلا بالمواثيق المكتوبة ، هل تفعل ذلك حرصا على رقينا أم تفعله حرصا على مصلحتها .

ويريد المؤلف أن يدعو إلى حكومة « لا دينية » ولكنه يرى أن الوقت المناسب للجهر بمثل هذه الدعوة لم يأت بعـد . وأول ما ينبغى أن يزال ويهدم عنده هو الأزهر ، فهو يتحدث عنه فيصوره أثراً من مخلفات العهود المتأخرة المنحطة ، ومشكلة من المشاكل التى تتطلب حلا .

ويدور المؤلف حول ما يسميه (مشكلة اللغة العربية) ومشكلة تأتى فى نظره مما يضفى عليها رجال الدين من قداسة باعتبارها لغة دينية . وهو يريد أن يعتبرها لغة وطنية أولا وقبل كل شىء . فهى — فى رأيه — ملك لنا نتصرف فيها كيف نشاء ولا حق لرجال الدين أن يفرضوا وصايتهم عليها وفى أن يقوموا دونها للمحافظة عليها والمؤلف لا يرى بأسا من أن تتطور لغة الكتابة والأدب فى العربية حتى يصبح الفرق بينها وبين عربية القرآن الكريم مثل الفرق بين الفرنسية واللاتينية . . وهذا فيما يبدو هو سبب آخر يضاف إلى الأسباب السابقة التى تدفع المؤلف إلى مهاجمة الأزهر والمطالبة بعزله عن الوصاية على اللغة العربية .

الباب السابع

المعارك بين المجددين والمحافظين

أولا : معارك الرافعى .

ثانيا : معركة فضل العرب على الحضارة .

ثالثا : الدين والمدنية .

رابعا : التغريب .

خامسا : حقوق المرأة .

سادسا : حول التراث القديم .

سابعا : الخلاف بين الدين والعلم .

ثامنا : جمال الدين الأفغانى وريغان .

تاسعا : خصم القوم .

عاشرا : بين النقد والتقريظ .

الفصل الأول

معارك الرافعي

مع العقاد وطه حسين وزكي مبارك وعبد الله عفيفي

ولعل مما لا جدال فيه أن أبرز رجال النقد في هذه الفترة التي نؤرخ معاركها ومساجلاتها هم كتاب أربع : الرافعي والعقاد وزكي مبارك وطه حسين ، ولكل منهم وجهة في نقده وآرائه الأدبية غير أنه تجمعهم ذلك الأسلوب المر العنيف في النقد وقد كان لعمل بعض هؤلاء في الصحافة أثرها في مرونة التعبير في الصحافة ولكنه كان متصلا بها .

ولعل أبرز معارك الرافعي كانت مع العقاد وطه حسين زكي مبارك وعبد الله عفيفي : كانت معركته مع العقاد ذات صلة بسعد زغلول وصالون مي ومعركته مع طه حسين متصلة بإنشاء الجامعة المصرية ورغبته في التدريس بها وخصومته مع عبد الله عفيفي متصلة بمنافسته في مدائح الملك فؤاد . ومعركته مع زكي مبارك تتصل بكتابه أوراق الورد ورأى زكي مبارك في أنه ليس فنا جديدا في الأدب العربي كما صورة الرافعي .

ولا شك أن الرافعي الذي كان بعيداً عن محيط الصحافة القاهري مقيما في مدينة « طنطا » رئيسا لكتاب المحكمة والذي تصدى من وقت مبكر للدفاع عن اللغة العربية والاسلام قد أحس بخصومته للمدرسة المجددة ، هذه المدرسة التي بادئته الخصومة حين أصدر كتابه « السحاب الأحمر » فهاجمه سلامه موسى و « رسائل الأحزان » الذي هاجمه طه حسين في السياسة الأسبوعية ثم وقعت الواقعة بينه وبين العقاد حول « ديوان » وحي الأربعين[1] ، بعد أن وقعت بينه وبين طه حسين حول كتابه في الشعر الجاهلي[2] .

وكان الرافعي في خصومته قوى المعارضة عنيفا ، متمسكا فاما يقول ، دامغ

(١ و٢) يراجع نصوص هذه المساجلات في هذا الكتاب .

الحجة ، تتصل معركته دائماً بأمرين هما : اللغة العربية الاسلام وقد بلغ قمة العنف فى كتابه « على السفود » الذى هاجم به العقاد .

١ — معارك الرافعى مع العقاد

وتبدأ معركة الرافعى مع العقاد منذ صدور « الديوان » للعقاد والمازنى وقد تناول العقاد الرافعى وأدبه بالنقد ثم استؤنفت معركة الرافعى مع العقاد بعد صدور كتاب الرافعى « إعجاز القرآن » الذى أثنى عليه سعد زغلول ووصفه بأنه « كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم » . ولما كان العقاد هو كاتب الوفد الأول فقد أزعجه هذا أيما ازعاج .

وقد صور سعيد العريان فى كتابه « حياة الرافعى » الموقف بينهما كما رواه الرافعى قال : قال الرافعى :

سعيت لدا رالمقتطف لأمر ، فوافقت العقاد هناك ولكنه لقينى بوجه غير الوجه الذى كان يلقانى به ، فاعتذرت من ذلك إلى نفسى . بما ألهمتنى نفسى وجلسنا نتحدث . وسألته الرأى فى « إعجاز القرآن » فكأنما ألقيت حجراً فى ماء آسن . فمضى يتحدث فى حماسة وغضب وانفعال . كان ثأراً بينه وبين إعجاز القرآن . ولو كان طعنه وتجريحه فى الكتاب نفسه لهان على . ولكن حديثه عن الكتاب جره إلى حديث آخر عن القرآن نفسه وعن إعجازه وإيمانه بهذا الإعجاز .

وأخذت أناقشه الرأى وأبادله الحوار فى هدوء وأن فى صدرى لمرجلا يتهلب . إذ كنت أخادع نفسى فازعم لها أنه لم يتخذ لنفسه هذا الأسلوب فى الهجوم على فكرة إعجاز القرآن إلا لأنه حريص على أن يعرف ما لا يعرف

وعلى أن يقتنع بما لم يكن مقتنعا به ، فأخذت معه فى الحديث على هدوئى وثورة أعصابه ولم أفهم إلا من بعد ما كان يدعوه إلى ما ذهب إليه .

يقول العريان : ولقد كان العقاد كاتبا من أكبر كتاب الوفد ، ينافح عنه ويدعو إليه بقلمه ولسانه عشر سنين ، وأنه ليرى له عند « سعد » منزلة لا يراها لكاتب من الكتاب أو أديب من الأدباء وأنه له على سعد حقاً ، ولكن سعداً مع كل ذلك لم يكتب له عن كتاب من كتبه مثل ما كتب للرافعى » .

ومن هنا كانت ثورته : كانت ثورة الغيرة .

قلت له (قال الرافعى للعقاد) وكان الحديث يدور بينهما بواسطة أوراق يكتبها كل منهما نظراً لأن الرافعى كان ضعيف السمع

— أنت تجحد فضل كتابى فهل تراك أحسن رأيا من سعد .

قال العقاد . وما سعد وما رأى سعد .

قال الرافعى : وطويت الورقة التى كان يكتب فيها حديثه .فقبضت عليها يدى ثم قلت : افتراك تصرح برأيك هذا فى سعد لقرائك وأنت تأكل الخبز فى مدحه والتعلق بذكراه قال : فاكتب إلى هذا السؤال فى صحيفة من الصحف تقرأ جوابى عما عرفته الآن . قال ذلك وأن ورقته فى يدى أشد عليها بأناملى — حتى تقبض وجهه وتقلصت عضلاته ثم قال فى غيظ وحنق : ومع ذلك فمالك انت ولسعد . إن سعداً لم يكتب هذا الخطاب ولكنك أنت كاتبه ومزوره . ثم مخلفه إياه لتصدر به كتابك فيروج عند الشعب » .

وكان العقاد قد تناول كتاب إعجاز القرآن فى (البلاغ الأسبوعى)

(١٠/١٢/١٩٢٦) فلما أرسل الرافعى رده عليه رفض البلاغ نشره . وقد أشار إلى ذلك فى رسائله إلى الشيخ محمود أبو ريه فى غير موضع مما يجمله قوله: إن العقاد سيكتب عن إعجاز القرآن و « أنا غير واثق منه لأن عقيدته زائغة » ثم قال : إن العقاد خرج إلى السخف فى كتابته عن الإعجاز وأنه ارسل رداً فيه مغامز كثيرة » وأشار إلى أنه لو رد عليه مرة أخرى «فسيكيل له بالكيل ثلاثة مكاييل » وقال « أظننى قلت لك أن الرجل صرح لى بأنه لا يعتقد بالقرآن ولا بالنبوة ولا بالوحى » .

ثم أشار إلى أنه ترك الكتابة فى البلاغ لأنهم لم ينشروا رده على العقاد « وظنوا انهم متى دفعوا لى ثمن المقالات فقد صرت خاضعاً لهم . ولذلك رفضت الكتابة وثمنها . وقد كان الرجل يدفع جنيهين على المقالة فرفضت هذه الفائدة محافظة على كرامتى » .

واشار إلى ما اسماه « سقطة » العقاد فى إعجاز القرآن مما اورده فى مقاله وقال إن ذلك « دليل على أن العقاد لا يفهم ما يكتب » .

وكان ذلك مما دعا الرافعى إلى نقد العقاد ، وقال فى رسائله إلى ابو رية « اقترح وضع العقاد فى السفود » ثم « وضع فى سفود غليظ يظهر فى أول يوليو ١٩٢٩ » .

رأى العقاد فى الرافعى(١)

مصطفى افندى الرافعى رجل ضيق الفكر مدوع الوجه يركب رأسه مراكب يتريث دونها الحصفاء أحياناً وكثيراً ما يخطئون السداد بقريبهم

(١) الديوان ج ٢ .

وطول أناتهم . وطالما نفعه التطوح وابلغه كل أذيه أو جله إذ يدعى الدعاوى المريضة على الأمة وعلى من لا يستطيع تكذيبه فتجوز دعواه وينفق إلحافه عند من ليس يكرثهم أن يخدعوا به ، بيد أن الاعتساف إذا كان رائده الحذق فى الرأى وشيك أن يوقع صاحبه فى الزلل إحدى المرات فيضيع عليه ما لو علم أنه مضيعه لفداه بكل ما فى دماغه من عوش وما فى لسانه من كذب . وكذلك فعل ضيق الفكر وركوب الرأس بمصطفى الرافعى فخفى علينا أن نفهمه خطو مركبة وأن قدميه أسلس مكانا من رأسه لعله يبدل الطلية ويصلح الشكيمة .

عرض النقد إلى نشيد شوقى .. دون إشارة إلى الديوان» ولا كلمة مقصف فيها أن أحداً يقدمه إلى هذا النقد بل لعله قصد إلى ادعائه عنوة فكتب على الرسالة أنها طبعت فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ ونسى لغفلة ذهنه أنه ضمنها فى صفحة ٦٧ كتابا للأستاذ منصور افندى عوض مؤرخا فى ١١ ديسمبر .

فهذا الخلق البغيض ونظائره من جرثومته هى التى تملأ نفوسنا تقززا وعزوفا من أدب الجيل الماضى وأدبائه ومن صناعة من ينتسبون إليها ولكن ليس لها ما لأحقر الصناعات من حرم يرعى ودستور يفاء إليه ووازع يوقف عند حده — أزجعهم منها سهما أجمعهم فيها على استحذاء الجبن وصفاقة الإدعاء . وأوقمهم فيها إسما أطبعهم على صفة الحيلة وصفوف الرياء ، وشعارهم جميعا نقيضان من شعور بالعجز وخيلاء وملق واستعلاء . صناعة لا واجب لها ولا حقوق لذويها ولا تعرف غيرها من صناعة بلا واجب ولا واجب ولا حقوق . وما على المتحدث بها بأس من السماجة والافتراء . وإنما البأس كل البأس عليه من المروءة والحياء .

وهذا رجل لا يستحى أن يسم نفسه على غلاف رسالته « بنابغة كتاب العربية وزهرة شعرائها » يعمد إلى نقد مطبوع لم يفرغ الحديث فيه ولم ينقطع صاحبه عن إتمامه فينتحله جملة ولا يفلت منه كبيرة ولا صغيرة حتى تسميتنا مشاهير المذهب العتيق بالأصنام ثم لا يرى أن عليه بعد ذلك أن يوحى بفرد كلمة إليه ولو من باب التاريخ لحوادث هذه الأناشيد . كأننا حين كتبنا نقدنا فى مصر كان هو يكتب رسالته فى أقاصى الصين أو أطراف السويد . ولا ندرى وقد وثق من وجهة بهذه الصلابة من أين له الثقة بالتهاون منها والحصانة .

إيه يا خفافيش الأدب : اغثيتم نفوسنا أغثى الله نفوسكم الضئيلة . لا هوادة بعد اليوم . السوط فى اليد وجلودكم لمثل هذا السوط خلقت . وسنقرع لكم أيها الثقلان .

على السفود

نشر الرافعى هذه المقالات عام ١٩٢٩ بمجلة العصور نقد فيها عبد الله عفيفى وعباس العقاد ، وقد أغفل اسمه فى هذه المقالات ظنا منه « أن[1] إغفال الاسم هو عين الحكمة لا خوفا من العقاد ولا مبالاة به . ولكن بمن هو فوقه ثم نحن لا نريد المباهاة بكتاب ولكن نريد إظهار الحقيقة وفى إغفال الاسم قوة كبيرة لهذه الحقيقة مادام الكتاب مشبعاً » وقد صور الرافعى رأى فؤاد صروف محرر المقتطف السفود الأول — فى العقاد — بأنه متحامل وذلك عند « ذكر أصل الرجل والتعريض بأبيه وصاحب العصور (اسماعيل مظهر) يرى أن المقالات هى غاية الغايات فى نقد هذا الرجل .

---

(١) رسائل الرافعى الى محمود أبو ريه .

وقد اجمع النقاد حتى تلاميذ الرافعى — سعيد العريان ومحمود أبورية — على أن مقالات « على السفود » كانت غاية فى العنف والنزول عن مستوى النقد ولكن الرافعى دافع عن هذه المقالات فقال فى رسائله إلى أبورية « إن الناس مختلفون فنهم من يقول أن المقالات تحامل على صاحب مرحاضه (أى العقاد) وأن هذا التحامل سيفيده ويذهب أثر النقد ومنهم من يقول بل كل مافى المقالات هو صحيح وفى محله ، ولا ننسى أن العقاد الآن فى رأى نفسه ورأى كثيرين هو جبار الكتابة فنحن نريد أن نضع أنف هذا الجبار فى الأرض مقدار ساعتين على الأقل لأنه لم يتجرأ عليه أحد إلى الآن والذين كتبوا عنه لم ينالوا منه نيلا وطه حسين لم يكد يمسه مرة حتى هرب وأخذ ينافق له ويتملقه .

وقد أشار الرافعى فى أحاديث العريان عنه[1] أن العقاد لم يكن يستطيع أن يقف وإياه أمام القضاء على ما أتهمه به — بعد أن اعترف بأن فى الكتاب مالم يكن ينبغى أن يقول وبأن خصمه بما قال فيه كان يملك أن يسوقه إلى المحاكمة .

قال العريان للرافعى : لقد قلت فى العقاد ما كان حريا أن يقفه وإياك أمام القضاء !

قال الرافعى : ولكنى كنت على يقين بأن العقاد لن يفعلها . إنى كنت أهاجم العقاد بمثل أسلوبه فى النقد وان معى لورقات بخطه لا يسره أن اجعلها دفاعى أمام المحكمة فيخسر اكثر مما يربح .

---

(١) كتاب حياة الرافعى ص ١٥٥ .

— ٢ —

استهل الرافعى كتاب « على السفود » بقوله : أما بعد فانا نـكشف فى هذه المقالات عن غرور ملفق ودعوى مغطاة ونفتقد فيها الـكاتب الشاعر الفيلسوف !! (عباس محمود العقاد) وما إياه أردنا ولا بخاصته نعبأ ولـكن لمن حولة نـكشفه ولفائدة هؤلاء عرضناه له ، والرجل فى الأدب كورقة البنك المزورة هى فى ذات نفسها ورقة كالورق . ولـكن من ينخدع فيها لا يقوم قيمتها بل قيمة الرقم الذى عليها .

وقد يكون العقاد استاذاً عظيماً ونابغة عبقريا ، وجبار ذهن كما يصفون ولـكنا نحن لا نعرف فيه شيئا من هذا وما قلنا فى الرجل إلا ما يقول فيه كلامه ، وإنما ترجمنا حكم هذا الـكلام ونقلناه من لغة الأغلاط والسرقات والحماقات إلى لغة النقد وبيناه كما هو لم نبعد ولم نتعسف ولم نتمحل فى شىء مما بينا عليه النقد .

والعقاد وإن زور شأنه وادعى وتـكذب واغتر ومشى أمره فى ضعفاء الناس بالتعطيم والتلفيق والإيهام فإن حقيقته صريحة لن تزور وغلطاته ظاهرة تدعى وسرقاته مكشوفة لن تلفق وما زدنا على أن قلنا هسذا ، فإن يغضب الأسود على من يصف سواده فليغضب قبل ذلك على وجهه .

وأثار هذا المغرور فى الأدب تغظمها كلها قضية واحدة من السرقات والانتحال فى غباوة ذكية . ذكية عند الطبقة النازلة من قراء جرائدنا وعند أشباههم ممن ليست لهم موهبة التحقيق ولا وسائله ثم .. ثم غبية فيما فوقها وأولئك طائفة لا ميزان لها ولا وزن فلا ترفع ولا تضع . وسترى فى أثناء ماتقرؤه مايثبت لك أن هذا الذى وصفوه بأنه جبار الذهن ليس فى نار [السفود] إلا أديبا من الرصاص المصهور المذاب .

يقول أننا فى دور انتقال بالأدب العربى والحقيقة أننا من العقاد وامثاله العارين المغرورين بآرائهم الطائشة وبياتهم المنحط ، فى دور انسلاخ ورجعة معقلبة والأعرج وبحسكم هو دائما فى دور انتقال ، إنه ذهب يعمى ويتفلسف فى أسباب عرجمة ، وما يمنعه أن أنه ليس بأعرج وإنما هـذا فن جديد من الخيلاء والتبختر ينتقل به من المشى خطوا إلى المشى رقصا . »

★ ★ ★

ثم توقفت المعركة بين الرافعى والعقاد ثمة ، حتى تجددت عند صدور ديوان العقاد [وحى الأربعين[1]] وقد انتهز العقاد فرصة هذه المعركة فانتقم من الرافعى واسماعيل مظهر صاحب العصور وطابع كتاب على السفود بالجلة . وكان الباب الذى نفذ منه العقاد هو اتهام الرافعى فى وطنيته . والقول بأن الرافعى إنما ينيقده لأنه العقاد السياسى الوفدى [١٩٣٣] وعدو الحكومة المتسلطة بالحديد والنار .

وكان الرافعى قد نشر نقده فى البلاغ التى كانت تحارب الوفد ويسرها أن تهاجم كاتبة العقاد المحرر بالجهاد إذ ذاك .

ثم تقلبت السياسة تقلباتها فاذا العقاد — كاتب الوفد الأول — يخرج على الوفد » هنالك ينتهز الرافعى فرصة الحملة عليه فيكتب بدون توقيع مقالا فى الجهاد عنوانه « أحمق الدولة » .

٢ — معارك الرافعى مع طه حسين

هاجم طه حسين كتاب الرافعى « تاريخ الآداب العربية » وقال أنه لم يفهمه ، كما هاجم كتابيه : حديث القمر ورسائل الأحزان .

---

(١) أوردنا تفاصيل هذه المعركة فى باب الشعر .

وكانت السياسة الأسبوعية التي صدرت عام ١٩٢٢ تحمل لواء الأدب الجديد وقد استهلت المركة بين القديم والجديد عندما هاجم طه حسين كتاب الرافعي « رسائل الأحزان » فقال : نظلم الأستاذ الرافعي إذا قلنا أنه لايشق على نفسه في الكتابة والتأليف: بل أنت تنصفه إذا قلت انه يتكلف من المشقة في الكتابة والتأليف أكثر مما ينبغي . ولو كنت أريد أن أقول أنه ينحت كتبه من الصخر ولكنى لا أجد في هذه الجملة ما ينبغي لوصف هذه المشقة ، ومالي لا اتبسط معه بعض الشيء فأقول أن كل جملة من جمل هذا الكتاب تبعث في نفسي شعوراً قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة . وهو يقاسي من هذه الولادة ماتقاسيه الأم من آلام الوضع ، يجب أن أكون منصفا فأنت تستطيع أن تقطع كتاب الرافعي جملا جملا وأن تجد بين هذه الجمل طائفة غير قليلة فيها شيء من جمال اللفظ ، وبهوجة تخلبك وتستهويك وفيها معان قيمة لا تخلو من نفع . ولكن المشقة كل المشقة في أن تصل هذه الجمل بعضها إلى بعض . وتستخرج منها شيئا قيما . لن تظفر من هذا بشيء وأكبر ظني أن الأستاذ الرافعي نفسه لا يحاول أن يقول شيئا حين يكتب هذه الرسائل . وإنما هو يذهب في النثر مذهبا غريبا فيتكلف العناء والمشقة في الغوص على المعاني الغريبة . ثم يتكلف العناء والمشقة في أن يسبغ على هذه المعاني ألفاظا عربية » .

هجوم طه على الرافعي

وكان الرافعي قد أرسل خطابا في العتب إلى ظريف من أدباء الشام ، وقد نشرت السياسة الأسبوعية الرسالة التي نورد منها هذه العبارات :

« كتبت إليك من أيام يشفع لما قربك من نفسي فلا أقول انها بعيدة ، ولو قديمة ولكن مافي هذه النفس منها يجعلها جديدة وكأنها تجري بي إلى

الفناء فهى تطول إلى غير حد ، وتأخذ معنى اليأس من كل أمس ، فتفسخ به معنى الأمل فى كل غد وأرى الأيام تعد بالأرقام ،اما هى فقد جملتها أنت تعد بأنها لا تعد .

لقد هممت أن اعاتب القلم الذى كتبت به إليك فأحطم سنه واجعله من ناحيتى « خبر كان » حتى لا يبقى من ناحيتك فى خبر «إنه» وقلت كيف ويحك ، سودت وجه صحيفتى بما هو فى سوادة مداد مع المداد ، وفى نفسه سواد غير السواد » .

ثم علق الدكتور طه حسين على الرسالة وقال : اعتذر للكاتب الأديب إذا أعلنت مضطراً أن هـذا الأسلوب الذى ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة ، لا يستطيع أن يروقنا فى هذا العصر الحديث الذى يغير فيه الذوق الأدبى — ولا سيما فى مصر — تغيرا شديداً » .

ورد الرافعى يقول :

إن الأسلوب الذى كتبت به الرسالة كان موضع الانفراد وكان الغاية التى تتقاصر دونها الأعناق منذ القرن الرابع إلى القرن التاسع ، ولم يوحش معه تغير الذوق الأدبى كما يقول الأستاذ ، بل ضعف الكتابة فيه وتقصيرهم عن حـده ، وانهم لا يوافقون به مواضعة ولا يعدلون بها إلى جهاته فى ألفاظه ومعانيه .

رد طه حسين

« اتخاذ هذه الأساليب نقص أدبى لأن الكمال الأدبى يستلزم أن تكون اللغة ملائمة للحياة ، وهو نقص خلقى ، لأنه كذب للكاتب على نفسه وعلى معاصريه وهو نقص من جهة أخرى ، لأنه لا يدل على أقل من أن الكاتب

ينكر شخصيته ولا يعترف لها بالوجود ، وأى انكار للشخصية أشد من أن تحس وتشعر ثم تستحى أن تصف إحساسك وشعورك كما تجدها .

أعرف أن الأسلوب الذى اتخذه الأستاذ الرافعى كان مستعذبا فى عصر من العصور ، ولكنى أعرف أنه إنما كان مستعذبا لأنه كان يلائم هذا العصر فاذا انقضى هذا العصر وانقضى معه ما ألف الناس من ضروب الحياة فيه ، فيجب أن ينقضى معه أيضا ساوب التعبير الذى كان الناس قد اتخذوه وسيلة لوصف مايجدون فى أنفسهم :

* * *

وهكذا بدأت الخصومة بين الرافعى وطه حسين ، ولم ينتظر الرافعى كثيراً فقد جاء عام ١٩٢٦ يحمل معه كتاب طه حسين (فى الشعر الجاهلى) ووجد الرافعى فرصته للانتقام من طه حسين بالحق فكان المصارع الأول فى هذه المعركة ، وحمل عليه فى مقالات متعددة فى جريدة كوكب الشرق مستغلا جريدة الوفد والوفد خصم الأحرار الذى كان طه من أبرز كتابه . وكانت عقدة الخصومة عند الرافعى هى محاربة مذهب التجرد من الدين لتحقيق مسألة من مسائل العلم أو مناقشة رأى من آراء الفكر أو رواية من روايات التاريخ .

وكانت معركة الشعر الجاهلى[٢] :

وقد هاجم الرافعى طه حسين فى بضعة وعشرين مقالة نارية ، ولم يجب طه على واحدة منها ، فقد كان المتفق عليه أن يترك الدكتور طه « العاصفة

---

(١) اقرأ جريدة السياسة اليومية ـ مايو ويونية ٩٢٣ :
(٢) اقرأ معركة الشعر الجاهلى فى موضعها من هذا الكتاب .

تمر » ولا شك أن المعركة بين الرافعي وطه حسين هي معركة خلاف في الرأي وأسلوب الفكر ومنهج الفهم للأدب والدين واللغة ، وأن الرافعي كان بالنسبة للمجددين سيفا مصلتا يحسب له ألف حساب .

ويعزو سعيد العريان (ص١٢٣ من كتابه حياة الرافعي) هذه المعركة إلى أن الرافعي كان يطمع في أن يكون إليه تدريس الأدب في الجامعة وأنه كشف عن رغبته هذه في مقالاته بالجريدة .

• • •

وقد صور الرافعي خلافه مع طه حسين في عديد من رسائله إلى الشيخ محمود أبو رية التي جمعها في كتابه « رسائل الرافعي » ولكنه كان منصفا فهو يقول :

« كانت محاضراته مجموعة متناقضات وإن كانت الجامعة حشدت لها حشدا عظيما من المدعوين والرجل ميسر وخطه مقبول . ويقول :

أما طه حسين فليس بالضعيف الذي تتوهمه وهو في أشياء كثيرة حقيق بالإعجاب كما هو في غيرها حقيق باللعنة[1] .

وقد وصف كتاب هامش السيرة بأنه « تهكم صريح[2] » .

٣ — معارك الرافعي مع زكي مبارك

وكان الخلاف بين الرافعي وزكي مبارك حول « أوراق الورد » حيث أعلن الرافعي أن كتابه فن جديد في الأدب العربي وأنه « سد المكان الخالي

---

(١) رسائل الرافعي ص ١٨٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٠ .

فى الأدب العربى من أول تاريخه إلى اليوم . وإعطاء العربية كتابا فى رسائل الحب وفلسفته وأوصافه (٣) تفاخر ماقى اللغات الأخرى

« وأن زكى مبارك قد زعم انه وقف على رسائل غرامية فى الأدب العربى وأورد بعضها وهى رسائل كتبت فى العراق ولا تعد من الرسائل الغرامية ، بل هى من الإخوانيات التى نبهت إليها فى المقدمة . وقد غلط فى مقالة غلطة هائلة فلما رددت عليه امتنع البلاغ عن نشر الرد كما فعل مع العقاد وبقيت غلطات زكى مبارك لم تكشف لأنه يكتب للبلاغ بأجر رخيص جدا وهذا هو الذى يهم البلاغ فلا يريد إسقاطه »

وقال أن زكى مبارك بالغ فى التحريف ولا بد من ضربه ضربة قوية فى السفود متى زال هذا المرض .

« أما الغلطة التى غلطها — هذا المغرور — فهى أنه يزعم وقوفه على رسائل غرامية أورد فيها أشياء وكلها رسائل للغلمان مما نبهت عليه فى المقدمة وفى تصحيحه لزهر الآداب وقع فى نحو مائتى غلطة منها غلطات غاية فى الجهل .

وقال « لو اطلعت على اغلاط زكى مبارك هذا فى تصحيح زهر الآداب لأيقنت أنه حـ .. كبير وهو مع ذلك دكتور فى الآداب .

وقد كتب الرافعى مقالة « أبو حنيفة ولكن من غير فقه » عن زكى مبارك وفيها يقول : هل يبدأ الأدب العربى فى عصرنا أم ينتهى . وهل تراه يعلو أو ينزل وهل يستجم أو ينفض .. وهذه معانى لو ذهبت أفضلها لاقتحمت تاريخا طويلا أمر فيه بعظام مبعثرة فى ثيابها لا فى قبورها حتى أصبح أمر الأدب على أقبحة وهم يرونه أحسنه حتى قيل فى الأسلوب ، أسلوب تلغراف ، وفى الفصاحة فصاحة عامية ، وفى اللغة لغة الجرائد .

---

(٣) صفحات ١٩٤ و ٢٠٤ و ٢٠٥ من رسائل الرافعى .

والرافعي يختلف مع أدباء مصر في آراء كثيرة فهو يعارض رأى هيكل في كتابه حياة محمد في « الأسراء » ويقول إنما جاء[1] بعد صدور الكتاب الفرنسي يقصد كتاب أميل درمنجم) (ولولا هذا الكتاب ما كتب هيكل في حياة الرسول حرفا . فهؤلاء قوم مستعمرون في عقولهم ورأيه في الأسراء لا قيمة له بل هو ألفاظ فلسفية لا غير .

وقال عن لطفي السيد أنه فيلسوف سوفسطائي (أورد ذلك) في مقالاته عن طه حسين (تحت راية القرآن) .

وقال أن احمد أمين كان عضوا في لجنة الأزهر عام ١٩٢٨ التي حاكمت طه حسين وأنه الوحيد الذي كان يدافع عنه ويصحح ما في كتابه وأن طه حسين كافأه على ذلك بالعمل أستاذا في الجامعة[1] ووصف عبد الله عفيفي بأنه « شعرور » .

ومما ذكره الرافعي أن عنده نسخة من كليلة ودمنة « ليس مثلها عند أحد وما شئت من مثل هذا إلا وجدته فيها » وقد كتب فصولا منها عن طه حسين وعن العقاد .

٤ — معركته مع عبدالله عفيفي

وقد دخل الرافعي معركة مع عبد الله عفيفي عندما كتب في مقتطف (نوفمبر ٢٩٤٢) يعني شوقي ويقول « إن مصر أصبحت سيدة العالم العربي في الشعر وهي التي لم تذكر قديما في الأدب إلا بالنكتة والرقة وصناعات بديعية ملفقة ولم يستفيض لها ذكر بنابغة أو عبقري ، وقال الرافعي أن شوقي

---

(١) ص ٢٣ ٢ رسائل الرافعي .

(٢) ص ٢٤١ نفس المصدر .

لو كان مصريا لما تهيأت له الأسباب الفنيه التي بلغت به مبلغه من الشعر لأن الطبيعة المصرية لا تساعد على انضاج المواهب الشعرية » .

وقد رد عليه عبد الله عفيفي وفتح بابا في النقد في البلاغ تحت عنوان « مصر الشاعرة » وحاول أن يثبت أن مصر لها تاريخ طويل في الشعر وكان الرافعي قد بدأ مقالاته على السفود في مجلة العصور بمقال عن عبد الله عفيفي شاعر الملك الذى نازعه صولجانه بعد أن اختلف الرافعي مع الابراشي ناظر الخاصة الملكية إذ ذاك .

وقد أراد الرافعي أن يضرب العقاد وطه حسين في النقد ضربة واحدة ، وآتته الفرصة عندما أعلن طه حسين ١٩٣٤ أن أمير الشعراء بعد شوقي هو العقاد ، كذلك قال الرافعي (مجلة الأسبوع) :

وليس لدى الآن نص كلام الدكتور ولا أنا أذكر ألفاظه بحروفها ، ولكن الذى أذكره أني حين قرأته لم أبحث بين ألفاظه عن يقين المتكلم واقتناعه وحججه وأدلته بل بحثت فيه عن سخرية طه بالعقاد وبالشعراء جميعا في أسلوب كأسلوب تلك المرأة العربية في قصتها المعروفة حين قالت لرجال قومها في أبيات مشهورة .

وأن انتموا لم تغضبوا بعد هذه

فكونوا نساءا لا تغيب عن الكحل

غير أن طه في سخريته كالذى يقول : فإن لم تثبتوا أن فيكم من استطاع أن يخلف شوقي فاصغروا واصغروا حتى يكون العقاد هو أميركم وبقى ان نتساءل لماذا لم تأت الشهادة يوم كان الدكتور طه عميداً لكلية الآداب

وكان يومئذ امرءاً لا يستزله الاكراه ، ولماذا جاءت الشهادة وهو يحترف الصحافة . أترى لو كان العقاد من الحزب الوطنى أو من الأحرار الدستوريين أو اتحاديا أو شعبيا أفتكون قولة طه يومئذ — وفى انسلاخه الثانى وانقلابه وفديا — أفتكون إلا ردا سياسيا على العقاد وشعره نفره سياسية من هذا الشعر وعقاده » ...

حقيقة رأى الرافعى فى طه والعقاد (١)

غير أن احمد حسن الزيات كان قد استطاع أن يستل من الرافعى تصريحا عن حقيقه رأيه فى طه حسين والعقاد نشره بعد وفاة الرافعى .

قال الرافعى للعقاد : أما ما كتبه فى « على السفود » فأكثره رجس من عمل الشيطان وأما ما أدخلته (تحت راية القرآن) فكله إلهام من روح الله .

ووصف طه حسين بقوله :

ذهنه لماع الذكاء ولكنه لا ينفذ . وقريحة واسعة الحيلة ولكنها لا تخلق لذلك تجده معسول الكلام لا أثر فيه لروعة الفن ولا لبراعة الفكرة ولكنه قوى الشخصية جياش الحركة عذب السياق جميل العرض ، وهو أشبه الناس بمهندس العرض فى بيوت التجارة ، يعرض البضائع فى البتريئات منسقة على نظام يملك البصر ولكنها تظل بعد التنسيق كما كانت قبل التنسيق ملك غيره وأحسبه إذا تنفس به العمر على هذا الحال يعود رجلا له رأى مسموع فى التأديب . ولكن ليس له أثر خالد فى الأدب ويلوح لى ان طه

(١) الرسالة — ١٣ مايو ١٩٤٠ .

تعوزه العقيدة التى تخلق المبدأ ومن هنا كان التناقض الظاهر فى كل ما يصدر عنه من قول أو فعل .

ووصف العقاد بقوله : أما العقاد فإنى أكرهه واحترمه : أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الانصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكانى فى الأدب ولكنه ينفس على قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا اجرى معه فى عنان .

الفصل الثانى

معركة فضل العرب على الحضارة

بين طه حسين واحمد زكى باشا وشكيب ارسلان

أثار البحث حول مكتبة الاسكندرية « وهل حرقها العرب » معركة حول فضل العرب على الحضارة . وذلك أن طه حسين ، ترجم تقريراً كتبه المستشرق « بول كازانوفا » ونشره فى السياسة اليومية (٢٠مايو ١٩٢٣) حول هذا الموضوع.

وقد عرض طه حسين لأحمد زكى باشا « شيخ العروبة » وسخر من الأذاع بان للعرب فضلا على الحضارة وسبقا فيها وأجاب زكى باشا بأنه لم يطلق هذا القول إطلاقا ، ودخل المعركة الأمير شكيب أرسلان حيث عرض لدور كتاب التغريب .

ومنه ملامح المعركة :

١ — طه حسين

لست ادرى لماذا نبحث عن الظهر فى الساعة الرابعة عشرة كما يقول الفرنسيون ، فقد يخيل إلى ان من السهل ان نلتمس لهذه القصة اصلا تاريخيا لم يروه التاريخ . وما الذى يمنع ان تكون هناك خزانة كتب تحرقت اثناء فتح الإسكندرية دون ان يكون عمر قد أمر بتحريقها ودون ان يكون عمر قد احدث هذا التحريق . فإن اخذ المدن عنوة يستتبع اهوالا كثيرة من التحريق والتدمير ، ذلك إلى ان هذا التأويل الذى افترضه سهل معقول فى نفسه لا يأباه المنطق ولا ينكره التاريخ .

واشار الدكتور طه إلى راى المستشرق كازانوفا فى قضية مكتبة الاسكندرية على النحو الذى اشار إليه ثم قال :

المستشرقون إذن متعصبون للعرب وقد لا يكونون اقل تعصبا للعرب من صاحب السعادة احمد زكى باشا الذى اذاع فى الناس منذ سنين فكرة ان العرب سبقوا إلى كل شيء ، ولا يوجد بين الشعوب شعب سبقهم إلى

إلى شيء ، وظاهر أن هذا التعصب وما ينشأ عنه من الآراء الكثيرة المختلفة ، هو أبعد الأشياء عن الشعور العلمي والمنهج العلمي في البحث والتحقيق . فإذا قامت مناهج البحث عن خزانة الاسكندرية وتمزيق العرب إياها على قاعدة التعصب للعرب والمسلمين أو على العرب والمسلمين فنحن واثقون بأمرين : الأول أن هذه المسألة لن تحل ، والثاني أن القرون ستتعاقب قبل أن يفرغ الباحثون من الكلام الكثير .

٢ — أحمد زكي باشا[1]

إن الذي قلته وكررته وأيدته بالوقائع الثابتة ودعمته بالنصوص الصحيحة التاريخية المعتهدة هو :

• أن العرب سبقوا الأفرنج إلى اختراع كتابة للعميان .

• سبقوا الأفرنج إلى التفكير في حل مسألة الطيران وإلى محاولة ذلك بالفعل وإلى نقله من حيز العلم إلى حيز العمل .

• إن العرب سبقوا الأفرنج إلى التفكير في كشف أمريكا ، وانهم حاولوا الوصول إليها مرتين بالفعل ، وأولاهما من لشبونة عاصمة البرتغال وثانيهما من مدينة غانة بالسودان الغربي على ساحل المحيط الأطلنطي .

• إن العرب سبقوا الأفرنج إلى معرفة مرض النوم .

• أن العرب سبقوا الأفرنج إلى اكتشاف منابع النيل ووصفوها وصف شاهد العيان .

• إن العرب سبقوا الأفرنج إلى استدلال أمريكا وافتراض وجودها ،

(١) اقرأ تفاصيل البحث في السياسة اليومية ١٨ ابريل ٩٢٣ و ٢ مايو ٩٢٣ و ٣/١/١٩٢٤ .

وكان ذلك بطريقة منطقية عقلية هى أفضل من التى اتبعها كرسعوف كولومب فإنه لم يكتشفها إلا بطريق الصدفة والاتفاق فإن نظريته التى شرحها للملكة إيزابلا الكاثوليكية بعد طرد العرب من غرناطة إنما كانت الإمعان فى السير غرباً حتى يصل إلى بلاد الهند فلما وصل إلى أمريكا أسماها بلاد الهند الغربية وكان معه رجل من المسلمين الأندلسيين هو الرياش وقد وصفها لها وسماها (الهند الغربية).

وإن كل أمة فى الوجود لها فضل فى الحضارة والعمران فهل يراد بنا أن نسكت عن مفاخر أجدادنا ونترك الميدان لغيرنا مثل العلامة سيديو الإفرنسى الذى اثبت أن اكتشاف أبوالوفا البوزجانى فيما يتعلق باختلافات القمر وأثبت أن العلامة (تيخو براهما) الدنمركى إنما نقل أرقامه وحساباته بالنص والحرف.

واعترف علماء الأفرنج لذلك الفلكى الإسلامى بالسبق إلى هذا الاكتشاف البديع فضلا عن اكتشافاته الأخرى.

أم تريد أن نترك لغيرنا إظهار مفاخر أجدادنا[1].

٣ — شكيب أرسلان

لكل عصر شعوبية وأن شعوبية هذا العصر نفر من أدباء مصر لا تمر بهم فرص ينتقصون فيهل فضل العرب ويغضون عن منزلتهم فى التاريخ وينحتون من أثلة مدينتهم الشهيرة إلا توردوها مبتهجين، ولا يرون للعرب عورة من العورات إلا تهافتوا على إظهارها.

من هذه الطائفة من يطعن فى العرب جهاراً دون مواربة مثل سلامة موسى الذى يكتب فى الهلال والذى زعم أن العرب بدو هجموا على المدنيات

---

(١) السياسة اليومية — ٢٤ / ١ / ١٩٢٤.

الرومانية والإغريقية . وهذا النوع من العداء أقل خطراً وأجدر بأن لا يباليه أحد لأنه كلام ساقط عن نفسه ومن محاسن العرب أن يكون أعداؤهم — مثل سلامة موسى — إباحية يدعون إلى اختلاط الأنساب ولا يرون بأساً من أن يعرف المولود بأبيه وهي الشناعة .

ومن هذه الطائفة من تراه يضيق صدره — كأنما يصعد إلى السماء — إذا سمع كلمة خير في العرب أو قرأ عبارة توفر لهم قسطهم من المجد ، وقد قامت قيامة طه حسين على احمد زكي باشا بزعمه أن الأستاذ المشار إليه قال أن مدنية العرب فوق كل مدنية مع أنه لم يقل ذلك . وكيف كان يقول لو قال احمد زكي باشا : كلما كان الإنسان عربياً كان أقرب إلى البشرية ، كما يقول الفرنسيس — ولا يكبر ذلك طه حسين — كلما كان الإنسان إفرنسيا كان إعرق في البشرية » أو كما يقول الألمان « ألمانيا فوق كل شيء » وهلم جرا ، فلا تتحرج صدور هؤلاء إلا إذا كان الإعجاب بالعرب ، ولعمرى لو قال أحمد زكي باشا أن مدنية العرب فوق كل مدنية بالنسبة إلى القرون الوسطى — أي إلى الوقت الذي ظهرت فيه — لم يكن كاذباً لكان ظهيره التاريخ العام كما يعلم في مدارس أوربة .

ولا يعيب أنهم في القرون الوسطى لم تكن مدنيتهم أعلى من مدنية أوربة اليوم بعد القرون الوسطى بنحو تسعمائة سنة وألف سنة فإن من البديهي أن الآخر بطبيعة الحال يعلم مالا يعلمه الأول . نعم ، لا يعيب السلف أن يكون الخلف اعلم منهم وإنما يعيب السلف أن يكونوا قعدوا عن النهوض بالواجب عليهم ولكن طه حسين أذنه صماء عن الفحشاء .

---

(١) الزهراء مجلد ٣ / ٢٩٠ / ١٣٤٥ هـ .

فلا يجب أن يسمع هذا اللغو الذى هو مدح العرب وسبحان من جمع بين عمى البصائر وعمى الأبصار وأولهما أشد وأدهى .

يعلم الله أننا كنا نحب أن لا نستعمل لهذه الطائفة مثل هذه الألفاظ ولكن وقاحتهم على الوطن والدين واللغة والإخلاص والصيانة والقومية ، وما أشد ذلك تجاوزت حدها فأصبح من الواجب على كتاب الوقت أن يضعوهم حيث وضعوا انفسهم وأن يصبوا السخن على هذه الجراثيم الفاسدة للتخلص من سر عدواها .

ومنهم من لا تصل به الحماقة إلى هذا الحد ، ولكنه ينقب فى الكتب والآثار حتى إذا وجد كلمة يقدر أن يغمز بها العرب ولو من طرف خفى وقع عليها واخذ يستنتج ويقيس ويذهب إلى بعيد . وكان مرماهم الأصلى هو سلب العرب محاسنهم التى حلا بها التاريخ . فإن لم يمكن إسلابهم بعضها وأى شىء وجده فى هذا المعنى عدوه ربحا . فترى الواحد منهم يذكر فلاسفة العرب واطبائهم أو الكيماويين منهم وهو يشير إلى أن هذا كان نصرانيا وذاك يهوديا وذاك صابئاً او حرانيا .. على ان هؤلاء العلماء كلهم بعد ان كتبوا مؤلفاتهم بالعربية لم تعرفهم الدنيا إلا عربا .

والتحامل كل التحامل هو قول بعضهم أن العرب كانت علومهم كلها مبنية على الأسلوب الغيبي وانهم لم يعرفوا التجربة فى العلم — كلمات ينقلونها عن بعض المؤلفين الأوربيين الذين لا يريدون ان يعترفوا بفضل الشرقيين ، او بعض مؤلفيهم الذين لم يفهموا تاريخ العرب حق الفهم . ومن الغريب ان هذه الفئة إذا حاجها الإنسان بأقوال وشواهد من اناس من المستشرقين الأوربيين كان جوابهم ان المستشرقين هؤلاء من دأبهم المبالغة وهم لتعلمهم اللغة العربية احبوها وصاروا يزينون كل شىء عربى.

(المعارك الادبية)

فإذا ما عثر على رواية تنتقص من فضل العرب فى كلام مستشرقى الأفرنجة أسرعوا إلى نقلها وعدوها آية منزلة وبنوا عليها احكاما طويلة عريضة، ونسوا أن المستشرقين الذين يكرهون العرب وينشأون العالم الإسلامي هم اكثر عدداً من المستشرقين المحبين ، فهم يحرمونه عاما ويحاولونه عاما .

وليس من عربى عاقل يحب أن ينحل العرب فذه مما لم يعملوه . ولا أن يمدحهم بالكذب ، ولكن ليس من عربى عاقل يرضى بأن فئة مريضة من أهل هذا الزمان تهجم على مدينة العرب التى اتفق على عظمتها المشرق والمغرب وتحاول أن تحط من قدرها وان نطفىء من نورها بأفواهها .

أما أن علوم العرب كانت نظرية تخمينية ليس لها حظ من التجربة العملية فهذا خلاف ماعليه الجمهور ممن اشتغلوا بتاريخ حضارة العرب ، إرجع إلى مقال الدكتور محمد شرف فى السياسة الأسبوعية عن الحضارة الإسلامية وفضلها على العلوم الطبية » .

الفصل الثالث

الدين والمدنية

بين محمود عزمي وعلماء الأزهر

محمود عزمي — التغريب[1]

أثار « محمود عزمي » معركة فكرية بمناسبة اعداد الدستور المصرى عام ١٩٢٢ حيث دعا إلى أعتبار « القومية المصرية » وحدها اساسا لتقرير حقوق المصريين وواجباتهم العامه والمطالبة بتوحد التشريع والقضاء وجعلهما مدنيين فى الأحوال الشخصية كما فى المعاملات وقدجرى هذا السجال فى جريدة الأهرام (يونية ١٩٢٢) واشترك فيه كثيرون منهم : محمد هلال الابيارى وعبد ربه مفتاح ٠ولم فتوقف محمود عزمى عن ارائه ولكنه استنبطها بحثه طوال حياته الفكرية

نريد أن تكون القومية المصرية وحدها اساساً لحياتنا العامة . نريد أن تكون القومية المصرية بارزة كتلة واحدة .

تسمح التقاليد الدينية بتزوج المسلم من الكتابية . فتسمح بهذا بدخول العنصر المسلم إلى حظيرة الأسرة الكتابية ، ولكن هذه التقاليد نفسها تأبى أن يتزوج مسلمة من كتابى فيجعل باب الأسرة المسلمة محكم الإغلاق فى وجه الكتابيين جميعاً .

نحن أول من يتقدم بكل قلبه مطالباً بالمظاهر المدنية البحتة لحياتنا العامة جميعاً . فى اسرتنا وفى تعليمنا وفى تفكيرنا وفى قضائنا .

لا نريد غير قواعد واحدة للزواج ولا نريد غير محاكم واحدة للفصل فى كل انواع المنازعات . ولا نريد أن يكون خاصة فى مدارسنا مظهر لخلاف بين التلاميذ فى العقيدة .

---

(١) الأهرام — ٣ يوليو ١٩٢٢ ٠

لا نريد غير الوحدة القومية أساسا للتشريع وغرضا للتشريع ولا نريد أن يكون فى تصرفاتنا العامة مظهر لغير القومية وغير الامتزاج الحقيقى لجميع عناصر الوحدة المصرية .

فكوا عنا تلك الأغلال التى تريد أن تقيد فكرنا وعواطفنا وتقيد أعمالنا بدعوى انها منزلة خالدة .

محمد هلال الأبيارى : مدنية القوانين جميعا[1]

كيف يعقل أن يكلف اهل الأديان عامة فى قطر من الأقطار أن يدعوا عقائدهم وأديانهم جانبا وتلزمهم باستبدالها بقوانين وضعية — يستنبطونها بعقولهم وافكارهم مع ما يعلمه كل واحد منا من أن العقول البشرية لا يمكنها أن تستقل وحدها بعلم المصالح والمفاسد التى يرتبط بها الشقاء والسعادة .

كان على الأستاذ أن لا يخاطر بالأديان هذه المخاطرة وأن لا يغامر بها هذه المغامرة حتى يدعو الناس إلى هذه التجربة الخطيرة فيدعوهم إلى التخلص من دياناتهم لمجرد ظنه أنها قيود عتيقة تقيد العواطف والأفكار بدعوى أنها منزلة خالدة .

هذا هو مايقوله فى ترويج تلك التجربة الخطرة مدعيا ان من وراء العمل بها إسعاد الأمة وحفظ الوحدة وهو خيال إذ لو تجرد الناس عن أديانهم والتجأوا إلى ما توحيه إليهم عقولهم من السبل والوسائل فى التشريع لأصبحت الأمة فى فوضى خلقية .

ويئن الأستاذ ويتضجر من الأديان ويجعلها قيودا ثقيلة ويطلب إلى الأمة التخلص منها ويقرر أن كونها منزلة خالدة دعوى من الدعاوى

(١) الاهرام — ٧ يوليه ١٩٣٢ .

عبدربه مفتاح : إلى عصبة الملاحدة[1]

لقد فتح دين الإسلام أبواب الكمال فى وجه القراء، واماط لها الستار عن سبل السعادة وقرر حقوق البشرية على وجه الشركة وأتى على بنيان الاستبداد من أساسه

فما بال هؤلاء الناس يريدون أن لا نكون كالأمم الحية والدول القائمة بل ما بالهم يريدون أن لا يكونوا فى دائرة البشرية بل كلما جذبناهم إلى نوعنا استعصوا وابوا ألا يشتركوا معنا فى الجنس . اورونى يازعماء الزندقة عقلية عند مشرعيكم ونظما عند مقننيكم ينطق بها اللسان وإنصاف يقرب لا أن يساوى هذا الانصاف ، وروحا يدنو من هذا الروح .

بين زكى مبارك ومحمود عزمى

(كتب زكى مبارك فى كتابه (ليلى المريضة بالعراق) يناقش آراء محمود عزمى)

لما ذهب[2] إلى بغداد قال ان الخلاف بين السنة والشيعة ينتهى فى حالة واحدة « هو الإسلام : ولو خرج العراقيون من دينهم ورجعوا إلى الفطرة لزالت اسباب هذا الخلاف » .

قال زكى مبارك « والحكاية غريبة .ولكن وقوعها من الأستاذ عزمى غير مستحيل ، فلهذا الرجل سوابق من هذا النوع . وهو الكاتب الوحيد الذى اعترض على ان ينص فى الدستور على أن دين الدولة المصرية هو « الإسلام » ، وكان يسميه النص المشئوم فى كلمات نشرها بجريدة الأهرام وجريدة الاستقلال .

---

(١) الاهرام – ١٢ يونيو ١٩٢٢

(٢) ج ١ ج١ ٢٥١ .

وهناك سابقة ثالثة وقعت يوم كنا فى باريس . فقد اثنى عليه الدكتور بشر فارس فى احد المحافل وقال : انه يريد ان يكون الإسلام إسلاما . فاعترض الأستاذ عزمى قائلا : أنا مايهمنى ان يكون الإسلام إسلاما .

ولم يكن عزمى اول من اشاد بالارتداد عن الإسلام لتنقية الفطرة من اوهام المحترفين من اتباع الدين . فقد سبقه إلى ذلك الأستاذ محمد فريد وجدى ولكن فريد وجدى يقبل منه كل شىء لأنه قضى حياته فى الدفاع عن الشريعة الإسلامية . اما محمود عزمى فرجل يعلن ان إيمانه مقصور على الحقائق التى يؤيدها العلم الحديث . ومن اجل هذا يقع هجومه على الإسلام موقعا غير مقبول .

الفصل الرابع

التغريب

بين حسين فوزى وسعيد العريان

صدر الدكتور حسين فوزى كتابه (سندباد عصرى) بهذه العبارة :

« درجت على حب الغرب والأعجاب بحضارة الغرب . وامضيت أهم أدوار الفكرى من عمرى فى أوربا . فتمكنت أو اصر حبى وتقوت دعائم أعجابى . فلما ذهبت إلى الشرق ، عدت إلى بلادى وقد استحال الحب والأعجاب ايمانا بكل ما هو غربى .

ورد سعيد العريان عليه بقول :

« انى لأبيح لنفسى وقد قرأت الكتاب وحلت صداه فى نفسى ، أن اقتحم على قدس هذا الرأى فى نفس الدكتور حسين فوزى، فأزعم أنه مؤمن بالشرق وما فيه إيمان الراى والعقيدة والدم الموروث . وما هذا الرأى الذى يجهر به إلا صدى معكوس لبعض هذا الإيمان . انشأه فى نفسه إحساس قوى بمحبة هذا الشرق ، ورغبه غالية فى إنهاضه . واسف بالغ لما صار إليه . ثم ثورة فائرة فى اعماقه على أكثر مايرى ويحس من عادات الشرقيين وتقاليدهم . فلما هم أن يصيح صيحته قائلا : يابنى قومى ، ليست هذه روحانية الشرق وليست هذه مفاخرة » عقة البيان فلم يجد إلا هذه العبارة التى صدر بها كتابه يترجم عن ذات نفسه فى لغة من لغة الغرب الذى تعلم فيه فتكلم بلسانه ، على أن هذا الشرق الذى رآه الدكتور حسين فورى بعينيه ليس هو الشرق الذى ندعو إلى إحياء مجده وتجديد حضارته . أن للشرق حضارة أخرى لا تجتليها العين ولا تدركها المشاهدة . وقد درست معالم هذه الحضارة فلم يبق منها فيما تراه العين إلا أرض وناس . وتاريخ يتحدث عن ماض

يخزى من ذكره حاضره وليس الشرق هو هـذا الهند الغارق فى العبودية والأسر والهوان ولا هذه الجزر المبعثرة بين شواطىء المحيط الهندى والبحر الأحمر ، ولـكن الشرق معنى عام أن لم يبد اليوم لعينيه فيما شاهد من نوىء وآثار وحجارة مركومة ، فإنه حريا أن يشرق فى نفسه معناه أنه حاول أن ينفذ بعينيه إلى ماوراء ما يرى من آثار وحجارة وناس .

الفصل الخامس

حقوق المرأة

مساجلة بين رشيد رضا ومحمود عزمى

هذه واحدة من مساجلات المجددين والمحافظين : موضوعها « هل يجب مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات » وهى محاضرة ألقاها الدكتور محمود عزمى ورواها وورد عليها الشيخ رشيد رضا وكان معارضا لكثير مما أورده عزمى .

قال عزمى : ما كنت أحسب وقد ملأت الدنيا أنباء الفضليات من النساء اللاتى يضربن الآن بسهم وأفر فى مختلف نواحى النشاط البشرى والواقى ، وفى الملك الدستورى الثابت ، فى إدارة شئون الدول — ولايزال يطن فى آفاقنا جميعا دوى تلك الجهود الماثلة التى قام بها النساء خلال الحرب العالمية وقد استحطن عمال خشنين ، يبرزن على الرجال فى المعامل والمصانع المدنية فيها والعسكرية

وقد تناول الشيخ رشيد رضا رواية المساجلة بقلمه :

خطاب [1] الدكتور محمود عزمى ، كان مكتوبا بالأسلوب الخطابى الذى يقصد به التأثير بخلابة القول وما يزينها من المعانى الشعرية . ولعله ينشره فى بعض الجرائد اليومية التى يثبت فيها دعايته وآرائه وقد بدأه بقضايا ظن أنها كليات لأشكال منطقية يلزم من تسليمها النتيجة المطلوبة . والحق أنها فى عرف المنطق الصحيح أما شخصية وأما جزئية لا يصح تأليف الأشكال المنتجة منها ، وأن ما قد يضاف إليها من الكليات لا يمكن أن تكون مسلمة فيحتج بنتيجتها ، وقد سماها منطقية وهى تسمية مردودة عند من له إلماما بعلم المنطق وما فى باب الحجة والقياس من الشروط فى تأليف الأشكال المنتجة للبرهان .

ذلك أنه ذكر أسماء بعض النساء فى أوربا وفى الشرق من معاصرات

---

(1) كوكب الشرق – ٢٢ يناير ١٩٣٠ .

وغابرات كمدام كورى وملكة هولندة وأميرة لكسمبورج وخالدة أديب والأميرة نازلى وهدى ومى وسيزا نبراوى .

فالقضايا التى تتركب من هذه الأسماء تسمى فى المنطق قضايا شخصية لا يصح أن يتألف عنها منفردة ولا مجتمعة قياس برهانى على وجوب مساواة النساء والرجال فى جميع الحقوق والواجبات ، وذكر أيضا بعض أعمال النساء العامة فى أوربا وما كان من جهودهن فى أبان الحرب العظمى . وهؤلاء وإن كن كثيرات فإنه لا يصح الاحتجاج بهن على المطلوب لأنها جزئيات لم تصل إلى حد الاستقراء التام الذى يفيد البرهان اليقينى .

وما زال يقول « وما كنت أحسب » ويذكر جملا حالية معروفة حتى جاء باتمام الجملة فقال . « ما كنت احسب وكل هذه الظروف تكتنفنا أن وجود تسوية المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات يمكن ان يكون محل مناظرة » لأنها فى رأيه كانت يوم قال بها الأستاذ لا تعد خيالا من الخيالات ولأنها اصبحت اليوم بدهية من البدهيات . وحقيقة من الحقائق العلمية التى لا يمارى فيها إنسان .

وبعد إلقاء الدكتور عزمى لهذه المقدمات العقيمة شرع فى بيان الحقوق فقال إن اولها : حق الوجود واستنشاق الهواء كالرجل لأنها كائن موجود مثله سواء . وان النتيجة المنطقية لذلك تمزيق الحجاب وهتك الستر والاختلاط مع الرجال فى كل مجال فهو القاعدة الأولى لحق الوجود . وافاض فى مدح هذا الاختلاط وعدة من مهذبات الرجل فى ملبسه وزينته وكلامه وتفكيره .

واستشهد على ذلك برحلته الأخيرة إلى فرنسا فذكر انه كان يحلق دقنه كل مرة أو مرتين لأجل الاجتماع بالنساء و ذكر أيضا من مزايا هذا الاجتماع

بهن ، التفكير الطاهر البرىء وانتقل منه إلى حق الحياة فى المجتمع ومنه أن يكون لها حق اختيار الزوج وحق الطلاق واتقاء ما يهدد حياتها من عواصف تعدد الزوجات وقفى عليه بحق الاشتراك مع الرجل فى تربية الأولاد وتوجيه أنفسهم إلى الأعمال . وعطف على هذا حق الامتلاك بالإرث والكسب فارتطم ههنا فى حمأة مصادمة الشرع ، إذ زعم أنه يجب مساواة الأنثى للذكر فى الإرث فكان كعاصفة على البحر اضطر جمهور الموجودين اضطراب الموج ، واصطخبوا اصطخابه عند ما يتكسر على الصخر وأرادوا منعه من الكلام .

ولما أمكن اتمام القول التجأ إلى التأويل فزعم أن مسألة الإرث عند كثير من علماء الشرع ليست كمسائل العبادات التى تجب المحافظة عليها والجمود على نصوصها بل هى من مسائل المعاملات المالية التى يجوز تعديلها وتغييرها حسب تطور الزمان والمكان .

وقال : وإذا تعنت معنا أصحاب الجمود على الآراء الدينية فلماذا لا يتغيثون فى تعديل قواعد الحدود الشرعية كالرجم ، وقطع يد السارق ، فإن الحدود قد عطلت وهم ساكتون فليسكتوا إذن على تغيير أحكام الميراث . والدليل على أن هذه الأحكام لا يمكن الاستمرار عليها أن المسلمين أنفسهم قد شعروا بذلك فرأوا الخروج من هذا الجمود بالوقف الذى هو عبارة عن حيلة يجيزها الإسلام الصحيح للخروج من الشىء إلى ماهو أوسع منه وقد جزم بأن أبناءنا سيرون هذا التغيير أن لم نره نحن .

وختم هذه الحقوق بالحق السياسى وهو أنه ؛ لما كانت المرأة عنده كالرجل من كل وجه وجب أن يكون لها الحق فى جميع أعمال الحكومة ووظائفها والانتخاب لمجالسها وقد حال انتهاء مدة كلامه دون أفاضته فيها

فسكت سكوتا مسخوطا عليه من الأكثرين . وصفق له الأقلون ، وقد علمت بعد الخروج أن اكثرهم من غير المسلمين وأقل من ملاحدتهم .

٢ — قلت[1] فيما ذكره الخصم من المقدمات من نابغات النساء أن للمرأة إنسان فلا يستنكر أن يظهر فى بعض النسوة عالمات فاضلات ومهذبات نابغات . وأن وجود من ذكرهن دليلا على مساواتهن للنابغين من الرجال على قلة أولئك وكثرة هؤلاء ، وأن سياسة الأمهورة نازلى لا تسمو فتصل إلى سياسة سعد باشا وأن زعم أن اجتماعات قصرها كانت هى العاملة فى تكييف ملكات التفكير العام عنده .

وإنما الفضل الأول لتكوين ملكات التفكير فى عقل سعد هو الأستاذ الإمام — ثم قلت منها ما سماه « حق الوجود واستنشاق الهواء » أنه ثابت بنفسه فى الواقع وخلق الخالق فالكلام فيه من تحصيل الحاصل فلا يحتاج وجود النساء إلى إثبات الخطيب له بالدلائل . فالنساء موجودات بدون حاجة إليه ، إنما الباطل هو إستدلاله به على وجوب تمزيق المرأة للحجاب والستور الذى يعبر عنه بالسفور واختلاط النساء بالرجال الذى ذقنا مرارته وبجرعنا غصصه . بخروجهن كاسيات عاريات يسبحن مع الرجل على شواطىء البحار ويرقصن معه فى مواخير الفساد .

— أما حق المرأة فى التعلم فقد قلت فيه أن الله تعالى فرض طلب العلم على النساء كما فرضه على الرجال فهو واجب عليهن فى الدين وحق لهن على الوالدين والأولياء . ومن العلم ماهو واجب عينى على الصنفين وما هو واجب كفائى ومنه ماهو واجب عينى على أحدهما دون الآخر كالأحكام

---

(١) كوكب الشرق — ١٠ يناير ١٩٣٠ .

الخاصة بالنساء فيما هو خاص بطبيعتهن كبعض أحكام الطهارة المعروفة .

فكل علم تنتفع به المرأة فى تهذيب نفسها وتربية أولادها وتدبير منزلها فهو حق مشروع وقد جعل الشرع لها حق حضانة الأطفال دون الرجل .

— قلت وما ظلم النساء من ظلمهن من الرجال إلا بسبب إمتهان الأقوياء غير المهذبين بتهذيب الدين للضعفاء . وذلك شأن كل قوى غير مهذب من ذكر وأنثى هو من هو أضعف منه حتى الوالدين مع الأولاد ، والعلم قوة يحترم التسليح بها بالطبع فتعلم النساء العلم الصحيح النافع يثمر لهن احترام أزواجهن وغير أزواجهن .

— أما حق الحياة فى المجتمع فقد بينت حكم الشرع فيما ذكره منه وهو حق اختيار الزوج وحق الطلاق كالرجل وحق صيانة نفسها من ضرر تعدد الزوجات .

قلت : أن الرضى بالزوج حق شرعى قررته السنة الصحيحة للمرأة وأن من قال من الفقهاء بجواز إجبار الأب لبنته البكر على الزواج فقد اشترطوا له شروطا له ولصحته شروطا منها الكفاءة وعدم العداوة الظاهرة بينه وبين الولى وعدم العداوة الظاهرة أو الباطنة بينها وبين الرجل الذى يراد تزوجها به .

— أما الطلاق فلو جعل حقا مطلقا للنساء كالرجال لفسدت البيوت وانقطع سلك نظام العائلات بالافراط فيه كما تحدثنا الصحف عن أعظم أمم الغرب مدنية أن للمرأة أن تشترط فى عقد النكاح أن يكون أمرها بيدها وهذا الشرط يعطيها حق تطليق نفسها .

أما حق الاملاك للنساء كالرجال فالشرع الإسلامى فيه أوسع الشرائع

وأرحمها ومن رحمته وحكمته أحكام الإرث وقد تكلمت فى ذلك حتى اسكتنى الرئيس بانتهاء الوقت .

* * *

٣ — وسمع(١) أن بعض الجرائد الأفرنجية انتصرت للأستاذ محمود عزمى وطعنت على الجمهور الذى أيدنى بما يطعن به الأفرنج على كل مسلم معتصم بدينه — مع هذا وذاك — لا أزال مصرا على ما كتبته من اعجابى بحرية الرجل وصراحته وانصافه فيما صرح به أمامى فيما قلت من الرد عليه ومنه قوله لى « أننا نبالغ فيما نطالب للنساء من الحقوق فى مقابلة ما نعلمه من مبالغة رجال الدين فى هضم حقوقهن لنصل إلى الاعتدال الذى يقول به مثلك ، نعم لقد أكبرت من إنصافه فى هذا المقال وزاد عجبى به ماعلمته من أنه قال هذا فى مجالس أخرى .

(١) كوكب الشرق — ٣١ يناير ١٩٣٠ .

الفصل السادس

معركة حول التراث القديم

بين زكى مبارك والسباعى بيومى

هذه معركة من أقسى المعارك التي خاضها الدكتور زكى مبارك ، ولأول مرة صادفته الهزيمة إذ واجه لأول مرة أند وأقسى وعنفا أشد من مناظرة الأستاذ السباعى بيومى الذى كان قوى المعارضة فى مواجهة سجال زكى مبارك مما حمله على أن يفر سريعا من المعركة ويلجأ إلى الصاح.

زكى مبارك : الهجوم الآثم على المرصفى

إلى[1] الأستاذ سباعى بيومى .

نشرت الرسالة كلمة بإمضاء (محمد فهيم عبيد) عن كلام وقع منك وأنت تحاضر عن « المبرد » بمدرسة دار العلوم فقد تحدثت عن أخلاق الشيخ سيد المرصفى بما لا يليق ، فإن كان ذلك الكلام لم يقع منك فانفه فى العدد المقبل ، وإن كان وقع منك فسارع إلى الاعتذار ، إبقاء على ما بينى وبينك من وداد ، فما استطيع السكوت عن رجل يتعرض لأخلاق الشيخ سيد المرصفى بسوء ولو كان من أعز الأصدقاء .

وإلى أن يثبت أن الراوى افترى عليك ، أعلن غضبى على ما بدر منك ، فقد كنت أظن أنك تعرف الشيخ سيد المرصفى له تلاميذ يحفظون عهد الوثيق وسترى كيف تجيب ، إن كنت فى العدوان على ذلك الرجل العظيم من الأبرياء » .

وفى نفس العدد من الرسالة نشر كلام لطلاب من دار العلوم يقولون فيه « أن الأستاذ السباعى لم يقل عن المرصفى إلا أنه كان يملكه الغرور . والمرصفى ذاك يسجل ذلك على نفسه فى كل ما كتب .

---

(١) الرسالة — ٦ يناير ١٩٤١ .

ثم عاد زكي مبارك فكتب في الرسالة ٣ فبراير ١٩٤١ تحت عنوان (الهجوم الآثم على الشيخ سيد المرصفي) يقول : كثرت الخطابات التي ترد إلى تحقيق ما إدعاه الأستاذ السباعي بيومي في خق الشيخ المرصفي . وكنت أغفلت الموضوع عن عمد لأن الأستاذ السباعي له حقوق ، فقد كان دائما من انصاري ولم آخذ عليه ما يريب . ولأن مقام الشيخ المرصفي أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تساق إليه في إحدى المحاضرات .

ولكن سكوت الأزهريين عن الانتصاف للشيخ المرصفي أزعجني وكنت أرجو أن يكونوا دروعا واقية لذلك الشيخ الجليل . وهو رجل لم ير مثله الأزهر منذ أجيال طوال .

فماذا اصنع ؟ سأنقل القصة من وضع إلى وضع فأصيرها قضية أدبية لا قضية شخصية . وأبين أن السباعي بيومي يستر جنايته على « المبرد » بجنايته على « المرصفي » .

ولكن كيف ؟ سيرى صديقنا السباعي أن تهذيب الكامل لم يكن إلا جناية أدبية . وسيعرف أن التطاول على مقام الشيخ المرصفي لا يذهب بلا عقاب .

[السباعي[1] بيومي : خصومة أدبية]

استهل السباعي بيومي كلامه بقوله؛

« ما أحبها إلى نفسي خصومة أدبية تقوم على صفحات الرسالة بيني وبين صديقي الدكتور زكي مبارك ، فإن الخصومات الأدبية المتخاصمين

الرسالة ١٠ يناير ١٩٤١|١٧ فبراير ١٩٤١ .

مجالا واسعاً للبحث والتدقيق . ولحضرات القارئين مجالا أوسع للموازنة والتحكيم .

ثم أشار الكاتب إلى أنه القى محاضرة فى دار العلوم عن أسلوب المبرد فى كامله ثم ذكر أن طالبا تحدث بعد المحاضرة فرمى المبرد بالغرور والإدعاء ثم ذكر أنه دافع عن المبرد . وتطرق الكلام إلى المرصفى لأنه هو شارح كتاب (الكامل) للمبرد فأشار إلى أن مؤلفات المرصفى هى التى تنم عن خلق الغرور والإدعاء فيه وأن ذلك يظهر فى شرح الكامل وفى ديوان الحماسة وقال السباعى : وانه لتأصل هذا الخلق فيه كان شديد التحامل على المبرد والتشهير به فيما يظن أن المبرد اخطأ فيه .

ثم قال . وكم كنت اتمنى للشيخ المرصفى أن يجرد علمه من غروره ويسبل على تأليفه ثوبا ضافياً من التواضع والاعتدال حتى يكون ذلك أبين لفضله وأدل على نبله .

ثم اشار إلى أن هذا الكلام قد حرف بما وصف بأنه رمى المرصفى « بكثير من الأخلاق الذميمة .. الخ » .

وقال . وما كان منى عن الشيخ المرصفى — علم الله — إلا أسفى على ما خالط مؤلفاته من غرور وإدعاء وتطاول على المبرد فى أسلوب غير حميد ومازلت معتقداً هذا رضى الدكتور (مبارك) أم سخط .

ثم قال « هـــذا ياصديقى الدكتور هو الأمر الأصيل على جبلته وقد بسطته موضوعا فى نصابه مقرراً على وجهه ، لا كما تطايرت به الإشاعات .

وقديماً قالوا . وما آفة الأخبار إلا رواتها .

أما قولك (وإلى أن يثبت أن الراوى افترى عليك اعلن غضبى على

مابدر منك (فسبحانك اللهم وتعاليت) فما كان لأحد أن يقول (من يحلل عليه غضبي فقد هوى) إلا أنت .

زكي مبارك[1]

هذه طلائع لغزوة شريفة تنقل عقل الأستاذ السباعي من وضع إلى وضع ، وذلك فضلي عليه ، إلى أن اصفح عنه أو يشتغل محرراً متطوعا بمجلة الرسالة ثلاث سنين كما قهرت أخا له من قبل على أن يشتغل محررا متطوعا بجريدة البلاغ ، هي محنة صبت من شاهق على الأستاذ السباعي فليتحملها صابراً وليوطن نفسه على أن الخصومة بيني وبينه لن تنتهي قبل شهر مايو وهو الموعد الذي حدده الشيخ الأسيوطي لنهاية الحرب بين الإنجليز والألمان .

وكيف يخيفني تهديد الأستاذ السباعي وليس في ماضيه الأدبي غير نقل نصوص كتاب الكامل من مكان إلى مكان وتلك مهمة يقوم بها أحد النساخين بدراهم معدودات .

أمثلي يخاف من عواقب الجهر بكلمة الحق وقد قضيت دهري ممتحنا بعدوات الرجال .

لقد تلطفت معه أكثر مما يجب ، ولم يحفظ جميلي ، فكيف يراني أعطف عليه وقد تردى بثوب العقوق .

السباعي بيومي[2]

جعلت كلمتك «الهجوم الآثم» على الشيخ سيد المرصفي وهذا أمر غبت عنه ،

---

(١) الرسالة ـ ١٧ فبراير ١٩٤١ .
(٢) « ٢٤ فبراير ١٩٤١ .

ولم تشهده فكيف أقدمت عليه قبل أن يتجلى لك ، وإذا سوغك تطاولك أن تسميه هجوما فكيف وصفته متسرعا بالإثم فكنت الآثم بما وصفت .

وتزعم أن الخطابات قد كثرت عليك فى تحقيق ما ادعيته على من حق الشيخ المرصفى وأنا اجزم قاطعاً — واحلف غير حانث ، أنه لا خطابات ، وتقول وكنت أى لولا تلك الخطابات — قد اغفلت هذا الموضوع عن عمد ، لأن الأستاذ السباعى له على حقوق » وما كنت أفهم إلا أن تلك الحقوق هى حقوق الصداقة فإنى لا زلت بها حفيا وعليها حريصا ، ولكنك جملتها بأصديقى « إننى كنت دائما من انصارك » وليس لمثلى أن ينخدع بخدعة الصبى هذه تسوقها إليه ، فالحقيقة المرة التى اسمعك إياها الآن بعد أن طغيت زمنا ولم ترد ، إنك ما كنت فى يوما زعيما فى الأدب حتى يصح أن يكون لك أنصار . وإنما زعامتك نسج عنكبوت حكته من حولك وتركك الناس تلهو به وتلعب ، ثم زدت هذه العلة أخرى تقول فيها « ولأن مقام الشيخ المرصفى أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تساق إليه فى إحدى المحاضرات وأنى احذرك جريئا على تحذيرك إن كنت تريدها خصومة أدبية بينى وبينك أن تترك الآن الشيخ المرصفى فإن التحكك به لن يغنى عنك فى الموضوع شيئاً ، وإذا ما صفى الحساب بيننا عدت أبين لك أن مكانة الشيخ المرصفى لا تعلو فى النقد ، وأن الذى يصفه ببعض ما وصف به المبرد لا يكون قد عدا الحقيقة ولا تعدى على السلف الصالح ، فإن المبرد على أى حال أعلم من المرصفى ، علماً وأدب منه أدبا ، ثم هو ادخل فى السلفية الصالحة دخولا .

[وأشار إلى ماذكره زكى مبارك من سكوت الأزهريين عن الانتصار للمرصفى] ثم قال . إن عبارتك هذه من باب الاستعداء الذليل والملق الرخيص الذى ينقص منك ولا يزيد فيك . وقد فاتك أن الأزهريين

يقدسون حرية البحث فى دراساتهم أول ما يقدسون وأنهم يرثون المبرد قبل أن يرثوا الموصفى .

* * *

وانى بهذه الخصومة لجد مسرور ، أتدرى لماذا ؟ لأنى سأعرضك فيها للجمهور على حقيقتك التى غشيتها ما غشيتها وتسامح الناس معك فيها ماتسامحوا وسيكون أول كشف لك فيما عملت واقعا على كتاب « زهر الآداب » لأنه دون سائر أعمالك أشبه بما عملت فى تهذيب الكامل الذى عددته جناية أدبية .

أما قولك بأن « قول الحق لم يدع لى صديقاً » فإن الذى لم يدع لك صديقاً هو دأبك على الباطل فى كثير مما تبحث وبغيك على حق الصديق فى جل ماتنقد حتى لقد أقللت وأملت .

زكى مبارك[1]

عرض زكى مبارك لأشياء كثيرة فقد اتهم السباعى بأنه سرق منه نظرية من كتابة « النثر الفنى » عن نشأة المقامات وقال انه كتم سرقته أربع سنوات « لأنى اشعر بالارتياح كلما تذكرت أن عندى ذخائر يتطلع إليها الناهبون من الفضلاء » .

وأشار إلى أن الدكتور طه حسين هاجم دار العلوم وقال أنها مدرسة عاقر ومن الموجب أن تفاق دون تسويف فلم يحرك الأستاذ السباعى ولم يغضب « وكيف يغضب والدكتور طه رجل يضر وينفع . وهو يملك المحو

(١) الرسالة : ٢٤ فبراير ١٩٤٢ .

والإثبات من أعضاء بعض اللجان بوزارة المعارف » وقال « أما الشيخ سيد المرصفى فهو اليوم جسد هامد لا يملك دفع الضور عن سمعتة » مات المرصفى ولكن تلاميذه أحياء والويل كل الويل لم يتعرض لشيخنا العظيم بكلمة سوء .

ثم أشار إلى أن السباعى أخرج كتابا سماه « تهذيب الكامل » فى جزأين أولهما فى المنثور والثانى فى المنظوم ومعنى ذلك أنة قدم وآخر فى نصوص الكامل فهل يرى القراء أن هذا عمل مطلوب ، وهل يرون أن المبرد كان يعز علية أن يصنف كتابة على هذا الوضع لو أراد .

المبرد راوح بين المنثور والمنظوم لحكمة تعليمية ، هى نقل الذهن من فن إلى فن ليبعد عنة السآمة والملال وقد أضاع السباعى تلك الحكمة التعليمية بصنيعة « الجميل » .

وقال أن السباعى طارد المرصفى وكتابة (شرح الكامل) من دخول دار العلوم ليجهل طلبة تلك الدار أسوار كتاب الكامل وليجهلوا مبلغ أستاذهم السباعى من العلم بما وقع فى الكامل من تحريف وتصحيف ؛ ثم قال أنه سيصحح كتاب السباعى بيومى خدمة لأبناء دار العلوم وطلاب الأدب العربى .

« وعلى الأستاذ السباعى أن يناقشنى أن استطاع وهو لن يستطيع ولو ظاهره ألوف من المعجبين بقدرته على الاستهانة بفضائل التدقيق والتحقيق . والأستاذ السباعى شتمنى فى مجلة الرسالة مرتين فليكف عن شتمى — غير مأمور — فإن الألسنة والأقلام لم تبق فى شتمى مزيدا لمستزيد ، ولو حاسب الله أعدائى وخصومى على ما اجترحوا آثمين فى إيذائى لسلط عليهم شآبيب

البلاء . لا تشقنى ياسيد سباعى بحسبي ما أعانى من البلوى بمحنة النقد الأدبى . ألا ترانى أحاور أناسا لا أرتضيهم نساخا لمقالاتى ومؤلفاتى .

لقد لامنى الناصحون على ما اقترفت من التنازل إلى مساجلة بعض الناس . فهل تعرف كيف كان جوابى .

لقد أجبت بأن الأدب كالعلم ، والعالم يشرح جسد الضفدعة كما يشرح جسم الإنسان ، فمن واجب الأديب أن يفهم أن لا عيب فى أن يهتم بتشريح ما يضاف إلى الأدب لو صدر عن نسكرات ، لا تشقنى يا سيد سباعى فأنا رجل « شقيم » وذلك حرف لا يخفى عليك . لا تشقنى فما أملك محاسبتك لو أردت الانتصاف لنفسى ، وماذا أقول فى تجريحك ولست بشاعر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب .

أن قلمى ليسكتحل بالغبار الذى يثيره قلمى ، فمن طاب له أن يلقانى فى ميدان النقد الأدبى فليوطن نفسه على مكاره لا يصبر على لأوائها غير الجهاذيذ .

السباعى بيومى[1]

تدعى أن صديقا عزيزاً قال لك : لم يرضينى تحديك للاستاذ السباعى فقد كان يتفق أحيانا كثيرة أن يحمل مقالاتك من موضوعات الدرس فى دار العلوم وذلك من شواهد الإعجاب » ويظهر يا دكتور أن هذا الصديق من الخبثاء الظرفاء الذين عرفوا فيك ماقرره ابن المقفع من أن عجب المرء بنفسه أرحب باب يدخل علية منه الضاحك وعليه والمضلل له ، فهو قد أضلك

(١) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤١ .

وضحك عليك بما تخيل فتحققت ، وما كان لشىء من مقالاتك أن يكون موضع الدروس فى دار العلوم ، ولو حدث ما سميت دار العلوم .

ويقول أنك لن تصفح عنى أو أشتغل محرراً متطوعاً بالرسالة ثلاث سنين وما هذا لى بالتهديد فما أنا ممن يضيرهم التحرير ولا ممن تعودوا أخذ أجر على ما يكتبون لأنى أكتب للكتابة لا طمعا فى مال .

ولذلك يصدر ما أكتب من غير كلفة ولا إكراه .

وسأعلمك بأن ماضى لم يكن قائما على خدمة الكامل وحده وأن تهذيبى له لم يكن عملا يقوم به أحد النساخين بدراهم معدودات ، وذلك أنما أنفقت عليه من أنه كان خدمة يعرفها العارفون .

وتزعم أنك قضيت دهرك ممتحنا بعدوات الرجال ، ورجائى أن يكون رجلا فيما أصبت به عدائى ، وأن لا تغالى فى عدم العطف على ذلك الذى أزمعت تركه لأنى ترديت لك ثوب العقوق ، والحقيقة يادكتور أنه لاعطف منك على ولا عقوق منى إليك ، وإنما هو نقاش وحساب يتطلب منك أن تكون الجلد الصبور .

قلت : « فليواجهنى أن استطاع وأنا ماض إليه بقلم أمضى من السيف وأعنف من القضاء » وستعرف أينا الذى سيكون قلمه أمضى من السيف . إما أن قلمك أعنف من القضاء فمعاذ الله أن أشاركك هذا الكفران .

وإذا بك تقحم الدكتور طه حسين فى الموضوع بأنه أتعب نفسه فى النيل من دار العلوم ولم أغضب مع أنى أستاذ بها ، وهذا غير ما كان يا دكتور ، فقد كتبت فى الصحف ولكنك لم تقرأ ، كما لم تعرف ماضحيته وما زلت مستعدا لتضحيته فى سبيل الدفاع عن دار العلوم ، ثم توغل فى الأقحام وتدعى

أن علة سكوتى أن الدكتور طه يضر وينفع ويملك المحو والإثبات فى أعضاء بعض اللجان ، وردى على هذه الأكذوبة عنى وعن الدكتور أنى لم أسكت ومع هذا كنت عضوا فى اللجان ، وما ذنبى إذا كنت أدعى وتترك ، وأعرف وتنكر .

وأخيراً تسكثر من الجملة « لا تشتمنى يا سيد سباعى » معقبا إياها بتعاليل هى الأباطيل ، فالشاتم أنت وأنا عن الشتم بعيد وإذا كنت تلحن لى فى ذلك بأنك « شتيم » فأنا ألحن لك بأنى « بشر بن عوانه » .

وتقول : « فما أنت بشاعر ولا كاتب ولا مؤلف ولا خطيب » فأما الشعر فلو رضيت لنفسى ما قلته كما رضيت أنت ما قلت ، لسويته ديوانا كما سويت ، ولوقعت فى الشرك كما وقعت ، فقد اغتررت فى طبع ديوانك بنصحك من غرروا بك ، وخالفت قول من نصحوا لك وما ديوانك بشعر شاعر ولكنه تجميع ناظم ، أما الكتابة فها نحن فى ميدانها وسيصدر الجمهور حكمه .

أما التأليف فقد عرفت من عملى فيه (تهذيب الكامل) وستعرف غيره من مؤلفاتى متى انتهيت منه ونقاشنا فيه الآن ثابت ولا نفر من الميدان .

أما الخطابة فرأيى لك فيها يا دكتور أن نتلاقى فى حلبتها أمام جمع من الأدباء وجمهرة من السامعين ويقترح على كلينا التكلم بداهة فى موضوع عام من أدب أو اجتماع وهنالك فقط — ولست مزكيا نفسى — تجد بحر يغمرك وأمواجا تقطعك وتبهرك . فتتقدم طالبا النجاة ولات حين مناص .

زكى مبارك[1]

أنى لم أكن أعرف أن اللغة العربية غنية بألفاظ الهجاء قبل أن أقرأ

(١) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤١ .

كلمته الثانية . وأنا من الذين يدينون بوجوب طلب العلم من المهد إلى اللحد . فمن واجبي أن أرحب بمن يعلمني طرائق السباب ومن أجل هذا الرفض كل الرفض أن ينتهي ما بيني وبينه بالصلح . السباعي يهدد ويهدد بفقد مؤلفاتي وهو من فضلها يعيش فهل رأيتم أقبح وأشنع من هذا الكفران[1] .

(١) الرسالة ١٠ مارس ١٩٤١ .

(٢) انتهت هذه المساجلة بأن أعلن الدكتور زكي مبارك « أن بعض كبار الموظفين في وزارة المعارف رأوا وقف الجدال الذي أثرته في وجه الأستاذ السباعي بيومي وحجتهم أنه وصل إلى إلى درجات من العنف تؤذي كرامة المشتغلين بخدمة اللغة العربية . وقال : أني أجيب هذه الدعوة لأنها أول دعوة كريمة لكف الشر بيني وبين من أخاصمهم بقلمي لابقلبي . فلم أسمع هذا الصوت يوم خاصمت رجالا أعزاء لم يكن يسرني أن يقصم القلم ما بيني وبينهم من عهود وأنصافا لنفسي أقول أنني كتبت ما كتبت وأنا ابتسم » فأني قد أخاصم ولكن لا أعادي فما أستطاعت الدنيا بأحداثها الفواتك أن تضيفني إلى أرباب الضغائن والحقد ، وأنا أتهم بالقسوة والعنف بغير حق فيما كان همي في كل ما أثرت من المجادلات إلا ايقاظ الروح الأدبي والقوى . أما ايذاء الأدباء فهو معنى لا يمر بخاطري . وعلق سيد قطب على ذلك فقال أنه إذا كان لدى الدكتور ما يقوله بالأسلوب اللائق فليستمر فإن الوساطة كانت منصبة على أسلوب الجدل لا على موضوعه ، وصمت زكي مبارك . .

الفصل السابع

معركة الخلاف بين الدين والعلم

أثار الكتاب المجددون معركة الخلاف بين الدين والعلم، وهى واحدة من المعارك التى ركز عليها دعاة التغريب لبلبلة الأفكار وأثارة جو من الشكوك والشبهات والاتهامات وقد اشترك فيها الدكتور هيكل ومحمود عزمى وطه حسين وساجلهم الشيخ رشيد رضا، واتسع البحث لشمل عديدا من الصحف غير السياسية وكتابا كثيرين منهم مصطفى عبدالرازق وفريد وجدى . وهاجمت السياسة رشيد رضا ورسمت له لوحة فى مقالاتها « فى المرآة » واتهمته بأنه كان صنيعة الخديوى والأنجليز وأنه جامل كرومر حين سب الأسلام وقال له انت تقصد اسلام اليوم ووجد فى وثائق الشيخ محمد عبده مايرضى الخديوى لتقرب به اليه وقال انه عمل فى الجريدة سفيها لا يشق له غبار واعلن رشيد رضا إنشاء جمعية تهديد الالحاد والزندقة والاباحة المطلقه ومضت سنوات فى الصراع ثم حسم الدكتور هيكل المعركة بأن اعلن إنه لاصلة البتة بين التجديد والالحاد :

[معركة بين رشيد رضا والمجددين]

بدأت المعركة فى يونية ١٩٢٦ عندما كتب هيكل مقالة عن « الدين والعلم ورجال الدين ورجال العلم » ولكن الدكتور طة حسين أذاع أنة قد دخل المعركة عام ١٩٢٣ ولخص رأية فى أن الدين « حين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء ويأخذ الناس بالإيمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما . فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله ولم يصل بعد إلى إثبات نبوة الأنبياء . وإذا فبين العلم والدين خصومة فى هذين الأمرين يثبتهما الدين ولا يعترف بهما العلم .

(السياسة الأسبوعية — ١٧ يوليو ١٩٢٦)

وقالت الأهرام (١٩٢٦/١٢/٢٦) أن فريق المتعصبين للعلم على الدين يؤيدون نظريتهم بالتلميح لا بالتصريح ، وأن المقصود بالدين العاطفة الدينية التى ترفع المخلوق إلى الخالق أيا كانت تفاصيل العقائد .

وقال (مصطفى عبد الرازق) إن الاتجاه العلمي الأخير إنما هو انتصار للدين « ولست من القائلين بأن العلم كان يوما من الأيام يناهض الدين . ومن الناحية الأخرى لم ينهض الدين على مناهضة العلم بل العكس ، إن الإسلام يدعو إلى حرية البحث وصراحة التفكير والتسامح الذهني » .

وقال (محمد فريد وجدى) أن شقة الخلاف بين الدين والعلم — وهى على ماهى عليه فى حالتها الراهنة — بعيدة المدى وقائمة على أسباب غاية فى الخطورة وما دامت هى محافظة على تقاليدها فلا يوجد فى العالم مايقرب بينها وبين العلم .

الدكتور هيكل : رجال الدين ورجال العلم

نحن [1] لم نعرض لمسألة لتثير الخصومة بين رجال الدين ورجال العلم ولكن لننفى الخصومة بين الدين والعلم ولنثبت أن مايحسبه البعض خصومة بينهما ليس هو فى الواقع إلا خصومة بين الرجال الذين ينتسبون لكل منهما وأنها خصومة غايتها التسلط والحكم قبل أن يكون لها أية غاية أخرى . ونفى الخصومة بين الدين والعلم وقال ؛ قد يحتاج إلى بعض إيضاح للمسائل التى ناقش بها بعضهم رأينا ، ونعتقد اعتقادا لا ريب فيه أن الذين باحثونا أو أرادوا مباحثتنا سينتهون إلي الاتفاق معنا اتفاقا تاما وسيسلمون ، سواء كانوا من رجال الدين أو من رجال العلم بأن الخصومة بينهما مادية محضة ، العلم لذاته منها برىء والدين لذاته برىء .

« الدين والعلم حقيقتان واقعيتان تاريخيتان فى حياة الإنسانية ، على أننا نبادر من الآن لنقول إننا لم نقصد بالعلم مجرد المعرفة وإنما قصدنا به

(١) السياسة الأسبوعية : ٣ يوليو ١٩٢٦ .

العلم الوصفى أو الواقعى ولم نقصد بالدين ديانة خاصة بل قصدنا الأديان جميعاً من غير تفريق بينهما . ولو أنا قصدنا بالعلم مجرد المعرفة لكان الدين علماً فى رأى الواضعيين الذين ينظرون إليه كواقعة اجتماعية تاريخية . ولكان للعلم بعض آثار الدين الذى أحاط بكل شىء علماً . .

ثم تساءل هل الإسلام فى هذا الموضوع على خلاف سائر الأديان لتناوله أمور الدين وأمور الدنيا فرجال الدين فيه هم لذلك العلماء وهل يسد العلم أبداً حاجات البشر لأن أساس العلم والتطور والتجديد فلا يمكن أن يقفل فيه باب الاجتهاد ولا يمكن أن يجمد رجاله !

الدكتور هيكل : الدين والعلم

فأما[1] الخصومة بين رجال الدين ورجال العلم فخصومة قديمة لأنها خصومة على الاستئثار بالسلطة وبنظام الحكم ، أما الدين والعلم فلم يكن بينهما خصومة ولن تكون بينهما خصومة ، لأن الدين يقرر المثل الأعلى لقواعد الإيمان التى يجب أن يأخذ الناس بها فى حياتهم ، والعلم يقرر الواقع فى حياة الوجود ويترسم تطور الحياة فى سبيل سيرها نحو مايظنه الكمال . .

والكمال الذى يدعو الدين إليه كمال مقرر القواعد والأركان لا يمكن أن يتغير أو أن يعدل والكمال الذى يظن أن الإنسانية تسير نحوه كمال ظنى لا يستطيع العلم رسم قواعده لأن العلم يعرف بأن الإنسانية وهى بعض قليل من الوجود ، خاضعة فى تطورها ودورها لعوامل معروفة وأخرى ثابتة ولكنها ما تزال عن معروفة .

فإذا سمعت يوما أن بين الدين والعلم خلافاً أو خصومة فاقطع بادىء

(١) السياسة الأسبوعية — ١٢ يونيو ١٩٢٦ .

الرأى بأن الخلاف والخصومة ليس بين الدين والعلم ، ولكنها بين رجال الدين ورجال العلم وأن أساسها ليس فى شىء من الدين لذاته ومن العلم لذاته ولكنه فى سعى هاتين الطائفتين سعياً أنانياً صرفا ليكون بيدها الحكم والسلطان دون الأخرى .

إن الخلاف بين رجال الدين ورجال العلم إذن ، وهى خصومة أساسها بعيد عن الدين والعلم . وقاعدتها حرص كل طائفة على الاستئثار بالسلطة وبنظام الحكم ، وكلما تغلبت طائفة من الطائفتين على الأخرى قام منها رجال الأمر فى الدولة .

ولم يكن فوز رجال الدين بالحكم ولا كان فوز طائفة من رجال العلم بالحكم راجعاً إلى الدين ذاته أو العلم ذاته بل كان راجعاً أبداً إلى اعتقاد الجموع بصلاح واحدة عن الطائفتين دون الأخرى لولاية شئون الدولة .

ولقد قضت العصور الحديثة منذ قرون ثلاثة فى أوربا أن يتغلب رجال العلم على رجال الدين شيئاً فشيئاً حتى كان ما كان من فصل الكنيسة عن الحكومة فى فرنسا فى العهد الأخير الذى سبق الحرب الكبرى ، وإنما تغلبت طائفة رجال العلم عندما نشأ من بينها المخترعون والاقتصاديون وهذه تركيا مثل قوى من أمثلة انقضاء سلطة رجال الدين فى أمور الحكم وذهابها إلى غير عودة ، ومصر من زمن بعيد تنقص سلطة رجال الدين فيما يختص بالحكم ونظامه فى حدود ضيقة وإن بقى لهم مقامهم واحترامهم الدينى .

وليس محققا أن تبقى السلطة أبدا لرجال العلم فقد يأتى زمن يكون العلم فيه قد أنتج كل ما يستطيع إنتاجه فأصبح العلماء مجرد حفاظ للميراث الذى خلفه أسلافه وعقموا عن أن يبدعوا جديدا ..

على أن هـــذا اليوم الذى يجمد فيه العلم ما يزال فى رأى الأكثرين بعيدا ..

الدكتور طه حسين : العلم والدين[1]

من الحق أنى فكرت فى هذا الموضوع وكتبت فيه قبل صديقى هيكل وعزمى . وفى الحق أن السياسة اليومية قد نشرت لى فى ربيع سنة ١٩٢٣ فصلا غضب له مولانا الشيخ بخيت غضبا شديدا لأنه كان يمس مولانا الشيخ بخيت حين ألقى محاضرة فى الرد على رينان .

وفى الحق أيضا أنى كتبت فى العلم والدين وما بينهما من خلاف فصلا آخر كنت أريد أن أنشره فى السياسة أيان تلك الضجة العنيفة التى أثيرت حول الشعر الجاهلى ثم بدا لى فتركت هذا الفصل فى زاوية من زوايا مكتبى .

وقد تكون الحالة جديدة فى مصر ولكنها قديمة فى أوربا .

أنى أعلن فى صراحة ووضوح أن العلم شىء والدين شىء آخر ومنفعة العلم والدين فى أن يتحقق بينهما هذا الانفصال حتى لا يعدو أحدهما على الآخر وحتى لا ينشأ من هذا العدوان فى الشرق الإسلامى مثل ما نشأ فى الغرب المسيحى .

أن صديقى هيكل يرى أن ليس بين الدين والعلم من خلاف وأن هذا الخلاف لا يمكن أن يكون . وإنما الخصومة بين رجال الدين ورجال العلم وهى خصومة على الحكم والسلطان لا على الدين والعلم .

أحب أن ألفت صديقى هيكل إلى أمرين عظيمى الخطر : الأول أن

---

(١) السياسه الاسبوعيه — ١٧ يوليو ١٩٢٦ .

الدين حين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء . يثبت أمرين لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما . فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله ولم يصل بعد إلى إثبات نبوة الأنبياء وإذن فبين الدين والعلم خصومة فى هذين الأمرين .

ثم أن العلم لا ينفيهما أو هو لا يعرض بنفيهما أو اثباتهما . وإنما ينصرف عنهما انصرافا تاما إلى ما يمكن أن يتناوله بالبحث والتمحيص .

هذا أمر والأمر الثانى هو أن الكتب السماوية لم تقف عند إثبات وجود الله ونبوة الأنبياء . وإنما عرضت لمسائل أخرى يعرض لها العلم ويحكم وجوده لا يستطيع أن ينصرف عنها . وهنا يظهر تناقض صريح بين نصوص هذه الكتب السماوية وما وصل إليه العلم من النظريات والقوانين ، وأمر ثالث هو أعظم من هذين الأمرين خطراً وأبعد منهما فى تحقيق الخلاف أثراً ذلك أن العلم لم يقف عند هذا اللون من ألوان الخلاف وإنما طمع فى أن يخضع الدين لبحثه ونقده وتحليله . وهو لا يحفل الآن بأن التوراة متناقضة أو لا تناقضه وإنما يزعم أن له الحق فى أن يضع الدين نفسه موضع البحث وقد فعل .

وصديقنا هيكل لا يجهل أن العالم ينظر إلى الدين كما ينظر إلى اللغة وكما ينظر إلى الفقه وكما نظر إلى اللباس من حيث أن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتتبع الجماعة فى تطورها وتتأثر بما يتأثر به الجماعة .

إذن فالدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها .

وصديقنا هيكل قد قرأ فيما أظن — كتاب (دوركيم) فى الدين وهو يعلم أن دوركيم ينتهى من بحثه الطويل الدقيق إلى نتائج مختلفة منها أن الجماعة تعبد نفسها أو بعبارة أدق تؤله نفسها .

إن الدين فى ناحية والعلم فى ناحية أخرى وأن ليس إلى التقائهما سبيل ومن زعم للناس غير هذا فهو أما خادع أو مخدوع . والحق أن المخدوعين كثيرون وهؤلاء المخدوعون هم الذين يحاولون دائما التوفيق بين العلم والدين .

الدكتور محمود عزمى : الدين والعلم[1]

عرض صديقى الدكتور هيكل لموضوع خطير لم يعرض له باحث جدى فى مصر ، وقرر أن الخصومة إنما هى بين الرجال لا بين العلم والدين ، وأنها خصومة من أجل الحكم والسلطان كما قرر أنه قد يأتى زمن يظهر منه من التعاليم ما يكون موقفه من العلم موقف العلم أول أمره من الدين يتمسح معه ثم يستقل إذ يحس من نفسه القوة والنشاط .

وعندى أن هذا الافتراض غير محتمل الوقوع ولا يمنعنى من القول بأنه مستحيل إلا أن التعبير بالاستحالة ليس من الأسلوب العلمى فى شىء كثير .

غير محتمل فى إعتقادى أن يطغى غير العلم على العلم ، وأن يصبح أهل العلم بحيث لا يسدون حاجات الحياة والأحياء بأكثر مما يسدها أهل غير العلم من الناس .

وغير محتمل أن يأتى ذلك الزمن الذى يقول الدكتور هيكل أنه قد يأتى يوم يكون العلم فيه قد أنتج كل ما يستطيع إنتاجه فيصبح العلماء مجرد

(١) السياسة الاسبوعية — ١٩ يونيه ١٩٢٦

حفاظ للميراث الذى خلفه أسلافهم وعقموا عن أن يبدعوا جديدا » .

ذلك بأن العلم الصحيح قائم على فكرة (التطور المستمر من ناحية والخلق باستمراره من ناحية أخرى) ومادام التطور قائما فلن يعرف أحد ولن تعرف قوة بكل المعانى الفلسفية لهذا الكلمة — أن تحدد لهذا التطور مدى .. وهكذا ترى محل العلم قائما محدداً منشوراً غير قابل للحد ولا للطى ..

إذن فإن العلم باق وإن العلم خالد وأن العلم متطور تطوراً مستمراً خالقا ..

التجديد والإلحاد : رشيد رضا

نبغت[1] فى مصر نابتة من الزنادقة الملحدين فى آيات الله الصادفين عن دين الله ، قد سلكوا فى الدعوة إلى الكفر والإلحاد وشعابا جددا وللتشكيك فى الدين طرائق قدداً منها الطعن فى اللغة العربية وآدابها والتمادى فى بلاغتها وفصاحتها وجحود ماروى عن بلغاء الجاهلية من منظوم ومنثور وقذف رواتها بخلق الأفك وشهادة الزور ودعوة الناطقين باللسان العربى المبين إلى هجر أساليب الأولين وأتباع أساليب المعاصرين ومنهم الذين يدعون إلى إستبدال اللغة العامة المصرية بلغة القرآن الخاصية المصرية والغرض من هذا وذاك صد المسلمين عن هداية الإسلام وعن الإيمان بإعجاز القرآن فإن من أوتى حظا من بيان اللغة وفاز بسهم رابح من آدابها حتى استحكمت له ملكة الذوق فيها ، لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيدة : إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته وبأسلوبه فى نظم عبارته ، قد صرح بهذا من أدباء النصرانية الأستاذ جبر ضومط مدرس علوم البلاغة بالجامعة الأمريكانية فى كتابه الخواطر

(١) مقدمة اعجاز القرآن للرافعى .

الحسان وصرح بذلك أديب هذه الملة وبليغها الشيخ إبراهيم اليازجى الشهير وهو أبلغ كاتب أخرجته المسيحية وقد أشار إلى رأيه ذاك فى مقدمة كتابه نجعة الرائد وكذلك سألنا شاعر التاريخ المسيحى الأستاذ خليل مطران ولا نعرف من شعراء القوم من يجاريه فأقر لنا بمثل ما أقر به أستاذه اليازجى . والأمر بعد إلى العقل وللعقل ليس له دين إلا الحق والحق واحد لا يتغير .

وقد رأيت شيخنا الأستاذ الإمام يقرأ فى كتاب إفرنسى اللغة لحكيم من حكمائها فكان مما قرأه على منه بالترجمة العربية رد المؤلف على من قال من دعاة النصرانية أن محمد (ص) لم يأت بمثل آيات موسى وعيسى المسيح (ع . م) قال أن محمدا كان يقرأ القرآن مدلها صادعا متصدعا فيفعل فى جذب القلوب إلى الإيمان به فوق ما كان تفعل جميع آيات الأنبياء من قبل .

الشيخ رشيد رضا فى مرآة السياسة[1]

بقلم عبد الحميد حمدى

وددت لو أننى وفقت إلى معرفة تاريخ الليلة بل الساعة التى ولد فيها الشيخ رشيد رضا حتى أرصد الكواكب فى تلك الليلة وأرى أى كواكب النحس اقترن به ذلك الرجل ، ورحم الله الشيخ محمد عبده لقد كان أول من أصيب بشؤم هذا الرجل الذى لم يوفق رجل إلى الشؤم توفيقه إليه .

وقد حدث أن طعن لورد كرومر فى ثورة طمعا جارحا فى الإسلام فهاجت لذلك خواطر الناس ، فأبى المسلم الورع رشيد رضا إلا أن يقف للوقف ، فبعث إلى كرومر بخطاب قال فيه إنك ولاشك قصدت بطعنك الإسلام اليوم

(١) السياسة الأسبوعية — ٢١ — مايو ١٩٢٢ .

لا الإسلام على حقيقته فما كان أسرع من كرومر أن يؤمن على الاعتذار ليهرب مما تورط .

وإليك بعض نوادر الشيخ فى غير مصر : اتصل بجمعية الاتحاد والترقى التركية بعد إعلان الدستور فوقف منها موقف المداح الطبال يشيد باسمها ويغنى بحمدها ، حتى إذا أبى عليه زعماؤها وظيفة تركهم ، وانقلب عليهم طعانا هجاء ثم اتصل بالرجميين من الأتراك فشأمهم وجرى عليهم من حكم الزمن ما جرى .

ووقعت الحرب الكبرى وأمر الملك فيصل على الشام فاتصل به صاحب المنار فقربه الرجل إليه حتى أوصله إلى أكبر مناصب دولته .

ثم اتصل بالملك حسين ملك الحجاز أبى فيصل فما زال به حتى عزل عن العرش وشرد إلى المنفى . واتصل بمؤتمر الخلافة والناس يذكرون ما كان من أمر مؤتمر الخلافة وهذا هو السر فى حملة الشيخ رضا على الأستاذ على عبد الرازق .

وبعد فيستطيع الشيخ رشيد رضا أن يكون مسلما أو نصرانيا أو يهوديا أو بوذيا أو ملحدا ويستطيع أن يكون كل هؤلاء جميعا أو لا يكون شيئا من هؤلاء جميعا ولكن شيئا واحدا لا يمكن الشيخ رشيد أن يكونه . بأن يكون صادقا فى أى من هذه المذاهب اعتنق وفى أى منها نبذ .

رشيد رضا : جمعية تجديد الإلحاد والزندقة والإباحة المطلقة

ألف الدكتور طه حسين أستاذ تجديد الإلحاد والإباحة بالجامعة المصرية غير الرسمية فالرسمية كتيبا كذب فيه نقلة اللغة العربية ورواة آدابها فيما ردده من شعوب العرب فى عصر الجاهلية وزعم أنهم هم الذين وضعوا المعلقات السبع

وانتروها على امرىء القيس وطرفه ، وقد ألقى هذا الكتاب دروسا فى الجامعة المصرية الرسمية وربما يصدق الكثيرون من طلابها هذا الأعمى البصر والبصيرة فيما يكذب به علماء الأمة الإسلامية وكتاب ربها وحديث نبيها المعصوم فيما يريد به تجريد أمتهم من الدين واللغة والنسب والأدب والتاريخ ليجددهم فيجعلهم أمة أوربية . بل طمعة للدول الأوربية كما جدد نفسه وبيته بتزويجه امرأة غير مسلمة وتسمية أولاده منها بأسماء الأفرنج رغبة عن الأسماء العربية القديمة والجديدة واحتقارا لها .

ومن الغريب أن عمد دعاة الزندقة فى هدم مقومات هذه الأمة ومشخصاتها وصفها بالقديمة وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه . ومن المعلوم أن ما من قديم إلا وكان جديدا ولا جديد إلا وسيكون قديما ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وإنما الأمم بتاريخها .

ومن عجيب أمر هؤلاء أننا نراهم يدعون إلى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أمتهم كالأدب الإغريقى والشعر الأغريقى الذى هو دون الأدب والشعر العربى الجاهلى والاسلامى كما نراهم يعدون بتحقير آداب اللغة العربية ليجردوا الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لها استقلالا خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة .

بين رشيد رضا وهيكل[1]

[الدكتور هيكل: لا صلة البتة بين التجديد والإلحاد]

« إن مسائل الأزياء واللغة والحضارة وما تخضع له من تطورات لا علاقة لها بالعقيدة على أن الاتهام بالالحاد حتى فى بعض مسائل تمس الدين يبدو

---

(١) السياسيه والاسبوعيه — ٣ مارس ١٩٢٩

هو الآخر وليس فيه أكثر من صيحة حرب يقصد بها الظهور بالغلب أمام الجماهير .

هذا على أن الإلحاد لا علاقة له بهذه الشئون التى يتشدق بها من يرمون به غيرهم يريدون أن يحاربوهم باسم الدين والخروج منه . فما نعرف أن للإيمان والالحاد علاقة بزى اللباس وألفاظ اللغة ونوع الحضارة التى تحياها أمة من الأمم .

ومن المؤمنين من ينادى بتجديد الأزياء والأساليب وصورة الحضارة ومن الملحدين محافظين لا يريدون أن يتغير فى اللغة حرف وأن تبقى الأشياء كما كانت من قرون .

بل أرانى لا أغلو إذا قلت أن التجديد أقرب إلى الإيمان منه إلى الالحاد وهو كذلك فى الإسلام بنوع خاص .

ولعل أشد الناس مناداة بصيحة الحرب ضد التجديد وقرن الإلحاد إلى صيحتهم جماعة من إخواننا الكتاب يحسبون النقد موجها إلى أسلوبهم الكتابى لأنهم يلجأون إلى استظهار أساليب الأقدمين لا فى ألفاظها وتراكيبها وكفى بل فى مجازاتها واستعاراتها وفى وقوفها على الأطلال وبكائها وحدائها للابل وذكرها الهوادج والصحارى وكثبان الرمل فى ألوان غزلها ولهوها ومجونها .

يوجه النقد إلى هؤلاء ويرى الذين ينتقدونهم أن خير الأساليب ما تجاوب مع الحياة المحيطة بالإنسان وما أدى الصور والمعانى التى يراها ويشعر بها ويتخيلها مما يرى ويشعر ويجول بخاطره .

نبربك ما شأن هذا النقد بالعقيدة والإيمان !

ولم لا يكون الدعاة إلى الوقوف عند القديم من أساليب اللغة وألفاظها من هؤلاء الملحدين . ولم لا يكونون أشد منهم فى الالحاد إلحاحا .

ولقد تعجب حين تذكر أن رجلا كالشيخ رشيد رضا مثلا كان متصلا اتصال تلمذة واتصال رزق بالمغفور له الشيخ محمد عبده حين كان رحمه الله يرمى بالزندقة والكفر والإلحاد ولا يتعفف هو عن أن يرمى الناس بالإلحاد .

من الخلط غير اللائق برجل يمسك القلم ويدعى لنفسه التفكير والتخيل أن يلجأ كاتب إلى هذا النوع السقيم من المنطق . لقد نفهم أن يقول هؤلاء من أنصار الأساليب والأخيلة القديمة والعائشين ما يزالون بين كثبان الرمل إن كل مسايرة للمدنية الغربية فيه باللغة وبأساليبها أضرار لكيت وكيت من الأسباب التى يسردونها لكن ذلك شىء والإلحاد شىء آخر .

ولو أنهم استطاعوا أن يقفوا من أنفسهم موقف النقاد وأن يعرفوا مواضع القوة ومواضع الضعف من كتابتهم لمهد لهم ذلك السبيل إلى السمو فوق هذه المنازعات بين القديم والجديد .

لكن كثيرين لا يستطيعون هذا لأنهم يريدون أن يروا حولهم جمهوراً يصفق لهم ويشكون فى أن يجدوا هذا الجمهور المعجب الضعيف للجيد الصالح مما يكتبون .

فهم لذلك يشنون الغارة باسم الإلحاد وتارة باسم المحافظة على اللغة طوراً .

مصطفى عبد الرازق(١)

إن الاتجاه العلمى الأخير هو انتصار للدين . ولست من القائلين بأن العلم كان يوما من الأيام يناهض الدين هذا من جهة ، ومن الناحية الأخرى

---

(١) الهلال ـ يوليو ١٩٢١ .

لم يحض الدين على منابذة العلم بل على العكس إن الإسلام يدعو إلى حرية البحث وصراحة التفكير والتسامح الذهنى .

لقد كانت المودة بين المثقفين فى القرن الماضى هى المصارحة بانكار العقائد وللمثقفين مودة فى كل جيل .

والعلم والدين اليوم يتماسان والفضل فى ذلك يرجع إلى تفكير العلماء على النمط الفلسفى ، فأصبح العلم اليوم يسلم بوجود ماليس قائما أمام الحس . وذهب عصر البديهيات وتغير وضع القواعد العلمية ، وأصبح عصرنا هذا عصر يقين واعتقاد بالقوى الخفية . وقد أستطيع القول بأن العلم فى الأيام المقبلة سيخطو نحو الدين خطوات جريئة لا يبعد أن تثبت إمكان وقوع المعجزة وفى الختام أن العلم يعزز الدين .

محمد فريد وجدى

إن شقة الخلاف بين العلم والأديان وهى على ماهى عليها فى حالتها — بعيدة المدى وقائمة على أسباب غاية فى الخطورة — ومادامت هى محافظة على تقاليدها فلا يوجد فى العالم ما يقرب بينها و بين العلم مهما تكمل فى تطوره فإن كل ماينتظر من تكملة هذا أن يصل إلى إثبات وجود الروح وخلودها من طريق أسلوبه العملى المعروف . وهو إذا وصل إلى هذه الغاية عمل على متابعة طريقه ليبلغ إلى أقصى مايعرفه عن علاقات بالوجود وعن خير الطرق لترقيها واتصالها بالملأ الأعلى ، والناس كما لا يخفى تعودوا ألا ينقادوا إلا إليه فيصبح العلم زعيما للحركة الروحية كما هو زعيم للحركة المادية .

ولكن إذا انتهزت الأديان فرصة هذه الفترة الانتقالية والقت من فوق أكتافها كل ما حملته من آثار الأساطير وبقايا القوميات . وما أحيطت به

الآراء والمذاهب والتأويلات وتجلت عاطفة نقية نزاعة إلى أقصى درجات التكمل الأدبى، غير مقيدة بأوهام بيئة ولا بأهواء قبيل ، وغير خاضعة لسلطان طائفة ، ولا تابعة لقيادة بشرية . فلمـا إذا انتهزت الأديان هذه الفرصة، وتجردت من كل أعبائها البشرية اتفقت والنزعة العلمية بل أندمجت فيها وتوحدتا وبطل النزاع بينهما .

ولزيادة البيان نقول أن الأديان قد أخرجت من بساطتها الفطرية ، وأصبحت ممثلة لآراء أهلها وحالاتهم خلال القرون وقائمة على حوادث تحلية ولها وجهات نظر خاصة بها فى العلوم والفنون ، ومنطق مطبوع بطابعها للنظر والقياس والمعرفة فلا يعقل فى حال من الأحوال أن تتفق والعلم ، بل المنتظر أن تزداد شقة الخلاف بينهما اتساعا . ويقضى أحدهما على صاحبه قضاء لاقيام له بعده ، وأنت خبير لمن يكون التغلب فى هذا الصراع الذى طال أمده .

الفصل الثامن

جمال الدين الأفغاني ورينان

معركة بين رشيد رضا ومصطفى عبد الرازق

كانت الجامعة المصرية في الثلاثينات قد وقعت تحت سيطرة المبشرين ودعاة التغريب ولذلك عمدت إلى مصادمة مشاعر العرب والمسلمين والمصريين احتفلت بمرور مائة عام على ميلاد الفيلسوف الملحد ارنست رينان صاحب نظرية (الآرية والسامية) والكاتب الفرنسي استعماري الذي هاجم التراث أشد هجوم واتهمهم بالضعف في العقل والقصور في التفكير والذي هاجم الإسلام أعنف هجوم .

ولقد كان من العجب أن يكرم ذكرى رينان رجل مثل الشيخ مصطفى عبد الرازق استاذ الفلسفة بالجامعة وخريج الأزهر الشريف والمعروف انه يرمي بقضية جريئة ، كانت لها ضجة بعيدة المدى ، تلك هي اتهامه جمال الدين الأفغاني بأنه بعد وصوله إلى باريس ١٨٨١ واجتماعه بالفيلسوف ارنست رينان قد (تطور فكره) في أقل من ثلاث سنين ، فغير رأيه في (الدين) واعلن ان الإسلام كان عدواً للعقل والمدنية .

والمعروف أن رينان قد تحدث إلى جمال الدين في شأن الإسلام والعرب ، وانه ألقى على أثر ذلك محاضرة نشرت في جريدة الديبا الباريسية ، وان جمال الدين رد على هذه المحاضرة ونقد آراء الفيلسوف الفرنسي مما اضطره إلى أن يعلن تراجعه (ظاهريا) عن آرائه واعتذاره أنه سيعيد النظر في مصادر دراسته .

ولما كان هذا الرأى جريئا على « جمال الدين الأفغانى » فقد تصدى (رشيد رضا) للرد على مصطفى عبد الرازق فكتب فى الأهرام والمنار يعرض للاراء التى وردت فى المحاضرة عن رينان وجمال الدين مفندا لها . وقالت جريدة الأهرام[1] معلقة على المحاضرة . (إن المحاضر أخذ يحقق تحقيقا دقيقا لبعض التواريخ الخاصة بسياحات جمال الدين ثم أخذ يذكر لرينان رأيه فى

---

(١) الاهرام – ٢٣ مارس ١٩٢٣ .

عدم قابلية الإسلام للعلم الحديث وذكرت الردود التى رد بها الفيلسوف الشرقى جمال الدين مزاعم الفيلسوف الغربى . قالت الأهرام : لاحظنا أن المحاضر وضع نفسه موضع النزاهة العلمية فكان يذكر آراء الفيلسوفين دون أن تميل به العاطفة إلى انتقاص رينان فكأن النزاهة التى طبع عليه حالت بينه وبين أى تأثير . وقد يخرج العلماء أحياناً عن حدود العلمة . وقد لاحظنا أن الجمهور أصبح أوسع صدراً من ذى قبل . وأصبحت الأفكار أشد مرونة وأشد تقديراً للحرية الفكرية رغم أن المحاضر كان يلقى عن رينان ما قد يستفز غضب أصحاب الصدور الضيقة فقد كان السامعون منصتين مبتهجين لكل ما يلقى عليهم .

من محاضرة مصطفى عبد الرازق

وقال مصطفى عبد الرازق أنه مما يعنى « بالبحث فى أسباب التطور فى تفكير السيد جمال على هذا الوجه فى أقل من ثلاث سنوات يستدعى الإحاطة بما حف به من العوامل وأظهر هذه العوامل سفره لأول مرة فى أوربا واتصاله بكبار الفلاسفة والعلماء وحبه للاستظهار بصداقتهم على خدمة مراميه السياسية واندماجه فى سلك الحركة الفكرية الحديثة البعيدة عن الدين .

ولخص مصطفى عبد الرازق رأى جمال الدين فى قوله :

• إن الدين لم يكن عنه مناص فى سوق الأمم عند نشأتها إلى كمال .

• إن الدين الإسلامى كسائر الأديان يزدرى العلم ولكن المسلمين لا يمنعهم مانع من الوصول إلى ماوصل إليه المسيحيون فى الغرب .

وإذا صح القول بأن الدين الإسلامى عقبة فى سبيل ترقية العلوم فهل يستطيع المرء أن يقول أن هذه العقبة لا يمكن أن تزول يوماً . ثم بماذا

يختلف الدين الإسلامي في هذه النقطة عن بقية الأديان الأخرى . أن الأديان جميعها ضيقة الصدر . ولكل في ذلك أسلوبه الخاص .

وقد كان الأمل كبيراً أن تصل الجماعة الإسلامية يوماً إلى تحطيم قيودها والسير في طريق المدنية بخطى ثابتة محتذية مثال العالم الغربي الذي لم يقف الدين المسيحي في طريقه حجر عثرة

وقال رينان : يلوح لي أن الشيخ جمال الدين قد زودني بطائفة من الآراء الهامة تعينني على نظريتي الأساسية وهي، أن الإسلام في النصف الأول من وجوده لم يحل دون استقرار الحركة العلمية في الأراضي الإسلامية ولكنه في النصف الثاني خنق الحركة العلمية وهي في حظيرته فكان هذا من سوء حظه .

مناقشة رشيد رضا لآراء رينان وعبد الرازق

كان من[1] مثار العجب للناس أن الجامعة المصرية أقامت حفلة حافلة لذكرى رينان بمناسبة انقضاء قرن على عهد ولادته وحاروا في استنباط الباعث لأساتذة الجامعة على اختيار هذا الملحد الطاعن في دين الإسلام وفي المسيحية أيضا للاشادة بذكره وإعلاء قدره على عدم حفظ أي منقبة له نفع بها البشر فأصاب هذه البلاد وهذه الأمة حظ منها يستحق بها ذلك عليها .

وقد كان الدكتور طه حسين أحد مدرسي الجامعة المصرية يفشر في هذه الأيام التي وقع فيها الاحتفال بذكرى رينان مقالات في جريدة السياسة يحاول فيها إثبات إنتشار الارتيابات في الدين الإسلامي والالحاد والفسق عنه في أهل القرن والثاني والثالث للهجرة الاسلامية في بلاد الحضارة العربية كالعراق

(١) المنار ج ٣٠ : ١٦٤ إبريل ١٩٢٣ .

بل فى الحجاز أيضاً . ويستدل على ذلك بشبهات كشبهات رينان .

ولما أعلن عن المحاضرة ظننا نحن وأمثالنا أنه يريد بهذه المحاضرة أن يمحو سيئة ذلك الاحتفال بالاشادة بفضل فيلسوف الاسلام السيد الحسينى (جمال الدين الأفغانى) .. الذى اشتهر عنه أنه رد على محاضرة رينان فى وقتها بما هدم بنيانها وقوض أركانها .

وكنا نظن أن الأستاذ[1] (يقصد مصطفى عبد الرازق) الذى درس العلم الإسلامى بالجامع الأزهر وبعض العلم الأوربى فى باريس أراد بعد الاحتفال الجامعة المصرية برينان الذى لم يعرف فى هذه البلاد إلا بما اشتهر من طعنه فى الإسلام — إنما يقوم بما هو جدير به من تلخيص رأى رينان فى الإسلام وتلخيص رد السيد جمال الدين عليه .

٢ — كانت خلاصة المحاضرة أن السيد جمال الدين الذى اشتهر فى العالم الإسلامى كله بأنه حكيم الإسلام وموقظ شعوبه والداعية إلى تجديد مجده وإعزاز دولته بهدى الدين وعدو الإلحاد وصاحب تلك الحملة المقصورة على أهله فى رده على الدهريين .

هذا ما كان من أمره فى ذلك محصوراً فى حياته قبل أن يذهب إلى أوربه — بل إلى باريس — وإنما كان لغرض سياسى وأنه بعد وصوله إلى مدنية الكفر والإلحاد واجتماعه برينان وأمثاله فى أوائل سنة ١٨٨٣ قد تطور فكرة فى أقل من ثلاث سنين فرق من الدين واعتقد أنه عدو العلم والعقل والمدنية حتى أنه قبل بكل تعظيم وارتياح طعن رينان فى الإسلام وعظمه وأثنى عليه

---

(١) الاهرام ٢٣ و ٣٠ مارس ١٩٢٣ .

من جرأته أطيب الثناء ، مما هو ظاهر في بطلانه وسخفه الذي لا يخفى على طالب علم بله حكيم الإسلام ومكمل تربية الأستاذ الإمام .

بهذا أجاب الأستاذ الشيخ مصطفى عن المقارنة بين رد السيد (جمال الدين) على رينان سنة ١٨٨٣ وبين سائر محرراته حتى رده على الدهريين الذي كتبه سنة ١٨٨١ وهذا سر ذلك التدفق التاريخي الذي أشرنا إليه في فاتحة هذه الكلمة . ولكن المعروف من تاريخ السيد الحكيم ومن محرراته سنة ١٨٨٣ ومابعدها أنه لم يزد بعد إقامته في أوربة وباريس خاصة إلا استمساكاً بعروة الإسلام الوثقى ودفاعاً عنه ودعوة إلى النهضة الاسلامية المدنية بهدايته العالية وخلاصة المحاضرة أن فيلسوف الشرق والغرب (جمال الدين ورينان) قد اتفقا على إثبات عداوة الدين للعلم والعقل وحرية الفكر لا فرق بين الإسلام وغيره ونحن نرى التعارض تاماً بين هذا الرد الذي استخرجه لنا صاحب هذه المحاضرة من ترجمة ألمانية عن ترجمة فرنسية لم يرها عن أصل عربي مفقود وبين سيرة السيد ومكتوباته ومما روى الثقات عنه من أول عمره إلى آخره حيث كان في الاستانة يختلف إليه العلماء والكتاب فأين الأمرين نرجح .

أننا نجد فيما لخصه صاحب المحاضرة (مصطفى عبد الرازق) عن رد السيد جمال الدين على رينان جملاً أخرى تحول دون صحة النتيجة التي استنبطها من مجموع الرد وقد يؤيدها في ذلك جملة من تلخيص رد رينان على السيد .

★ ★ ★

٣ — ثم نقل الشيخ رشيد رضا رأي مصطفى عبد الرازق فقال :

أن الأستاذ الشيخ مصطفى عبدالرازق قد استنبط مما فهم من كلام السيد

الذى خلص إليه من ثلاث ترجمات أنه بعد وصوله إلى مارس سنة ١٨٨٣ دخل فى طور جديد تغير فيه اعتقاده ورأيه فى الإسلام وكونه منشأ العلم والحكمة والعمران .

.. أفرأيت لو كان السيد جمال الدين رجع بباريس سنة ١٨٨٣ عن رأيه فى كون الدين ولا سيما الإسلامى لا يتفق مع العلم والحكمة ، أكان يبنى سياسته فى إعادة مجد المسلمين على هذه الدعوة !

كلا ، أنه لو دخل فى الطور الذى استنبطه صاحب تلك المحاضرة لجعل دعوته فلسفية محضه مشوبة بفصل الدين عن السياسة وبالتشكيك فى الدين أو الصد عنه كما فعل النصارى فى أوروبة من قبل وكما يفعل مقلديهم من متفرنجة المصريين والترك والفرس .

ولكنه لم يفعل ذلك بل جعل دعوة الإصلاح كلها قائمة على إحياء هداية القرآن وصحيح السنة وسيرة السلف الصالح من الأمة . وهذه حجتنا الناهضة على أن ماسلم به (رينان) من اضطهاد بعض المسلمين للعلم إنما هو بسوء فهمهم للاسلام .وإن الإسلام المشوب بالبدع والأهواء هو الذى يناهض الحكم والعلم لا إسلام القرآن الذى كان المسلمون يفهمونه فى إبان سلطان الدولة العربية قبل تغلب العجم عليها .

٤ — جمع رينان ماله من حول وقوة واستعان بما يملك من جهد فى تسوىء سمعة الإسلام والحط من قيمة تعاليه وطعن المسلمين فى عقليتهم ومالهم من علم وأدب وخلق وأنكر على العنصر السامى عموماً والعربى خصوصاً أن يكون لهم عقلية سليمة أو طبيعية تسالم العلم والفلسفة أو تتفق مع حرية الفكر .

وامتد به نفس السلب والشتم إلى أن أنكر أن يكون للعرب عقل أو فكر

أو رأى فى العلوم والفلسفة وإذاعتها لأن نقل تلك العلوم إلى العربية إنما كان عن أولئك النفر الذين تلقوا العلم بمدرسة حران ، ونقلوا الفلسفة من اليونان إلى اللسان العربى وأن ابن رشد هو الذى أشعل ذلك القبس العلمى الذى استضاءت به أوربا .

وقر هذا فى نفسى وقد رأيت رجلا من علماء الدين بالأزهر الشريف يورد مطاعن رينان فى الإسلام من حيث هو دين وفى أهل الإسلام كافة باعتبارهم متدينين . ويخرجهم فى عقليتهم وآدابهم وأخلاقهم وعلومهم فى بلاد يدين أكثر أهله بالإسلام .

وقد اجتمع جمهور السامعين ، وهم من المسلمين الذين سلقهم بأحد لسان وفيهم كثير من علماء الدين وجميعهم مصغ إلى تلك الآراء التى يقصد بها الحط من دينهم وعقليتهم ولا يستفزهم ذلك إلى الغضب من رينان الشاتم السالب ولا من مكرم (رينان) المورد لأقواله .

أليس تكريمه فى بلد إسلامى بفم رجل من علماء الإسلام بالأزهر الشريف يورد طعنة فى الإسلام والمسلمين .

ويستغرب كثير من الناس أن يقدم رينان إلى الافتراء على دين يعتنقه خمس النوع الإنسانى ، ويهجم فى الحكم على عقليتهم وآدابهم وأخلاقهم دون حياء ، حكما لم ينضجه البحث الصحيح أو الروية — ولكنى أخالفهم فى عد ذلك الأمر غريبا منه بعد أن علمت وكل من سمع محاضرات رينان قد علم أنه نشأ نشأة دينية وانتظم فى سلك رجال الكهنوت ليعد نفسه ليكون قسيسا فإنى أعتقد أن الرجل لما فسدت دينيته قد بقى عنده ما يثبت فى قرارة نفسه من التعصب على الإسلام .

٥ — طعن رينان فى الإسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن فى العرب بأن

عقولهم قاصرة بطبعها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وكل ماذكر فى المحاضرة من تلخيص كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الإسلام شيئاً إلى بعض كلام دعاة النصرانية فى الجزائر ورجال السياسة الفرنسية فيها وناهيك بإخلاص الفريقين فى التحقيق والصدق فمن تحقيق الفريق الأول مايعرفه قراء العربية من كتاب الإسلام للكونت دى كاسترو الذى ترجمه بالعربية المرحوم أحمد فتحى باشا زغلول فإن فيه من العقائد المنسوبة إلى الإسلام مالم يخطر فى بال أحد من البشر لم يطلع على مفترياته .

ومن تحقيق الفريق الآخر تفضيل البربر على العرب فى العلم والمدنية.

ودليلهم على ذلك أن أصلهم من برابرة الشمال الأوروبيين لا من همج الساميين وقد اضطر إلى تجهيلهم الفيلسوف الإجتماعى بحق « غوستاف لوبون» أحد أفراد علماء الفريق الذين انصفوا العرب حق الانصاف على علم صحيح بالتاريخ .

ومن هـذا الباب ثناء رينان على جمال الدين وعلى قومه الأفغان بأنهم من الأرومة الآرية ذات العقل الراقى المستعد للفلسفة العليا التى تستعصى على عقول العرب وعلل بذلك مازعمه من عدم استمساك هذا الشعب بالإسلام . والحق الواقعى القطعى الدال على مبلغ جهل رينان هو أن السيد جمال وهو الفيلسوف الوحيد الذى خرج من الأفغان هو من صميم العرب من سلالة النبى صلى الله عليه وسلم .

وإن الشعب الأفغانى هو أشد الشعوب الإسلامية اعتصاما بدين الاسلام وتعصباً له .

فإذا كان السيد جمال الدين غير متدين كما تراءى لعقل رينان فقد نقضت قاعدته فى العرب . وفى الأفغان جميعا .

على أننا لا نثق مما نقل إلينا الأستاذ صاحب المحاضرة من كلام فيلسوف الغرب والشرق على رأيه فإن السيد جمال الدين كتب رده على رينان بالعربية — كما قال — وترجم لجريدة الديبا بالفرنسية ونقل من الفرنسية إلى الألمانية ومنها إلى العربية فهل حفظ الأصل مع كثرة النقل من لغة إلى لغة أخرى .

٥ — ملخص ما ذكر فى المحاضرة من رد السيد الأفغانى على الفيلسوف الفرنسى أنه وافقه على كون الاسلام عدو العلم والعقل كسائر الأديان وخالفه فى طعنه فى العرب ، ولكن المحاضر نقل عن السيد كلمة وجيزة مجملة فيما عزاه رينان إلى الإسلام. هل هو من تأثير الدين نفسه أم هو تأثير فهم الناس له واختلاف الشعوب فى فهمه ،خرجت هذه الكلمة بصوت غير جهورى فلم تعها كل إذن ولا فكر فيها كل سامع . ولعل كل ما فى الرد من التسليم باضطهاد الإسلام للعلم وعداوته للعقل مبنى على هذه الكلمة .

ومن الكلمات المأثورة عن السيد جمال الدين : إن الإسلام وحده كاف لرفع البشر إلى أرقى مقام من العلم والعرفان والفضائل والحضارة .

فعلم من هذا أن الذى يتفق مع ما كتبه السيد جمال الدين أو أملاه فى حقية الإسلام وكونه دين الحكم والعقل والمدنية .

ويحب الملحد أن يكون عظماء الرجال ملاحدة مثله ، وإذا كان من منتحلى الفلسفة والعلم والباحثين فى الأدلة يظن أن من عرف بالعقل لا يمكن أن يكون ذا دين وهذا ما كان يحمل بعض الناس على القول بأن جمال الدين ومحمد عبده غير مدينين .

أرى فى هذا البلد أفراداً يعنون فى هذه الأيام بإفساد[1] عقائد المسلمين

---

(١) يشير إلى أحاديث الأربعاء التى كتبها طه حسين فى السياسة .

وتجرئهم على الكفر .. حتى زعم بعضهم أن أكثر المسلمين كانوا كذلك فى القرن الثانى للهجرة مرتابين فى الدين وفاسقين عنه بدليل ما يوجد فى بعض كتب الخلاعة والأخبار من حكاية ما يؤثر فى ذلك عن بعض الأفراد من بعض الشعراء والمغنين والمخنثين .

أما نحن فإننا لا نقبل إلا رواية الثقاة العدول .

محمد الببلاوى: رينان وجمال الدين الأفغانى(١)

يقول المسيو رينان أن الأمة العربية غير صالحة بطبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعة والفلسفة ، وهو يعلم أنها الأمة التى أدخلت فى العالم المدنية وأخرجتها من ظلمة الجهالة إلى نور العلوم والمعارف فى قرن واحد من غرب أوروبا إلى حدود الصين ولا عيب لهـا عند المسيو رينان إلا أنها عرفت كيف تهدم الأباطيل التى تؤدى إليها إلى المقدمات الفاسدة مما يقوم بأذهان بعض الطبعيين والفلاسفة فإنها هدمتها بما ألجمتهم من الحجج والبراهين .

أما ما لحظه رينان من الانحطاط الذى عليه المسلمون الآن فهذا منشؤه بعدهم عن التمسك بدينهم القويم فلو أنهم رجعوا إليه لعاد بهم إلى أوج العلوم العقلية والكونية وهداهم إلى خير مدنية والتاريخ شاهد عدل .

ويظن رينان أن المسلمين يسلمون أبناءهم كما ينصر النصارى أبناءهم ويهود اليهود أولادهم وهو وهم فإنما هى الفطرة التى يولد المولود عليها .

ويعيب رينان على الدين الإسلامى ويعد من أكبر عيوبه اعتقاد المسلم أن الله يهب الرزق والسلطان لمن يشاء وهو خطأ منشؤه جهلة بتعاليم الدين

---

(١) الأهرام — ٢٧ مارس ١٩٢٣ .

الإسلامى فإنه مع هذه العقيدة الصحيحة ربط الأسباب بالمسببات، ولم يأمر بالقوم اعتماداً على ماخطه القدر ، وزعم رينا أن الإسلام لم يأت بعلم خاص فأين علم الميراث الذى مثل العدالة تمثيلا صحيحاً حتى رجعت إلى تعاليم الأمم الغربية وصار هو المعمول به فى كثير منها . وأين علم المعاملات التى ضرب باعتداله المثل حتى أخذ منها القانون الفرنسى .

يعيب رينان على المسلمين أنهم أقل الناس حظا من الفلسفة وكان من أولى له أن يقول هم أقل الناس قبولا لأباطيلها وترهاتها ، وإلا فليقل لنا فى أى عصر عجز عالم من علماء المسلمين عن رد مفترياتها أو قذف أباطيلها .

يرى رينان الدين الإسلامى بانه أضطهد الفكر الحر . وكيف يضطهد الإسلام حرية فكر معتنقة وهو الذى أطلق حرية الفكر لمخالفيه .

يقول الفيلسوف رينان أن العلم لم ينف الألوهية وإنما أبعدها دائما من عالم الجزئيات الذى يعتقدون أنهم يشهدون أثارها فيه .

يوسف الدجوى (لو غيرك قالها)(١)

لست أكتم الشيخ أنى لا أفهم معنى لهذا الاختبار ولا سر لهذا العناء الذى تحمله فى البحث عنها وعمن يترجمها من اللغة الألمانية . فإن كان الغرض التقوية يذكر رينان لأجل أن نفى فى الأمم الأجنبية أكثر مما نحن فيه فهذا لا يثبت لرينان علما وفلسفة . ولا شيئاً يروق الناظر إنما هو شىء سخيف معتاد سماعه من جهلة الأوربيين بالدين الإسلامى البعيدين عن الفلسفة الصحيحة وقد خالفه فى ذلك المئات والألوف من علماء أوروبا وأمريكا .

وأمامنا كتاب الفيلسوف (درابر الأمريكى) وكتاب السكنت هنرى الفرنسى وتاريخ المستر ولز الانجليزى .

---

(١) السياسة ٢٨ مارس ١٩٢٢ . —

وإن كان الغرض من المحاضرة التنويه بالسيد جمال الدين فقد ألصقت به يا أستاذ أكبر المعايب فإننا إذا لم نشك فى نقله قلنا أنه رجل متقلب لا ثبات له على شيء أو منافق يظهر خلاف مايبطن .

وعندما ذكرتنا برسالته فى الرد على الدهريين قلت أن الرجل سياسى منافق يقول غير ما فى قلبه . وكان الأولى أن تراجم راية الغربى إلى راية الشرقى لا العكس .

ولا أقول أنك أردت أن تضع من شأن الإسلام فإن ذلك لوصح لوضع من شأن ذلك الفيلسوف لا من شأن الإسلام .

الفصل التاسع

خم النوم

معركة ساخرة بين أحمد زكى باشا وزكى مبارك

هذه إحدى معارك المجددين والمحافظين تنفرد بلونها الساخر ، هذا اللون الذى عرف به زكى باشا شيخ العروبة فى عديد من مساجلاته التى نورد منها نموذجا آخر فى معركته مع محمد مسعود ، والحق أن طريقة أحمد زكى باشا فى السجال هى جزء من تاريخ النقد العربى المعاصر فإن كتابنا الذين عرفوا بالنقد الساخر الملىء بالضربات والطعنات هم عندنا أتباع المدرسة أحمد زكى باشا وتلاميذ له لاسيما وإن طه حسين وزكى مبارك وغيرهم قد تلقوا عنه فى الجامعة ونظروا إلى كتاباته ومساجلاته حول الحضارة الإسلامية فى الصحف . وقد بدأت المساجلة باعتراض أحمد زكى باشا على ما ذكره زكى مبارك من أن نهج البردة التى حملت اسم الشيخ سليم البشرى هى من كتابة إبنه الشيخ عبد العزيز البشرى وقد سخر زكى باشا من مبارك فوجه كتابه إلى الطفل الميمون نجل الدكتور زكى مبارك ذاكراً أن الإبن يكتب بإمضاء أبيه ويخطىء وتطورت المساجلة قد خلت فى أساليب متعددة وسخريات مختلفة .

إلى الطفل الميمون نجل الدكتور زكى مبارك(١)

أنت تكتب باسم أبيك فتارة تخطىء وتارة تصيب .

فأنت تزعم بالأمس فيما كتبته أنت بإمضاء أبيك أن الأستاذ الأخ شيخ المحدثين وشيخ الأزهر المرحوم الشيخ سليم البشرى قد رضى بالكذب وبالزور وبالبهتان بأن يوضع إسمه على شرح نهج البردة بأنه هو ناسج بردته والحال — كما تزعم أنت وحدك — إن هذا الشرح مكتوب بقلم والده فخر الكتاب وإمام المنشئين الكاتب الأبرع الأمجد الأستاذ عبد العزيز البشرى.

---

(١) البلاغ — ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ .

ولو أنك سألت أباك الدكتور زكى مبارك الصادق المصدوق ، لقال لك إنك جرىء على الحق وإنك مستهتر بالتاريخ .

فإن أدبك أبوك بالأدب الذى أخذه هو عن أشياخه (ولى معهم سهم ضئيل) أيام كانت العمامة البيضاء تتوج رأسه المبارك بالعلم وتزين مفرقه الحالي بالأدب ثم رجعت تطلب مني الافادة بأن تجلس بين يدى كمثل الطالب المستفيد المتأدب فى جلسته وفى عبارته فإنك تسكون فى هذه الحالة — وهذه الحالة فقط — لإنعم عليم بالجواب وإلا فخير من مجاوبتك السكوت .

زكى مبارك[1]

أنى أعرف أنى أسرفت فى الثرثرة وملأت الدنيا كلاماً وضجيجاً .
وكان لابد أن يتقدم كاتب جرىء فيقول : أسكت فقد أسرفت .

وكان ذلك الـكاتب الجرىء هو العلامة الفضل (أحمد زكى باشا) الذى لم يعد الصواب حين قال : إن هناك إنسانين أولهما زكى مبارك وثانيهما نجل زكى مبارك . وأنا واثق أعرف هذا من نفسى . فقد يتفق فى أحيان قليلة جداً أن أكتب فأجيد ثم أكثر من الهذر واللغو والفضول حتى لأحب أن أزيل مقالاتى بإمضاء إحد أبنائى . ولـكنى أشفق أن أحملهم تبعة ما أكتب حين يفوتنى أن أوفق إلى القول الفصل والرأى الحصيف .

(ثم أشار إلى نهج البردة ظهر منذ عشرين سنة (قال : وكنا نسمع فى أندية الأدب أنه من وضع الأستاذ (عبد العزيز البشرى) لا من وضع أبيه المرحوم الشيخ (سليم) ثم اتفق لى أن أكتب ربيع ١٩٢٥ فى المقطم عن قصيدة نهج البردة وأشرت إلى كاتب ذلك الشرح فلم يعترض أحد على ذلك .

---

(١) البلاغ — ١٦ ديسمبر ١٩٣٢ .

وقابلت شوقى وطه حسين ثم نشرته فى كتاب الموازنة بين الشعراء فلم يثر زكى باشا ولم يغضب أحد من مؤرخى الأدب الحديث .

ثم قال « لما ظهر خطاب زكى باشا رأيته عنيفاً جداً ، وأشار بعض الأصدقاء بأن أقابله بخطاب أقسى وأعنف ، ولكنى تذكرت أن زكى باشا كان من أوائل الأساتذة الذين تولوا التدريس بالجامعة . وتذكرت أن زكى باشا شيخ كبير ومن حقه أن يلهوا بالإساءة إلى أبنائه الأوفياء . ثم تذكرت أخيراً أن الواجب يقضى بأن أشغل بتحقيق هذه الحالة تحقيقاً علمياً بعيداً عن لغط القيل والقال .

(ثم ذكر الدكتور مبارك أنه رجع إلى طه حسين) فقال له أنه لا موضع للشك فى أن يكتب المرحوم الشيخ سليم ذلك الشرح لأنه كان متفوقاً جداً فى علم الحديث وكان يحفظ البخارى متناً وسنداً .

ثم اتصلت بعبد العزيز البشرى . فابتدرنى بكتاب أرق من أدبه الرائع وسألنى كيف استكثر على أبيه أن يكون كاتباً مع أنه كان من كبار المحدثين . وأحالنى على مقالات كتبها والده فى السنة الأولى من المؤيد فى الرد على الطويرانى والشنقيطى وقال أن مقالاته تضعه فى الصف الأول من الكتاب .

ثم قال مبارك : وتلك بيانات رأينا أن نقدمها فى نزاهة إلى قراء البلاغ وفيها انتصار لأستاذنا المفضال (أحمد زكى باشا) ولا يضيرنا أن ينصر حين يكون الحق فى جانبه بل الشرف كل الشرف أن نعمل لانتصار الحق ولو أدى ذلك إلى انهزامنا فى مناظرة أدبية .

ثم قال « وبعد أن وصلت إلى هذه النقطة لقيت أديباً أزرق الناب من القروم الجهاذيذ الذين شهدوا ذلك العهد فأكد أن زكى باشا لم يوفق فى

إثارة هذه المسألة وإذن كانت هناك ظروف سياسية دقيقة قضت بتكليف الشيخ(سليم البشرى) يشرح نهج البردة وأن الشيخ سليم لم يكن منشرح الصدر لذلك وأن الشرح الأول وضع فى منزل شوقى بك بالمطرية بمعاونة الأستاذ عبدالعزيز وأن الشيخ سليم راجع الشرح وصادق عليه وتوجه باسمه .

ثم عاد زكى باشا معلقاً على قوله (لطالما عارض الناس بوردة البوصيرى فى القديم والحديث بمئات ومئات من المنظومات) .

وقال : واستكثر هذا الإغراق فى المبالغة ، والكلام النضفاض إن مئات ومئات توجب على الأقل خمسمائة قصيدة والصواب أنها توجب ستمائة لأن أقل الجمع ثلاثة وطلبت من الباشا أن يدلنا على خمسين قصيدة لا خمسمائة فراح الباشا يراوغ مراوغة علمية اسمها فى الفقه الفصيح (الهرب) واتهمنا بالنقص من قدره مع أننا من أعرف الناس بسعة إطلاعه .

وإن كنا نوافق خصومه فى بعض ما يأخذون عنه من سرعة الغضب ونقل المناظرة من باب الجد إلى باب التنابذ الذى يكرهه العلماء .

وكان زكى باشا قد سأله عن بعض أبيات من الشعر ومن قائلها فردعليه وقال (لو استبحنا لأنفسنا أن نسأله مثل هذا السؤال لأعجزناه وأعجزنا معه ألوفا من القراء ثم وجه إليه ثلاث اتهامات :

١ — هل من الحق أن بردة البوصيرى عورضت بمئات ومئات من المنظومات .

٢ — هل يليق بالعالم أن ينقل الجدل من ميدان إلى ميدان ليفر من الجواب .

٣ — هل من الحق أن كل ما جاء فى المدائح النبوية كان معارضا للبوصيرى وإن اختلف فى الوزن والقافية ثم ختم مقاله بقوله .

« والنتيجة أن سعادة زكى باشا قد انهزم فى هذه المعركة وإن لم يثر منها نقع ولم تتناثر أشلاء ، فلسنا بحمد الله ممن يسترون ضعفهم بالطعن والسباب وإنما بالحجة الساطعة التى تدفع رأى المكابرين .

أحمد زكى باشا : ختم النوم — صح النوم

كان من حسن ظنى بك أن أتخيل أن ابنك هو الذى كان فى حاجة إلى تأديبك فإذا به أنت ، أو أنت إياه .

امتد بك النوم فى هذا الشتاء سبع ليالى إلى أن تمخضت أنت بعد السبوع بمقال الأمس فى أربعة أعمدة ونصف عمود فى البلاغ .

وليس من الطريف سوى أنك وأنت نائم قد حلمت بأنهم قتلوك مراراً وأنهم أماتوك تكراراً ولكن النيل كان يخرجك كما كان دائباً على التجرد عنك لتواظب الرجع إلى الدنيا وإسعادنا بذلك الثغر البسام فالحمد لله على السلامة يا دكتور مبارك .

ثم قال فى الرد على ماذكره زكى مبارك فى مقالة سنة ١٩٢٥ :

هل تتصور أننى مو كل يادحاض كل بطولة تصدر هنا أم أن الوحى يأتينى بما يظهر من العلافيق هناك ، يميناً بالله لولا الدكتور أحمد بك عيسى لما كنت قرأت كلماتك الجافة الجامحة عن أستاذك الذى رباك وأحسن تأديبك فى الجامعة ، أيام كنت أنت متوجا بالعمامة القاصمة البهاض . فيارحمة الله

على تلك العمامة وما كان تحتها من أدب . ويا خيبة الأمل فيما آلت إليه فى صورة البرنيطة المطربشة ثم الطربوش المبرنط .

أما الدلال يادكتور ، وأما التجنى يامبارك ، فإن كان يوسف الجديد المتقمص فى ثياب الأستاذ الدكتور زكى مبارك ابن قرية سنتريس قد سحر بهما بنات باريس فهذا السحر خيـال باطل فى نظر غوانى المغانى بشارع عماد الدين .

ثم ذكر قصة تأديبية لأستاذه (منصور أحمد) الذى ذهب إلى باريس ، وكان زكى باشا طالباً بالمدرسة التجهيزية بدرب الجماميز « وقد صادفته العناية المقلوبة فذهب إلى باريس وعاد مثل ما قبل عن زميله الصعيدى (جاموسة طماوى تضرب بالفرنساوى) وكان يتشدق باسم فلان ويشهد باسم فلان .

وفى أثناء دروسه على الأوكسجين وحمض الكربونيك يتمخض بالكلام عن غرام نساء باريس به وبجماله ، وآحدة واحـدة وسربا سربا وأفواجا أفواجا . فما كان من التلميذ الخبيث (أحمد زكى) إلا أن قال له ذات يوم : « يا دكتور ما عندكش مراية » فانهال عليه بالسب والشتم ، فهل فى تلاميذ اليوم نخوة على تأديب أستاذهم « د . م . ابن سنتريس المنوفية » كما فعلنا نحن بالأمس ، أنهم يخدمون الأمة ويخدمون أنفسهم . وحينئذ فقط يكون جديراً بالجواب .

أما إذا سكت التلاميذ واستمرأ الأستاذ « د . م . » هـذا النوع من الغطرسة الكذابة والعجرفة الفارغة فإنهم يكونون مسيئين إلى أنفسهم وإلى أمتهم ويكون السكوت خيراً من الإجابة .

زكى مبارك : خم النوم باشا

كنا نظن أن الأدب البارع الذى يظهر فى مقالات شيخ العروبة فن جديد رمته به أيام الشيخوخة . ولـكن يظهر أن هذا الأدب كان من صفاته لعهد الطفولة . فقد حدثنا حفظه الله أنه استباح أن يقول لأستاذه فى المدرسة التجهيزية « معندكش مراية » ولم يكتف الباشا بهذا فى وصف أستاذه بل وصفه بأنه « جاموسة طماوى تضرب بالفرنساوى » وهذا الرجل الذى يكتب هذا القول هو نفسه الرجل الذى قضى وقتاً طويلا يدعونى فيه إلى أدب القول ..

ومن كلماته يوم ذاك « لقد أفسدت السياسة أساليب النقد فى الأدب فلنكتب نحن الأدب بأدب .

وقد عملت بنصيحته وتأدبت معه فاستأسد وكشر عن أنيابه وكان فى مقدورى أن أعامله بمثل ما عامله به الأستاذ محمد مسعود[1] ولـكنى رفقت بشخوخته . وقدرت له ماضيه فى خدمة اللغة العربية والله يشهد أنى عصيت جميع الناصحين . فما رآنى أديب إلا حذرنى عواقب ملاينته وقد دعانى إلى مهاجمته ناس كرام يعرفون طباعه فآثرت الرفق رعاية للواجب واحتراماً لماضى « خم النوم » حرسه الله .

« ثم أعاد زكى مبارك أسئلته إلى أحمد زكى باشا » وقال :

هذه هى الأسئلة التى فر منها الباشا المفضال ليـكتب فى شتمنا مقالين أطول من ليل الشتاء . ونحن لا نزال نحسن الظن به ونرجو أن يقلع عن شحطه ونطحه .

---

(١) اقرأ مساجلة زكى باشا مع محمد مسعود فى هذا السفر .

ليس بيننا وبين حضرة العلامة زكى باشا حقد شخصى ولكنه مازحنا فمازحناه فإن عاد عدنا وفى الكأس بقية كلها علقم وصاب .

أحمد زكى باشا : يادكتور زكى ؛ كلمة أخيرة[1]

ما بالك تجحد فضل أستاذيتى عليك وتعاود فحش القول وجفاء الطبع. وبماذا نبيض وجهك عند الأستاذين الطاهر والاسلامبولى بعد أن استغفرتنى فى دار مجلة المعرفة قبل ردك الأخير

أفأنت حينما تواجهنى يتغلب عليك الأدب ويغلبك الحياء ، وإذا ماخلوت إلى نفسك جمح به القلم ذلك الجموح الذى طالما حاربته فيك ..

(ثم قال بعـــــد أن تحدث عن معركته مع مسعود ومعركته مع مرقص باشا) .

أعود للمستمصر المبارك . كنت أظنه أديبا . فإذا به لا يريد ألا أن يكون (أدبانيا) وكان من تعليمى إياه أن يكون محققا فإذا به يبقى ممخرقا ، أنه يزعم أننى صنفت كتابا فى القول الفاشف (بوضه يامبارك تموت فى هذا القول ، ولا تصدر عنه صدوداً بعد أن تطورت من العمامة إلى البرنيطة إلى الطربوش ثم تنسب لى (الذهب الأبريز فى محاسن باريز) ونسى أن هو ابن سفتريس الذى عبدته أحاسن باريس) كما يقول وينسب لى (التحفة البهية فى السكبدة المشوية) يا كبدى عليك يا مبارك حينما كنت تجرى ايلا فى درب المش وراء يا حاير الذى يبيع السكبدة وأنت لاتزال تحلم بها ، وتتصور أنها أكل الملوك .

ثم أشار إلى أن زكى مبارك وسط إليه حسن القاياتى : وقال إننى لم

(١) البلاغ — ٢٥ ديسمبر ١٩٢٢ .

أتشرف قط بأن أكون صديقا للدكتور مبارك وغاية الأمر أننى عرفته تلميذا نجيبا . ثم صار اليوم إلى ما صار إليه من الجموح فرددت عليه . وبعد أن أوصيني بالسكوت أعاد الكرة فرجعت إليه ثم طغى فى الثالثة فكانت له منى هذه الكلمة وهى الأخيرة فان التزم السكوت ورضى بحكم الأستاذ القاياتى وعاد إلى التأدب مع أستاذه الذى له عليه فضل التربية والتثقيف فذلك ما كنت أعهد من كرم أخلاقه .

الفصل العاشر

بين النقد والتقريظ

بين زكى مبارك وعبد الله عفيفى (1)

هذه معركة من ذلك النوع القائم على السخرية لا الأخطار ذات الأهداف جرت بين كاتبين بدأت حياتهما فى الأزهر ثم اتجه أحدهما إلى أوربا وعاد ينقد الأسلوب القديم فقد ناقش زكى مبارك الوقف بين النقد والتقريظ فى الكتابة عن المؤلفات . ثم دخلت المعركة فى المهاترة وقد بدأها زكى مبارك وجاراه فيه وزاد منه عبد الله عفيفى وجرت المناقشة فى التنابذ بالبلاد والقرى وباب المرنيين وحسان باريس .

نقد زكى مبارك

قال زكى مبارك فى مقدمة مقاله أنه تصل إليه بين حين وحين مؤلفات يعلن أصحابها رغبتهم الشديدة فى نقدها لا تقريظها « فنقع بذلك فى حيرة لأن النقد القوى قد يعطل أحيانا سوق الكتاب . ولكننا من ناحية أخرى نرى من حق القراء أن نطلعهم على المآخذ التى تبدو لنا فيما نقدمه إليهم من المؤلفات .

وقال أنه سيعرض لكتاب « زهور منثورة » بين النقد والتقريظ « فنعرض موضوع الكتاب ومنهجه عرضا حسنا ثم نعقب عليه بملاحظاتنا فى رفق ولين حتى نجمع بين الحسنيين .

وقال « أن الكتاب فى ١٩٢ صفحة وموضوعه النقد الأدبى . والأستاذ عبد الله عفيفى كاتب متين الديباجة مشرق العبارة دقيق الملاحظة . وهو صديق عرفناه منذ سنين فلم نطلع منه إلا على صدق الخلق وكرم الوفاء .

---

(1) البلاغ ٣ فبراير ١٩٣٣ .

ثم تناول بعض موضوعات الكتاب وعرض للهفوات التي وجدها وعددها ٢٧ هفوة .

وقال هذا ماقيدناه ونحن نراجع الكتاب وفى هذه المؤاخذات دليل على أننا راعينا صداقتنا للاستاذ عفيفى ونحن حين نصادق الناس نبالغ فى محاسبتهم على يسير الهفوات .

مراجعة المراجعة : عبد الله عفيفى(١)

أهنئك على نجاحك فيما اعترفت من حمل الأدباء على مساجلتك بكل ما ملكت من حيلة وما بذلت من وسيلة حتى ولو كانت من تلك الوسائل التى يعدها بعض رجال الأدب تجنيا غير سائغ . وتحاملا غير مقبول . ذلك ما أؤول به دعابتك الطريفة ومزاجك الرشيق فى نقد كتابى .

ومن الخير لى ولك أن أعدك عازلا فى كثير مما أتيت به ، لأنى لا أعتقد أن يرخص النقد الأدبى فى هذا الزمان حتى يكون تصحيحا مدرسيا تحاسبنى فيه على حرف نافر أو نقطة طائرة

وأبيت إلا أن تنفذ من كتابى هذا إلى الأزهر وكليات الأزهر وأساتذة الأزهر وهى أغنية مرجعه وإيقاع مردد وقد أوشك السامعون أن يملوا . وأوشك الحفل أن ينفض . ولا أعلم إن كان تجنيك على الأزهر أصابنى فى طريقه أو تجنيك على ما أصاب الأزهر فى طريقى أو أنك أردت أن تشبها غبراء قائمة وأن انجلت عن غير جلد وغير قتال .

أما أن تتناول القلم وتبدأ الكتابة وأنت تنوى أن تصيب الأزهر بحق أو بباطل فذلك مالا أحله لك ولا أرضاه لأدبك ،

(١) البلاغ — ٨ فبراير ١٩٣٣ .

ولا أحب لك أن تجحد « أبوة الأزهر » إلى الحد الذى آراه منك ، قد تقول أنى أريد الجد فى الأمر وأنى أريد إصلاحا لا هوادة فيه فهل بهذا العبث وتلك الدعاية تصلح الأزهر .

الأزهر والنحو : زكى مبارك[1]

قدمت لصديقنا الأستاذ عبد الله عفيفى طائفة من الأغلاط التى وقعت فى كتابه وكانت الأغلاط تنقسم إلى قسمين : أغلاط بسيطة وأغلاط جوهرية، أما الأغلاط البسيطة فقد أشرت أنها وقعت من الطابع أما الأغلاط الجوهرية فقد نبهت عليها فى رفق وعطف . فجاء الأستاذ وتجاهل الأغلاط الجوهرية . وكان من واجبه أن يقدم إلينا كلمة ثناء رعاية للجهد الذى بذلناه فى تصحيح كتابه .

لقد استبحت لنفسك أن تسلك معنا سبيل السخرية فى جوابك فما رأيك لو استبحنا لأنفسنا ما استبحت لنفسك ، ولكنك أعز علينا من أن نروض القلم فى السخرية منك .

.. أما بعد فمن كان يظن أننا سنلقى درسا فى النحو على فضيلة الأستاذ عبد الله عفيفى . تلك والله أعجوبة الأعاجيب . فالأستاذ لا يزال يحمل العمامة وهو فوق ذلك مدرس فى الأزهر . والأزهر كما كنا نعهد معقل علوم العربية. ومثل الأستاذ عبد الله عفيفى إذا دخل الأزهر وقفت لقدومه قواعد النحو صفا صفا ، فكانت المنصوبات فى جانب . والمرفوعات فى جانب وقد تصدمه المجرورات من شماله إذا دخل البهامن الباب الذى كان يسمى باب المزينين .

وأراد الأستاذ عبدالله عفيفى أن يتظرف — وهو والله ظريف — فقص

علينا قصة (التركى) الذى زعموا أنه حين تقدمت به السن ولزم بيته ووضع على منهل عنده أكوابا بيضاء وحمراء فإذا شرب أحد بالكوب الأحمر انتهره وقال (إشرب بالأبيض) إلى آخر تلك القصة الشريفة ، فما رأى القارىء فى أن هذا المثل لا ينطبق إلا على الأستاذ عبد الله عفيفى ..

ضربنى وبكى : عبد الله عفيفى

إلى الأزهر[1] يادكتور زكى : فإن الهواء اطارك منه أخضر لجا لاتحسن مبادىء مايدرس فيه .

إلى الأزهر يادكتور زكى : وأحذر أن تثوى عند باب المزينين أو عند هذا الشىء الذى تنضح به منه ، فقد ذهب عهده كما ذهب عهدك معه . إلى الأزهر يادكتور زكى مبارك : لتعرف باب الاشتغال فقد طويت فى دراسته أحد عشر ليلة ثم خرجت منه أفرغ مما دخلت فيه . تريد أن تعلمنى النحو يادكتور زكى ، اسمع يا بابا ، اسمع يا معلمى ، اسمع يا شاطر ، وأعلم أن تلاميذك حقا أن لم يكن عليك فعلى الذى أئتمنوك عليهم .

٢ — أنك أرخصت النقد وأهزلته لأنك فهمته مراجعة مطبعية وزعمته تصحيحا مدرسيا فلم تصغ إلى ما أقول وشاء أن يرد وجاء رده بعامل جديد زاد النقد رخصا وهزالا حتى انحدرت سوقة عن سوق القمح والقطن . والفول والشعير ، ذلك العامل : إنه اتخذ الشتم حجة واللغو سلاحا ، وشاء أيضا أن يكون ظريفا خفيفا فقال أكرم الله وجهه (وقد تصدمة المجرورات من شماله إذا دخل من الباب الذى كان يسمى باب المزينين) أرأيت كيف كان ظريفا .

(١) البلاغ — ٢٠ فبراير ١٩٣٣ .

وكان نظيفا فى نكتته ، وهذا الذى يقذف فمه الشريف بهذه المجرورات برغم أنه سامر حسان باريس وساهر حسان باريس . ولو أن سامر حسان الصومال أو حسان ماوراء خط الاستواء ، أو أى حسان بين أعطاف الأرض وأطرافها ماقارف تلك الكلمة التى تكدر الجو وتزهق الأنوف .

« وهذا الدكتور الذى يتخذ الشتم حجة ، واللغو سلاحا يكتب فى جريدة البلاغ وصاحب البلاغ هو الكاتب الذى تقرؤه فتجده أطهر الناس من الشتم وأبعدهم عن اللغو .. وهو الذى تقرؤه فتراه ساطعا كالنجم ، نافذاً كالسهم صافيا كالفرات وتراه أقدح ما يكون إذا خف وأقسى ما يكون إذا لان ، ذلك رأيى فيه كاتبا أديبا ، فما كانت لك به قدوة حسنة وأسوة طيبة ، ولكنك لا تملك أن تكونه ولا أن تقع قريبا منه لأنك تعوم ولا تغوص ، وتحوم ولا تمن ، فإذا قيل لك غص غرقت . وإذا قيل لك أمعن ضللت ، فأنت حين تطهر يدك من الشتم وقلمك من اللغو لا تجد شيئا تقوله .

نحن حين نجاهدك إذاً على صفحة البلاغ إنما نجاهد فى الله حق جهاده لأننا نريد أن نفهمك كيف يكون نقد الأدب وأدب النقد ولأننا نريد أن نحول بين الأدباء وبين طغيان الشتم وإرهاب اللغو »

أما بعد ياصديقى الدكتور : لابد من تحطيم تلك الدمى المنتفخة الأوداج واعلم إننا حين نتغلب لأطفالنا الصغار ونتخذل أمامهم ونتركهم يقتعدون أكتافنا فما ذلك إلا لأن لهم شفيعا من غرارة الطفولة وطهارة الطفولة . أما أنت فلماذا تسطو على أقدار الناس وأكراماتهم ومروآتهم ولماذا تفضح عليهم مما وراء باب المزينين وتطلب إليهم بعد ذلك أن يداروك ويجاملوك .

أتريد أن تفرض الجزية وتضرب الأتاوة على الأدباء ليصوفوا أعراضهم بالفداء . لا لن يكون ذلك .

ولقد حاول قوم من قبلك أن يفعلوا مافعلته فكانوا كالفقاقيع الطافية على الماء لاتلبث حين يدركها قليل من الهواء أن تزول وتتبدد . لتقل فى الأزهر ماشئت فإنك تريد أن ترضى قوما تظن أنهم يثيبوك على هجائه .

أجل ، لتقل فى الأزهر ماشئت فإنه لا يضيق ذرعا بأن ينتفع بهجائه والصخرة التى قاومت الخطوب وصمدت لها ألف عام لا يقوى زكى مبارك أن يزحزحها عن مكانها . قل فى الأزهر ماشئت ودع الأبناء وشأنهم فهم قوم يعز عليهم أن يأتى زكى مبارك فيكدر عليهم صفاء الحياة .

لماذا دعوك زكيا وأنت قروى من سنتريس ومولدك فى القرن التاسع عشر وهذه الأسماء لم يكن مما يألفه القرويون فى ذلك العهد .

زكى مبارك : قروى من سنتريس(١)

ادعى صديقنا الأستاذ عبد الله عفيفى أننا كنا نطوى مقالات خصومنا من العلماء أو نمزقها أو نجتزىء منها بما لا غناء فيه ، وإننا كنا نقف على أقدارهم المهضومة وأفواههم المكمومة .

وحقيقة المسألة أن علماء الأزهر ألفوا لجنة فى العام الماضى (ليقفوا لطغيان زكى مبارك عن الحد المعقول) وصح رأيهم على نشر ردودهم فى جريدة البلاغ وهنا يعلم الله أنى لم أطلع على سطر واحد مما أرسلوه للجريدة وقلم التحرير هو الذى فصل فى المسألة .

---

(١) البلاغ — ٢٤ فبراير ١٩٣٣ .

حرص الأستاذ على إفهام القراء أنني قروى من سنتريس وكتب هذا وأعاده ثلاث مرات . أفيستطيع أن يحدثنا فى أى قصر ولد من قصور الحواضر . إن الأستاذ يشاطرنا شرف الانتساب إلى الريف وقد ولد فضيلته فى قرية لطيفة بالقرب من سنتريس . والفرق بينى وبينه أنى أتحدث عن بلدى فى جميع المناسبات أما هو فلا يذكر بلده على الإطلاق . ولا يجرى اسمها على قلمه ولا لسانه مع أن الأوطان الصغيرة هى حبات القلب فى الوطن الكبير .

الباب الثامن

معارك بين المحافظين حول اللغة

بين أحمد زكي باشا ومحمد مسعود

كان العالم اللغوي (محمد مسعود) قد قدم عدداً من الألفاظ العربية المهجورة منقها لإعادتها لتحل بدلا من الألفاظ الغربية والدارجة . ولما كان شيخ العروبة أحمد زكي باشا له باع طويل في هذا الميدان وسبق إليه منذ عهد بعيد فقد حاول (محمد مسعود) ودخل معه أكثر من معركة واتهمه بأنه أخذ منه كثيرا من الكلمات . ويبدو أن زكي باشا في مساجلاته في إهاب الاستعلاء وله عبارات جزئية وكلمات عنيفة . وهنا نورد ثلاث معارك جرت بين أحمد زكي باشا ومحمد مسعود خلال عامي ١٩٣٢ / ١٩٣٣ .

أحمد زكي باشا : اتق الله يامسعود(١)

اتق الله يامسعود فلك مركز وطيد بين أهل العلم والتحقيق وإذا كان معك سكوت على هذه الأخطاء فإنه يكون خطيئة لا تغتفر لمثلك .

« الشطارة » يا أخي أن يكون الإنسان مستعداً لإثبات ماذهب إليه أو يبادر بالرجوع للحق متى نبهوه عليه . فهل عندك هذه الشجاعة ؟ أكبر الظن أن الجواب سيكون بالإيجاب بلا مداورة ولا مواربة .

يامسعود : اتق الله في الأمانة التي في عنقك فأنت أخذت تتحلفط وتتحذلق وتتلاعب بهذا الاسم وبالناس الذين تصورت أنت انهم قد يخلطونه بالاسم المقارب له وهو « طلمنكة » .

فكان عجبي شديد حينما قرأت هذه الحقائق الصحيحة التي ليس فيها سوى عيب واحد وأنه لعيب عظيم هو عيب الاغتصاب الأدبي .

---

(١) البلاغ ـ ٢٧ / ٦ / ١٩٣٢

وأنا أربأ بك عنه يا صاحب (المرياء) بل لا أسمح لنفسى أن أتهمك بسببه لأنك صاحب (المنهرة) ولا أدعو عليك فالق الحب والنوى لأنك الداعى إلى تأنيث الفيلق بغير حق ولـكنى أتخيل أنك وقفت أمام المرآة فرأيت شخصا أخذت تسخر منه ثم وجهت السخرية إلى الناس بغير حق .

أنت أخذت منى وعنى كل هـذه المعلومات الصحيحة التى رويتها فى الأهرام مع صياغتها بتلك الرشاقة البديعة وبذلك الأسلوب الجذاب الذى برعت فيه وفقت الأقران ، فلماذا إذا خالفت واجب الأمانة ولم تنسب الفضل لأهله .

أنت أنت كنت الخالط بين شلمنقة وطلمنـكه . أنت أنت كنت إلى بضعة أيام تظن أنهما شىء واحد أو مدينة واحدة ، وأنا الذى هديتك إلى الصواب ، وشرحت لك الحقيقة . وذكرت لك التفاصيل .

لعلك نسيت يامسعود .

لعلك تقول أن الإنسان معدن النسيان .

معنا أن أذكرك بمـا حصل لترجع إلى الحق وتنسب الفضل لذويه فهذه سجيتك التى عهدتها منك وهذه شيمتك التى يعرفها الناس عنك وفيها كل مفخرة لك .

أتذكر أنك فى كلامى معك قلت أنت لى أن سلمنـكه هى التى عربها العرب وجعلوها طلمنـكه . اتذكر أن جوابى لك كان « حاسب يا مسعود حاسب » .

ثم شرحت لك الفرق بين المدينتين وذكرت لك مما بقى فى ذاكرتك وجرى به قلمك تعدون أن تشير إلى المصدر الذى سقاك هذه المعلومات .

محمد مسعود : ياشيخ العروبة اتق الله

يدعونى شيخ العروبة إلى تقوى الله ليهيىء لى من أمرى رشدا فأكرم بهذه النصيحة العالية والتحذير الحكيم من عالم فاضل يغار على الحق ويعمل لتأييده .

ولكنى أرانى الأستاذ تجاهة فى مأزق حتى يرأف بحالى فيدعونى إلى التزود بزاد التقوى لأقيل عثرتى واخلص من ورطتى وهو الذى فى مناظراته عود مناظريه أن يكون أمرهم معه يسرا لا عسرا .

وصف سيدى الأستاذ مايتفضل الأهرام بنشره لى وبين الفينة والفينة من تحقيق بعض الأسماء الأعلام أو تسمية بعض الأشياء بأسمائها الصحيحة فى اللغة بأنها (ألفاظ مقعرة وحفلطه وجليطة وتحذلق وتفاصح الخ) ما عرف الناس طرا من الخافقين وما زالوا يعرفونه أنه شنشنة مولاى الأستاذ وفطرته التى فطر عليها فى مباحثاته وسلاحه الذى يخطر به خطرانا فى غطرسة وزهو كلما أقبل على ميدان أو تحضر للضرب والطعان .

وليس من ديدنى أن أفرغ هذا السلاح بمثله أو آبه لتلك النعوت بل النوابل والأفاوية الزكية الذى اعتاد أستاذى الكريم أن يذر ذرورها على مايقدم إلى قرائه من صحائف بياناته ومناقشاته السهبة فإنى مار بها مر الكرام وواضعها دبر أذنى .

أن الحرب فى سنيها الأول ألزمت سواد الناس ملازمة بيوتهم وحرمتهم امتاع النفس بما اعتادوا أن يرفهوا به خارجها فى الهزيع الأول من الليل وكانت تطوف بخاطرى دائما فى تلك الأيام وأنا فى عزلتى ذكرى المحاولات المستخذية التى حاول بعضهم سنة ١٨٩٣ أن يغضوا عن اللغة العربية عار إفتقارها

من ألفاظ فصحى تؤدى معانى الألفاظ العامية والدخيلة التى تسربت إليها وفشا استعمالها فى الحقين الكتابى والكلامى . وقد كنت أعتقد أن سد هذه الفاقة لا يتأتى عن تصيد الألفاظ المطلوبة من هنا وثم كما كان يفعل ذلك البعض مسايرة للمصادفات والمناسبات بل عن مطالعة المعاجم مطالعة استقراء واستقصاء لتقييد ما يكون صالحاً لسد تلك الثلمة الفاغرة التى علا نعى الناعين لها فى الغابر والحاضر فتوفرت على هذا العمل زمناً مديداً حتى اجتمع لى منه بضعة آلاف كلمة عنيت برد مايتصل منها بمختلف العلوم إلى ماهدانى البحث والتنقيب إليه من مقابلها فى اللغتين الفرنسية واللاطينية . وهذه الكلمات وتلك مرصورة عندى فى أمام مبين أعاوده بنظرى كلما احتجت إلى تحقيق أو تصحيح .

فمن العجب العاجب بعد هذا أن يرد لى الأستاذ شيخ العروبة فيما يتعلق بكلمة (المنهرة) وهى من تلك الكلمات التى أحصيتها ثم سمعتها بعد من كثيرين على أن يرتقى علمى بها إلى ماقبل سنى الحرب .

وأى حرج فى استعمال كلمة المنهرة الآن للدلالة على مجمع الكناسات المنزلية وكتب اللغة قاطبة لا مخصص ابن سيدة وحده متفقة على أنها « الموضوع بين الدور لإلقاء الكناسات » .

بعد أن أفرغ سيدى الأستاذ جام غضبه ونقمته على كلمة المنهرة توجه بنقده اللاسع اللاذع إلى كلمة « الفيلق » التى أثبت بالمراجع اللغوية والشواهد الشعرية تأنيثها ثم قال « إنى » ثائر على تأنيث كلمة الفيلق وقد يكون هذا التأنيث صحيحاً ولكنى لن استعملها إلا مذكرة » .

هذا ما قاله شيخ العروبة مبنى ومعنى . ولقد قرأت بعد ظهور نبذتى عن

كلمة الفليق ست عشرة نبذة نشرها بعض أفاضل اللغويين تعليقا وملاحظة على ماذهبت إليه من تأنيثها . ولـكن سيدى إذا انزرع بمخه رأى عددت فيه جذوره وأخذت منه المأخذ العميق فيصبح عسيرا عليك أن تقتلعه ، ومادام انه يحب التذكير ولا يرضى ألاه فلندعه وشأنه . لنسرح الطرف قليلا فى تفسير طريف فسكه جاء به لـكلمة الفيلق: يقول أم اللغة وشيخ العروبة فى لهجة التأكيد والاستيثاق ما يأتى « أن فيلق إنما هى صفة أو نعت تطلق بصيغتها هذه على المذكر والمؤنث مثل خام وقيبل ومصون الخ .

مرحى . ياسيدى الأستاذ . ماهذا التخليط فى التحقيق اللغوى الذى لم تتورع بصدده عن نصيحتى بتركه إذ تقول « ان استمعت لى أخرجت نفسك من ميدان البراز فائزا من الغنيمة بالأسباب .

أسألك بربك أن تجاوبنى ما هذا الخبط والخلط .

وأبت النفس النقادة من الهيولى اللغوية لمولاى الأستاذ إلا أن تلتقف بكفى نقدها العميق كلة مرباء بالهمزة التى رأيت ومازلت أرى أنها أصلح لفظ وأدقة لأداء معنى المصعد أو الاسنسور . ولـكن الظاهر أن تلك النفس الميوفة تقززت منه فقالت مستنجدة مستصرخة « سألتك بالله إلا تريدنا على استعمال كلمة مربأة .. لا أحد يتقعر بما لا يفهمه الناس من مرباتك .

إنى حين حدثت قرائى عن (المرباه) حدثتهم عن موجود فى اللغة لا معدوم ويجمل بك ياسيدتى النفس الـكريمة أن اذكرك انك فى غابر الزمان وسالف العصر والأوان كنت تتصدين لمـا أنا متصد له الأمن خلع بعض الأسماء على مايجب أن يسمى به مدلولها فاسميت التروتوار بالأفريز ما الأفريز إلا مابرز من حائط البناء كالطيف واسميت الاوتومبيل بالسياره وكان حقا

أن تسميه بالجواة وتغلغل خطأ هاتين التسميتين فى غصون الزمان حتى جهد عليها الاصطلاح الآن .

أفلم يكن الأولى بك أن ترى الخشبة فى عينك من أن ترى القشة فى عين غيرك .

وألفت نظرك إلى أن ربى وربك أمرنا فى محكم آياته بالحسنى فى الجدل وأنت أيتها النفس العاقلة الحصيفة تخشين أسلوبك الجدلى بهجر القول وسقط الكلام وحواشى اللفظ .

لكنى أهيب بك أن تكون تحية أول صديق من الكرام الكاتبين قابلته فى صبيحة اليوم قوله لى « تالله لو كنت طالبا ولو لم يكن غير زكى باشا أستاذنا على وجه الأرض لآثرت البقاء جاهلا خاملا طول عمرى على أن أكون عالما نبيها إذا كان أسلوبه فى التعليم كأسلوبه فى الجدل .

(٢) محمد مسعود : ياشيخ العروبة اتق الله (١)

إن نخلة الأدب والعلم فى حديقة شيخ العروبة تأبى إلا أن يكون ثمرها حجراً ومدراً لا رطباً جنيا فهى ترمى بهما الناس جميعاً لا ترحم كبيراً ولا تعطف على صغير .

ولقد أرسلت النخلة المباركة على بدلا من ثمرها الشهى ورطبها الجنى أحجاراً غلاظا أسمعها « الامانة » والشطارة والصهينة والهروب إلى آخر مافى الجعبة الزكية .

تذكرين الأمانة تريدين بها ضدها. أيتها النخلة المأمونة الأمينة وتذكرين

---

(١) البلاغ — ٤ يوليو ١٩٣٢ .

الشطارة تفزعين فى معناها إلى جانبها النصيح ، وقد كان أبعد خطوراً على البال أن تلوحى بهما إلى وأنت لم تسكونى الأمينة حتى على كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فغيرت فى آياته وأبدلت ونسخت ومسخت وزدت أن أذعت هذا الخطأ فى الصحف فهجت بذلك حفيظة الناس عليك وكانت غضبة مصرية من أهل العلم فهبوا لإصلاح ما أفسدت وجبر ما كسرت ، وكان منك يومئذ أن لجأت إلى ماتلجئين إليه الآن . إلى ذلك الحصن الحصين : حصن الرجوع إلى الحق فضيلة تسكررين الأمانة الأمانة ، وأنت لم تتقى الله فيها إذ رحت تدعين لنفسك الحق فى طبع كتاب الأدب الكبير لعبد الله بن المقفع مع أنه من ألوف الكتب التى أصبحت بموت مؤلفيها منذ مئات السنين ملكا مشاعا للجميع فلأى أن يطبعه فلما طبعه محمد للرصفى طبعة صحيحة هاج هائجك فأرسلت عليه كسفا من سماء غضبك إذا انسكوت عليه ذلك الحق وامطرته وابلا من مثل هذه العبارات « نال من الرواج ماجعل بعض البلد المتطفلين يقلده بلا خجل » إلى ذلك من العبارات التى ينطبق عليها قول الفرنسيين .

« إن ديباجة المرء انشاؤه » أى أن عصارة تفسكيره التى ينضج بها فهى كفيلة بأن تسكشف للقارىء والسامع عن حقيقة مشاعره من كل نواحيها .

وترميني يانخلة العلم والأدب فيا رميت من أحجار بالصهيفة والسكوت لأنني مررت بمقالك (حاسب ياسعود حاسب) مر السكرام .

وأنت أنت ياشيخ العروبة نسيج وحدك فى الإغضاء والتغاضى ونابغة زمانك فى الانسلال من التبعات فما عهدك ببعيد بمقال « بقايا العرب فى أمريكا التى نشرته لى (الأهرام أوائل نوفمبر ١٩٣٠) فقد لبثت تنتظر أسبوعين

كاملين طالعت الناس بعدها بمقالك الذى صدرته بما هو ديدنك من التفاخر والزهو إذ قلت :

« على وعنى وحدى خذو النبأ الصادق . وعندى وعندى وحدى الحجة الصحيحة والبرهان الصادق » ومننت فيه على كل شرق وعربى (هكذا) بأنك أول من نبه العرب إلى كتاب نزهـــــة المشتاق فى اختراق الآفاق للادريسى ، إذ كنت أول من عثر عليه سنة ١٨٩٢ فى بعض خزانات المغرب وزدت الا منا على مصر شعبا وحكومة بتصويرك إياه بالفوتوغرافيا لإهدائه إلى دار الـكتب .

فلما انبرينا لنفند هذه الدعوى ، وأثبتنا بالدليل المقدم والحجة البالغة أن الـكتاب طبع بالعربية بحاضرة روما عام ١٥٩٢ أى قبل عثورك عليه بثلاثمائة سنة رأينا قلمك الذى قد ذبل عوره وانقطع سيله وعدت لا تحير جوابا ..

فلست أدرى لماذا لا يرى شيخ العروبة الخير والصواب إلا فى ملاحقة كل كاتب باحث بدعاوى التفوق وتعقبه بصنوف المن والتعبير والتـكدير والتحذير . بل لا أدرى لماذا يلذ له أن يلصق بغيره ماهو به ألصق ، فهل جهل أو تجاهل أن من أمارات العلم الصحيح أن يكون ز كى النفس قبل أن يكون عالما وأن يقصد بعلمه هداية غيره فى تواضع وإنـكار للذات .

المعركة الثانية

كتب « محمد مسعود » عن العالم الطرطوشى فقال[1] :

« لأشاغيل طرآنية صرفتنى فى الأسبوعين الغابرين عن مطالعة الصحف

(١) البلاغ ــ فبراير ١٩٣٣ .

فى مواعيدها فاتنى أن أمتع النفس بتلاوة المقال القيم الذى دبجه فى البلاغ
بيراعة أستاذى العلامة المحقق شيخ العروبة تحت عنوان « الصواب أنها مدينة
لاريدو » جريا مع منطوقها الفرنجى .

وقد استطرد البحث بشيخ العروبة فى ذلك التصويب المكتنز بالفوائد
التاريخية والجغرافية إلى ذكر مدينة طرطوشة الأندلسية .

رد أحمد زكى باشا

أتقدم إلى الأستاذ مسعود برجاء مربع وقد أطمع فى كرمه أن ينعم على
وعلى نفسه بحاجة خامسة . ولعله يتفضل ببناء هـذه الأركان الخمسة لمصلحة
الأدب ولفائدة العلم ، فيحقق أملى القديم فيه بأن يعود (كما كان) مثالا
للشبيبة الجامحة وللكاتبين المستهترين فى المحافظة على الكرامة وفى تأدية
واجب الأمانة .

أولا : أن يرجع — كما فعل أمس وأمس فقط — إلى عفاف القول
واجتناب النكتة الباردة . أو غير الصادقة فأسدل حجاب النسيان على ما طغى
به قلمه قبل اليوم بسبعة أشهر .

ثانيا — أن لا يكتفى فى المستقبل بالرجوع إلى مصدر واحد أو إلى قول
واحد فى كتاب واحد . بل يقارن ماينقله هو عن الأفرنج بما نقلوه هم عن
العرب فيما يتعلق بعلوم العرب وبلاد العرب أو البقاع التى كانت للعرب .
إذن يكون فى أمان من الغلط ومن السقط فى الشطط .

ثالثا — أن يشاركنى فى فضيلة الرجوع إلى الحق (بلا مواربة ولا
مداورة) ليكون قدوة صالحة للناشئة العلمية .

رابعاً — أن لا يحول الكلام الذى يريد نقده أو نقله عن مجراه ولا يرمى به إلى غير معناه .

هل يسمح لى الأستاذ مسعود بخامسة الأمانى !

إنى أتوسل إلى الأستاذ مسعود باسم الرشاقة واللباقة واللياقة وبحق اللطافة والطرافة والظرافة أن يرحمنا من الألفاظ العويصة المقفرة الجوفاء فيميل بنفسه إلى السلاسة فى التعبير وهو عليها قدير . وإلى السكياسة فى نظم الكلام . وهو فيها أستاذ بل (إمام) فيعود بنا إلى ما تعودناه عنه مما تقبله الأسماع وترضاه الأذواق . ففى اللغة سعة وفى مخزون صدره كفاية وكفاءة .

فليس كل القراء مثل الشنقيطى والزمخشرى وابن الزبعرى ، يا أستاذ ولاسيما قراءة الجريدة اليومية .

فارحمنا يرحمك الله من براعة الانتفاح التى صدرت بها كلمتك أمس عن الطرطوشى وهو قولك :

« لأشاغيل طرآنية » .

يا ستار ! يا ستار ! لعن الله هـذه « الأشاغيل » التى شغلتك مشاغلها فأوقعتنا فى صحراء الحيرة وأرجعتنا رغم أنوفنا إلى قعر القاموس .

أنا لا أقول فقط أنها خطأ · بل هى عين الصواب وكل الصواب . ولكن الذوق شىء غير الذى فى الكتب .

ياستار ! ياستار ! من تلك الطرآنية التى طرأت عليك نطرقت أسماعنا بالموزبة المفردة وكل مقامع الحديد .

ياستار ! ياستار ! من هذا التركيب الذى لا يفهمه أحد من ألف أومائة ألف . والحقير كاتب هذه السطور داخل فى غمار هذا (اللهون) .

أشاغيل طرآنية .. أحمل معروف يامسعود وأتركها للقصيدة الططرانية.

المعركة الثالثة

من محمد مسعود : إلى شيخ العروبة(١)

ليس من الهنات الهينات ولا من تافه الأشاغيل أن يسوقك الحظ العاثر يوما إلى النزول مع شيخ العروبة فى ميدان مناظرة وبحث لتقرير الحقيقة فى شأن علمى .

ذلك لأنك إذا خضت معه هذا الغمار استهدفت لغمزات شتى من سنان قلمه الجارح . فمن من عليك وتعبير لك بأنك إنما من بحر علمه إغترفت إلى تشهير بك وانحاء باللوم والتعنيف عليك لأنك لم تؤد إليه صاغرا اتاوة الشكر لقاء ماغمرك به من فيوض إحساناته العلمية ومن تفاخر بأنه القابض وحده على مفاتيح التحقيقات العلمية واللغوية ، ولذلك لناحية البحوث الأندلسية ، والملهم فى دياجير الأخطاء بالتوفيق لنور الصواب والحق ، إلى اتهام لك بالجهل وانتحال علم مالا يعلم . فهو يرى إذا أن العلم ومايتصل به من تحقيق وتمحيص تراث أوصت له به الحكم الأزلية وميراث خلص له من غضون الأجيال السابقة . ليس لأحد من مخلوقات الله أن يرمقه بعينه أن يشرئب إليه بعنقه . وهذه هى الغاية لا متجاوز بعدها للصلف وتصغير الخد وحب الأثرة التى جاء فى ذمها مالا يحصى من أحاديث شريفة وحكم بالغة نطق بها الفلاسفة وأربابه الدراية بالتربية النفسية والتثقيف العقلى .

وإذا أنت فى مناقشتك إياه أخذته بالهوادة القائمة على أساس وطيد من أدبك العالى وخلقك الرضى الكريم فقلت له مثلا أنت سيدى وأستاذى . وأنت نسيج وحدك فى العلم ومنقطع القرين فى الفضل . وبذلت له فى هذه السبيل

(١) البلاغ — ١١ فبراير ١٩٣٣ .

الأشاغيل . إن فيه مسحة من التنافر اللفظى ويهوم على وجهه صائحاً صيحة الاستغاثة والاستعاذة إذ يقول : ياستار ياستار . لعن الله هـذه الأشاغيل ناسيا أو متناسيا فيه مسحة التنافر اللفظى إنما كان حينما نهض لتأبين الشيخ على يوسف فى نوفبر أو ديسمبر ١٩١٣ فوصف أمراً بأنه « بحت محت محض » فاضحك الحاضرين يومئذ فى وجوههم وحزنهم .

أما هو فقد مضى فى تأبينه راشداً ومعتقداً أن تلك المترادفات خفيفة على اللسان سهل النطق بها وأنها من الألفاظ التى لا يجاريها فى شرف جوهرها وحسن رونقها .. وشدة طلاوتها وحلاوتها غير قول الشاعر :

وقـبر حرب فى مـكان قفر ... وليس قرب قـبر حرب قـبر

أحمد زكى باشا : يافتاح يا عليم

أعتذر ولا أعنى الأستاذ مسعود بوجه خاص .. أما الاعتذار فلأنى قد كنت وسأكون بلا قصد سببا فى تصديقهم بإرهاقى إياه على اقتحام مالاطاقة له به من عويص المباحث ولا صبر عليه من غوامض الحقائق ، وهو يريد أن يكتب دون مبالاة بالصواب ولا يرضى أن يزيد على فضائله العديدة : فضيلة الرجوع إلى الحق ..

من أجل ذلك نراه يتناول القلم بعد أن يغوص فى قعر القاموس ثم يأتينا بعجر الألفاظ الميتة وبجر التعابير الداثرة المندرسة . وأما الحقائق وأما البراهين فانه يتهرب منها إلى هنا . وينفلت عنها إلى هناك .. وله فى ذلك براعة — وأية من براعة — فى مجافاة الحق الذى تقدم به إليه يصادع البرهان وساطع البيان.. ثم هو لا يتورع عن تأييد الباطل بصنوف المحال ولا يتحرج عن التشبث بأفانين التقول والاختراع وسبحان الخلاق الذى جعله نسيجا وحده فى هذا

الباب . فهو أستاذ . بل إمام . وله تلاميذ ومريدون بهم يستنصر ويستكثر وهل يقام بناء من هباء على هباء .

.. أما أنى لا أهنئه اليوم — واليوم فقط — فلأنه لم يتفضل برعاية الأمانة . أف لهذه الكلمة . إنها ثقيلة على قلبه . والويل كل الويل لمن يذكرها له أو يذكره بها .

أقول أننى لا أهنئه اليوم لأنه لم يتفضل بمراجعة وجدانه عن الفرق بين الغلطة المطبعية (رغم كل مكابر ومداور) التى تحديته إلى التفطن لها . وبين ماخلقه له وهمه وخيل له وسواسه أنه (غلطة تاريخية) .

.. إن الغلطة المطبعية هى التى تقع من صفاف الحروف ولا يتشبث بهذه الصغيرة من الصغائر إلا المتعسف المتعنت .

أما الغلطة التاريخية مثل أغلاط سيدى مسعود الكبير — فهى التى تؤاخذ بها الكاتب حتى يعترف بغلطه فيها من تلقاء نفسه أو بعد تنبيهه فتكون له فضيلة الرجوع إلى الحق (العقبى لك يا أستاذ) .

والميدان فى دار العروبة ممدود لك ولأهل الفضل فى كل يوم مرتين فشرف أنت والأستاذ دياب ومن تريدان على الرحب والسعة ولك الفضل وله الحكم على أحدنا على الآخر . فيما يتعلق بالغلطة المطبعية .

من أحمد زكى باشا — إلى محمد مسعود

(الحديث موجه إلى زكى مبارك) .

الحق أنه — أى مسعود — برزنى فى الخطاب وأنه فاز فى ميدان الشتم والسباب وها أنذا أعترف له بذلك وأشهد أنك — أى مبارك — لحقت غباره بل إنك سبقته بأشواط .

ألا فليعلم أنى تعففت عن مبارزة الأستاذ مسعود فى التراشق بالقول المراء ولا يجهل أن عجزى فيه لا يوازى سوى قسوة قلمى فى تشديد النكير على أهل الدراية أو الذين أحسبهم منهم إذا ارتكبوا خطأ وأذاعوا ضلالا . ثم بعد إرشادى لهم .

أأنت ترى فى سلوكى عن الأستاذ مسعود وقد خلا له الجو مضيعة الحق العلم الصحيح . أم هل الحقائق التاريخية والجغرافية داخلة تحت حكم الشريعة السمحة والقوانين المدنية والجنائية حتى سقط بالتقادم أو مضى المدة .

كلا . .

بل أن الأغلاط التى نبهت الأستاذ مسعود إليها فشتمنى من أجلها لا تزال عالقة برقبته حتى يبررها بغير السباب أو حتى يرجع إلى الصواب الذى دللته عليه ولا غضاضة فى الرجوع إلى الحق . .

لقد جازف حين زعم بغير حق ولا تحقيق أننى أنا الذى ابتدعت كلمة أفريز للمعنى المغلوط المستعمل الآن فى قولهم (أفريز المحطة) بل هو يعلم أو يتجاهل أن للمرحوم الشيخ على يوسف هو أول من استعملها بهذا المعنى فكافحت منى مقاومة ومعارضة ومكافحة ولكن صوت (المؤيد) كان ولا يزال أعلى من صوتى فبقيت هذه الأغلاط شائعة بين أرباب الأقلام

ومن سوء حظ العربية أن يغلط الأستاذ مسعود فى نقله الوصف الذى أعطاه الأدريسى لأبناء العم الثمانية الذين جازفوا باقتحام المحيط الأطلنطى . فالأدريسى يصف هؤلاء العرب الكرام بـ (المغررين) وعلماء المستشرقين

---

(١) البلاغ ٢٩ ديسمبر ١٩٣٢ .

يتابعونه على هذا التعبير الصواب ، أما الأستاذ مسعود فقد التبس عليه الأمر وكتب تحت (المغرورون) بالقلم العريض ثم عاد فى مقال ثان وكرر هذا الغلط (بزيادة الواو) .

أيريد الناس برهانا عمليا على شرف الطباع ومحامد الأخلاق وعلى الاحتفاظ بكرامة الأدب فى الجدل .

إذن فيسمع الأستاذ مسعود .

بينما كان هو مبالغ فى شتمى والزراية بشأنى على صفحات جريدة الأهرام طلب إلى أديب أن يكتب عن رواية ترجمها مسعود وظهر بها ٣٠٠ غلطة فى رواية . ولكنى رجوته رجاء شديداً وألححت عليه لما لى عنده من المكانة ألا يفعل .

كلمة أخيرة

من محمد مسعود(١) إلى شيخ العروبة

لشيخ العروبة فى التعبير عن مراده أسلوب خاص لم يبره فيه أحد حتى الآن فقد جعل قوامه أدعاء الكمال لنفسه فى العلم والفضل والزراية بالناس والتنقيص من أقدارهم . حتى لقد رأيت الكثيرين يربأون بأنفسهم من منازلته فى ميدان البحث خيفة أن ينقلب بهم إلى ميدان تراشق بالشتائم قد يصابون من لوثها بما لا يحبون .

وفى (البلاغ) كلمة بقلمه تعد مظهراً جليا من مظاهر هذه النزعة التى أصبحت ديدنا له وشيمة يمتاز بها عن الكرام الكاتبين . وقد حاول فيها

(١) البلاغ ٧ يناير ١٩٣٣.

أن يسعى برشاش ذلك الأذى إذ راح يحصى على أغلاطا يقول إنها وقعت في مناظرات بيني وبينه انقضى عليها نصف عام إلى عامين وشهرين . وكان قميدا به أن ينبرى لتصحيحها في إبانها كما جرت به العادة بين المتناظرين ولكنه صبر طول ذلك المدى كي ينسى القراء موضوع تلك المناظرات التي خرج منها مدحوراً لا يستطيع لها رداً ولا يجد عليها جوابا . فتتهيأ له الوسيلة لإيهامكم بأنه أخذ على مآخذ لا تمت إلى مناظرات سابقة بصلة ما فيأمن عاقبة حكمهم عليه فيما لو كانت موضوعاتها بين أيديهم أو عالقة بأذهانهم .

الباب التاسع

معارك نقد الشعر

١ — بين شوقي ونقاده

العقاد ، المازني ، هيكل ، معارك طه حسين .

٢ — بين عبد الرحمن شكري والمازني

شكري ، المازني ، أبو شادي .

٣ — إمارة الشعر

الزهاوي ، العقاد ، مطران ، طه حسين ، الرافعي .

٤ — ديوان وحي الأربعين

الرافعي ، العقاد ، إسماعيل مظهر .

الفصل الأول

بين شوقي ونقاده

لعل شاعراً لم تتناول أدبه أقلام النقاد والباحثين مثل « شوقي » ، فقد كان صاحب ذهب وسيف ، وكان في فترات حياته وسيط الخديو إلى رجال القلم والصحافة ، فضلا عن أنه كان شاعر الأمير حتى نفي في أوائل الحرب العالمية الأولى فلما عاد تحرر من سلطان القصر ولكن رأى خصومة ظل فيه كما هو ، هاجمه إبراهيم المازني وعباس العقاد وطه حسين ثم هاجمه هيكل بعد أن كتب له مقدمة ديوانه وأصدرت السياسة الأسبوعية عدداً خاصا عنه ثم غير المازني وطه حسين رأيهما في شوقي وأصر العقاد على رأيه ، وهذه صورة من آراء نقاد شوقي .

عباس محمود العقاد : شوقي في الميزان

كذا نسمع الضجة التي يقيمها شوقي حول اسمه في كل حين فنمر بها سكوتا كما نمر بغيرها من الضجات في البلد لا استضعافا لشهرته ولا لمعة في أدبه عن النقد ، فإن أدب شوقي ورصفائه من أتباع المذهب العتيق هدمه في اعتقادنا أهون الهينات . ولكن تعففنا عن شهرة يزحف إليها زحف الكسيح . ويضن عليها من قوله الحق ضن الشحيح ، وتطوى دقائق أسرارها ودسائسها على الضريح . ونحن من ذلك الفريق من الناس الذين إذا ازدادوا شيئا بسبب يقنعهم لم يبالوا أن يطبق الملأ الأعلى والملأ الأسفل على تبجيله والتنويه به فلا يعنينا من شوقي وضجته أن يكون لها في كل زفة ، وعلى كل باب وقفة .

فإذا استطاع أن يقحم اسمه على الناس بالتهليل والتكبير والطبول والزموز في مناسبة وغير مناسبة وبحق أو بغير حق فقد تبوأ مقعد المجد وتسنم مقعد الخلود وعفاء بعد ذلك على الإفهام والضمائر وسحقا للمقدرة والإنصاف . وبعدا للحقائق والظنون . وتبا للمجل والحياء . فإن المجد سلعة تقتني ولديه الثمن في الخزانة وهل للناس عقول .

ومن كان فى ريب من ذلك فليحققه فى تعابع المدح لشوقى ممن لا يمدح الناس إلا مأجورا فقد علم الخاصة والعامة شأن تلك الخرق المفتنة تعنى بها بعض الصحف الأسبوعية . وعرف من لم يعرف أنها ما خلقت إلا لسلب الأعراض والتسول بالمدح والذم . وأن ليس للحشرات الآدمية التى تصدرها مرتزق غير فضلات الجبناء وذوى المآرب والجوازات . خبز مسموم تستمرئه تلك الجيفة التى تحركها الحياة حركة كما تحرك الهوام وخشاش الأرض ؛ فى بلد لو لم يكن فيه من هو شر منه لماتوا جوعا أو تواروا عن العيون . هذه الصحف الأسبوعية وهذا شأنها وتلك أرزاق أصحابها تكيل المديح جزافا لشوقى فى كل عدد من أعدادها وهى لا تنتظر حتى يظهر للناس بقصيدة تؤثر ، أو إثوا يذكر . بل تجهد نفسها فى تمحل الأسباب واقتسار الفرض ، فإذا ظهرت له قصيدة جديدة وإلا فالقصائد القديمة فى بطون الصحف وإن لم يكن شعر حديث ولا قديم فالكرم والأريحة والفضل والوذعية .

.. ولقد استخف شوقى بجمهوره واستخف واستخف حتى لا مزيد عليه ، ما كفاه أن تسخر الصحف سراً لسوقه إليه واختلاف حواسه واختلاس ثقته حتى يسخرها جهره ، وحتى يكون الجمهور هو الذى يؤدى بيده أجرة سوقه واختلاسه .

أن امرءا تبلغ به محنة الخوف على الصيت هذا المبلغ ، لا يدرى مم يستنكف فى سبيل بغيته وأى باب لا يطرقه تقربا إلى طلبته والحق أن تهالك شوقى على الطائطة الجوفاء قديم عريق ورد به كل مورد وأذهله عما ليس يذهل عنه بصير أريب ، وليس المجال منفسح للتفصيل ولا الفرصة سانحة لجلاء الغوامض .

فى الديوان جـ ١ (يناير ١٩٢١) — ٤٦ صفحه عن شوقى وفى الجزء الثانى — ٤٥ صفحة عن شوقى أيضا .

إبراهيم عبد القادر المازنى : رأيه فى شوقى[1]

ليس شوقى عندى بالشاعر ولا شبهه ، وأنه لقطعة قديمة متلكئة من زمن غابر لا خير فيه . يغنى عنه كل قديم ولا يضيف هو إلى قديم أو حديث وما أعرفنى قرأت له شيئا إلا أحسست أنى أقلب جثة ملئت صديدا وشاع فيها الفناء علوا وسفلا . وعسى من تستفظع هذا ويرى فيه غلوا .

ولهذا يقول أن مقياسنا كان ولا زال . أن الجيد فى لغة جيد فى سواها والأدب شىء لا يختص بلغة ولا زمان ولا مكان لأن مرده إلى أصول الحياة العامة لا إلى المظاهر والأحوال الخاصة العارضة . فمن كان يكابر بالخلاف فى أن شعر شوقى كما نصف ، فما عليه إلا أن يتناول خير ما يذكر له وأبرعه فى رأى أنصاره ثم فليترجمه إلى لغة أخرى ولينظر بعد ذلك مبلغه من الفساد والاضطراب والاعتساف والشطط والسفه والغلو والخلو من الصدق والعجز عن صحة النظر .

وليت شوقى أنه لا يسمو عن المطروق والمألوف والمبتذل ، إذن لكانت له على الأقل مزية الفطنة إلى ما كانت له فى زمنه طلاوة الجدة فإن المطروق اليوم كان مبتكرا بالأمس وأنا لنمط شفاهنا الآن إذ نرى كاتبا أو شاعرا يشبه وجه الحبيب بالقمر أو غيهبته بالنجوم .

والمرء أما أن يكون شاعرا أو لا يكون ولا وسط هناك ، أفإن كان شوقى عندكم شاعرا فقيسوه إلى شعراء الدنيا من مثل شكسبير وجوتيه وملتون وهاردى ودانتى فإن لم يقف به مكانه بينهم فهو ما زعمتم ، وإلا

---

(١) السياسة الأسبوعية (كتب فى العدد الخاص بتكريم شوقى) ٣٠ إبريل ١٩٢٧.

فاعلموا أن الشعر ليس الوزن والقافية وأن من أول خصائصه قدرته على النقل. ولسنا نعني المقدرة على التصوير بالألوان بل تناول الأشياء بحيث يوقظ هذا التناول في نفس القارىء إحساسا تاما قويا بالشيء وبصلتك به .

لا سيدي هيكل بك : هذه معابثة لا مطايبة فيها تقيمون كل هذه الضجات والضوضاء حول شوقي وتحفونه بالزمر والطبل في أرجاء المعمورة كلها ثم تعمشون إلى رجل خفيض الصوت مثلي تدعونه إلى أن ينهض وسط هذه الزفات الجلجلة ليفضي إليكم برأيه الصريح .

٣ — شوقي مرة أخرى في رأى العقاد[1]

شوقي شاعر الخليين — يلجأ إليه من لا تحفزه إلى قراءة الشعر عاطفة مشبوبة ولا بديهة يقظى ومن قصارى رأيه في الشعر أنه معان شائعة في صياغة مقبولة ولعب لا يؤاخذ صاحبه على خطأ ولا يحاسب على ضلال .

فأنت لا تقرأ في كل مانظم شوقي شيئا ينم عن فتنة بجمال الطبيعة أو امتزاج بحياتها النابضة في الأرض والسماء وبحاليها الحية في الرياض والبحار والنسائم والأهواء . سحرها الذي يجلب النشوة ويسري في بعض النفوس مسرى الهيام الغالب والغرام الخالب . وليس في كل مانظم شوقي شيء ينم عن تلك السليقة المتفطنة لبدائع الألوان والأشكال العاكفة على تصوير ما تلمح من تلك البدائع والأسرار .

وليس في شوقي ذلك التصوف الذي يتطلع إلى المجهول ويقف بين يديه موقف الكشف والإلهام وليس فيه ذلك الألم الذي يشف عن فرط

---

[1] السياسة الأسبوعية — إبريل ١٩٢٧ بمناسبة مهرجان شوقي .

الإحساس ولا ذلك الطرب الذى يتغنى بفرح الحياة . وليس فى ذلك الخيال الخالق الذى ينشىء الصور والأشباه ويلبس المعانى الخفية أثواب المنظور والمحسوس .

ولكن أليس شوقى شاعر الرثاء . ونقول نحن هو كذلك إن كان الغرض من ذلك القول أنه أكثر الشعراء شعرا فى بكاء الأموات وأنه قد نظم أربعين أو خمسين بصيدة أو أكثر أو أقل رثاء جماعة من نبهاء المعاصرين .

غير أنك تقرأ هذه المراثى فلا تجد فيها فرقا بين الرجل والصفات ولا يعجزك أن تضع رثاءه لاسماعيل أباظة موضع رثائه لرياض أو رثائه لفريد موضع رثائه لعمر لطفى اللهم إلا اختلاف الأسماء والوظائف والألقاب .

أخلاق شاعر الأخلاق : الدكتور هيكل

بعد أن أصدر هيكل العدد الخاص من السياسة لتكريم شوقى وكتب مقدمه الفرقيات تحول إلى الهجوم على شوقى .

علمت أن شوقى بك لفق بعض أخبار عن السياسة ومحرريها واطلق وأطلق جماعة من صبيانه يذيعونها فى القهاوى وفى الطرقات فأصغرت ذلك منه وأعرضت عنه وأبيت أن أحدثه فيه لكيلا أحرجه بأن أصارحه بهذا التدلى إلى حضيض الخلق .

ولكنه لم يقف عند رواية أخباره الملفقة وإرسالها على ألسن صبيانه ، بل جرت السفاهة على صفحات « نشرة » ينفق عليها لتصفيقه ويدير تحريرها باسم مستعار لتنال من أعراض من يحسبهم خصومه . جرت بالطعن

(١) السياسة الأسبوعية — ٢ يولية ١٩٢٧ .

فى أعضاء اللجنة التى كرمته باتهام أعضائها جميعاً بأنهم « أرادوا أن يتخذوا من تكريمه أداة للتعصب والظهور ، ويتخذوا منها إعلاناً عن أنفسهم وعن سلعهم البائرة وصحفهم الخاملة » لم يستثن منهم أحداً كلا كثرة عددهم كما جرت بالأسف على أن لم يتول العمل أشخاص معينون ذكر إسمى من بينهم .

أنا لا أستطيع أن أجد لهذا التطور العجيب مبرراً من روية أو تفكير وإنما هو إسلام النفس للبطانة من الصبية فبعد ما كان شوقى يقدر بنفسه مافى إصدار جريدة كالسياسة الأسبوعية لعدد خاص من التكريم وسوس إليه الصبية الملقون أنهم لا يرضون عن أن ينتقد ، ويعتبرون أى نقد فى حضور رجال الأدب من مختلف بلاد الشرق العربى جناية على مجده تكاد تثله ففزع ثم اضطرب ثم لفق ثم جاء إلى الاسم المستعار .

مقدمة الشوقيات : زكى مبارك

كانت الصلة[1] قويت بينى وبين شوقى سنة ١٩٣٥ وكان شرع فى طبع الشوقيات فشاء لطفه وكرمه أن يدعونى لكتابة المقدمة بعبارة لاأزال أذكر نصها بالحرف : « سيكتب الدكتور هيكل مقدمة تاريخية وستكتب أنت مقدمة أدبية » .

وبعد أيام تلطف فأهدى ماطبع من الجزء الأول مصححاً بخطه الجميل لأكتب فى تقديمه ما أريد ورجعت إلى نفسى فتذكرت أن المقدمات يلتزم فيها الترفق وذلك مالا يجمل بكاتب مشغول بالنقد الأدبى مع شاعر لا يزال فى الميدان وأسرعت فكتبت إليه خطابا قلت فيه : أنى لا أستطيع كتابة

---

(١) (البلاغ) ديسمبر ١٩٤١ .

المقدمة التي ينتظرها أمير الشعراء لأني أخشى أن أقول فيها كلاما يصدني عن نقده أن رأيت في أشعاره المقبلة ما يوجب الانتقاد وفي عصرية اليوم الذي كتبت فيه ذلك الخطاب قابلت الدكتور طه حسين وأخبرته بما وقع فغضب أشد الغضب وقال : « ليتك استشرتني قبل أن تصنع ما صنعت ، إلا تعرف أنك اضعت على نفسك فرصة من فرص التشريف ؟ لو طلب شوقي مني ماطلب منك — وأنا خصمه — لاستجبت بلا تردد ، فشوقي في رأيي هو أعظم شاعر عرفته اللغة العربية بعد المتنبي .. »

ثم أقيم الحفل بدار الأوبرا سنة ١٩٢٧ لتكريم شوقي وأصدر هيكل عدداً خاصا من السياسة الأسبوعية ودعي للاشتراك في تحريره رجال منهم زكي مبارك وقيل أن شوقي أشار بحذف مقالات كان من بينها مقاله « ولم يرتح شوقي إلى هذا العدد الخاص فقد ظهرت فيه عبارات تغض من مقام أمير الشعراء » .

قال زكي مبارك « ثم غضب شوقي على هذا العدد من السياسة الأسبوعية وكان شوقي إذا غضب معه ألف مرتزق من أدعياء الأدب . فمضى أولئك المرتزقة يقولون في الدكتور هيكل كل ماتسمح بنشره الوريقات المتسمة زوراً بوسم الجرائد والمجلات فكتب الدكتور هيكل في السياسة الأسبوعية مقاله المأثور « أخلاق شاعر الأخلاق » وهو مقال فصل فيه ما كان بينه وبين شوقي وتوعده توعداً أليما . فقد نص على أن شوقي لن يظفر مرة ثانية بمثل ذلك الاحتفال .

ورأيت أن أرجع إلى الدكتور طه أستفتيه فابتسم وقال : كان مصيرك سيكون أفظع من مصير هيكل لو كتبت مقدمة الشوقيات .

فلما جاء طاغور إلى مصر دعا شوقى أساتذة الجامعة المصرية للقائه فى داره ولم يدع زكى مبارك فحرضه بعض الصحفيين على إيذاء شوقى بمال أو مقالين « وزعموا أن مال شوقى لا ينال بغير الهجاء » .

٦ — بين هيكل وبين شوقى

صور الدكتور هيكل موقفه من شوقى فى ذكريات كتبها فى أخبار اليوم سنة ١٩٥٢ (قال) .

كان شوقى يضيق بالنقد بل كان لا يطيقه . أما حافظ فكان يضيق بالنقد ولكنه يطيقه . أذكر يوما من أربعين سنة خلت كنت فيه بمنزل عبد الرازق خلف قصر عابدين . وكان فى المجلس المرحوم مصطفى عبدالرازق وأخوه على عبد الرازق وحافظ .

وقد كان بينى وبين شوقى مودة دامت عشر سنوات . وكان شوقى يضيق بالنقد ولا يطيقه ولعله كان يحسبه عيبا فى ذات أمير الشعراء كالعيب فى الذات الملكية . وكان الدكتور طه ينقد شوقى فى جريدة السياسة وأنا رئيس تحريرها وكنت التقى بشوقى كل مساء وكثيرا ما كنا نصطحب فى سيارته إلى منزلى وأنها لفى إحدى الليالى إذ قال لى : ما الذى يقصد إليه صديقك طه من توجيه النقد إلى فى كل مناسبة . أيظن نفسه قديراً على أن يهدمنى . قل له أننى مجد تسكون ومن المستحيل هدم مجد تسكون وأنه ينطح بنقده صخرة لا تستجيب له .

ولم أعجب لهذا الكلام . إنما كان عجبى لأن شوقى كان يسرع إلى مقاطعة من ينقدونه . ثم كان يسرع إلى استرضائهم بكل وسيلة مستطاعة .

رأى طه حسين فى شوقى (١)

لغيرى أن يمدح شوقى بلا حساب . أما أنا فلا أريد أن أمدح ولا أريد أن أذم ، وإنما أريد أن أنقد وأن أوثر القصد فى هـذا النقد ، وأظن أن شوقى يؤثر النقد المنصف على الحمد المسرف ، وأظن أنى أجل شوقى وأكبره بالنقد أكثر من إجلالى إياه بالتقريظ والثناء وقد شبع شوقى ثناء وتقريظا وأحسبه لم يشبع نقداً بعد . وليس شوقى فيما أعلم ممن شرها إلى حسن الحديث وطيب المقالة ، وهو لم ينشىء شعره لذلك وإنما هو شاعر يحب الشعر للشعر .

قرأت مقدمة هيكل وكنت أظن أننى سأظفر فيها بمذهب شوقى فى الشعر ولكننى لم أكد أظفر بشىء صريح من العقيدة الشعرية لشوقى فيما كتب هيكل ، أترى أن يصدر ذلك أن ليس لشوقى عقيدة شعرية يستطيع هيكل أن يعرضها أم ترى أن مصدر ذلك أن هيكلا لم يعن بشعر شوقى عنايته بنثر أناتول فرانس .

والواقع أننى لا أعرف لأمير الشعراء عقيدة صريحة فى الشعر ، وما أرى أنه قد حاول أن يكون لنفسه هذه العقيدة وما أرى أنه فكر فى الشعر إلا حين يقول ، إنما هو كما يقول هيكل فى شىء من الدهاء — مجدد حينا ومقلد حينا آخر ، وهو فى تجديده وتقليده لا يصدر عن عقيدة فنية واضحة ، وإنما

---

(١) كتاب حافظ وشوقى لطه حسين .

(١) تحول طه حسين والمازنى عن رأيهما فى شوقى أما العقاد فإنه لم يغير رأيه الأول وكان العقاد قد هاجم شوقى فى شعره كما هاجم مسرحياته وله فى نقد رواية قمبيز كتابا مطبوعا هو (قمبيز فى الميزان) .

ولا شك أن هناك خلافا حقيقيا بين مذهب شوقى ومذهب المدرسة الحديثة التى يمثلها العقاد والمازنى ، غير أن السياسة وصراعها كان لها دخل كثير فى خصومة الأدباء لشوقى ومما يذكر أن العقاد هاجم شوقى فى صحف الوفد يوم تكريمه فى نفس الوقت الذى كان فيه سعد زغلول رئيسا للاحتفال .

يتأثر بالساعة التى يتهيأ فيها لقول الشعر ، وبالظرف الذى يفرض فيه الشعر ليس غير .

إنما الحق أن شعر شوقى لم يستطع أن يلهم هيكلا ما استطاع أن يلهمه نثر الكتاب الفرنسيين وشعر الشاعر الإنجليزى وشعر ائفا شخصياتهم مصنوعة وهم لا يسلكون طريقا من طرق الشعر ، ولا يتعاطون فنا من فنون الشعر الا مقتادين مقلدين فهم يصنعون شخصياتهم التى تراها فى شعرهم ، هم يخفون بها شخصيتهم الأولى التى فطرها الله ، وهم بهذا التكلف يحولون بينك وبين الوصول إليهم وفهمهم كما هم فى حياتهم العادية .

الفصل الثانى

بين عبدالرحمن شكرى والمازنى

هذه أضخم معركة أدبية فى ميدان الشعر المعاصر بدأت ١٩١٧ واستمرت سبعة عشر عاما قدبدا الشعراء الثلاثة (شكرى ـ المازنى ـ العقاد) حياتهم الفكرية معا ثم اختلف العقاد والمازنى مع شكرى الذى قصر عمله على وظيفة التعليم، بينما عمل المازنى والعقاد فى الصحافة ثم كان من نصيب شكرى أن يهاجم فى أول عمل نقدى للمدرسة الحديثة وهو (الديوان) قد حمل المازنى لواء الحملة على شكرى بجوار حملة العقاد على شوقى والرافعى وكان مقال(صنم الالاعيب) من أقسى ما كتب المازنى ثم عاد المازنى فصحح موقفه من شكرى عام ١٩٣٠ فاعلن رأيه فى شكرى صحيح موقعه وعاد إلى الكتابة مرات فى هذا الأمرحتى أثار العقادالذى دخل المعركة مصححا لها وقد ثم صدر كتاب رسائل النقد للدكتور رمزى مفتاح حول هذه القضية

١ — شكرى يتهم بالسرقة المازني

قال عبد الرحمن شكرى فى مقدمة ديوانه (الجزء الخامس) .

« لقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها (الشاعر المحتضر) البائية التى نشرت فى عكاظ وانضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أودلى للشاعر شيلى الإنجليزى كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها (قبر الشعر) وهى منقولة عن هينى الشاعر الألمانى ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى (فتى فى سباق الموت) وهى للشاعر هود الإنجليزى ولفتنى أيضا أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها الوردة الرسول وهى للشاعر والر الإنجليزى وأشياء أخرى ليس هذا مكان أظهارها . وقرأت له فى مجلة البيان مقالة تناسخ الأرواح وهى من أولها إلى آخرها من مجلة السبكتاتور لأدسون الكاتب الإنجليزى ومن مقالاته فى ابن الرومى التى نشرت فى البيان قطع طويلة عن العظماء وهى مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء . تأليف فيكتور هيجو ومن مقالات كارليل الأدبية وقد ذاعت هذه الأشياء ولو كنت أعلم

أن المازنى تعمد أخـذها ، لقلت أنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولـكنى لا أصدق تعمد أخذها ولو انى رأيت الآن عفريتا لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ماعرانى لرؤية هذه الأشياء ولا أظن إنى ابرأ من دهشتى طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرراً لمروجى الإشاعات والتهم ، ولا أظن أن احدا يجهل مدحى المازنى وإيثارى إياه وإهدائى الجزء الثالث من ديوانى إليه وصداقتى له ولـكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ماصنع فى ماضيه حتى يداوى مافعل ويرد كل شىء إلى أصله وليس الإطلاع قاصرا على رجل دون رجل حتى يأمن المرء ظهور هذه الأشياء ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى » .

٢ — شكرى : انتحال المعانى الشعرية[١]

لقد كان يعد الإطلاع على آداب الغرب جريمة وتهمة فى أعين الأدباء إذ أنه مظنة السرقة وذلك لأن بعض الشبان لا يدين بدين للملكية فى الآداب والواقع أن العقول مثل التربة تحتاج إلى أن تتعهد بما يظهر خصبها .

ولو كانت للمسألة التى اتـكلم فيها تافهة لما تعرضت لها ، ولـكنها تشمل قصائد ومقالات كثيرة تسىء ظن الناس بأهل العلم والابتداع وتبعث على الفوضى فى العلوم والآداب . وقد شاعت حتى لم يمـكن كتمانها . على أن كل أديب حارس من حراس الأدب ومن واجبه ألا يغفل عن حراسته .

وهناك دافع آخر دفعنى إلى الـكتابة أو إظهار هذه المآخذ وهو الرغبة فى الخلاص من مظان الريب . فقد اعتاد بعض الناس أن يقرن اسمى إلى اسم المازنى والعقاد للمودة التى بيننا . ولـكنها مودة لاتحمل كل واحد منا عيوب

(١) مجلة المقتطف إينابر ١٩١٧ ص ٧٨ وقد واصل شـكرى أتهامه للمازنى .

أخيه فحسب المرء معا أن يحمل عيوب نفسه ولكن الجمهور لا يستخدم المنطق في كل رأي يراه .

أن المودة التي بيني وبين المازني قديمة ، ومن أجل ذلك لم أعرف كيف يسوغ لي أن اكتب هذا المقال . ولكنني شرحت الأسباب التي دعتني إلى الكتابة . وقد شاع بين الأدباء أن المازني قد اخذ بعض قصائد كاملة من شعراء الغرب وأفكار متفرقة غير أني لم أنتبه إلى هذه التهمة . وأهديت إليه الجزء الثالث من ديواني علامة على ثقتي ومودتي ولكن أحد الأدباء لفتني إلى قصيدة (فتى في سياق الموت) في ديوان المازني وهي مأخوذة من قصيدة لتوماس هود الشاعر الإنجليزي ثم لفتني آخر إلى قصيدة (قبر الشعر) في ديوانه فإذا هي للشاعر هيني الألماني . وقد كنت اقرأ عرضا في تينسون الشاعر الإنجليزي فرأيت فيه قصيدة الذكرى التي قال المازني أنها له ، ثم أرسل إلى المازني بعد ذلك قصيدة (الوردة الرسول) فإذا هي للشاعر ولر الإنجليزي . ونشر في جريدة عكاظ قصيدة (الراعي المعود) فإذا هي للشاعر لويل الأمريكي . وبينما كنت أحادث أحد الأدباء في شعر المازني وهو الأديب أمين افندي مرسي لفتني إلى قصيدته البائية التي سماها الشاعر المحتضر فإذا هي من قصيدة أودينى لشلي الشاعر الإنجليزي . وهي التي قالها في رثاء كيتس ورأيت بعد ذلك قصيدة (شوكة الحسن) فإذا هي لهيني الألماني .

وقد نبهت المازني إلى هذه القصائد فاعترف أنها ليست له ولكنه قال أنه نظمها وهو يظن انها له . ذلك لأنه حفظ المعاني ونسي أنها لغيره . فبينت له أن الأبيات والمعاني متسلسلة والترجمة دقيقة جـدا فأصر على فكرته السيكولوجية وقال أن ذلك جائز في علم السيكولوجيا ولكنه وعد أن يتجنب مثال هذه المآخذ في المستقبل . ولم يف ، إذ أنه بعد ذلك انشدني قصيدة

إكليل الشوك والغزال الأعمى وهي أيضا من هذه المآخذ . وبينما كنت أقلب مجلة البيان وجدت مقالا طويلا عنوانه (تناسخ الأرواح) منسوبا إلى المازنى فإذا هو مأخوذ من أوله إلى آخره من مقالات أديسون الكاتب الإنجليزى الشهير فى مجلة السبكتاتور

ثم اطلعت على مقالات المازنى فى ابن الرومي والجزء الأكبر منها ليس فى ابن الرومى بل فى العبقرية والعظماء فإذا أجزاء كبيرة منها مأخوذة بعضها من كتاب عنوانه شكسبير تأليف فكتور هيجو الشاعر الفرنسى . وبعضها من مقالات كارليل الأدبية ، فذهبت للمازنى إلى ذلك فقال ، ماذا أصنع إذا كنت أكتب الشيء ولا أعرف انه ليس لى ، هل اطوف على الناس أسألهم هل رأوه من قبل . (هذه كلمة من رسالة بعث بها إلى) .

وليس الأمر مقصوراً على ماذكر فإن احد أدباء مصر هو مصطفى أفندى علوه كان قد جمع كتابا ذكر فيه مآخذ كثيرة زعم أن المازنى أخذها من كتاب واحد فقط وهو كتاب (الذخيرة الذهبية) فى الشعر الإنجليزى .

وقد جمعنا مجلس فأخذ احد الأدباء الأفاضل وهو عبد الحميد أفندى العبادى ديوان المازنى وكتاب الذخيرة الذهبية الإنجليزى وجعل يقارن بين أبيات المازنى وأبيات الذخيرة حتى ادهش الحاضرين . وقد أرسل إلى المازنى قصيدة عنوانها الأقدار فإذا جزء منها مأخوذ من قصة (قابيل) للشاعر الإنجليزى بيرون .. الخ .

ولا أريد أن أذكر مآخذ المعانى المفردة والأبيات المتفرقة . ولكنى اكتفيت عن المقال بذكر ما قدرت أن احصيه من المقالات والقصائد التى أخذت كاملة .

هذا وأوكد لصديقى المازنى أنى احبه وأوده بالرغم من ذلك وأدع القارىء أن يحكم امصيب أو مخطىء أنا فى إظهار ماظهرت . وليس لى أن أتماك هذه المآخذ او اتهم المازنى بأنه تعمد اخذها.

٣ — ابو شادى — انتحال المعانى الشعرية

قرأت ملتذا رسالة الأستاذ عبد الرحمن شكرى فى موضوع انتحال المعانى الشعرية وانتقاد شعر المازنى فأكبرت شعوره بالواجب نحو الأدب دون تمييز بحكم صداقة أو قرابة فى المذهب الشعرى، وهذه صفة تكاد تكون معدومة فى مصر لأنها فوق الشجاعة الأدبية ذاتها التى تعتبر عن ندرتها بيننا من نقائص الأخلاق المصرية .

ويلوح لى أن بين الأسباب التى دفعت شكرى أفندى إلى الجهر بتلك الملاحظات غيرته على حسن سمعة صديقه المازنى الذى ابدع إيما إبداع فى ديوانه باكورة ثماره الشهية . وظهر بين اقطاب الشعر الحديث الذى تتكسر فوق درعهم نبال الجامدين . وقد كان هؤلاء المجاهدين الأبطال يغنمون الموقعة كما غنمها من قبل شوقى ومطران وغيرهما ممن حرروا الشعر العربى بعد اعتقاله الطويل .

الشعر العربى آخذ فى تدرج راق سريع ، شكرى وأمثاله مئة كبيرة عليه للروح الجديدة العالية التى نفحوها فيه وهو يغدر إذا خشه أن تعبث العواصف بمجهوداته ومجهودات أقرانه فقال كلمة نصح وتحذير ، ولكن اقتدار المازنى المشهور به ضمين بفوزه مهما عدت له العثرات ، وما الابتكار بعزيز على خاطره الفياض بالآيات البينات . ومهما تشابهت نغماته مع انغام

(١) مارس ١٩١٧ ص ١٨٧ (المقتطف) وقد دخل المركة من لندن .

غيره فضله فى النقل عظيم وفضله فى الاعتراف بالحق عند تنبيهه أعظم وهو إذا احترس فى المستقبل من أغاليط تعودها أضاف إلى حسناته حسنات خالصة وأنصف نفسه وأهل حزبه والأدب والعلم .

« ولم يرد المازنى إلا بعد مرور أربع سنوات » وكان رده عنيفا .

إبراهيم عبد القادر المازنى — « صنم الألاعيب[1] »

شكرى صنم ولا كالأصنام . ألقت به يد القدر العابثة فى ركن خرب على ساحل أليم . صنم تتمثل فيه سخرية الله المرة وتهكم (استفانيز السماء) مبدع الكائنات المضحكة ورازقها القدرة على جعل مصابها فكاهة الناس وسلوانهم ولم — لا يخلق الله المضحكات وقد آتى النفوس الإحساس بها وأشعرها الحاجة إليها . ولم يلتزم فى الإنسان مالا يتوخى فى سواه من وزن واحد وقافية مضطردة . هنالك إذا عند ساحل البحر شاءت الفكاهة الإلهية أن ترمى بهذا الصنم . ليس فى كل مقاتن الطبيعة ما يحرك هذا الصنم لأن باطنه شاعت فيه لعنة السماء فعاد أشقى الناس بنفسه وصار لا ينقذه منها ومما منته به من صنوف البلاء إلا أن تهدمه فؤوس الكاشفى طبقات التراب عنه ، وليت تراب الخمول لم يرفع عنه فقد ولد ميتا ولم يجده نور الحياة وحرها ولا أغنيا عنه من جمود طبعه شيئا .

وعلى قدر ابتعاد الكتابة عن مجال التفكير البارد ودنوها من ميدان الذهن المشبوب والعواطف الذكية تكون الحاجة إلى ضرورة فن الأسلوب ولعل هذا أكبر الأسباب التى افضت إلى خمول شكرى وفشله فى كل ما عالج من فنون الأدب لأنه لا اسلوب له إذ كان يقلد كل شاعر ويقتاس بكل

(١) الديوان — العدد الاول ١٩٢٢ .

كاتب وينسج على كل منوال وحسب المرء أن يجمل نظره فى كلامة ليدرك ذلك إذا كان على شيء من الإطلاع فإذا لم يكن فهو لا يعوزه أن يرى أنه يستعمل اللغة جزافا

ولعله من أسباب ضعفه العديدة أنه يقرأ حتى كتب العفاريت وقصص السحرة والمرده والجان لما وقع فى نفسه أن هذا حقيق أن يقوى خياله ويجمل له أجنحة يحلق بها فى سماء الشعر .

وقد ركب شكرى هذا الجهل متكلفا مالا يحسن وأراد أن يكون شاعرا وكاتبا من الطراز الأول وظن أن الاجتهاد يغنى عن الاستعداد فلاهو بلغ إلى درجة مما طمع فيه ولا هو أبقى على خلقه الوداع وقناعة بميسور العيش.

لا نقول أن شكرى مجنون ، فنحن ارفق من أن نصدمه بذلك واعرف بحاله ، وبأمراض العقل من ان نهيجه إلى الخيال بالإيحاء والتذكير والإلحاح.

ولكننا نقول أن ذهنه متجه إلى هذا الخاطر — خاطر الجنون — وأن فكرته مالئة لجو حياته والخوف منه منغص عليه كل لذاته .

وقلنا أن ذهن شكرى متجه إلى هذا المعنى وقد يكون هذا غير راجع إلى علة أصيلة فيه إلى مايجسم نفسه من المتاعب ويحمل عليها ويرهقها به كأنه يكتب جزءاً من ديوانه فى شهر واحد حتى كأنما هو مأجور على ذلك مشروط عليه أن يتمه فى وقت محدود . وقد كانت نتيجة ما اصابه من الكلال أن حدثته نفسه بإحراقه بعد طبعه .

إن لشكرى كتابين غير دواوينه[1] أحدهما إسمه الاعترافات وليس فيه مايستحق الذكر إلا أنه وصفه بأنه احلام مجنون والآخر رواية إسمها الحلاق المجنون وهى كذلك تافهة لا قيمة لها .

---

(١) ملخص من ١٥ ص الجزء الاول (الديوان) من ص ٤٨ إلى ص ٦٢ .

وقد سبق لنا أن نبهنا شكرى إلى مافى شعره من دلائل الاضطراب فى جهازه العصبى وأشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أولا .

٢ — صنم الألاعيب : (الجزء الثانى من الديوان من ص ٨٥ إلى ٩٥)

(١) الرسالة = ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٨ .

فى هذا الجزء أخذ المازنى ينقل سطوراً من كتاب الاعترافات الذى ألفه شكرى يريد أن يدلل بها على أن شكرى كان يتهم نفسه بالجنون (قال) .

« لا يمكن أن يقال فى الرد علينا وفى تبرئة شكرى مما قذف به نفسه أن الاعترافات صاحبها رجل آخر اسمه (م . ن) وأن شكرى ليس إلا ناشراً لها فإن هذه الاعترافات ليست إلا طائفة من المقالات لا يربطها شىء إلا ضمير المتكلم ، وقد نشر شكرى أكثرها فى الجريدة سنة ١٩٠٩ / ١٩١٣ بتوقيعه على انها له ثم عاد فجمعها فى كتاب طبعه ١٩١٦ .

ومما هو خليق أن يبعث القارىء على الركون إلى هذه الاعترافات وتصديقها انه يجد مصداقها فى شعره فكما انه قال فى الاعترافات أن فى نفس القديس جرثومة الإجرام كذلك قال فى شعره (فقد أغرم الإنسان بالشر والأذى) .

٥ — المازنى : إنصاف لنفسى ولشكرى[1]

أتيحت لى اليوم فرصة للتفكير عن بعض ما إجترحت من الاتهام وارتكبت من الذنوب ، وأنى لمدين بهذا لمن لا أعرف بل لمن تحدثنى نفسى

---

(١) البلاغ ٢٠ مايو ١٩٣٤ .

أنه شخص لا وجود له . فإن للسان سلاطة مسكرة ولقد لعن أبائى وأجدادى لعنا أظنه أزعجهم فى قبورهم .

قلت لنفسى لابد أن فى الأمر سراً واقبلت على الكتاب اتصفحه فما راعنى إلا أن مؤلفه هو الدكتور رمزى مفتاح يتهمنى بالعقوق والغدر والخيانة وو . . إلى آخر ما يمكن أن يخطر بالبال من أمثال هذه المعانى وهو يشرك معى فى التهمة الشنيعة صديقى الأستاذ العقاد بلا سبب ثم يفرد له تسعة اعشار الكتاب وللعقاد لسان حال وبيان قوى ، وإن كنت احسبه لن يعنى بهذا الطعن السخيف وسبب هذه الحملة أنى كنت نقدت الأستاذ عبد الرحمن شكرى الشاعر فى كتاب الديوان الذى أصدرناه ـ العقاد وأنا ـ فى سنة ١٩٢٢ وأن ما بينى وبين شكرى فسد بعد ذلك وقبله .

وأحب أن انصف شكرى واسطر للقراء قصتى معه لا لأن الدكتور رمزى مفتاح رمانى بالغدر والخيانه بل لأن كتابة مناسبة صالحة .

كانت علاقتى بشكرى كأوثق ما يمكن أن تكون علاقة صديقين ثم حدث سنة ١٩١٥ أن كنت أنا فى الإسكندرية فبلغنى أنه وضع كتابا عن أدباء هذا العصر وأن فيه فصلا عنى يجب أن يقرأه على قبل طبعه وأنه قادم لهذا .

ولما صرنا فى بيتى أدهشنى بقوله أنه يريد أن يسترد منى رسائل كان قد كتبها إلى فذهلت ، وقلت له ، دونك الدرج فخذ منه رسائلك جميعاً إذا شئت ولم أر أن اسأله بعد هذا عن كتابه الذى يزعم أنه كتبه عنى فقد حز هذا المطلب فى نفسى ووقع عندى اسوأ وقع وآلمه .

وكان مما قاله لى فى ذلك اليوم أن الجزء الأول من ديوانى أبياتا سهل

أن أرى فيها بالسرقة فقلت له إذا كنت قد وقعت على هذه الأبيات فما عليك إلا ان تدلنى عليها وإنك تعلم إنى لا اتعمد ذلك . وإنى لمستعد أن اراجعها معك فإذا اقتنعت فلست أتردد فى كتابة مقال انشره فى الأهرام وأنص فيه على هذه الأبيات مهما بلغت عدتها واعلن نزولى عنها وردها إلى من يعدون منى لأنهم أسبق . فنصح ألا افعل وقال أن الناس لا يقدرون هذه الصراحة . .

وإذ به يعد الجزء الخامس من ديوانه يحمل على مقدمته حملة يتهمنى فيها بالسرقة .

ولم يثقل على نفسى إتهامه لى بالسرقة لأنى اعرف من نفسى إنى لم اتعمد سطواً ولم أغر على شاعر وإنما علقت المعانى بخاطرى أثناء المطالعة وجرى بها القلم وأنا غافل لأنى ضعيف الذاكرة سريع النسيان ، وإنما الذى اثارنى أنه لم يأتمنى على بعض رسائله وشك فى مروئتى ، وثانياً انه ضحك على ووصفنى أنى اميط عن شكرى لوثة السرقة ليفسنى له هو أن يرمينى بها وليكون وقع التهمة احق واثرها أبلغ .

ولا أكتم القارىء انى انتقمت لنفسى شر انتقام وأنى اسأت إلى شكرى أعظم إساءة وما كنت استطيع أن افعل غير ذلك لأنى لا أومن بإدارة الخد الأيسر لمن يضربنى على خدى الأيمن وبعد أن شفيت نفسى مما وجدت استرحت ونسيت الحكاية .

ومضت سنون اخرى وجاء شهر مارس ١٩٣٠ فطلبت منى إحدى الجمعيات أن ألقى عندها محاضرة فى التجديد فى الأدب العربى فجعلت موضوعها عبد الرحمن شكرى وقد نشرت هذه المحاضرة فى الخامس من أبريل ١٩٣٠ فى السياسة الأسبوعية .

قلت هذا عن شكرى وأنا لم اضع يدى فى يده منذ سنة ١٩١٩ إلى اليوم لأنى لا أحمل له ضغنا أو انطوى له على حفيظة فما أحمل له أو لغيره شيئاً من هذا القبيل بل لأنه هو شاء أن ينأى ويبتعد ولست استطيع أن اطارد أحداً بصداقة لا يريدها وانا امرؤ ينسى المعركة بعد انتهائها يستوى فى ذلك أن اكون غالبا أو مغلوبا .

فإذا كنت غالبا لم أره أو كنت مغلوبا لم اتحسر ولم احقد . وبحسبى أن اكون قد بذلت جهدى كله ولم ادخر منه شيئا .

ولو كان شكرى يذهب مذهبى فى الحياة لما منعه شىء من أن يصافحنى بعد أن وضع السلاح وانقطاع الكفاح ولماذا يظل الناس متنافرين طول العمر .

.. وإنما كتبت هذا الكلام الكثير لأنى أحب شكرى واجله ولأنى نادم على ماصنعت به تائب من ذنبى إلى الله ومنه وله أن يصدق أو يرتاب فما لى فيه مطمع ولقد حاولت أن اكفر عما اسأت به إليه وأن اجره إلى الدنيا مرة فأبى وقال اتركنى ولا تنبش قبرى وحسبى مالقيت منك فأقصرت ونفضت يدى يائسا .

وإنه لسخيف من الدكتور رمزى مفتاح أن يخوض فيما لا يعلم وأن يكتب عن العقاد وعنى وما كتب ولست اظن العقاد مباليه .

ويحسن أن انبه إلى أن الأستاذ العقاد لا ذنب له فيما وقع بينى وبين شكرى ولم يكتب حرفا واحداً يسوء شكرى ولقد كان فضله علينا أن اصلح ما أفسدناه .

٦ — المازني : شكري وكتاب رواد الشعر الحديث (١)

كيف كنا صديقين حميمين ثم وقعت الجفوة بيننا وحلت النبوة وتعادينا وأساء كل منا إلى صاحبه ومضى خير عمرينا إلى قطيعة سخيفة . ولعلى ما ندمت على شيء في حياتي كندمي على مافرط مني في حقه . ذلك انى احبه ولا أستطيع أن اجحد فضله على ، نعم كنا زميلين في المدرسة ولكن كان ناضجا وكنت نيئا ، وكان أديبا شاعراً واسع الإطلاع وكنت جاهلا ضعيف التحصيل قليل العقل فتناول يدى وشد عليها وأبت مروءته أن يتركني ضالا حائراً انفق العمر سدى وابعثر في العبث ماهو كامن في نفسي من الاستعداد وكنت اقرأ ابن الفارض والبهاء زهير فأقرأني شعر الحماسة والشريف الرضى والبحترى والمعرى وابن المعتز .

وكانت مطالعاتي في الإنجليزية قاصرة على أمثال مارى كوريلي ومن نسيت غيرها ففتح عيني على شكسبير وبيرون ورودز ورث وشيلي وبيرنز وملتون وهازليت وكارليل ولي هنت وما كولى وشيلي وراين وروسو ومئات وغيرهم وصرفني عن المقلدين في ادب كل امة واغراني بأصحاب المواهب والابتكار وصحح لي المقاييس واقام الموازين الدقيقة وفتح عيني على الدنيا ومن فيها وكنت عميا لا انظر وإذا نظرت لا ارى ، وكان لفرط ادبه يتوجى معي سلوك الند ولا يتعالى تعالي الأستاذ على التلميذ وكنت فقيراً فكان يعيرني الكتب او يهبنيها . وكنت غبيا فكان يشرح ويفسر .

ولما نفخني واعداني فقلت الشعر كان يصرفني عن العبث ويزجرني عن التقليد ولا يرضى لي الضعف ، ولو اردت انا اتقضى لما فرغت وانا مدين له

---

(١) الجهاد — ٤ سبتمبر ١٩٣٤ .

بكل ما أعان على ما صرت إليه . أقول ذلك مباهياً شاكراً فضل الله على أنه لم اضيعنى وإن كتب لى نعمة الاتصال بشكرى ، وإنى لأرجع البصر فى حياتى وأتساءل ماذا عساى كنت أكون لولاه. فلا أجد عندى لهذا جواباً وأدير عينى فى نفسى وأبحث عن نزعة لم يكن هو غارس بذرتها إذا لم يكن هو للوحى بها فلا أهتدى .

ومن طول ما عرفته وفرط ما ملأت نفسى به صرت على البعد والقطيعة أستطيع أن أستوحيه فكأننا ما تباعدنا ولا تجافينا . ولقد تمردت له وغدرت به ولكنى والله ما كرهته قط ولا انطويت له فى أحلك ساعات النقمة إلا على الحب والاكبار . .

وشكرى وحده هو المظلوم المغمور ولا نكران أنه هو الذى حجب نفسه عن العيون وطوى آثاره وكف عن نشرها وأصر على ذلك سبع عشر عاماً حتى نسيه الناس . .

ولكن من له مثل فضله ومزاياه إنه يجب اكراهه على الظهور رضى أم سخط .

٧ — العقاد : اعترافات المازنى (١)

من أعترافات الأستاذ المازنى الأخير قوله وهو يذكر الأستاذ عبد الرحمن شكرى « نعم كنا زميلين فى المدرسة ولكنه كان ناضجا وكنت فجاً وكان أديبا شاعراً واسع الإطلاع وكنت جاهلا ضعيف الشخصية قليل العقل فتناول يدى وشد عليها وأبت له مروءته أن يتركنى ضالا حائراً أنفق العمر سدى وابعثر من العبث ما لعله كان فى نفسى من الاستعداد وكنت أقرأ ابن الفارض

(١) الجهاد — ٤ سبتمبر ١٩٣٤ .

والبهاء زهير ناقرانى شعر الحماسة والشريف الرضى والبحترى والمعرى وابن المعتز وأبى نواس وغيرها من أضرابها ففتح عينى على شكسبير وبيرون دوردزورث وشيلي وملتو وهازلييت وكارليل ولى هنت وماكولى وجوتيه وشيلر ولسنج ودوليير وراسين وروسو ومئات غيرهم من أعلام الأدب الغربى وصرفنى عن المقلدين فى كل أمة وأغرانى بأصحاب المواهب والابتكار وصحح لى المقاييس وأقام للموازين الدقيقة وفتح عينى على الدنيا وما فيها وكنت عميا لا أنظر وإذا نظرت لا أرى . . . »

لاضير عليه فى اثباتها إذا كانت هى الحقيقة ولاضير على أنا فى إثبات مثلها إذا لزمنى منها ما يلزمه ومرى على مايسرى عليه ولكننا هنا نفترق كما يعلم الأستاذ :

ويخطىء من يظن لنا شأناً واحداً فى تاريخ هذه الفترة التى تحدث عنها .

إن الأستاذ شكرى والأستاذ المازنى كانا طالبين فى مدرسة المعلمين قبل فتعارفا وتزاملا قبل لقائى لهما ببضع سنوات .

أما أنا فلم ألق الأستاذ عبد الرحمن إلا فى سنة ١٩١٣ بعد عودته من البلاد الانجليزية . ولم ألق الأستاذ المازنى إلا قبل ذلك ببضعة شهور ولم يخرج منهجى فى القراءة بعد أن لقيتهما عما اخترته لنفسى منذ بداية الاطلاع .

فقبل إن لقيت الأستاذين كنت أشترك فى تحرير مجلة البيان وأترجم فيها ماكس نورد ونيتشه وأمرسون وحافظ الشيرازى وغيرهم .

وقبل اشتراكى فى تحرير البيان أصدرت خلاصة اليومية وفيها آثار الاطلاع على غتزجيرالد وتلستوى ودافيد هيوم وبيرك ونيتشه وغيرهم مقتبسة من مراجع لم تترجم إلى اللغة العربية .

وقبل صدور خلاصة اليومية بأربع سنوات أوخمس اشتركت فى تحرير الدستور ونشرت فيه فصولا متعاقبة عن شعراء الفرس المترجمين إلى اللغة الانجليزية .

بل لقد لقيت الأستاذ شكرى وهو يعلم لى رأيا مكتوبا فى الأدب وحكماً مستقلا فى النقد فطلب إلى أن أقدم ديوانه الثانى الذى طبعه على أثر عودته من البلاد الانجليزية فقدمته .

فدراستى الآداب الأوربية ومطالعاتى فى تاريخها ومذاهبها سابقة لمعرفتى بالأستاذ شكرى والمازنى ، إننى لم أغير مناهج قراءتى بعد سنة ١٩١٣ أقل تغيير . ولكن الأستاذين شكرى والمازنى هما اللذين غيرا منهجهما فى القراءة فالتفتا إلى النقد العلمى الفلسفى بعد أن كانت القراءة عندهما شاخصة كلها — فى هذه الناحية — إلى النقد الأدبى المحض على أسلوب ماكولى ومن إليه ، وظهرت فى كتابتهما أسماء ماكس نوردو ولمبروز لسنغ ونيتشه بعد أن كانت خلوا منها وهم النقاد الذين عنيت بهم منذ البداية .

الواقع أننى بدأت بقراءة الأدب الانجليزى قبل سنة ١٩٠٣ . وأنا بعد تلميذاً بالمدرسة الابتدائية فى بلدى اسوان وساعدنى على ذلك أسباب لعلها خاصة بمدينة اسوان بين المدن المصرية .

ولقد كانت اسوان تزدحم بالمئات من علية الاوربيين الذين يفدون إليها من أقطار أوربا فى الشتاء . فكنا نحادثهم ونسمع منهم ونغتبط بالمرانة التى نستفيدها بمحادثتهم والاصغاء إليهم .

وإذا أقبل الشتاء تفتحت المكتبات فى أسوان وفيها ذخيرة صالحة من المصنفات الانجليزية التى كانت تشيع بين القراء فى تلك الايام .

وهناك لغط فارغ يظن به بعض الناس حول شكرى والمازنى والعقاد لاأثر فيه للحقيقة ، بل هو نقيض الحقيقة فى أكثر الامور ، ولكنى لاأعرض لها - أى الحقيقة - بالتوضيح إلا إذا كان المسئول بين أيدى القراء رجال كالمازنى أو كشكرى أو من يروى عنهما رواية يقوم عليها الدليل لدى ، أما من عدا هؤلاء فليسوا عندى فى حساب .

٨ — المازنى : حول اعترافاتى (١)

- أنا وشكرى كنا طالبين فى مدرسة المعلمين وتزاملنا منذ عام ١٩٠١ أما الاستاذ العقاد فلم ألقه إلا فى سنه ١٩١٢ أو فى أخريات سنة ١٩١١ لمناسبة ظهور مجلة البيان .

وكان الأستاذ العقاد كاتباً معروفاً فى ذلك الوقت بل من قبل ذلك بسنوات وله كتب مطبوعة ورسائل منشورة .

- ما يمكن أن يفهمه أحداً أن مايسرى على يسرى على الأستاذ العقاد أو أن حظى وحظه مشترك كان فى عالم الأدب بلا افتراق أو اختلاف .

- كان لكل منا شأنه وطريقه ومنهجه على الرغم من صلاتنا الوثيقة كل هذه الأعوام المديدة وصداقتنا التى لم توهنها الأزمات من سياسية وغير سياسية .

- أنى لا أزال أقيس قدرى إلى أملى فلا أرانى صنعت شيئاً أو بلغت حيث أريد . إن خير شعرى هو الذى لم أقله وهو الذى يدور فى نفسى ويضطرب به جنانى ولا يجرى به لسانى . فليسمح لى أن أقول أن ليس لى بالاعتراف وإنما هو إيثار للحقيقة وأنفة من المكابرة .

---

(١) البلاغ - سبتمبر ١٩٣٤ .

٩ ـ مقدمة رسائل النقد للدكتور رمزى مفتاح

يجد القارئ، فى هذا الكتاب رجلين هما : عبد الرحمن شكرى وعباس العقاد وسيكون بلا ريب من العسير على نفسه أن يحل كل منهما فى المنزلة التى يجده فيها فى هذا الكتاب إلا إذا كان مستوعبا للحركة الأدبية منذ عشرين سنة حينما صدر ديوان شكرى الأول سنة ١٩٠٦ وكانت لى ضجة كبيرة فى الشرق العربى.

واسم العقاد الآن مذكور لاشتغاله بالصحافة أكثر من عشرة أعوام واسم شكرى مغمور لعزوفه عن طلب الشهرة وعدم طبعه دواوينه بعد أن نفذت طبعتها من أزمان، ولقد كان تلميذاه العقاد والمازنى يلازمانه ويأخذان من أدبه ويؤمنان بعظمته حتى أن المازنى كتب فى الدفاع عن ديوانه الأول قرابة عشرين مقالا متتالية . ولما اشتغلا بالصحافة إصطحبا عليه وراحاينالان منه ويقعان فيه ليغمزا ذكره ويعلوا على شلوه المأكول فأصدرا معا كتاب « الديوان فى النقد » فرمياه بالنقد الذى لايمت إلى النقد الأدبى ولكنه مفرق إلى مقتل يعلمانه فى الرجل وطبيعة استحيائه ونكوصه أمام المهاترة الجزاف فكان كل نقدهما أنه ذكر لفظة الجنون فى أبيات متفرقة من شعره فلا بد أن يكون مجنونا !

١٠ ـــ رد عبد الرحمن شكرى (١)

ذكر الأستاذ خلدون أنه إذا صح ما فى الكتاب (كتاب الدكتور مفتاح (تكون منزلته من الأستاذ العقاد والأستاذ المازنى كمنزلة عريف القرية من تلاميذه الذين يبزونه فضلا وعلما ويفوقونه دراية وحكة ، وكنت أود أن

(١) الاهرام ١٢/٩/١٩٣٤ وقد نشرها ردا على مقال عنه .

أكون عريف التربية للفضول الذى علم هذه الأستاذين كما أكتسب شيئاً من الخلد بسبب خلود اسميهما ولكن لم يكن حق هذا الفضل . وأهدائى إلى صديق للمازنى الكتب أو إعارتى إياه بعضها لا يعد تعليما ، أما الأستاذ العقاد فلم أعرفه إلا بعد أن أتم دراسته للأدب ولم أكن أقابله كثيراً لأنى كنت فى الأسكندرية وكان هو فى القاهرة وكانت المكاتبة بيننا نادره .

وإذا كان فى دواوينه الاخيرة والتى قبلها ما يشبه بعض قولى فسبب التشابه فى القولين تشابه الثقافة وأسلوب التعبير والشعور فى موضوعات خاصة .

وقد تنحيت عن الاشتغال بالأدب نحو سبعة عشر عاما من غير قاهر يقهرنى وإنما تنحيت زهداً فى أن أكيد أو أكاد فليس من المعقول أن آتى بعد أن فترت فورة الشباب فأغرى الكتاب بالاستاذ العقاد والاستاذ المازنى وأنا لا أتكسب بالكتابة ولم أحترف الأدب والصحافة ولا أعد نفسى المحترمون . أديبا إذا عد الأساتذة

الفصل الثالث

امارة الشعر

بين الزهاوى والعقاد ومطران

« كانت إمارة الشعر حدثا من أهم أحداث الادب العربى المعاصر ، بعد وفاة شوقى ١٩٣٢ فقد تعدد القول فيها وأصدر الدكتور طه ثلاثة أحكام مختلفة : فى عام ١٩٣٢ بايع (العراق) بأمارة الشعر ولم يحدد هل هو الزهاوى أم الرصافى وفى ١٩٣٤ بايع طه حسين (العقاد) بامارة الشعر فى حفل تكريمة وفى عام ١٩٣٧ بايع طه حسين (مطران) بهذه الامارة وانظر الرافعى المبايعة لفترة ساخرة .

ثم عاد طه حسين فأنكر أنه بايع العقاد وقد نقلنا نص كلامه الذى نسيه الناس يوم قال قلت أن الشعراء يستطيعون أن يدفعوا لواء الشعر إلى العقاد بعد أن مات حافظ وشوقى فهو يستطيع أن يحمل هذا اللواء مرفوعا ومنشوراً وأن يحتفظ لمصر بمكانها من الشعر الحديث

١ — مبايعة طه حسين للعراق بامارة الشعر (١)

(صور أحمد حسن الزيات هذه المبايعة على هذا النحو)

خلا ميدان الشعر من فجأة من قائديه العظيمين فحدث فى صفوف الشعراء اضطراب وفوضى وقام فى السقيفة المقلدون والمجددون يقولون منا أمير ومنكم أمير . وهناك أرسل الدكتور طه حسين حكمه المعروف فزاد الخلاف شدة والجدال حدة . قضى للعراق بإمارة الشعر التقليدى فغضبت مصر . وكان الأستاذ الهراوى أشد المصريين حنقا وأعنفهم خصومة .

وسورية . . لقد هبت العاصفة تدافع رأى الدكتور فى حدة وعنف وتقول مع السيد النجار ، ما للدكتور يرسل الزعامة إلى العراق فى طيارة وكان يكفيه أن يرسلها إلى صاحبه مطران فى سيارة .

---

(١) الرسالة) ١٥ يناير ١٩٣٣) .

والعراق .. هل اغتبط بهذه الزعامة . أما الرصافى فيرجوا أن يكون خليفة لشوقى وحافظ . أما الزهاوى فأنا اعلم أنه يؤثر يكون فى ساقه المجددين على أن يكون فى طليعة المقلدين .

٢ — مبايعة طه حسين بإمارة الشعر للعقاد(١)

(بين خطاب طه حسين فى حفل تكريم العقاد)

تستطيعون أيها السادة أن تحبوا العقاد .. وسعكم الحب فلن توفوه حقه . ذلك لأن العقاد هو الصورة الناطقة واللسان الخالد والمرآة الصافية المجلوة التى حفظت صورة مصر الناهضة وأبقتها ذخراً الاجيال المقبلة .

أما أنا أيها السادة فسعيد جداً بهذه الفرصة التى أتيحت لى ومكنتنى أن أقول بالرغم من الذين سخطوا والذين يسخطون إنى لا أومن فى هذا العصر الحديث بشاعر عربى كما أومن بالعقاد . تسألوننى لماذا أومن بالعقاد فى الشعر الحديث وأومن به وحده وجوابى يسير جداً . لماذا ؟ لأننى أجد عند العقاد مالا أجده عند غيره من الشعراء ، لأنى حين أسمع شعر العقاد أو حين أخلو إلى شعر العقاد فإنى اسمع نفسى أو اخلو إلى نفسى ، إنما أرى صورة قلبى ، وصورة قلب الجيل الذى نعيش فيه لأن العقاد ليس مقلداً ولا يستطيع أن يكون مقلدا . ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته وشخصية العقاد فوق الفساد .

يعجبنى العقاد لأنه يلتمس موضوعاته حيث لم يستطع شعراء العرب أن يلتمسوا موضوعاتهم لأننا نحن الأساتذة اعلم بالعقاد من العقاد .

اعترف إنى عندما قرأت القصيدة (ترجمة شيطان) وقرأتها وقرأتها

(١) الجهاد ٢٩ أبريل سنة ١٩٣٤ .

فكرت فى شعراء آخرين ليسوا عندنا ولا هم بين شعرائنا . ولكنهم يعيشون فى أوربا ، فكرت فى جوت . فكرت فى بول فاليرى . وفكرت فى ملتون .

كنا أيها السادة نشفق على الشعر العربى وكنا نخاف عليه أن يرتحل سلطانه عن مصر ، وكنا نتحدث حين مات الشاعران العظيمان شوقى وحافظ ، كنا نتحدث عن علم الشعر العربى المصرى ، اين يكون ومن يرفعه للشعراء والأدباء ليستظلون به .

كنا نسأل هذا السؤال ، وكنت أنا اسأل هذا السؤال . لماذا ؟ لأنى كنت أرى هذه المكانة العظيمة التى اكتسبها شوقى وحافظ رحمهما الله ، وكنت أرى شعر العقاد على علو مكانته وجلال خطره شعراً خاصا مقصوراً على المثقفين والمترفين فى الأدب ، وكنت اسأل هل آن للشعر القديم المحافظ المسرف فى المحافظة أن يستقر وأن يحتفظ بمجده ، وهل آن للشعر الجديد الذى يصور مجد العرب وأمل المصريين أن ينشط ويقوى ، انتظرت فلم اجد للمقلدين حركة أو نشاطا فإذا المدرسة القديمة قد ماتت بموت شوقى وحافظ وإذا المدرسة الجديدة قد أخذت تؤدى حقها . وتنهض بواجبها فترضى المصريين والعرب جميعا ، وإذا الشعر الجديد يفرض نفسه على العرب فرضا ، وإذا الشعور المصرى والقلب المصرى والعواطف المصرية اصبحت لا ترضى أن تصور كما يصورها حافظ .

وإنما تريد وتأبى إلا أن تصور تصويراً جديداً ، هذا التصوير الذى ترونه فى العقاد الذى حمل هؤلاء الملايين على إكبار العقاد كما قال أحد الخطباء ، إذن لا بأس على الشعر العربى والأدب العربى وعلى مكانة مصر فى الشعر والأدب .

ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد وقولوا للادباء والشعراء : اسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه .

٢ — مصطفى صادق الرافعى (١)

« ليس لدى الآن نص كلام الدكتور طه ولا أنا اذكر ألفاظه بحروفها ولكن الذى أذكره أنى حين قر   بحث بين ألفاظه عن يقين المتكلم واقتناعه وحججه وأدلته، بحثت فيه عن سخرية طه بالعقاد وبالشعراء جميعا فى أسلوب كأسلوب تلك المرأة العربية فى قصتها المعروفة حين قالت لرجال قومها فى أبيات مشهورة :

وإن انتموا لم تغضبوا بعـد هـذه
فـكونوا نساء لاتغيب عن الـكحل

غير أن طه فى سخريته كالذى يقول : فإن لم تثبتوا أن فيـكم من استطاع أن يخلف شوقى فاصغروا واصغروا حتى يكون العقاد هو أميركم •

ثم قال : بقى أن نتساءل لماذا لم تأت الشهادة يوم كان الدكتو طه عميداً لـكليه الآداب وكان يومئذا حراً لا يستنزله الإكراه ولماذا جاءة الشهادة وهو يحترف الصحافة ، وترى لو كان العقاد من الحزب الوطنى أو من الأحرار الدستوريين أو اتحاديا أو شعبيا — افتـكون قولة طه يومئذ وهو فى انسلاخه الثانى وانقلابه وفديا — افتـكون إلا رداً سياسيا على العقاد وشعره ونفرة سياسية من هذا الشعر وعقاده •

٣ — مبايعة طه حسين بإمارة الشعر لمطران

(من خطاب من طه حسين إلى مطران بمناسبة بلوغه الستين •

تحية ذكية إليك ايها الصديق الـكريم من صديق تعرف مكانك فى قلبه ومنزلتك فى نفسه وتعرف إعجابه بخلقك العظيم وإكباره لأدبك الرفيع

(١) الأسبوع مجلد عام ١٩٣٤.

وإعلانه فى كل قطر زاره من أقطار الأرض فى الشرق والغرب وإلى كل متحدث إليه من الشرقيين والغربيين أنك زعيم الشعر العربى المعاصر ، وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين . لا يستثنى منهم واحداً ولا يفرق منهم بين المقلدين والمجددين ، وإنما يسميهم جميعا بأسمائهم غير متحفظ ولا متردد ولا ملجلج ولا مجمجم . وإنما هو اللفظ الصريح يرسله واضحا جليا لا إلتواء فيه ولا غموض ، فأنت قد علمت المتقدمين كيف يرتفعون بتقليدهم عن إفناء النفس فيما يقلدون ، وأنت قد علمت المجددين كيف ينزهون أنفسهم عن الغلو الذى يجعل تجديدهم عبثا وابتكارهم هباء . أنت حميت حافظا من أن يسرف فى المحافظة حتى يصبح شعره كحديث النائمين . وأنت حميت شوقى من أن يسرف فى التجديد حتى يصبح كهذيان المحمومين .

وأنت رسمت للمعاصرين هذه الطريقة الوسطى التى تمسك على الأدب العربى شخصيته الخالدة وتتيح له أن يسلك سبيله إلى الرقى والكمال ، وقد حاولوا أن يتبعوك فى هـذا الطريق فطار بعضهم بجناح واستسلم بعضهم فارتاح[1] .

---

(١) مجلة الحديث مجلد ٤٨ سنة ١٩٣٧ .

الفصل الرابع

ديوان وحي الأربعين

بين مصطفى صادق الرافعي وعباس محمود العقاد

هذه احدى معارك الصراع بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة ، بين علمين من أكبر اعلامها ، بين الرافعي والعقاد ، كانت الخصومة بينهما قديمة ، لها جذور بعيدة المدى منذ اصدر كتاب « اعجاز القرآن » وقرظة سعد زغلول وغضب العقاد واتهم الرافعي بأنه هو كاتب التقريظ وانهم سعد زغلول . وقامت الخصومة ثمة ثم تجددت .

١ — من الرافعي إلى العقاد(١)

ولم أر في كل ما قرأت من شعر أدبائنا ما يستوفي جميع أوصاف الشعر الوسط كنظم صاحب وحي . . الأربعين عباس محمود العقاد فله فلسفة وفكر وطريقة وله منزع بعيد ومرمى قصي وله إطلاع على شعر الأمم وآدابها ، وفيه رغبة شديدة إلى أن يكون مبدعا مجدداً . وقد ارتهن نفسه بملامسة صناعة الأدب وفرغ لها فراغ من يعيش لما يعيش به وانغمس فيها انغماس السمكة في بحرها أو مستنقعها ، ولكنه أعطى هذا كله ولم يعط أسباب التمكن فيه وتكلف لمظاهر القدرة العالية ولم يهبه الله خصائص هذه القدرة وجاوز عند نفسه حدود العبقرية لزعمه القوي وهو محتبس من ورائها بطبعه الضعيف وأغرق في المحاولة ليغرق مثل ذلك في الخيبة ، وجاء بالكثير ليرد عليه الكثير أيضا . وقدم لنا شعره على أنه التجديد والعبقرية وأنه وأنه ، وليعد ما شاء من الأوصاف ولكن ماذا ينفع ملكة جمال أن يكون فيها كل شرائط الجمال وهي عوراء .

وقبل أن نتناول شعر الوحي نريد أن ندل العقاد على سر سقوطه في الشعر

---

(١) البلاغ ١٨ مارس ١٩٣٣ .

وأنه لن يفلح ولا يجيء به الأفضو لا مكرها أن يكون شعرا . ولعله لا يدرى أن أكثر ما يحرص عليه من نظمه يتفق أحسن منه لكثير من كبار الشعراء فيتفو نه ويهذبون شعرهم منه ، ذلك أن الفكر يأتى بمادة القصيدة ثم يصورها الطبع ويصوغها ثم يأتى الذوق فيهذبها كما يهذب صانع التمثال تمثاله ، ولقد كنت إقرأ (وحى الأربعين) وما يخطر لى إلا أن أكثره أبيات كان العقاد أسقطها من قصائد قديمة ثم فتنة الحرص فجمعها ديوانا ولو هو سمى الحقيقة باسمها لكان إسم ديوانه (الحثالة) .

ذلك السر الذى أومأنا إليه هو أن العقاد يحترف الصحافة السياسية من أول نشأته وهو عمل الساعة ولغة الجمهور وأساليبها فى نقل الأخبار بعضها من بعض معروفة . وأساس كل بيان فيها قيام المعنى لمحض الدلالة التى يحملها لا للسمو بها . وفى أساليب صناعة الحكاية لا فى أساليب صناعة البلاغة وعلى سياسة الواقع لا على سياسة الارتفاع بالواقع ، وما زعم أحد أن الصحافة السياسية أنشئت للشعر ولغته وبيانه وفلسفته ، فهى فى خاص معناها وافية بما وجدت له وهى الحق كل الحق فى غايتها وسبيلها إلى هذه الغاية ، ولكن شر ما فى الباطن وابعد ما فى المستحيل إذا أريدت على أن ينبع باحترامها الشاعر العبقرى مبدع اللغة فى مادة فنها البيانى وحكم النفس القائم على سياستها الداخلية والخارجية وملك الطبيعة الذى قيل له من الأزل أن قوة للملوك السلاح الفتاك والموت وقوتك أنت الكلمة الجميلة التأثير والحياة .

إنما نراه فى شعر العقاد من أثر كل ذلك ، معان ملخصة وقصائد هى مقالات نسدت فصارت نظما وصناعة من القلم الماكينة لا ننكر أن يكون للمعنى تحصيل الحاصل أو يكون من المعانى التى لا توجد حضرى ولا همجى إلا عرفها من هذه الأصول التى بيناها ترى أكثر شعر العقاد أو كل شعره يعتريه ما يعترى

المقالات الصحفية من النقض والرد . فأنت تستطيع أن تفسده كله بأيسر الكلام لأنه موضوع على قاعدة تقبل ذلك وتقرأه فلا تهتز لشىء منه كأنه رأى ألقى من الأحزاب السياسية ليرده أحدهما على الآخر ، ويغلبك شعور عجيب فى أكثر ماتقرأ فما تشك أن وراء هذه المعانى (مقصا) قصها من كتب ودواوين ورسائل وأن صاحب (المقص) جالس فى ديوانة مجلسه فى جريدته يتبادل أخبار الفكر الإنسانى وعلة أخرى . . هى أن فى العقاد نقصاً كبيراً فى البيان العربى وهو ضعيف الفهم جداً لأسرار هذا البيان .وقد قرر عند نفسه كما قال لى مرةأن البيان هو ما يكتب به فى الصحف .

وهنا مذهب إذا صار إلى الشعر كان فيه كعمل من يستمطر العطر من أى أوراق النبات أصابها ولو كراثة وبصلة . . ومن هذا جاء شعره وأنه ليقابل فى أيامنا هذه ما كان عند ناقدنا من شعر الفقهاء . ولا يراد به دقة المسلك إلى النفس ولا لطف المأخذ من اللغة ولا إصابة الفصل فى المعنى ولا حكاية الطبيعة فى صناعة فكرية جيدة ولا بث إشراق النفس الروحانية فى تركيب المادة ، وإنما هو نظم بحث مستجلب متكلف يقع منه أقبح التفاوت كما ترى فى ألفاظ العقاد ويعدل فى سياقه عن طبيعة الشعر إلى طبيعة الجدل والسرد وحكاية الآراء والمذاهب .

ومايخيل إلى فى شعر العقاد إلا أنه مستنقع اخضرت ضفتاه . فهذا الجمال القليل منه لا يكشف عن سر ورونق وامتاع وإنما يزيد فى القبح وما فى هذا المستنقع إلا البعوض والملاريا والطحلب والوخم والعفن ولو أنك

كنت دقيق الحس مصفى الذوق عالى البيان ثم قرأت شعر العقاد لرأيت من شعره ما يلسع الذوق لسع البعوض وفى شعره أبياتا تنهق نهيق الضفادع فى الماء ومع هذا كله لا تفك من مفظر نضر هنا وهناك من ضفاف . المعانى الحسنة التى يعرضها مما ينقـــــله عن غيره من شعراء العرب والأوربيين .

— ٢ —

والعقاد[1] لا يتهيأ فى طبعة من الفلسفة كالذى يتهيأ فى طباع الشعراء الملهمين إذ لا يجد فى استطاعته أن يقتسر الإلهام وليس بضاعة ولا جبلة له فا يفوت ذرعه ويقطع قوته وما لا يخلقه الله لا تخلقه اللغة الإنجليزية والشاعر الملهم يسنح له المعنى من فكر أو نظر أو قراءة فإذا هو كأنه قطعة من جمال الحياة تريد أن تنفذ إلى حياة الناس ليزيدوا بها حساً وذوقا ومنفعة ، فإذا المعنى فى صورته مجملة وحيا إلى هذا العبقرى بخاصته وإن كان قد وقع من قبل ذلك لكل شعراء الدنيا ويجىء كما يجىء من الناس قد امتلأت بهم الأرض ، وقلما يتشابه اثنان شبها تاما إلا فى القدرة ولكن غير الملهم يتسقط المعنى من فكر أو نظر أو اختلاس فإذا هو قد جاء بصناعة عقلية على قدر خاصته لا على قدر المعنى فكأنه لم يزد على أن تنبه له دون أن ينفذ إلى حقه إلى طبيعة الشعر فيه .

ونحن نعرف العقاد رجلا ذكيا مفكراً مطلعا ولكن هذه الخصال على

(١) الجهاد ٩١ مـ رس ١٣٢٧ .

أنها الطبقات العليا فى صناعة الكتابة الصحفية هى الطبقات السفلى فى صناعة الشعر العالى ، فإن الإلهام من فوقها يبدأ وكأنها الجاذبية الأرضية لا يتخطى حدودها من كانت طبيعته من الأرض وإن علا فى طيارة أبعد ما يعلو وإلى أن يختنق .

فما يصنع الرجل شيئاً أكثر من أن يضع يده على المعنى ثم يجهد فى تقليبه وتقطيعه وتهشيمه وكثيراً ما تقصر عبارته لضعفه فى البيان واللغة فيرى أن ما كان فى نفسه لا يزال فى نفسه مع أنه قد نظمه وتعب فيه فيعمد إلى الشرح يستعين به كأنه فى طريق مقالة يترجمها أو يحصلها . . ويأتى الشرح دليلا على أن هذه الفلسفة الشعرية لم تجىء من فيلسوف أبدعها ولا شاعر ألهمها وأنها غير مطردة على ساقها بل هى ملفقة تلفيق المتن ينظم اعتماداً على أنه لا يقوم بنفسه ولا بد معه من شرح ولا بد مع إبهامه من تفسير .

٢ — رد العقاد : سماسرة الأدب (١)

فأحد هؤلاء رجل مكروب يسمى اسماعيل أفندى مظهر كان يطبع فى القاهرة مجلة تسمى المصور ، علم هذا المكروب الأول أنه يشبه العقاد وحجة الثانى أن يزول العقاد من صفحة الدنيا فلا يرى له شخص ولا يسمع له بخير ؟ أكتب عن ابن الرومى فيكتب عن ابن الرومى وأكتب عن بشار والمتنبى والمعرى فيكتب عن بشار والمتنبى والمعرى ولما حار فى أمره ولم تغن عنه هذه المحاكاة الزائفة خطر له ان العقاد إنما اشتهر لأنه يكتب فى صحيفة وفدية فتطوع هو الكتابة فى زميلتها كوكب الشرق عدة أشهر بغير جدوى فما شأن العقاد فى نفس هذا المكروب . هو بلا ريب كل شىء .

---

(١) الجهاد — ٢١ مارس ١٩٣٣ .

وزميل آخر لهذا المنكوب الأول هو المنكوب الثانى مصطفى صادق الرافعى . زاده الله من كل مافيه .

ما كتب هذا الرجل حرفا عنى إلا ليقول أنى لست بكاتب ولست أحسن فهم الشعر والبلاغة . وما كتبت حرفا فى النقد والبلاغة إلا سعى إليه يقرأه ويحفظه ليسرق منه ما يصل إليه عقله الكليل ، فمنذ أشهر كتب عن شوقى مقالا ينكر فيه السحر على المصريين كما يصفهم بالعقم وخمود القريحة فلما غضب القراء والناقدون على هذه المسبة الغليظة وثبت السرقة على لسانه وقال إنه إنما يروى ما كتبه العقاد .

فهو يحفظ كلامى ويتجاهله ولا يعترف به إلا حين تسوء نيته ويحسب أن سينبه إلى غضاضة على فهو خاطى الفهم سىء النية كاذب اللسان ولولا ذلك لعلم أننى أقول عن حلقات الريفين فى كتابى ساعات بين الكتب أنه (من شهد تلك الحلقات أو سمع ذلك الغناء ومن لمس ذلك الخبل المخزون فى قلوب أبناء الأقاليم صعب عليه أن يستمال إلى الدلائل التى تنكر الشاعرية على سليقة المصريين وهذا)هو الكلام الذى فهم منه العليم بأسرار البلاغة أننى أنكر الشعر على سليقة المصريين .

وهو يزعم فى كلام نشره فى المقتطف الأغر أنه يهمل كتبى ولا يلتفت إليها ولاسيما كتاب الديوان مع أنه قد سرق فصلا كاملا من ذلك الكتاب وإلى القراء شواهد السرقة منقولة عن جزء الديوان الذى اهمله على طريقته البديعة فى الإهمال

انتقدنا حامى القرآن حمى الله منه القرآن ولغة القرآن . .

وهذا المنكوت لا يعرف كلمة فى الإنجليزية ولكن يعرف الحقد على

العقاد فـكل مايعيب العقاد فهو صحيح ولو نطقت به القمل والنمل والخنفساء .

وقد روى فى إحدى المجلات أننى سرقت قصيدة غزل فلسفى من قصيدة شلى « ابيسكديون » وسرقت قصائد الآثار من ثيوفيل جوتية ؛ روى هذا وصدقه مع أنه لايعرف الإنجليزية ومع أن الزاعمين لم يجرؤا على ترجمة بيت واحد من تلك القصائد التى زعموا أنى سرقت منها ولـكنه يعتقد على العقاد فسحقا إذن للأدلة والبراهين ومرحبا بـكل تهمة يفتريها المفترون جزافا بغير دليل .

إن كان فى ذرات لحك ودمك ياحاسدى المسكين ذرة واحدة لم يبرأها الحقدعلى فاعلم إذن أننى لست أفعل ذلك لأننى لست أحب أن أبادل شلى وجوتيه أو شاعراً أكبر أو أصغر بما أقول .

٢ ـ فإنما [١] أكتب وأنظم لأعبر عما فى نفسى لا لأنقل ما عبر به الناس . إننى لا أعمل غير أن أكتب فيقرأ الناس : ما احتلت قط على الشهرة بحيلة ولا توسلت إليها بغير هذه الوسيلة ، فإن بلغ جنون الضغينة ببعض الموتورين أن يطلبوا منى كف الناس عن قراءتى شفاء لضغنهم وقضاء لوترهم فالطالب مجنون وليس المستمع بمجنون .

لقد مضى زمن اللغو . لقد مضى زمن السحرة . لقد مضى زمن الشهرة بأمثال هذه الأساليب . لقد نشأ فى العالم العربى قراء لايأخذون بالأوهام ولايدينون بعبادة الأصنام ، فإن كان الرافعى وأضرابه يحسبون أنهم مانالوا من كاتب هذه السطور منالا فى العالم العربى بما لوثوا به صفحات

---

(١) الجهاد ٢١ مارس ١٩٣٢ م .

الرسائل والمجلات فليسمعوا كلمة الأستاذ محمد الحليوى فى صحيفة الزمان إذ يرد على سفاهة الرافعى فيقول :

أما العقاد فحسبك أن أبحاثه فى الأدب ومقاييسه فى النقد قد وجهت الأدب العربى بحق إلى وجهة جديدة وأماطت اللثام عن أصنام من خشب وجبال من طين وحررت العقول من عبودية أمساخ القبور وأحلاس القديم الذين قيدوا حركة الأدب وقتلوا فيه كل روح .

فليكتب الرافعى مايفضح به إناؤه وإناء أمثاله فقد عرف أدباء تونس وغير تونس مكانه من عربات المجالس البلدية قبل أن يعرف هو مكانه من تلك العربات وسيزداد الناس علما به وبى كلما ازداد .

٣ — من الرافعى إلى العقاد (١)

قرات اليوم فى الجهاد رد صاحب وحى الأربعين على ما كتبته عنه فى البلاغ وهو رد ظهر فيه العقاد طائراً بالكلام على وجهه مثيراً حوله عجاجة من السب كما يفعل العامة إذا طار بها الرعب فى عرض البيد وخفق بها الفزع خفقة البرق وحاولت أن تسب السماء بغبار الأرض فذكر لى فزعه هذا أو غيظه مع أشاعة فى الدعوى وتعريضه إياها إلى مايفوت عرض الغرور وطوله معا وانخداع بعض الناشئين فى الأدب بوهمه وشموذته وظنهم أن من وراء هذا النفخ وهذه الصولة وهذا التفعى والتشمش أنيابا فيها السم ناقع وما دروا أن من الحيات أفاعى كل سلاحها أن تنفخ نفخها وتصول صولتها وتنشر مقالتها . . وهما وخداعا وارهابا للحشرات الضعيفة وسحرا لبغاث الطير ثم ليس معها بعد ذلك شر ولا خير .

(١) البلاغ ٢٣ مارس ١٩٣٣ .

ذكرنى فزع العقاد بمثل ما كنت قرأته فى النسخة التى عندى من كتاب كليلة ودمنة ويعرف الأدباء الذين قرأوا كتابى تحت راية القرآن أنه ليس فى العالم كله نسخة أخرى مثلها . .

يعرف العقاد معرفته الشرق والغرب والشمال والجنوب أننا لانعبأ به ولا نعده أديبا ولانقيم وزنا فى العربية ولا نخشى سفاهته ولو جعل الجهاد جهاداً فنيا نحن وهذا كله ماقلناه له فى وجهة ونعتقد يقينــا أننا قلناه له فى قلبه .

ورأينا فى العقاد أنه لوصح فية مذهب التناسخ وتناسخ فى هذه الأرض ألف مرة لما كان فى واحدة منها عف اللسان ولا كريم النفس ولا وفيا لأحد ولاشاكراً لنعمة ولا معترفا بحقيقة وليس من العقاد إلا العقاد .

ولعله يسره أن يعلم أنه أضحــكنا بسفاهته ضحكا لاعهد لنا بمثله إلا أن نرى شارلى شابلن فى السينما .

قال الأستاذ (بنطلونه وحذاؤه) وهو يعنينا : ما كتب هذا الرجل حرفا عنى إلا ليقول أننى لست بــكاتب ولست أحسن فهم الشعر والبلاغة .

وقال : وما كتبت حرفا فى النقد والبلاغة إلا سعى إليه يقرؤه ويحفظه ليسرق منه مايصل إلى عقله الــكليل .

قلنا كذب والله أنه ليهلك فى صفحة واحدة لوأراد أن يعارض صفحة مما نــكتبه . وليحتكم إلى من يحسنون الــكتابة ليرى فى قرآنهم كيف خلق الله وجهه البيانى كأنه (بروفة) مطبعية ملقاة بدون تصحيح .

إن العقاد إنما يريد بهذا الزعم أن يشرف نفسه كما أراد من قبل حين

كتب فى الجزء الثانى من الديوان يزعم أننا أخذنا من نقده لنشيد شوقى وقد نشرنا هذا فى سنة ١٩٢١ ومع ذلك عاد إليه اليوم فنقله فى الجهاد ويظنه برهانا جديداً ونعرفه نحن إفلاسا جديداً ، فإن هذا المغرور يعلم فى ضميره الذى يحاول أن يخبأه حتى من الله جل جلاله — يعلم أنه هو نفسه كان قد وقف طبع كتابه (الديوان) حين علم أننا سننقد نشيد شوقى ، وأشاعت جريدة الأخبار نبأ هذا النقد وذلك لينقل ما نكتبه ويفخم به شأن كتابه ويستعين بها على عدوه شوقى ، فلما أبطأنا فى طبع النقد كتب هو تلك الرقاعة التى سماها نقدا ونشرها . حدثنا بذلك صديقنا الأستاذ المازنى وكان شريكه فى كتاب الديوان وخبر هذا الحديث أنى كنت معه فى جريدة الأخبار فرأيت فى يده جزء الديوان الذى زعم فيه العقاد مزاعمه الشخصية فبعد أن قرأت ما كتب عنى قلت له : كنت أظن العقاد عاقلا فإذا لطوله معنى . . فقال : إن شاء الله لا يجد للقصر معنى . ثم سألته : كيف أنى للعقاد أن يزعم هذا الزعم وهل ذلك رأيه فى إعتقاده . أم رأيه فى إدعائه ، فقال : إننا كنا نرقب ظهور نقدك لنقله . ونكتفى به . فلما تأخر كتب العقاد كتابه ثم اطلع على نقدك بعد ظهوره فرأى فيه كتابا من الأستاذ منصور عوض مؤرخا فى ١١ ديسمبر وهو بعد ظهور الدايوان فظن بعد ذلك أنك نقلت عنه . فقلت لهذا الصديق أنك تعلم أنى شرعت فى الطبع قبل أن يخط العقاد حرفا ولهذا انتظر كما يقول . ثم تعلم أن فلان باشا سعى عند أمين بك الرافعى رحمة الله ليجمعنى به فيتفق على أمر من الأمور لأكف عن نشر هذا النقد وقد كنت تراه وجانى وانى من أجل ذلك وقفت طبع النقد مدة . وفى أثناء هذه المدة جاء فى كتاب الأستاذ منصور عوض ثم تم سوء وأخفق سوء فمضيت فى إتمام الطبع . وكان هذا سببا فى خروج كتابى متأخراً

فأقرنى الصديق على ذلك . وقال إن العقاد لم يكن يعلم هذا ولم تبق قائدة فى أن يعلم .

فقلت : ولا كانت على مضرة فى أن يجهله .

. هذا هو حديث الإفلاس الجديد الذى استخرجه العقاد من دفاتره القديمة فإن كان أهلا للخجل فليخجل . و كل ما كتبته هنا أشعته بين جميع اصدقائى من يومئذ .

٤ ــ من اسماعيل مظهر إلى العقاد (١)

هاجنى اعتباطا وانتقض فيه ارتجالا ، كأن ماطبع عليه العقاد يأبى عليه إلا أن يقول الشر وان يرمى اقدار الناس بقصد و بغير قصد وان يكثر عليهم السباب والشتائم لوجه الشر وحده ولوجه النار الآكلة التى تغلى مرجلها فى صدره وحفيظته على كل من نبه فى الأدب قدره أو رجحت فى العلم كفته .

أما إذا كان هذا من أثر السفافيد التى شواك فيها الأستاذ الرافعى شيئا على صفحات العصور وطبعها فى كتاب وزعت منه على ما أعرف آلاف النسخ فى العالم العربى كله . فكن على يقين من أن تهجمك هذا ليس بمغنيك عما فى هذه السفافيد فهى باقية معك طول حياتك . . وستظل باقية بعد مماتك .

وكأنى بتلك تريد أن تحتكر الأدب وتاريخ الأدب لنفسك فتنعى على لأنى كتبت فى بشار وابن الرومى والمتنبى وللمعرى لأنك كتبت عنهم وإنى اريد ان اكون العقاد فى كل شىء . ومما يدل على سفاهة احلامك انك تكذب فى هذا كذبا صراحا وإن كنت كذوبا فكن ذكوراً فانى لم

---

(١) البلاغ ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣ .

أكتب فى ابن الرومى حرفا واحداً . ولم أكتب حرفا واحداً فى المتنبى ..
أما ما كتبت فى المعرى فمقال تناولت فيه ناحية واحدة هى عقيدته فى الخالق ..

ولكن على تعمدك الكذب البين تعمدت أيضا أن تكون مغالطا فإنك لم تذكر أنى كتبت عن مهيار الديلمى وإنى قطعت فى ذلك المقال برأى فيما تحدثه الوراثة الأنثولوجية من أثر فى الاتجاه الشعرى . وكنت أول من قال بفكرة أن الدم الآرى الذى يجرى فى عروق مهيار وابن الرومى أثراً جعل النزعة إلى الحقائق وإلى الماديات أبين فى شعرهما .

أما إنى لم أنقد ديوانك الجديد أو شيئا من شعرك فإن ذلك ليس عن قصور بل عن عقيدة وعقيدتى فيك أنك شاعر لايرجى منك أن تبلغ من الشعر أكثر من قولك :

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا   جلاله حق لا جلالة باطل

وفيه من التواء الفكر مايمضى بحسنات ألف بيت من الشعر الجيد .

أما قولك بأنى حاولت أن أكتب معطونا فى جريدة وفدية .. لأنال الشهرة بمثل ما نلتها .. فثق بإنى اعتقد أن الشهرة التى تأتى من وراء الصياح فى الجرائد ومن نشر العناوين بحروف بارزة كبيرة . شهرة حقيرة فى نظرى وهى إلى العناوين أقرب منها إلى أن يكون فيها دلالة على شىء جدير بالاحترام ودليلى القاطع على هذا أنك قتلت جريدة مصر فلم ينقذها من الموت ادبك ولا اغناها عن السقوط انك استاذ بحروف المطبعة وقتلت بعد ذلك كوكب الشرق فلم ينقذها من الموت ادبك ولا اغناها عن السقوط انك استاذ بحروف المطبعة .

٥ — من الرافعي إلى العقاد (١)

أما بعد فقد سبقنا العقاد أفحش السب في كلمته . التي ظهرت بها جريدته اليوم كخرقة المطبخ .

وما ندري والله كيف يفهم هذا الرجل ولا كيف يعتبر الناس يقرأونه ولا ماهي فلسفته في السب والشتم . وهل هذا جهل منه أم تغافل . وهل هو تطاول أم تظارف . . وهل تلك قدرة أم عجز .

لقد درسنا جب العقاد في رده الأول ورده الآخر فما خرج لنا من ذلك إلا أنه جلف مدخول الطبيعة كان قد وقعت فيه معجزة غريبة فوضع الله في جسمه طبيعة أسوان من قدمه إلى عنقه ثم وضع في وجهه طبيعة القطب الشمالي فالرجل فاسد الحس ويحسب ذلك عمقاً في الأحساس يتسع به لمقائص الدنيا من الجمال إلى الجيف إلى المراحيض ويتسع جبينه (لكل موجود وموعود تؤام) ومادام إحساسه بهذا العمق فكل شيء كأنه جزء منه وإذا كان كل شيء جزءاً منه فالقبح والفساد من بعض مافيه . .

ومادام له هذا القبح وهذا الفساد فلا قبح في غلطه ولا فساد في ذوقه ولا فساد في ذوقه ولا يعاب ماهو طبيعي لأنه طبيعي .

ومكابرة العقاد ومباهاته وفخره وبطره وكبرياؤه على مافيه من الضعف والقلة والذلة ـ كل ذلك من الأدلة القاطعة على ذهن مختل قد انفرد بنفسه في إختلاله إنفراد ذوق صاحبه في أعوجاجه ولا يكون القانون لمثل هذا الذهن إلا خطأه وغروره . .

لقد كنا على يقين من أن العقاد الجبار سينهزم أعنا أقبح هزيمة وأنه

---

(١) البلاغ في ٣ مارس ١٩٣٣ .

ليست له الأجوله ثم يصرع فانه هو يعرف فى ذات نفسه أنه لا يملكه معنا ما يملكه مع غيرنا وهذا سبب آخر فى شتمة أياها لأن صيحة من تأخذه من حلقة لا تجىء كصيحة من أخذته من يده أو رجله . وما عايدنا يدخل العقاد ولا علينا بشعوذ ولا ممنا يستطيع المستطاع .

من البراهين عند العقاد قول ذلك الذى هو أزكى وأبلغ رجل فى الشرق هو المغفور له سعد باشا زغلول فى وصف سياسة مصطفى صادق الرفيعى فى كتابه إعجاز القرآن كأنه تنزيل من التنزيل او قبس من نور الذكر الحكيم) .

أمن براهين العقاد عند العقاد قول العقاد نفسه وقد كتب عنا قديما فى المؤيد وهو ينتقد كتاب إعجاز القرآن (ولقد اتفقت للرافعى فى هذا الكتاب جمل وعبارات لم يتفق مثلها للعرب منذ أن تكلموا وخطبو إلى أن القواو كتموا) .

معذرة أيها القراء فإن الخجل لا يوضع على وجه من لا يخجل كهذا العقاد وليس للخجل دواء يستعمل من الظاهر . وأنا أعرف الكلام الذى يتحول فى دم العقاد إلى سم يشتغل فى روحه إشتعالا وما قرظنى سعد باشا بكلمته السماوية التى لا يعدوها أبلغ ما فى الحقيقة ولا ابلغ ما فى المبالغة بل قرظنى وقتل العقاد بداء الحقد فى وقت معا .

ولو حدثتكم أن هذا العقاد قال لى مرة فى مجلس رئيس تحرير مجلة شهيرة (هى المقتطف) أنه أبلغ من سعد باشا وأذكى من سعد باشا حين لم يجد له مخرجا من كلمة سعد إلا بهذا الإدعاء الساقط وإنى أشهدت على كلمته هذه صاحبها رئيس التحرير . ولو أنا حدثتكم فى ذلك واقتصصت القصة على نسقها لأدركتم أى معتوه هو بل أى أحمق ولعرفتم أن عندنا فى مصر جهار

ذهن أى مخبولا كثيرون الذى صاح وهو يسوق نفسه على فراش الموت أى فنان سيهلك بهلاكى ...

٦ — العقاد : للشكوب الطموس (١)

مصطفى صادق الرافعى رحل عامى أن المناقشة هى أن تغلب وأن علامة الغلب أن يظل يتكلم و يتسكلم فاذا أخذته بـكتب النحاة جميعا قال لك :

وما كانت النحاة جميعا ، إنى أخطئهم واشتمهم فى وجوههم ولو كان هذا يعقل مايقول لما شغل حياته كلها بنا وبمؤلفاتنا قياما وقعوداً وكتابة وحديثا ليقول أنه لم يقرأ كتب العقاد ولا يبالى ما كتب العقاد .

يا هذا ؛ عندى ما يشغلنى عن ضغينة نفسك الصغيرة فاذهب إلى عالم الأشباح الذى ألقيت بك فيه منذ سنوات د وعدا لما هو افضل من صغائرك واولى بنا وبقرائنا فلن تظفر منا بعد اليوم بجواب .

---

(١) الجهاد ٢٨ مارس ١٩٣٣ .

الباب العاشر

معارك النقد بين المجددين

أولا : بين التغريب والتجديد .

ثانياً : معركة السكرامة .

ثالثاً : معركة الصفا بين الأدباء .

رابعاً : معارك النقد (بين العقاد وطه حسين) .

خامساً : بين زكى مبارك وخصومه .

سادساً : زكى مبارك ينقد كتابه .

سابعاً : بين العقاد وخصومه .

ثامناً : بين سلامه موسى وخصومه .

تاسعاً : بين المازنى وخصومه .

عاشراً : بين هيكل وطه حسين .

حادى عشر : معركة لقمة العيش بين مبارك وطه حسين .

ثانى عشر : المعارك بين شباب الأدب وشيوخه .

الفصل الأول

بين التغريب والتجديد

مساجلة بين توفيق الحكيم وطه حسين(١)

١ — من توفيق الحكيم

أنما الأمر الذى يحتاج إلى كلام هو معرفة مميزات الفكر المصرى . معرفة أنفسنا حتى تلين لجيلنا مهمة . هذه هى المسألة . ماهى مميزات العقلية المصرية فى الماضى والحاضر والمستقبل . • ماروح مصر . مامصر • أن إختلاطنا بالروح العربية ، هذا الاختلاط العجيب كاد يفسينا أن لنا روحا خاصة تنبض نبضات ضعيفة تثقل تحت ثقل تلك الروح الأخرى الغالبة وأن أوو واجب عليكم لنا إستخراج أحد العنصرين من الآخر ، حتى إذا ماتم تمييز الروحين أحداهما من الأخرى كان لنا أن نأخذ أحسن ماعندهما.

لابد لنا أن نعرف : ما المصرى ، وما العربى . هذا السؤال القيتة على نفسى منذ ست سنوات إذ كنت أدرس الفنيين المصرى والأغريقى : وكانت المشكلة عندى وقتئذ: ماالمصرى وما الأغريقى .

وأذكر انى لخصت الفرق بين العقليتين بمثل احد فى فن النحت سائلا ، مابال تماثيل الآدميين عند المصريين مستورة الأجساد وعند الإغريق عارية الأجساد ، هذه الملاحظة الصغيرة تطوى تحتها الفرق كله . نعم كل شىء مستتر خفى عند المصريين ، عار جلى عند الإغريق . كل شىء فى مصر خفى كالروح . وكل شىء عن الإ غريق عار كالمادة . كل شىء عند المصريين كالنفس . وكل شىء عند الإغريق جلى كالمنطق . فى مصر الروح والنفس وفى اليونان للمادة والعقل

لا أكاد افتح كتابا فى الفن الإغريقى حتى أجد كلمة الصرامة نعتا من نعوت هذا الفن . ولا أفتح كتابا فى الفن الإغريقى إلا وجدت كلمة الحياة وكلمة الإنسانية من نعوت هذا الفن .

حظ الإغريق فى كل هذا هو حظ العرب . العرب أيضا أمة نشأت فى

---

(١) الرسالة — أول يونيو ١٩٣٣ .

فقر لم تعرفه أمة غيرها . صحراء قفراء ، قليل من الماء يثير الحروب والدماء . جهاد وكفاح لا ينقطعان فى سبيل العيش والحياة ، أمة لاقت الحرمان وجها لوجه . وما عرفت طيب الثمار وجرى الأنهار ورغد العيش ومعنى اللذة إلا فى السير والأخبار ، كل تفكير العرب وكل فن العرب فى لذة الحس والمادة . لذة سريعة مفهومة مختطفة اختطافا لأن كل شىء عند العرب سرعة ونهب واختطاف . وعند الإغريق الحركة ، أى الحياة ، وعند العرب السرعة ،أى اللذة ، لم تفتح أمة العالم بأسرع من العرب ، ومر العرب بحضارات مختلفة فاختطفوا من أطايبها اختطافا راكضاً على ظهور الجياد . كل شىء قد يحسونه إلا عاطفة الاستقرار وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم أرض ولا ماض ولا عمران لهذا السبب لم يعرف العرب البناء ، سواء فى العمارة أو فى الأدب أو فى النقد ، الأسلوب العربى فى العمارة من أوهى أساليب العمارة التى عرفها تاريخ الفن . وإذا عاش لليوم فإنه يعيش بالزخرف . فن الزخرف العربى أنقذ العمارة العربية .

أما فن الزخرف العربى فهو فى الحق أجمل وأعجب فن للزخرف خلده التاريخ ، والزخرف عند العرب وليد ذلك الحلم باللذة والترف . كل شىء عند العرب زخرف . الأدب نثر وشعر لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا ولا قصص ولا تمثيل . إنما هو شىء مرصع جميل يلذ الحس . فسيفساء اللفظ والمعنى وأرابسك العبارات والجمل ، كل مقامة للحريرى كأنها باب لجامع المؤيد . تقطيع هندسى بديع . وتطعيم بالذهب والفضة ، لا يكاد الإنسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذا بالبهرج الخلاب .

قد يكون للطين دخل فى تأخر النحت والتصوير عند العرب ، غير أنى اعتقد براءة الدين ، أن العرب كانوا دائما ضد الدين كلما وقف الدين دون

رغبات طباعهم ، لقد حرم الدين والشراب ، فأحلوا هم الشراب فى قصور الخلفاء ، وما وصفت الخمر ولا مجالس الخمر فى أدب أمة بأحسن مما وصفت فى الأدب العربى ، أما النحت والتصوير الكبير فليس فى طبيعتهم لأن تلك فنون تتطلب فيمن يزاولها إحساساً عميقاً بالتناسق العام مبناه التأمل الطويل والوعى الداخلى للكل فى الجزء وللجزء فى الكل ، وليس هذا عند العرب فهم لا يرون إلا الجزء المنفصل وهم يستمتعون بكل جزء على انفراد ، لا حاجة لهم بالبناء الكامل المتسق فى الأدب ، لأنهم لا يحتاجون إلا للذة الجزء واللحظة ، قليل من الكتب العربية فى الأدب تقوم على موضوع واحد متصل ، إنما أكثر الكتب كشاكيل فى شتى الموضوعات تأخذ من كل شىء بطرف سريع ، من حكمة وأخلاق ودين ولهو وشعر ونثر ومأكل ومشرب وفوائد طبية ولذة جسدية .

وحتى إذ يترجمون عن غيرهم يسقطون كل أدب قائم على البناء فلم ينقلوا ملحمة واحدة ولا تراجيديا واحدة ولا قصة واحدة .

العقلية العربية لا تشعر بالوحدة الفنية فى العمل الفنى الكبير ، لأنها تستعجل اللذة ، يكفيها بيت شعر واحد أو حكمة واحدة أو لفظ واحد أو زخرف واحد لتمتلىء طربا وإعجابا لهذا قصر العرب وظيفة الفن على ما نرى من الترف الدنيوى وإشباع لذات الحس ، حتى الحكمة وشعراء الحكمة . كانوا يؤدون عين الوظيفة ، إشباع لذة المنطق . والمنطق جمال دنيوى .

من المستحيل إذن أن نرى فى الحضارة العربية كلها أى ميل لشئون الروح والفكر بالمعنى الذى تفهمه مصر والهند من كلمتى الروح والفكر .

إن العرب أمة عجيبة ، تحقق حلمها فى هذه الحياة ، فتشبثت به تشبث

المحروم ، وأبت إلا أن تروى ظمأها فى الحياة ، وأن تعب من لذاتها عبا قبل قبل أن يزول الحلم وتعود إلى شقاء الصحراء .

ولا ريب عندى أن مصر والعرب طرفا نقيض ، مصر هى الروح ، هى السكون ، هى الاستقرار ، هى البناء ، والعرب هى المادة ، هى السرعة ، هى الظعن ، هى الزخرف .

مقابلة عجيبة : مصر والعرب وجها الدرهم ، وعنصر الوجود ، أى أدب عظيم يخرج من هذا التلقيح ؟ إنى أتمنى للأدب المصرى الحديث هذا المصير : زواج الروح بالمادة ، والسكون بالحركة ، والاستقرار بالقلق ، والبناء بالزخرف .

٣ — من طه حسين إلى توفيق الحكيم (١)

أنا معجب بآرائك فى الفن المصرى وفى الفن الإغريقى ولكن لا أحب لك هذا الإسراع إلى استخلاص الأحكام العامة وإقامة القواعد التى لا تثبت للنقد والتمحيص .

ها أنت ذا تفهم من الفن المصرى ماتفهم ، ويشاركك فيه كثير من المثقفين ثقافة أدبية ، ولكن أواثق أنت حقا بأن قدماء المصريين كانوا يرون تماثيلهم وعماراتهم كما تراها ، ويفهمونها كما تفهمها ، ويستلهمونها كما تستلهمها ، أرأيتك لو سألت مصريا معاصراً لرمسيس عن رأيه فى تمثال من التماثيل أو عمارة من العمارات ، أيقول فيهما مثل ما تقول .

ومثل هذا يقال فى الفن اليونانى ، وفى كل هذه الفنون الصامتة فليس

---

(١) الرسالة ١٠ يولية ١٩٣٣ .

من الخير أن نعتمد عليها وحدها فى تشخيص عقلية الأمم وروحيتها ، كل هذه عندى أحكام يتعجل بها أصحابها ، ويرسلونها على غير تحقيق ، وإذاً فقد يكون الإسراف أن تتخذ هذه الروحية المصرية الغامضة التى يسرع إليها الشك والتى تعجز عن أن تثبت للبحث ، والتى توشك أن تكون خيالا تخيلته أنت وتخيله أصحابك من الأدباء ورجال الفن أساسا لأدبنا المصرى الحديث . فمن يدرى لعل البحث عن آثار مصر أن يكشف لنا بعد زمن طويل أو قصير عن حياة مصرية قديمة تغاير كل المغايرة هذا الخيال الذى تحبونه وتطمئنون إليه .

نحن إذاً أمام أمرين : أحدهما عرضة للشك الشديد لا تكاد نعرف منه شيئا ، والآخر لا سبيل إلى الشك فيه : أحدهما حياة مصر القديمة وحضارتها العقلية — إن صح هذا التعبير — والآخر حياة العرب وحضارتهم ، فإلى أى الأمرين نفزع لنقيم عليه بناء أدبنا الجديد ! إلى الشك أم إلى اليقين .

وهنا يظهر الخلاف بينك وبينى شديداً حقا .

.. ولكن رأيك فى العرب وآثارهم فى حاجة شديدة جداً إلى التقويم ! فقد كنا نرى أن ابن خلدون جار على العرب فإذا أنت أشد منه جوراً وأقل منه عذراً ، يسر الله لك من أسباب العلم لمختلف الأمم والشعوب مالم ييسره لابن خلدون . فإذا قبل من هذه المؤرخ الفيلسوف أن يتورط فى الخطأ لأن عقله الواسع لم يحط من أمور اليونان والرومان والهند والفرس والمصريين القدماء بما نستطيع نحن الآن أن نحيط به أو نمعن فيه . فليس يقبل منك أنت هذا الخطأ ، وليس يقبل من المعاصرين بوجه عام ، وقد ذهبت إلى مثل ماذهبت إليه جماعة من المستشرقين منهم دوزى ورينان ، وأحسبكم جميعا تظلمون العرب ظلما شديدا وتقضون فى أمرهم بغير الحق .

فلو أنكم ذهبتم تقارنون بين العرب وبين الهنود والفرس والمصريين القدماء لما كان من حقكم أن تقدموا هذه الأمم فى الأدب على الأمة العربية بحال من الأحوال ، لأننا لا نكاد نعرف من آداب هذه الأمم فى تاريخها القديم شيئا يقاس إلى ما بين أيدينا من الأدب العربى .

فإذا أردت أن تقارن بين العرب والرومان فأظنك توافقنى على أن الأدب العربى الخالص أرقى جداً من الأدب الرومانى الخالص ، أى أن الأدب الرومانى إنما ارتقى حقا حين أثر فيه الأدب اليونانى ، فالرومان تلاميذ اليونان فى الأدب والفن والفلسفة والعرب يشبهونهم فى ذلك. ولكن العرب كان لهم أدب ممتاز قبل أن يتأثروا بالحضارة اليونانية ولم يكن للرومان من هذا الأدب الرومانى الممتاز حظ يذكر .

وقد تفوق الرومان فى الفقه ولكنهم لم يسبقوا العرب فى هذه الناحية من نواحى الإنتاج ، ولعل الأمة الوحيدة التى يمكن أن تشبه الرومان فى الفقه إنما هى الأمة العربية .

لم يبق إذاً إلا أدب اليونان هو الذى يمكن أن يقال فيه أنه متفوق على الأدب العربى حقا ، ولكن من الذى يقيس رقى الأدب فى أمة من الأمم برقى الأدب فى أمة أخرى .

وليس من شك أن الأدب العربى قد صور حياة العرب تصويراً صادقا . فأدى واجبه أحسن الأداء ، وكل ما يؤخذ به الأدب العربى القديم هو أنه لا يصور حياتنا نحن الآن .

وأنت تميز اليونان بالحركة وتميز العرب بالسرعة وتستنبط من هذه السرعة ظلما كثيراً للعرب . كما فعل ابن خلدون من قبل ، وليس من شك

أن العرب يشاركون اليونان فى الحركة . ولـكن ليس من شك أيضا فى أنك تغلو غلواً شديداً فى وصفهم بالسرعة ، إنما أسرع العرب فى الخروج من باديتهم ، ولـكنهم حين بلغوا الأمصار استقروا فيها وطال بهم المقام .

وأريد أن أدع هذه المناقشات ،وأن اخلص إلى جوهر الموضوع الذى تريد أن تعرف رأيى فيه : عناصر ثلاثة تـكون منها الروح الأدبى المصرى منذ استعربت : أولها العنصر المصرى الخالص الذى ورثناه من المصريين القدماء على اتصال الأزمان بهم وعلى تأثرهم بالمؤثرات المختلفة التى خضعت لها حياتهم والذى نستمده دائما من أرض مصر وسمائها ، ومن نيل مصر وصحرائها، هذا العنصر موجود دائما فى الأدب المصرى الخالص، فيه شىء من التصوف ، وفيه شىء من الحزن وفيه شىء من السماحة وفيه شىء من السخرية

والعنصر الآخر هو العنصر العربى الذى يأتينا من اللغة ومن الدين ومن الحضارة ، والذى مهما نفعل فلن نستطيع أن نتخلص منه ولا أن نضعفه ولا أن نخفف تأثيره فى حياتنا ، لأنه قد امتزج بهذه الحياة امتزاجا مكونا لها مقوما لشخصيتها فكل إفساد له إفساد لهذه الحياة ومحو لهذه الشخصية ، لا تقل أنه عنصر أجنبى ، فليس أجنبيا هذا العصر الذى تمصر منذ قرون وقرون فليست اللغة العربية فينا لغة أجنبية ، إنما هى لغتنا وهى أقرب إلينا ألف مرة من لغة المصريين القدماء ، وقل مثل ذلك فى الدين ، وقل مثله فى الأدب .

أما العنصر الثالث : فهو العنصر الأجنبى الذى أثر فى الحياة المصرية دائما والذى سيؤثر فيها دائما : والذى لا سبيل لمصر إلى أن تخلص منه ، ولا خير لها فى أن تخلص منه لأن طبيعتها الجغرافية تقتضيه ، وهو الذى يأتيها من اتصالها بالأمم المتحضرة فى الشرق والغرب ، جاءها من اليونان والرومان

واليهود والفينيقيين فى العصر القديم ، وجاءها من العرب والترك والفرنجة فى القرون الوسطى وبجيئها من أوربا وأمريكا فى العصر الحديث .

وأخوف ما أخاف على هذا الروح المصرى شيئان : أحدهما أن تلهينا الثقافة الأوربية عن الثقافة المصرية والعربية ، وكل شىء يغرينا بها ويغرينا بها جدا فهى ضرورة من ضرورة الحياة فمن الحق علينا ألا نضيع حظنا منها ولكن من الحق علينا ألا نفنى أنفسنا فيها

« تحول طه حسين عن هذا الرأى فى كتاب مستقبل الثقافة » .

الفصل الثانى

معركة الكرامة

بين توفيق الحكيم وطه حسين

وقعت بين توفيق الحكيم وطه حسين معركة أدبية تحولت بها الصداقة إلى خصومه والمدح والثناء إلى خلاف وعراك ، كان توفيق الحكيم نائبا فى الريف قدمه صديقه الدكتور حسين فوزى إلى طه حسين وقد نشر قصه (اهل الكهف) فكتب عنها هيكل ومصطفى عبد الرازق وغيرهما ومجدوها هناك اطلق رأيه فى توفيق الحكيم وقال عنه انه انشأ فى الأدب فنا جديدا ثم صدرت (شهر زاد) فنقدها طه حسين ولم يلبث الموقف ان تحول بين الكاتبين على الصورة التى سجلها طه فى قصة الأديب الحائر وتعكر الصفاء ثم عاد مرة اخرى بين الأديبين وقد صور توفيق الحكيم موقعة من بعد فى معركة (الصفاين الاباء).

وقد صور سيد قطب فى كتابة (شخصيات و كتب) أسرار الموقف بين الكاتبين فقال مجيبا على سؤال : لماذا نالت (أهل الكهف) إعجاب طه حسين ولماذا وقعت الجفوة بينهما حين صدور (شهر زاد) فقال :

هناك ملابسات شخصية أحاطت بالموضوع — ولكن بقى وراء هذه الملابسات شىء ثابت .. هو طبيعة الدكتور طه وطبيعة توفيق الحكيم فالدكتور أوفر حظا من الحياة الواقعية وتوفيق أوفر حظا من التأمل والتجريد والدكتور معنى بالنفوس البشرية كما هى ، يتبع خطواتها ويقفو خطواتها ويتسمع همساتها .. وتوفيق معنى بالذهن الإنسانى المجرد ، يوغل فى تأملاته ويسبح فى فروضه .

ومن هنا أعجب الدكتور طه بأهل الكهف لأن مخلوقاتها من صنع

الطبيعة . وهنا وقعت الجفوة بين الدكتور وشهر زاد — فشهر زاد هى قصة توفيق الحكيم الكاملة — على طريقته — هى قصة الذهن الإنسانى المجرد من أوشاج البشرية ، هى قصة القلق الفكرى والشك الذهنى » .

رأى طه حسين فى أهل الكهف

« أهل الكهف » حادث ذو خطر — لا أقول فى الأدب المصرى وحده ، بل أقول فى الأدب العربى كله . وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط وأقول هذا مغتبطا به مبتهجا له. وأى محب للأدب لا يغتبط ولا يبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فنا جديداً قد نشأ فيه وأضيف عليه. وأن بابا جديداً قد فتح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه ويبتغوا منه إلى آماد بعيدة رفيعة ما كنا نقدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن .

.. ولكن فى القصة عيبان : أحدهما يسوءنى حقا . ومهما ألوم فيه الكاتب فلن أؤدى إليه حقه من اللوم وهو هذا الخطأ الكثير فى اللغة ، وهذا الخطأ الذى لا ينبغى أن يتورط فيه كاتب فضلا عن كاتب كالأستاذ توفيق الحكيم ولا يراد فى أن أكون قاسيا عنيفا ، وفى أن اطلب إلى الأستاذ فى شدة أن يلغى طبعة هذه الجملة وأن يعيد طبع القصة مرة أخرى بعد أن يصلح مافيها من الأغلاط .

أما العيب الثانى فله خطره ولكنه مع ذلك يسير . هذا العيب يتصل بالتمثيل نفسه فقد غلبت الفلسفة وغلب الشعر على الكاتب حتى نسى أن للنظارة حقوقا يجب أن تراعى فأطال فى بعض المواضع وكان يجب أن يؤخر ، وفصل فى بعض المواضع وكان يجب ان يجمل .

من توفيق الحكيم إلى طه حسين

استاذنا الكبير الدكتور طه :

إنى أشكر أهل الكهف الذين قادونى إليك ، وإن كان هذا هو الغرض من بعثهم فى كتابى فقد حق البعث ونجح ، الحقيقة أن رعاية الدكتور طه هو أثمن ما منحنى القديسون الثلاثة من كنوز ، وأن صداقته التى أطمح إليها يوم أكون خليقا بها هى مفتاح على الأدبى فى المستقبل . إنه ليشق على أن يمضى الأسبوع ولا ألقى الدكتور ، فلقد وجدت فى حديثه زاداً روحيا لا غنى لى عنه .

رأى طه حسين فى قصة (شهر زاد)

.. شهد الله ما آثرت صاحب أهل الكهف ولا خصصته بثناء ، ولا رأيته ولا تحدثت إليه ولا سمعت منه قبل أن أقدم قصة أهل الكهف إلى القراء ، وإنما قرأته فأحببته واعجبت به ورأيت أن الحق يجب أن يعلن . وأن الكتاب المجيدين يجب لهم حظهم من الإجادة ليزدادوا رغبة فيها .

ولأعود إلى هـذه القصة ، قصة شهر زاد فأعترف بأنها كقصة أهل الكهف من جديد من الإنتاج فى أدبنا الحديث لم يسبق توفيق إلى مثله ولا إلى قريب منه ، ولست ازعم انها المثل الأعلى فى القصص التمثيلية . بل لست ازعم انها شيء يقرب من المثل الأعلى ، ولكنى ازعم انها أثر فنى متقن ممتع ، دقيق الصنع ، بارع الصورة ، خليق بالبقاء والبقاء الطويل .

.. ليقل الغاضبون على توفيق والحاسدون له مايقولون فالأدب العربى الحديث لم يعرف مثل هذا الفن من الإنشاء .. بل مالى أقتصد ! فالأدب العربى

الحديث لم يعرف مثل هذا الفن . وأنا أرجو ألا يغتر توفيق بهذا الثناء الذى أهديه إليه صادقا مخلصا وأود لو دفعه هذا الثناء إلى العناية بفنه والتكميل لما ينقصه من الأدوات ، فهو فى حاجة إلى كثير من الجد والعناء ، ومن الدرس والتحصيل ، فهو فى حاجة إلى أن يكثر من قراءة الفلسفة ليقول عن علم ويفكر على هدى وهو فى حاجة إلى أن يعنى باللغة ويتقنها ليستقيم التعبير عما يعرض له من الخواطر والآراء .

طه حسين : الأدب الحائر

قصة تمثيلية للأستاذ توفيق الحكيم

الناس جميعا يعلمون أنى محب للأستاذ توفيق الحكيم معجب بقلمه وأقل مايوجبه على الحب والإعجاب أن اكون رفيقا شفيقا ، حين يشتد القيظ ويخشى من شره على الرءوس والنفوس والأقلام ، وهذا العنوان الذى وسمت به هذه القصة لا يعدو أن يكون اقتراحا قد يعدل عنه الأستاذ توفيق الحكيم إن خطر له أن يكتب قصة ، فما ينبغى لمثلك ولا لمثلى ، بل ماينبغى لخير منك ولا خير منى ، أن يقترح على الأستاذ أن ينصح له فالأستاذ اكبر من أن يقترح عليه مقترح أو ينصح (ناصح) مهما يكن مخلصا أمينا .

أما الفصل الأول من هذه القصة كما كانت فتقع فى العام الماضى فى أوائل الربيع فى حجرة من حجرات البيت الذى كنت اسكنه فى هليوبوليس إذ يقبل على صديقان يحبان الأدب لأنهما أديبان ويعجبان بالأستاذ توفيق الحكيم لأنه أديب . وهما يتحدثان إلى عن هذا الأستاذ الذى لم اعرفه ولا سمعت من حديثه شيئا ، فيثنيان عليه بما هو اهله ، أو بما هو اهل لأكثر منه ، ثم يدفعان إلى كتابا وضعه الأستاذ توفيق الحكيم ، وكان يود أن يهديه إلى

لولا أنه لا يعرفنى ولا يريد أن يلقانى حتى اقرأ كتابه واكون لنفسى رأيا فيه ثم يقصان على الكثير من اطواره الغريبة حتى يثيرا فى نفسى الشوق إلى لقائه وإلى النظر فى كتابه ، فإذا انصرفا اقبل صديق ثالث فلا اكاد أحدثه بما كان من أمر الصديقين حتى يثنى على الكاتب ويثنى على الكتاب ويزعم لى انه قرأ الكتاب مخطوطا قبل أن ينشر .

٢ — فإذا كان الفصل الثانى فقد اخذت اقرأ فى الكتاب فأرضى عنه ثم اعجب به ، ثم اكتب عنه فصلا فى الرسالة اسجل فيه هذا الإعجاب وذاك الرضى ، وملاحظات يسيرة لا بأس فيها على الكاتب ولا على الكتاب ، وما يكاد يلقى الستار على هذا الفصل ويستريح النظارة فى وقت الراحة بين الفصول حتى اتلقى رسالة برقية ملؤها الشكر وعرفان الجميل ومصدرها الأستاذ توفيق الحكيم .

٣ — ثم يكون فصل ثالث ، وإذا بالأستاذ توفيق الحكيم قد سعى إلى من إقليمه الذى كان يعمل فيه ، وهو يشكر لى تشجيعى له ويغلو فى هذا الشكر ثم يلقى أموره الأدبية كلها إلى . ويطلب منى أن اكون مرشدا وحاميا وأقبل منه هذا كله سعيدا به مبتهجا له ، وأتحدث إلى الأستاذ حديث الصديق المحب المعجب .

ويتكرر هذا المنظر مرات .

ثم يكون منظر آخر ، يجتمع معه مع أصدقاء لنا يعرفهم الأستاذ ، ونتشاور فى أمره هو لا فى أمرنا نحن ، فهو يريد أن ينتقل من الأقاليم إلى القاهرة لأنه ضيق بحياة الريف .. وفى وزارة المعارف عمل قد يلائمه وهو يميل إلى هذا العمل ، ولكنى أنا لا أميل إليه .

والأستاذ وأصدقاؤه يلحون فى العرض وأنا ألح فى الرفض ..

ثم يلقى الستار ويتم إنتقال الأستاذ من الريف إلى القاهرة فى هذه الراحة التى تكون بين الفصول .

ثم يكون منظر آخر أو مناظر أخرى نجتمع فيها لنقرأ بعض الكتب التى يريد الأستاذ إخراجها للناس ومنها (شهرا زاد) فالأستاذ شديد الشك فى نفسه ضئيل الثقة بفنه ، لا يظهر آثاره إلا إذا أقرها أصدقاؤه الأقربون وهو لا ينشر فصلا فى الرسالة إلا إذا قرأته وأذنت بنشره ، وهو لا يدرى أنه قادر على أن يحتمل وحده تبعة الإذاعة والنشر ، ثم نقرر من هذه الكتب مانقرر ، ونرجىء منها مانرجى ، ونتحدث عن أهل الكهف وهى طبعة ثانية تذاع بين الناس فاقترح أنا أن اقدمها إلى الجمهور ، ويظهر الأستاذ وأصدقائه الرضى بذلك والإبتهاج له ، ثم يلقى الستار ويرفع وقد تمت الطبعة الثانية من أهل الكهف وابطأت أنا بالقدسة اسبوعين أو نحو اسبوعين ، فينشر الكتاب بغير مقدمة وبغير أن يتحدث إلى احد فى ذلك ، فيسوءنى ذلك بعض الشيء فيسعى إلى الأستاذ فى منظر جديد ويعتذر إلى بمحضر من بعض الاصدقاء ، فاسمع منه وابتسم وأتجاوز عن إستعجاله وينصرف راضيا فإذا اصبحت تلقيت منه هذا الكتاب باللغة الفرنسية وأنا اترجمه فيما يأتى .

ثم يكون منظر آخر يرانى الله فيه حزينا آسفا ومشفقا جزعا لأنى صدقت هذا الكلام ، وخفت أن يكون صاحبه جاد فيه ، فانكرت من نفسى ماأظهرت من غضب ، وها انذا اسرع إلى التليفون فالتمس صاحبى فى مظانه

انا محزون حقا مقد فكرت فإذا خطئتى بديهة فقد كان يجب على الأقل ان ستشيرك قبل ان أخرج كتبى فماذا ترى فى موقفى منك ويزيدنى حرفا لطفك حين تجوزت فى سهولة وكرم عن كل هذا . انما انت حقا فنان كبير ، فنان حقا وانى لاعترف بأنى لم أمنح هذه النفس ولست انا خليقا بالفن ولابك واليك الآن ماتمت عزيمتى عليه إذا احتفظت بغضبك على ، سأعتزل عن كل حياة أدبية وتقبل . ت الحكيم .

كلها ، حتى يصلنى به التليفون فأداعبه وألاعبه واترضاه واتلطف له واقبل منه واهدى إليه حتى يرضى وتطمئن نفسه الثائرة أو التى كنت احسبها ثائرة ويهدأ قلبه المضطرب أو الذى كنت اخلته مضطربا .

ثم تكون مناظر اخرى تجرى الحياة فيها بيننا كما تجرى بين الأصدقاء ثم تكون مناظر اخرى ، اسمع فى بعضها اللوم لأنى أحب توفيق الحكيم واقرأ فى بعضها الشتم لأنى اكبر توفيق الحكيم وأن ابسم للوم اللائمين واضحك لشتم الشاتمين ، لأنى لم احب هذا الكاتب إلا لأنه المهنى الحب ، ولم اعجب بهذا الكاتب إلا لأنه المهنى الإعجاب .

ثم اكتب إلى المصور فصلا عن الأدب التمثيلى فى مصر فلا يكاد ينشر حتى يتحدث إلى من يتحدث بأن الكاتب الأديب مغضب من هذا الفصل لأنى لم أنصفه فيه ، ولأنى زعمت أن قصصه التمثيلية على حالها وروعتها قد لا تلائم الملعب المصرى فلا احفل بحديث المحدثين واقرأ فى المصور بعد ذلك رداً من توفيق فيه عوج كثير فأقوم هذا الموج مداعبا لصاحبه ملاطفا له . ثم يبلغنى انه قد سعى إلى بيتى مساء الاثنين الماضى فلم يجدنى فيه وترك لى تحيته ومودته وانصرف ثم اكتب عن (شهر زاد) فلا يكاد يظهر حديثى عن (شهر زاد) حتى اتلقى من صديقى توفيق هذا الكتاب صباح الخميس ، لا يحمله إلى البريد وإنما يحمله ساع خاص ، ولا يكتبه توفيق بخطه وإنما يضربه على الآلة الكاتبة ضربا وينفصل الصديق فيمضيه بخطه وأنا انشر هذا الكتاب لأنه سيكون باقيا على الدهر ولأنه سيقع من الكتاب والناقدين فى هذا العصر موقع الوصية التى زعموا أن عبد الحميد قد اذاعها فى الكتاب القدماء آخر أيام بنى أمية .

يظهر أنى سيء الحظ منك ، أو أنك سيء الحظ معى هذا الأسبوع . فلقد قرأت مقالك عن شهر زاد وما أحسبنا تلاقينا فيه عند رأى . فاما قولك أنى أدخلت فى الأدب العربى فنا جديدا وأتيت بحدث لم يسبقنى إليه أحد ، فهذا اسراف سبق لى أن أشرت إليه فى خطاب منى إليك عن أدب الجاحظ ذكرت فيه يومئذ أن للجاحظ ملكة فى إنشاء الحوار تذكرنا ببعض كتاب المسرح من الغربيين . فما أنا إذاً بمبتدع ، وإنما أنا أحد السائرين فى طريق شقة الشرق من قبلى .

وأما نصيب قصصى من البقاء فلست أعتقد أن الناقد معاصر حق الجزم به وما بلغت من البساطة حتى تصديق ناقد يتكلم فى هذا . فان الزمن وحده هو الكفيل بالحكم للاعمال بالبقاء فأنا كما ترى لا أسمح لنفسى بقبول مثل هذا الثناء . كذلك لست أسمح لأحد أن يخاطبنى بلسان التشجيع فما أنا فى حاجة إلى ذلك فانى منذ أمد بعيد أعرف ماذا أصنع ولقد أنفقت الأعوام أراجع ما أكتب قبل أن أنشر وأذيع . كما أنى لست فى حاجة إلى أن يملى على ناقد قراءة بعينها فانى منذ زمن طويل أعرف ماذا أقرأ . وما أخالك تجهل أنى قرأت فى الفلسفة القديمة والحديثة وحدها مالا يقل عما قرأت أنت . وما أحسبك كذلك تجهل أنى أعرف الناس بما عندى من النقص . وأعلم الناس بما احتاج إليه من أدواته ، فأرجو منك أن تصحح موقفى أمام الناس والا تضطرنى إلى أن أتولى ذلك بنفسى .

وأؤكد لصديقى توفيق أنى لم انشر كتابه هذا إلا تصحيحا لموقفه أمام رؤسائه وأمام نفسه . فيعلم رؤساؤه منذ اليوم أنه قد اساء إلى هذا وفى غير مايبيح الإساءة . وأنه قد قطع مابينه وبينى من صلة . وانه قد سجل هذه القطيعة فى كتب . وإنى قد سجلت هذه القطيعة فى صحيفة سيارة ليشيع أمرها بين الناس ، واظن أن رؤساءه منذ اليوم سيرفقون به . ويعطفون به ويحسنون الرأى فيه . واظن أنه سيحس منهم ذلك فيطمئن على منصبه ويستريح إلى رضا رؤسائه عنه ويبتسم له الأمل فى المستقبل القريب والبعيد .

فأما قول توفيق إنى قد أسرفت حين زعمت أنه أحدث فى الادب العربى

حدث لم يسبقه احد فإنى احمده له وإن كنت اعرف أن هذا الكلام كان يرضيه وانه كان يحب أن يسمعه وأن يقرأه .

وأما أن توفيقا ينكر على أن أحكم على قصصه بالبقاء فهذا إسراف منه كثير ، فنحن الناقدين احرارا فيما نعرف من ذلك وما ننكر ، مادام الزمن هو الحكم الأخير فى هذا الموضوع .

واغرب من هذا كله أن يرفض توفيق ما اهديت إليه من ثناء فليعلم إنى لم اهد الثناء إلى شخصه ليرفضه أو يقبله وأن شخصه لا يعنينى إلا قليلا منذ الآن ، وإنما اهديت الثناء إلى فنه وما زلت اهديه إليه ولن يستطيع هو أن يرده ، وكنت احب له أن يفرق بين شخصه الفانى وفنه الباقى .

أما انه لايسمح لأحد بأن يدله على مايقرأ ، وانه قرأ فى الفلسفة القديمة والحديثة مثل ماقرأت على الأقل ، فاننى احب أن يعلم أن ما قرأته لا يرضينى لنفسى ولا لغيرى ، واسأل الله أن يحمينى وإياه شر الغرور فهو مهلك النفوس حقا ، وأما انه اعرف الناس بما ينقصه واعلم الناس بما يحتاج إليه من أدوات وانه لايحتاج مع ذلك إلى نقد ناقد ، فهذا رأيه فى نفسه منذ الآن وهو لا يشرفه ولا يرفع منزلته عند احد واحب أن يعلم توفيق انى لن ارد عليه بعد الآن ولن احفل به إلا يوم يخرج لنا كتابا نقرؤه . . ويومئذ سأعلن رأى فى الكتاب سواء رضى توفيق ام سخط .

من توفيق الحكيم : (خصومه) إلى طه حسين

بعثت إليه أول النهار بالرسالة التى سماها « باقية على الدهر » ثم أويت آخر النهار إلى بيتى فوجدت إسطوانات « بتهوفن » التى استعارها منى قد

(١) الرسالة — ٢ يولية ١٩٣٤ .

ردها إلى فعلمت انها القطيعة ، فوقفت واجما فى مكانى وزالت آثار الغضب ولم يبق فى نفسى إلا ألم عميق .

لقد انتهى كل شىء بينى وبين الدكتور طه حسين . . ولم استطع أن اقرأ شيئا فى ليلتى ، وما أن اقبل الصباح حتى اوفدت إلى الدكتور طه صديقين كريمين يحادثانه فى أمر الرسالة ، فإذا به قد دفعها إلى المطبعة وإذا به يأبى إلا أن يعلن الخصومة إلى الناس .

وحاول الصديقان عبثا أن يحولا بينه وبين هذا الإعلان . . ولكن الدكتور طه أراد ان ينتقم فتناول القلم ووضع قصة روى فيها ما كان من أمرى وامره .

قرأت القصة فدهشت . أى روعة وأى إبداع ! انها فى ذاتها اثر من آثار الفن الخالد ، إنى اشهد انها عمل فنى عظيم ، فيها من سعة الخيال وروعة الأسلوب مايضمن لها البقاء .

انها هى التى ستبقى على الدهر . وقد انسانى إطارها الأدبى ما احتوته من اتهامات قاسية وماذا يهم ، إن شخصى ليس يعنينى كثيرا . كما انه ليس يعنى صديقى الدكتور منذ اليوم .

واغلب ظنى أن الدكتور قد اصر على نشرها لأنه يعلم انه قد كتب شيئا جميلا : وإنى الآن لأرضى أن يضحي شخصى الزائل فى سبيل ظهور هذه القطعة الباقية .

على أن القارىء وقد فرغ من القصة لأبد يسأل نفسه : ما كل هذا الذى بين توفيق وبين الدكتور : وإنى أمد القارىء بالجواب فأقول : لاشىء فى رأيى غير صداقة لا يمكن أن تزول ، ولئن قامت خصومة بيننا اليوم أو فى الغد فهى خصومة من اجل الراى والتفكير ..

وانه ليعلم انى اقدره احسن تقدير واضعه فى نفسى فى اسمى مكان واحفظ له على الزمن ما اسدى إلى من جميل ، ولا انسى انه هو الذى القى الضوء على وجودى . غير انه يخطىء إذا فهم ان صداقتى له معناها التزام موافقته على كل رأيى ادبى يبديه ، والتسليم والتأمين على كل ما يخرج من قلمه أو من فيه إن الحكم المطلق إذا صلح فى دولة السياسة فهو لا يصلح فى دولة الأدب ، وإنى لا اخال صديقى الدكتور نفسه يرضى لى أو يرضى لفنى وتفكيرى فى هذه الحرية المقيدة .

هذه هى الخصومة التى بينه وبينى .

فهو قد إستاء منى إذا عارضته فى بعض آرائه ، ولقد استاء منى كذلك يوم اخرجت الطبعة الثانية من اهل الكهف بغير مقدمة ، إن الحقيقة لاتعدو انى شخص بسيط لا امقت شيئا فى الأدب مثل المقدمات ، وإنى روح حر يأبى أن يقيد نصوصه بتفسيرات .

اعتقد ان خير هدية اهديها صديقى العزيز على ، هى « الحرية » وقد بلغ من إخلاصى فى صداقتى لطه حسين ان اعطيته « حريتى » فهو لن ينسى أنى ما اتصرف فى عمل ادبى بغير رايه . على انى احب من جهة اخرى ان استعير بعض هذه الحرية احيانا لأناقشه فى فكرة من الفكر او احاوره فى مسألة . فأنا كما يعلم الدكتور ذو طبيعة لا تسير على نظام .

إنى اعطى كثيرا ثم آخذ فجأة ، ثم أعود فأرد ما اخذت ، وعلى صديقى ان يكون رحب الصدر .. غير ان الدكتور لم يعرفنى حق المعرفة . واراه يأخذ بعض تصرفاتى على سبيل الجد ، حيث لاينبغى ان تؤخذ فى سبيل الجد .

وبعد فياصديقى الدكتور انا محزون حقا . فقد فكرت فإذا خطيئتى بديهية فقد كان يجب على الأقل ان استشيرك قبل ان ابعث بتلك الرسالة .

فماذا ترى فى موقفى منك .

إليك الآن ما تمت عزيمتى عليه : « إذا احتفظت بغضبك على فسأعرض عن كل حياة ادبية » .

احمد بهاء : لماذا يخاف توفيق الحكيم من طه حسين[1]

حضرت ١٩٤٩ على ما اذكر محاضرة للدكتور طه حين القاها فى نادى الخرجين عن قصة اوديب فى الآداب المختلفة ، وكان توفيق الحكيم قد اخرج منذ قليل مسرحيته الملك اوديب وبعد ان تحدث طه عن مسرحيات اوديب التى كتبها سوفوكليس واندريه جيد وجان كوكتو وغيرهم تحدث عن توفيق الحكيم فهاجمه هجوما قاسيا عنيفا وقال ان توفيق الحكيم افسد القصة إفساداً شنيعا كأشنع ما يكون الإفساد .

وقال ان الذى ينقص توفيق الحكيم هو ان ان يقرا وان يقرا كثيرا مع انه يتباهى بدراسة الأدب اليونانى والتمثيلية اليونانية ويبدو انه درسهما درسا متواضعا وفهمها فهما اشد تواضعا . ولاحظ ان توفيق لم ينظر حتى إلى خريطة لليونان ليعرف ان مدينة طيبة — مسرح مأساة أوديب — بعيدة جداً عن البحر على عكس مايفهم من تمثيلية توفيق الحكيم .

(١) روز اليوسف — العدد ٣٥٥ .

الفصل الثالث

معركة الصفاء بين الادباء

بين توفيق الحكيم وزكي مبارك والعقاد والزيات

كان توفيق الحكيم قد دعا على صفحات (مجلة الرسالة) إلى الصفاء بين الأدباء ، فاثارت دعوته صراعا وسجالا عجيبا ، كأنما فتحت له أبواب الخصومة والعراك ، ذلك أن زكي مبارك إنبرى له وقال أنه إنما يقصده بهذه العبارة ، وقال توفيق الحكيم أنه مامن اديب واحد يعنيه بهذه الكلمة وإنما هى كلمة عامة لنفع العام ثم كشف عن حقيقة الأمر فقال ان الذى أوحى له بها هو مقال العقاد الذى يشكر فيه طه حسين أصدقاءه إليه دعاء السكروان وقال : وفى الحق إنى لم أجد بالمقال الرقة التى كنت انتظرها واستأثه فى نفسى من الأستاذ العقاد بعض الأستياء وانا الذى يعتقد انه يخفى وراء القناع الكبر والتكبير نفسا طيبة تتفجر — إذا اطمأنت بأجل عاطفه وانبل إحساس .

واتسع نطاق المعركة حتى هدد توفيق الحكيم بالانقطاع عن الأدب وانحى باللائمة على صاحب الرسالة اطلاق قلم زكي مبارك ؛ وهذه ملامح المعركة :

١ — توفيق الحكيم : تواضع الأديب الحق

مما يسترعى الالتفات أحيانا تلك اللغة التى يخاطب بها بعض الأدباء زملاءهم فتراهم يقولون (زميلنا أو صديقنا فلان يطلب إلينا كذا ونحن نقول له كذا والأجدر أن يسألنا كذا) إلى آخر هذا الكبر والتكبر فى التعبير .

هؤلاء نسوا من غير شك أن تكبر الأديب الحق وتعاليه هو فى الفكر والتفكير لا فى مخاطبة الآخرين . إنى أرى شعار الأديب الحق هو (تواضع فى معاملة الناس وتعال فى معالجة الأفكار ؛ لقد آن الأوان لأذكياء الشعراء أن يقفوا بالمرصاد لكل اديب يحاول ان يتعاظم بالخط

---

(١) الرسالة ٢ مارس ١٩٤٢ .

من قدر غيره وان يرفع قدر نفسه بوسائل لاتتصل بجوهر الرسالة العليا للفكر والآداب .

حدث ذات مرة ان تفضل احدهم فذكرني بقوله: صديقنافلان ، فتساءلت أهو يريد ان يشرفني بصداقته ام يشرف نفسه بتعظيمها على حسابي .

يقولون ان الذوق شيء ليس السكتب ، ولكني اقول ان الذوق شيء ينبغي ان يكون في طبيعة كل كاتب .

١ — من زكي مبارك إلى توفيق الحكيم (١)

صديقي العزيز!

قرأت لك في الرسالة منذ اسابيع كلمة صغيرة تذكر فيها ان في مصر كاتبا قال في سياق حديثه انه صديقك . وانك تنكر ان يشرف الناس انفسهم بالانتساب إليك . ولم يخطر في البال اني مقصود بتلك الغمزة . لأني اعرف أن منزلتي في نفسك لا يبيح لك ان تقع في مثل هذا الخطأ . ولكن ناسا حدثوني انك تريدني بتلك الكلمة الصغيرة وقد اردت ان استوثق من نيتك . فكان جوابك ان تلك الغمزة موجهة إلى فلان فهل اجد عندك من الشجاعة ما تقوى به على التصريح باسم ذلك الفلان . اوضح ، اوضح فإن لم تفعل فسأنوب عنك في الايضاح . صنع الزمن ماصنع . واستطال الدهر ما استطال ، فمن يعزيني وقد استباح بعض الناس ان يكتب كلمة توهم بانه اكبر من ان يكون صديقي .

---

(١) الرسالة ١٣ إبريل ١٩٤٣

٣ — الصفاء بين الأدباء : توفيق الحكيم (٢)

كتب قد نشرت فى الرسالة كاملة وظاهر من روح هذه الكلمة أنى أحض على توثيق صلات المودة الصادقة بين الأدباء بدعوتهم إلى نبذ الألفاظ التى قد تحدث فى نفوس زملائهم شيئا من الامتعاض . ولكن الدكتور زكى مبارك فهم الأمر على وجه آخر .

ثم سألنى : نقلت أديب واحد قد عنيته بالذات ، إنما هى كلمة عامة للنفع العام ولئن كان لابد من مناسبة أوحت بهذه الكلمة فربما كانت مقالة الأستاذ عباس العقاد التى يشكر فيها الدكتور طه أهداءه إليه « دعاء الكروان » .

وفى الحق أنى لم أجد بالمقال الرقة التى كنت انتظرها واستأت فى نفسى من الأستاذ العقاد بعض الأشياء . وأنا الذى يعتقد دائما أنه يخفى وراء قناع الكبر والتكبر نفسا طيبة تتفجر إذا اطمأنت بأجمل عاطفة وأنبل إحساس . فالذى يستطيع التأثير فى نفوسنا بكتاباته الإنسانية عن الكلب بيجو لابد أن يحمل نفسا خليقة أن تفيض بالمودة نحو إنسان .

تلك هى المناسبة يادكتور زكى . ولكنك شئت أن تحمل الكلمة على أنها غمزة منى لك ، وأنا أبعد الناس عن الغمزات خصوصا إذا تعلق الأمر بشخصى فأنا لم أنشر قط يوما كلمة تعمدت بها إيذاء أديب فى شعوره . أنا الذى يحرج على مهاجمة المبادىء والنظم إلى حد التعرض للخطر . لاأحد من اللائق بأديب أن يهاجم اديبا ليخدشه فى كرامته . لأن الأدب قبل كل شىء مؤدة ومحبة ورحمة وصفاء ، على هذا الوجه فهمت دائما الأدب هو صنع

(٢) الرسالة ٢٠ إبريل ١٩٤٢ .

الجمال . وعلى الذين يصنعون الجمال أن ينطووا على نفوس جميلة ، وأنا الذى لا يختلط بالناس والأدباء إلا قليلا لما فى طبيعتى من وحشة وكآبة أشكو منهما تجدنى مع ذلك أحب الأدباء وأقدرهم ولا أقول فيهم قولة سوء ؛ غير انى أيها الصديق العزيز وأنت تأخذ كلمتى على أنها موجهة إليك قد ذكرت لى أسباب ظلفك فتحريتها بعد إنصرافك فاتضح لى إنك على حق وأن الكلمة ينبغى أيضا أن تنصرف إليك فقد تستعمل أداة التعظيم فى مخاطبة الزملاء من الأدباء فماذا يضجرك ان أشكو منك ومن كل أديب يسهو عن واجبات التواضع وللمودة والمحبة التى تؤلف بين نفوس الأدباء جميعا وتجعل منهم دولة متحدة مقرها حديقة الصفاء الغناء . .

وليسمح لى الدكتور بأن أوجه إليه كلاما وجهته إلى الاستاذ أحمد أمين منذ سبعة أعوام فقد تثمر بهمته ما فيه من فكرة خيرة . لقد قلت وقتئذ : لا شىء فى الوجود أقوى من الابتسامة ولكن من ذا الذى أعطى القدوة على الابتسام الصافى الجميل فى كل موقف وفى كل حين ، أهو الجبار وحده ، إلا ترى معى الجبروت إنما هو الصفاء .

« إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابتسم للقدر إذا بطش بك ولا تبطش بأحد » تلك كلمة لعمر الخيام فإن كنت فى رأى من هذا فان لى عندك حاجة « أن تفتر معى تلك الإبتسامة بين الأدباء فان الأدب شىء جميل ؛ هو جنة لاصخب فيها وهو معبد لاتدخله الاحقاد . وإن ظاهرة فى أدبنا انه لا توجد فيه صداقات عظيمة جديرة بأن يتحدث عنها تاريخ الادب ، ما الذى يعوزنا نحن ؛ أهو شىء فى الخلق . أم ضعف فى النفس ، أم هو نقص فى الصحافة ، لست أعلم .

٤ — من العقاد إلى توفيق الحكيم

عندى تعليق على كلمة عجيبة سبق إلى كتابتها الاستاذ توفيق الحكيم وهو فى قبضة الاديب الفلاح الدكتور زكى مبارك ، فقال كلاما لا يحسن السكوت عليه .

فماذا قال : قال ما معناه أنه « صعب عليه » لانه لم يجد فى شكرى للدكتور طه حسين تلك الرقة التى كان ينتظرها لا أدرى ولا أعتقد ان الدكتور طه اهتم بأن يدرى او احتاج إلى رقه الاستاذ توفيق الحكيم الا او شكت ان تسيل عبراته ، لم ، والله لا ادرى . وقد ادرى ويدرى القارىء معى بعد قليل .

فعندى قصة صغيرة اهديها إلى الأستاذ توفيق الحكيم لأنه رجل قصصى يجب ان يخاطب بأسلوبه .

وهى قصة لا تتجاوز بضعة سطور ولكنها تفيد .

قيل إن الدكتور طه حسين خرج من وظيفته بالجامعة المصرية قبل سنوات وقيل إنه اثنى على الأستاذ توفيق الحكيم فى بعض ما كتب وهو على جفوة رؤساء تلك الأيام وقيل أن الأستاذ توفيق الحكيم اشفق من مغبة تلك الجفوة فكتب يقول : إنه لا يريد مدحاً من احد . وكان رفيعا جداً فيما قال : وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح وقيل فى قصة اخرى — لأن القصة الأولى انتهت والحمد لله — إن الأستاذ توفيق الحكيم يسيل رقة حين يشكر ان الدكتور طه حسين رفع من شأنه بما كتب عنه لأنه اطنب فى وصف اديبه وفى وصف اديب . فلم يرفع من شأنهما على ما يزعم ، وهما فى الحق ارفع شأنا عند اناس كثيرين من صاحبنا الحكيم ...

وادرك شهرزاد الصباح او المساء على قصة اخرى تمثل اليوم مع العقاد

لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات .. فما الرأى فى تمثيلية تشتمل على فصول كهذه الفصول . أليس فى التمثيل هوى لصاحبها الحكيم ..

٥ — الحكيم : خصومات ادبية (١)

من كان يتصور ان دعوتى إلى الصفاء بين الأدباء تثير خصومات او ذكريات عن خصومات فلقد كتبت الأستاذ العقاد فى الرسالة . . .

والتعليق على هذه القصه الطريفة لايحتاج إلى عناء . لأن الأساس الذى بنيت عليه ، وهو شبهة الخصومة بينى وبين العقاد قد انهار فى اليوم ذاته الذى ظهر فيه مقالى . فقد طلع لحسن الحظ فى مجلة الثقافة فى سماء ذلك النهار تحية منى للعقاد وثناء على كتابه عبقرية محمد بما هو اهله .

يضاف إلى ماتقدم «أن مايدريه العارفون واوشك ان يدريه غير العارفين» هو أن موقفى اليوم يشبه فى كثير من الوجوه موقف العقاد . وأن بين المجلات والصحف والأقلام ما يعلن تجريحى وخصومتى بمختلف الأسباب لعين الأغراض .

... إن حقيقة الخصومة بينى وبين طه حسين فى تلك الأيام (عام ١٩٣٤) كانت خصومة أدبية صرف ، ولكن الدكتور طه اراد يقحم فيها عنصر السياسة ليظهرنى فى صورة (يهوذا) ويظهر نفسه فى صورة (المسيح) فاخترع تلك القصة اختراعا ولكن الحقيقة مالبثت ان ظهرت واضحة مبينة .

... وهناك قصة اخرى للأستاذ العقاد ومهداة إلى ايضا . وربما احتاجت

(١) الرسالة ١٦ يولية ١٩٧٤ .

إلى تعليق طويل لأنها تمس قضية أدبية تحدث فى جميع الآداب فى كل زمان، تلك هى قصة الناقد والكاتب . فقد ذكر الأستاذ العقاد أنى أنكر أن الدكتور طه رفع من شأنى بما كتب عنى ، وأنا حقا أنكر ذلك كل الإنكار ومن يحرص على كرامة الفن لايسعه أن يقول غير هذا القول . فما من مخلوق على الأرض يرفع أو يخفض من شأنى غير فنى ولما ترجم هذا الفن أو بعضه إلى لغات أجنبية وجد من أعلام نقادها من يرفع شأنه كما وجد من اللغة العربية طه وأمثاله .

فالفن هو الذى يكرم نفسه أو يمتهنها فى كل مكان وزمان يحل فيها . حقاً ؛ أن الدكتور طه حسن استقبل كتاب أهل الكهف استقبالا رائعا ، ولكن لاينبغى أن ننسى غيره . فبمراجعة تاريخ الحوادث يتضح أن أول من نوه بالكتاب تنويها جميلا كان الشيخ مصطفى عبد الرازق ثم الأستاذ المازنى ثم الأستاذ العقاد على هذا الترتيب . . فلما اطمأن طه حسين إلى آراء هؤلاء أقبل فصاح صيحته المشهورة كأنها صيحة (يوحنا المعمدان) وهو يبشر بالمسيح فقد قال بهذا النص (أماقصة الكهف فحادث ذو خطر لاأقول فى الأدب العربى المصرى وحده بل أقول فى الأدب العربى كله وأقول هذا من غير تحفظ ولا احتياط وأقول هذا مغتبطا به مبتهجا له، وأى محب للأدب العربى لايغتبط ولايبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فنا جديداً قد نشأ فيه وأضيف إليه . وأن بابا جديداً قد فتح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه إلى آماد بعيدة رفيعة ما كنا نفكر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الان . نعم هذه القصة حادث ذو خطر يؤرخ فى الأدب العربى عصراً جديدا . .

ويمكن أن يقا نها أغنت الأدب العربى وأضافت إليه ثروة لم تكن له : ويمكن أن يقال انها قد رفعت من شأن الأدب العربى وأتاحت له أن تثبت للآداب الأجنبية الحديثة والقديمة » .

. . . ولنسلم بأن طه حسين هو المشيد الأول بشأن أهل الكهف ومؤلفها. فهل هذا حدث جديد فى تاريخ الأدب . . .

لم نسمع من قبل أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض وأن على المؤلف واجبا مقدسا هو أن يشترى من فوره سبحة لكيلا ينسى أن يسبح بحمد الناقد أناء الليل وأطراف النهار . . .

ولكن من الانصاف أن أقول : أنى لا أشك فى أن طه حسين أول الأمر كان يصدر حقا عن عقيدة الناقد الذى يؤدى واجب النقد والفن وحدهما ، فلم يكن قد رآنى وما كنت قد رأيته . وما كان تصادم الطباع والخصال قد لعب دوراً فى تقدير الأمور وسواء كان طه مخطئا أو مصيبا فى رأيه الذى أبداه فهذا ليس من شأنى ولا من شأن الأشخاص ، إنما هو شأن النقاد .

على أنى إذا تفرغت للنقد يوما ، فانى أرجو أن أؤدى واجبى بمثل هذه الحرارة والأمانة والقوة نحو آثار طه وغيره من الأدباء .

أما مشاعرى الخاصة كإنسان نحو الدكتور طه فليس الظرف اليوم مواتيا للاطناب فى وصفها وسأختار الزمان والمكان الملائمين للافاضة بها دون أن يحمل فعلى على غير محمله .

وأخيراً أوجه خطابى إلى الأستاذ العقاد قائلا :

. . إنك للمرة الأولى تخاطبنى بهذه اللهجة التى كنت تخاطب بها الرافعى رحمة الله .

أبهذه السرعة تضم الناس فى صف أعدائك ، لعلك لفرط ماقاسيت من شر الناس ولقلة ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل (هملت) تستل سيفك لتضرب من خلف الأستار دون تبين الوجوه فطعنت صديقا وأنت لاتدرى .

٦ — عباس محمود العقاد . صداقات الأدباء (١)

. . . والأستاذ توفيق الحكيم أراد الصفاء بين جميع الأدباء فهل أراد شيئا يكون فى هذا الدنيا . وهل أراده حقا، وهل توصل إلية بوسيلته المثلى؟ أن ثلاث (لاءات) مفخمات هى أصدق جواب على هذه الأسئلة الثلاث ، فالصفاء بين جميع الأدباء معناه الصفاء بين الناس وليس هذا بميسور ولا هو بلازم للأدب والأدباء .

فالأستاذ توفيق الحكيم هنا لم يطلب شيئا يجاب .

ولكن نعود لنسأل : هل طلبه حقا ،وهل اجتهد فى تحقيقه فتوصل إليه بوسيلته المثلى ؟

إن الذى يطلب الصفاء لايبحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقا بين رجلين على أحسن ما يكون من الصفاء .

أهدى إلى الدكتور طه حسين قصة (دعاء الكروان) فجعلت هذا الاهداء موضوع مقال من أعماق النفس فى معنى الكروان ودعاء الكروان وذكريات

---

(١) الرسالة أول يونيه ١٩٣٣ .

السكروان وقرأه كثيرون من الأدباء فحدثونى عنه حديث رضى وسرور ، وفى مقدمتهم الدكتور طه مهدى دعاء السكروان :

أما الأستاذ توفيق الحكيم فماذا صنع .

لم يرضه ما أرضى الدكتور طه ولا ما أرضى الأدباء ولا ما أرضى كثرة القراء .

وراح يتحدث ويكتب ليقول : هنا صفاء . . فكيف بالله يليق هذا الصفاء . . .

ثم وجه إلى بعد أيام أخرى خطابا قال فيه . « انك للمرة الأولى تخاطبنى الخ ولا أظن أننى أشبه هملت فى كثير من خصاله وفعاله ولكنى إذا سئلت لم صنعت صنيع (هملت) أفلا يجوز لى أن أسأل : ولم الوقوف وراء الأستار وأولى من ذلك الخروج إلى وضح النهار : أليس هنالك بعض اللوم على من يتصت خلف الستر ليسمع ما يسمع أو ليقول مالا يقال . .

. . . وعبرة أخرى ان الأستاذ الحكيم يذكر التعالى فى موقف الكاتب وينسى أنه اختار لأدبه عنوان « البرج العاجى » وهو عنوان الأدب المصطلح على وصفه بالتعالى بين نقاد الغرب وشعرائه ، فليترك برجه العاجى إذن أو فليتركنا نحن نتعالى ونتواضع كما نشاء .

أن كان يعنى هؤلاء وأمثال هؤلاء فهو واجد فى الأدب العربى الحديث صداقات من تلك الصداقات وواجد من هناتهم فى الغرب نظائر لما نشكوه من هنات الزملاء المصريين والشرقيين والطبيعة البشرية واحدة فى كل مكان. تلك أصدق حكمة عن الناس قالها انسان .

٧ — توفيق الحكيم[1] الصفاء (أيضاً)

كانت دعوتى إلى الصفاء بين الأدباء خالصة لوجه الأدب .. فأدباء مصر البارزون الدائبون على الانتاج لايتجاوز عددهم العشرة على التسامح الشديد.

كان الأجدر بنا نحن العشرة أن نواجه صراعنا لا إلى بعضنا البعض بل إلى الفن ومصاعبه وأسراره.

ولكن الأستاذ العقاد فى مقاله .. رد يقول أن صاحب الدعوة إلى الصفاء هو الذى بحث فى أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقا بين رجلين على أحسن مايكون من الصفاء فإذا صح هذا الزعم كان حقا مما يدعو إلى الأسف بل إلى السخرية. ربما كان ظاهر الوقائع يدل على ذلك ولكن هل كانت تلك حقيقة المقاصد والنوايا.

وقد رأى الأستاذ العقاد أن يجزى واحدة بواحدة فلم يفته فى ختام مقاله أن يدس هو الآخر سببا من أسباب الكدر بينى وبين الدكتور طه حسين لقوله أن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات: لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض ... الخ.

ومضى يصورنى فى هيئة الناكر للجميل. والأستاذ العقاد ولاشك قد فهم أنى ماقصدت ما يراد هذه العبارة وأمثالها إلا مجرد إظهار الإساءة لطه حسين وهو فى أوج نفوذه. فقلت مانصه « أن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءته لا لإرضائه »

---

(١) الرسالة ٨ يولية ١٩٤٢ .

الحقيقة أنها كانت قصة انتهت مع الاسف بانهيار صداقة من أعظم الصداقات التى عرفها أدبنا المعاصر :

ثم تحدث توفيق الحكيم عن قصة أهل الكهف ورأى طه حسين فيها وصداقتهما التى قامت على الأثر وقال (. ولكن و اأسفاه لقد تغلب أولئك الشامتون واللائمون آخر الأمر وفازوا بمآربهم وأشعلوا نار الوقيعة بيننا واضعين أيديهم على مواطن الضعف فينا ، وضعف الفنان هو عزته و كرامته ، وإن شئت فقل غروره .. وهكذا لم يستطع طه حسين أن يحتفظ طويلا بابتسامته وضحكه أمام الساعين بالسوء ولم أستطع أنا ان احتفظ باتزانى فانقذ المودة الصادقة وأضحى بالعزة الكاذبة .

وبهذا حطمنا تلك الجوهرة التى منحتنا إياها السماء .. ومن أجل .. من أجل ماذا ، لست أدرى ماحدث بعد ذلك ، فذاكرتى الآن لاتسعفنى ، كل ما أذكر أننا حاولنا أن نرم ماتحطم . ولقد أقمنا معا بعض الصيف فى جبال الألب فضحكنا كثيرا ولهونا طويلا بل لقد ألفنا معا هناك كتابا .. ولكنها مع ذلك لم تكن الصداقة الأولى . لماذا ، لعل شيئا فى نفسينا لم يكن صافيا كل الصفاء أو فى نفسى أنا على الأقل .. إنى أعرف ؟ لقد كنت أمتنع عن كل ما يؤخذ على أنه ملق أو زلفى . لقد كان طه حسين وقتئذ هو شخصية ذات نفوذ . وأنا أكره ارضاء أصحاب النفوذ .

ولكنى الآن وقد وضعت بين تهمتين : الزلفى ونكران الجميل فإنى اوثر التهمة الأولى فلقدسبق أن اتهمت بها فى مجال السياسة ؛ أن الشهرة قد جلبتنى حقيقة ببعض المال ولكن ، هل كنت محتاجا إلى ذلك المال . أنى لم أكن معسرا ولا مقترا . جاءتنى بالمركز الاجتماعى ، كلا فقد كنت قبلها من رجال

القضاء المحترمين ولو أنى بقيت كذلك ولا شيء غير ذلك لظفرت بالحياة الهادئة الوديعة النافعة على الأقل للعدالة والناس ، ولكن الشهرة ومايحيط بها من الاشاعات والاقاويل والأباطيل قد حالت بينى وبين ذلك الخير ، فبعد إن كانت تسعى إلى طلبى الأسر وأنا فى القضاء سموافى الثقة والهيبة أصبحت تنفر منى اليوم .. لقد جاوزت الأربعين وما أبصر فى الأفق طيف واحة مورقة فى صحراء حياتى المحرقة .

ماقيمة الشهرة بغير سعادة وماقيمة الأدب والفن بغير هناء .

٨ — زكى مبارك : أحزان توفيق الحكيم

لم أكن انتظر أن يكون عتبى على الأستاذ توفيق الحكيم (١) فرصة المجادلات ومساجلات يجرى بها قلمه مع الكاتبين العظيمين عباس العقاد وطه حسين .

يظهر ان أحزان توفيق الحكيم لن تعجبه من (الوقوع فى قبضة الأديب الفلاح) فاسمعه اليوم كلاما يسره فى حين ويحزنه فى أحايين وفقا لحالته النفسية .

دار الأستاذ الحكيم فى رده على الاستاذ العقاد حول (نفوذ) الدكتور طه حسين فماذا يريد أن يقول :

هل يتوهم أن نفوذ الدكتور طه تميمة تعيذه شر أقلامنا إذا رأيناه انحراف ، وما احتياجنا إلى نفوذ طه حسين ونحن نعرف أن ذلك النفوذ بلاء عليه ، يستطيع الدكتور طه بكفايته العلميه أن يكون أكبر موظف فى الحكومة المصرية ولكنه لا يستطيع الزعم بأن سلطان القلم بقوته أى سلطان .

---

(١) الرسالة ٨ يونيه ١٩٤٢ .

الدكتور طه رجل ضرار نفاع ، ولكن من العيب على حامل القلم أن يرجوه أو يخشاه . فما معنى هذا الذى تقوله ياعم توفيق .

... صديقنا توفيق يتألم ويتوجع لأن شهرته الأدبية أبعدته عن الانخراط فى سلك القضاء . فما معنى هذا . معناه أن الرجل يعيش بين رجال الأدب عيش الغرباء وإلا فهل يجوز لكاتب له عقيدة أدبية أن يتوهم أن فى الدنيا حظا أرباب الأقلام .

وصديقنا توفيق الحكيم يقول بعبارة صريحة أنه لايجد أسرة تعطف عليه بزوجة بيتية يسكن إليه وتسكن إليه لأن الشهرة الادبية أضافته إلى المشبوهين .

غضبه الادب عليك ياتوفيق فما أوذى الادب بأقبح ولا أبشع ولا أفظع مما جرى به قلمك الاهوج .

أيهون الادب على أهله إلى هذا الحد من الهوان البغيض .

أيكون نفوذ طه حسين شيئا يخاف فتحجر فيه المقالات الطوال الغراض آه . ثم آه .

لو كان بيدى شىء من النفوذ لنفيت توفيق إلى جزيرة « واق الواق » ليعرف أبناؤنا وتلاميذنا أن للأدب سيطرة سماوية تبغض التأدب مع غير صاحب السماء .

أنت فى جماعتنا دخيل ياتوفيق ، لانك تقدم علينا رجال القضاء ولانك تتهيب أصحاب النفوذ .

٩ — توفيق الحكيم : الصفاء بين الادباء

صديقى الزيات ؛ حتى أنت قد خاب أملى فيك ! أنا الذى دعا إلى الصفاء

بين الادباء كما رأيت وبذلت فى ذلك ما بذلت ؛ فإذا كان كل هذا يسفر عن كلمة سمحت أنت بنشرها فى العدد الاخير من الرسالة كلها ايذاء لشخصى دون مبرر ، كلمة لم تدع إليها مساجلة أدبية ، ولم يقبع بها الادب والفكر ولكن دعت إليها شهوة الهجوم والتجريح لمجرد الزهو والخيلاء بالهجوم على وتجريحى .

ولعل السبب الوحيد فى ذلك أننى رجل هادىء الطبع كما تعرف ، نزاع إلى الخير ، ينزه القلم عن أن يستخدم هراوه للبطش . وكنت أحسب أن الشجاعة الحقيقة هى فى إحترام أصحاب هذه المبادىء والنزعات . ولكن سدمنى حقا ما رأيت من أن الادباء فى مصر – مع الاسف – لايحسنون حسابا لغير الكاتب الذى يبرز مخالبه ، ويكشر عن انيابه . ويتهيأ دائما للوثوب .. أنا الذى أراد من الادب أن يكون حديقة غناء سياجها «الصفاء» إذا بى أراه حرشا من الاحراش المأهولة بالضوارى .. ماهى فى واقع الامر رسالة الادب إلى البشر؛ أهى شئ آخر غير ترويض كواسر الناس وإفهامهم أنهم أرقى من الحيوان . أن الادب الرفيع هو الذى يثير المشاعر الرفيعة بما فيها من صدق وحب وخير وجمال . . وأن الادب الوضيع هو الذى يهيج فينا الغرائز الحيوانية بشهواتها للفتك والبطش والعدوان . .

كنت أظن ياصديقى الزيات – أن تلك هى رسالتك . وإن عملك فى مجلتك هو توجيه الادب إلى هذه الغاية الفضلى .

خاب أملى فيك ... إنما الذى خيب أملى هو إنى رأيتك قد حدت قليلا عن رسالتك فى (الرسالة) وفى هذا خطر على شرف الغاية التى عاهدت نفسك والناس عليها .. وقد أغتفر لك إهدار حق الصداقة والزمالة ، أما هذه فلا..

هنا ونفترق . وليكن اليوم آخرى عهدى بك و (باصسالة) والأدباء . لن أكتب شيئا لك ولن أذكر بعد اليوم أديباً بخير ولا بشر . سأصمت عن أشخاصهم صمت القبر لأنصرف إلى الانتاج وحده من حيث هو انتاج .

فلا حلم فى صفاء ولا أمل فى عودة بين أدباء .. على أنى قبل ذلك أحب أن أنوه بحق لك عندى وفضل لا أود أن أنساه : لقد كنت أنت الذى اقترح على فكرة تدوين ذكرياتى المنسية عن عهد اشتغالى بالقضاء . فخرج كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » ربما لولاك ما اتجه ذهنى إلى هذا الأمر ولضاعت إلى الأبد معالم تلك الأيام .

١٠ — من الزيات إلى الحكيم

لولم يكن النسيان عرضا ملازما لك ياصاحب أهل الكهف لذكرت أن اسمى الزيات ، لازكى مبارك ولو أنك ذكرت ذاك لما كان منك ذلك الكتاب ولا كان منى هذا الجواب ، ولكنك لاتستطيع أن تنكر أنك كفرت بنفسك وكذبت برسالتك لأن الرسول الصادق لاينذر بالكدر وهو يبشر بالصفو ولا يبادر إلى القطيعة وهو يدعو إلى الصلة .

لم يكفر برسالتك غير العقاد ولاشك فى إخلاصك للأدب غير المبارك فما ، بالك ياتوفيق تئن قبل التعذيب وتلقى بيديك ورجليك إلى الصليب وتفضح بهذا الجزع نبوة الأدب .

تقول أننى حدثت قليلا عن رسالتى فى الرسالة وقليلا هنا معناها (زكى مبارك) وزكى مبارك ياتوفيق لون من ألوان الأدب المعاصر لابد منه ولا حيلة فيه ، فهو اللازم الأدبى فى ثقافتنا الحديثة ؛ أما عنفه وشماسه فهى الطبع المميز للونه ، فلو شئت أن تجرد هذا اللازم للمبارك من عنف الهجوم وخشونة المراس لما بقى منه غير توفيق الحكيم وحمار الحكيم :

على أنه هو نفسه أول الشاهدين على أن صفارتى قد بحت من طول ما أهبت به وهو فى قفازه السنتريسى يهدر فى المحال بين الجبال مغضيا بعض الأعضاء عن قواعد الملائكة .

وزكى مبارك بعد ذلك سليم الصدر ، صريح القلب رياضى الروح لا يتحرج أن يطلب إلى صديقه أن ينصره ظالما أو مظلوما . ثم تقول أن الأدباء فى مصر مع الأسف لا يحسبون حسابا بالغير الكاتب الذى يبرز مخالبه ويكشر عن أنيابه ويتهيأ دائما للوثوب ، فهل مصداق ذلك يا توفيق أنك أدرت ظهرك لخصمك وحملت على ، أما قطعك الأسباب بينك وبين الرسالة والأدباء فأمر يهون مادمت تخرج كتبك إلى قرائك الأوفياء وإذا جاز لى أن أواجهك مرة أخرى فإنى أنصح لك يا توفيق بأن تؤمن برسالتك كما أمن ذوو الفضل من الكتاب وأن تصبر عليها كما صبر أولو العزم من الرسل .

الفصل الرابع

معارك النقد

بين العقاد وطه حسين

اتصل حبل المساجلة والنقد والعراك الأدبي بين العقاد وطه حسين أمداً طويلا. ولكنه كان في كل الأحوال هنيا لينا لم يصل إلى ماعرف من عنف طه حسين او عنف العقاد في خصومته مع من ساجل من ادباء : ولعل ظروف السياسه هي التي حالت دون ذلك ،فقد دافع العقاد عن طه حسين ابان محنته بكتاب الشعر الجاهلي وخالف رأى حزبه. ولما تحول طه حسين إلى الوفد وكان العقاد كاتبه الأول اعلن في اول مناسبة العقاد اميرا للشعر ، وجرت بينهما مجاملات كثيرة أهدى فيها طه كتاب (دعاء الكروان) إلى العقاد صاحب ديوان .(هدية الكروان) ولم تحتدم المعارك بينهما إلا مرة واحدة حول النقد اللاتيني والنقد السكسوني وقد ذكر طه حسين خصوماته مع العقاد.

فقال : لقد هاجمت العقاد في غير موطن من مواطن الخصومة ، خاصمته في السياسة وخاصمته في الأدب وخاصمته في السياسة والأدب أيضا ، ولكن هذه الخصومة لم تغض من مقدار العقاد في نفسي .

وما أظن أن بين لدات العقاد وأترابه ومعاصريه من يقدره مثل ماأقدره أنا وأكبره وليس يعنيني أن يكون رأى العقاد في كرأيي فيه . وإنما الذى يعنيني أن اقول الحق وإن كرهه الكارهون . وإن كره العقاد نفسه ، والذين عاصروا خصومات العقاد يذكرون من غير شك إني أثنيت على أدبه في جريدة السياسة حيث كانت الخصومة بين الوفد والدستوريين كأعنف ماتكون الخصومات ، وقد كانت الحرب سجالا بيني وبينه حربا ولم يمنعه ذلك من أن يقوم قيام الرجل الكريم في مجلس النواب يدافع عني حين كان الوفديون جميعاً على حربا ، ولا اعرف أن الخصومة بين العقاد وبيني قد

اقرأ المساجلة في موضعها هذا الكتاب .

انقطعت ، فما دام كلانا يكتب فالخصومة بيننا ممكنة ولكننا قوم نعرف كيف نختصم دون أن تفسد الخصومة رأى واحد منا فى صاحبه » .

ومن المقطوع به أن لهذا الكلام معنى عميق وطه حسين لايقوله مجرداً ، ولعله أن يدفع به حملة من حملات العقاد ضد شىء ما ، وقت كتابة هذه الكلمات . (وهذه ملامح من هذه المعارك) .

رأى طه حسين فى (مطالعات) العقاد

أن الأستاذ عباس[1] العقاد من اصحاب الألوان السياسة الظاهرة وأى لون سياسى ! واى ظهور وهو سعدى مغرق فى السعدية . وهو كاتب من كتاب البلاغ .

لقد اخذت نفسى بأن اكون حراً فى النقد ، واعطيت على نفسى موثقا من الله لأكونن حرا مطلق الحرية ولا يستثن فى هـذا النقد صلات المودة والقربى وعواطف الرضا والسخط ، وإذا كنت قد اخذت على نفسى بتلك الخصلة واعطيت على نفسى هذا الموثق وتناولت الأصدقاء والزملاء والأساتذة بالنقد والتقريظ ، لم اصطنع فى هذا كله إلا الإنصاف والحق . فقد يكون لى أن اتجاوز الخصومات السياسية ، وأن اجعل خلاف الأحزاب دبر أذنى وتحت قدمى ، لأقول كلمة الحق فى الأدب ليس بينها وبين السياسة والأحزاب صلة.

فليطمئن خصومنا السياسيون وليطمئن انصارنا السياسيون أيضاً ، وليعترف أولئك وهؤلاء أن للعلم والأدب حقهما فى الوجود إلى جانب السياسة والأحزاب ، وإذا كان من الحق أن ليس للعلم والأدب وطن ، فمن الحق أيضاً أن ليس للعلم والأدب حزب سياسى وإذا كنت قد أخذت نفسى

(١) السياسة — مجلة ١/٢٦ .

بأن أكون حرا فى النقد فلأكن حرا حقا ، ولأنسى فى سبيل الأدب والعلم مذهبى السياسى كما نسيت عواطف للودة والقربى ومكانة الزميل والأستاذ .

وليطمئن هؤلاء وأولئك مرة أخرى . فأنا امقت المذهب السياسى للاستاذ عباس العقاد مقتاً شديدا وازدريه ازدراء لا حد له(١) .

سأنقده وسأقول فيه كلمة الحق والإنصاف هذه ، وسيكون هذا النقد وهذا الإنصاف فى جريدة السياسة التى تخاصم السعديين وتزدرى سياستهم لأن للسياسة إلى جانب مذهبها السياسى والحزبى مذهبا آخر تقدسه وتجد فى تقديسه ولا يفهمه غيرها من الصحف وهو حرية الرأى مهما يكن صاحبه ومهما يكن رأيه السياسى .

واعترف بأن الأدب ثقيل أحيانا ، لأنه ينسيك الخصومة السياسية ، ويحبب إليك خصمك السياسى كما حبب إلى أدب العقاد ، وبأن السياسة ثقيلة أحيانا لأنها تنسيك القرابة الأدبية وتبغض إليك الأدب كما بغضت سياسة العقاد أحيانا أدب العقاد .

ولست أخدع نفسى ، فن الأدباء الذين يخاصمون فى السياسة ويرون فيها رأيا غير رأيى من يقول فى ما أقوله فى العقاد ، ولقد سمعت شبانا من السعديين يقولون فى محكمة الجنايات وقد خلبتهم بلاغة المحامين الذين كانوا يدافعون عن السياسة : ما أكفأهم أولاد الكلب لو لم يكونوا عدليين .

٢ — معركة حول المعرى

كان (المعرى) مصدر حركة أدبية بين طه حسين والعقاد عندما أصدر الأخير كتابه عن أبى العلاء .

---

(١) تحول طه حسين إلى هذا المذهب السياسى بعد ذلك بسنوات قليلة .

طه حسين

أن الأستاذ العقاد أراد أن يرتحل بأبى العلاء بعد أن بعثه بعثاً جديداً وأن يطوف به فى اقطار الأرض فلم يصنع شيئا وإنما ارتحل به فى طائفة من الـكتب التى قرأها وفى ألوان العلم الذى احاط به وفى فنون من الآراء التى اتقنها واستقصاها . ذلك لأن الأستاذ العقاد نفسه لم يرتحل ولم يطوف فى اقطار الأرض . وإنما ارتحل وهو مقيم وطوف وهو مستقر ، وعرف الدنيا وهو لم يتجاوز حدود مصر ، وعند الأستاذ العقاد أدب وعلم وفلسفة ، فقد ملأ يديك أدبا وعلما وفلسفة ، ولـكنه لم يرتحل إلى أوربا ولا إلى أمريـكا ، فلا يستطيع أن يرحل بك ولا بأبى العلاء فى ألمانيا وفى الروسيا وفى السويد والنرويج والدانمارك ، وفى بلاد الإنجليز وفى أسبانيا وفى أمريـكا ولـكنه لا يريك سيرهم وينتهى بك إلى مصر فيظهرك منها على طبيعتها الرائعة ونهرها الجميل ، ذلك لأنه يعرف مصر وقد رآها رأى العين فهو قادر على أن يعطيك منها شيئا ، وهو أمين كل الأمانة ولا يستطيع أن يعطيك من أوربا ولا من امريكا لأنه لا يعرفهما ، استغفر الله واستغفر الأستاذ العقاد ، بل لأنه لم يرهما رأى العين ولم يلم بهما إلا من طريق الـكتب » .

(رد العقاد)

من المتفق عليه أن ابا العلاء المعرى لو كان حيا وساح فى الأرض لما كان غرضه من السياحة أن يكتب لنا دليلا من كتب السياحة،وإنما تعنيه مشكلات العقائد والأخلاق التى كان يعنى بمثلها فى الحياة ، وليست هذه المشكلات والعقائد مقصورة على المسافرين دون المقيمين .

على أننا نعود فنسأل : اين هى المشاهد التى لا يراها الإنسان إلا بالانتقال

إليها فى هذا الزمان ! الصور المتحركة التى تريها وتسمعنا كل يوم ما يراه ويسمعه الباريسيون واللندنيون وسائر الغربيين والشرقيين ، والمطابع تنقل إلينا ما يقولون وما يعتقدون ، والأصوات الحالية تحكى لنا ماينشدون ويعزفون والعالم كله معروض لنا عرضا ينقله إلينا وإن كنا لا ننتقل إليه .

٣ — حول كتاب (أبو نواس) للعقاد

عندما أصدر العقاد كتاب « أبو نواس » تناوله الدكتور طه حسين بالنقد فكان مما قاله أن علماء التحليل النفسى لهم مذاهبهم فى البحث يخطئون فيها ويصيبون وهم يعتمدون فى بحثهم على التجارب فتستقيم لهم حينا وتخطئهم أحيانا .

أما الأدباء فيذهبون فى ذلك مذهب التقليد والمحاكاة لا مذهب الاستكشاف والاجتهاد ، والعلم لا يجوز فيه التقليد .

أنه من العسير على الأدباء أن يجروا آراءهم هذه الأتباعية على الأحياء الذين يرون ويستطيعون أن يقولوا لهم ويسمعوا منهم ويراقبونهم عن قرب أو بعد . من العسير عليهم ذلك لأنهم لايملكون أداة هذا البحث ولا يحسنون التصرف بها أن أتيحت لهم ، فكيف بهم حين يجرون هذه الآراء على الموتى الذين بعد بهم العهد ولم يبق لنا من آرائهم إلا الأحاديث .

وقال العقاد :

أن دراسة الأديب لعلم النفس ودراسته للأدباء والشعراء على ضوء هذا العلم أمر ضرورى ، لأنه عندئذ سيتمكن من تفهم مايصدرون عنه ، مثال ذلك أن أبا نواس وحكيم المعرة والمتنبى وبشار لا يخلو أحدهم من الإعتداد بالنفس ، ولكن علم النفس يمكنك من التمييز بينهم لأنه يذكر لك أن

هناك اعتداد بالنفس يدخل فى جنون العظمة واعتدادا بالنفس يدخل فى جنون الأثر وإعتدادا يدخل فى الانحصار الذاتى، وإعتدادا يدخل فى جنون النقص والتحدى وإعتدادا مبعثه العناد ثم إعتدادا بالنفس يدخل فى جنون الإشتهاء الذاتى وهو النرجسية التى وصفنا بها أبا نواس .

٤ — طه فى رأى العقاد

طلبت مجلة الهلال فى بواية ١٩٣٥ إلى طه حسين والعقاد وأن يكتب كل منهما عن الآخر فكتب العقاد وتخلف طه .

قال العقاد : أنا ضامن أن الدكتور طه حسين سيقول أننى شاعر ، فليضمن الدكتور طه إذا أن أقول فيه أنه كاتب ناتج فى الأدب ، وخير ما أنتجه كتابه « الأيام » وكتابه فى الصيف ، وهما الكتابان اللذان سرد فيهما بعض ماجرى له فى حياته فكان فيهما مثلا فى البساطة والثقة التى تعزف بصاحبها عن التماس التأثير المصطنع بالتعمل والتمحل والطلاء والتزويق ، فالموصوف فى هذين الكتابين صادق بسيط الوصف كذلك .. أنا ضامن أن الصديق الأديب سيجد عيبا أو عيوبا فى شعرى يقيسها بمقياسه ويقدرها بمعياره فإذا ضمنت هذا فليضمن الصديق الأديب أن أعلل قلة الوصف فى كتاباته القصصية بعيب فيه وهو قلة الخيال .. فهو يصف ما يعالجه من المحسوسات ولا يتخيل ماعداه من نقائصه أو مشابهاته .

.. أما طه حسين الناقد فما أقول فيه ، أقول أنه أطلع على الأدب العربى القديم إطلاعه الواسع الذى لا جدال فيه وأطلع على نفائس من أدب الأغريق واللاتين الأقدمين ، وأطلع على أثار رهط من كبار الأدباء الأوربيين ولاسيا الفرنسيين ، كل أولئك خليق أن يحبب إليه الصحة والمتانة والقوه ، ويبغض إليه الزيف والسخف والركاكة ، فهو يختار ما يعلو على مقاييس المقلدين

المصطنعين ، ويعبذ ما يستطيعه المحدودون من أصحاب الإطلاع القليل أو أصحاب الذوق السليم .

ومن حساب الدكتور طه حسين أنه رجل جرىء العقل وقويه ، مفطور على المناجزة والتحرش، يستفيد مما يقدم بصحته ومما يعينه على التحدى والتفرد فلا يحجم عن اتخاذه ، ولهذا تغير أسلوبه الكتابى بعد دراسته الأساليب الأوربية ، فاتخذ له نمطا وافق عليه بالعربية الفصيحة وعليه بتقسيم للقاطع والفواصل فى الكلام الأوربى ، كما يتكلم من يجمع بين الحديث والكتابة . فى وقت واحد فهو يتحدث ولا ينسى أنه يكتب ، ويكتب ولا ينسى أنه يتحدث ، وأسلوبه الذى اختاره هو أوفق الأساليب لذلك جميعاً ، وأولها من نوعه فى اللغة العربية ، وليس فيه محاكاة لأسلوب آخر فى اللغات الأوربية .

ولو كانت كتابته حديثاً محضا لاسترسلت بلا توكيد ولا تكرير ، ولو كان تقريرا محضا أو درسا محضا لما انحرفت عن أسلوب الكتابة الذى لايتحدث به القائل ، ولو كانت تقريرا أو درسا على الطريقة الشرقية لما ظهرت فيها المقاطع والفواصل الأوربية ولجرت على سياق الدروس الأزهرية . ولكن كتابته حديث فيه محاضرة ومراجعة وتنظيم فلا يوافقها إلا ذلك الأسلوب الذى استقل بابتداعه طه حسين ولو غضب المنكرون .

والدكتور صحيح الأصول فى النقد ولكنه لا يوفق بين أصوله وطبيعته فى كثير من الموضوعات ، وهو حين يقرر المبدأ على صواب غالب ولكنه حين يطبق المبدأ ينحرف أحيانا عن الصواب .

التباين بين القاعدة والطبع هو الذى جعل الدكتور ينكر الجديد إذا جاء فى زى القديم .

٥ — رأى العقاد فى هامش السيرة

عندما كتب طه حسين « هامش السيرة » كان يبدأ لونا جديدا من الفن فى الأدب العربى فكيف رأى العقاد هذا اللون :

« ما أحسب إلا أن الدكتور طه حسين قد شبع من إغضاب الجامدين فهو يتصدى هنا لإغضاب المحدثين ، وما أحسب إلا إنه يكتب ليثير يستثير . فمرة تقع التوبة مع أهل الجمود ومرة أخرى تقع التوبة مع أهل التجديد .. قلت بل أنا أحسب أن الدكتور طه قد ملىء إعجابا بالنسق الهومرى فى تمثيل وقائع الأبطال وأنباء العصور فأراد أن يخرج لنا الياذة نثرية عربية ، يشترك فيها عالم الشعر البليغ وعالم التاريخ الصادق وتجرى حوادثها فى آفاق الزمن الغابر الذى لا حدود فيه بين الغيب والشهادة وأسرار الخيال والحقيقة . فنحن نفهم الإلياذة ولا نجهلها إذ ننكرها ، لأنها قد أفرغت فى ذلك القالب وانتظمت على ذلك الأسلوب ثم نحن نفهم هامش السيرة ولا نجهله أو ننكره لأنه نقل إلينا الجاهليين كما كانوا فى حياتهم وعقائدهم وأفكارهم، ولم ينقلهم إلينا كما نكون نحن لو أننا انتقلنا بزماننا إلى زمانهم. فهل أصاب الدكتور أم أخطأ ؟ وهل أحسن القصص أو لم يحسن، أما أنا فأرى أن أسلوب التعليل والتحليل لا يزاد شيئا كثيراً لو أننا جعلنا الجاهليين عصريين يعيشون فى القرن العشرين ولكن أسلوب القصص يخسر كثيراً من البساطة والتخيل لو أننا سردنا القصة معللين محللين .

٦ — رأى العقاد فى كتاب طه (مع أبى العلاء فى سجنه)[1]

كتابه حديث المرء عن محب لمن يحب . وأراه مذكرى أحاديث الأدباء عن أبنائهم الأعزاء .

---

(١) الرسالة — ٤ ديسمبر ١٩٣٩ .

وأنا ممن يحبون أبا العلاء ، وممن أطالوا قراءته فى أول عهد الشباب .

والدكتور طه لفرط حبه أبى العلاء يتهم نفسه بمحاباته فيقول « قل أنى أوثر أبا العلاء وأحابيه وأرضى منه أشياء لا أرضاها من غيره فقد لا تخطىء ولا تبعد » .

ومن المصادفات العجيبة أننى حابيت أبا العلاء على نحو قريب من هذا النحو ، ولكن لم أسمها محاباه ، بل أسها هى الإنصاف المعقول فى قياس الأقوال بالقائلين .

فكلانا إذن يسمع القول من شيخ المعرة فيعجبه ويسمع القول نفسه من غير الشيخ فلا يخطىء عنده بذلك الإعجاب ، ولكن صديقنا الدكتور يسميها محاباة ومجاملة لصديق ، وأنا أجرى فيها عن سنتى الغالبة فى كل شىء من التوفيق بين الحجة والعاطفة ، فلا أبرح بالعاطفة حتى أقنع بها عقلى ، وأثبت له أنها جديرة باقراره وترخيصة ، فيعيش العقل والعاطفة معا فى وئام وأخلص بهذا مما يقع من ملام وصدام .

ويعرض العقاد لرأى طه حسين فى إبى الطيب المتنبى استاذ المعرى وصاحبه الذى يقول فيه « انا اقدر فن المتنبى واعجب ببعض اثاره إعجابا لا حد له واعجب ببعضها الآخر إعجاباً متواضعا إن صح ان يتواضع الاعجاب وامقت سائرها مقتا شديداً ثم يقول :

الحق أننى أعجب لهذا النفور بين الدكتور وشاعرنا المعرى الكبير وما أنا ممن يستحسنون كل شعره ولا كل عمله ولكننى أزن ما زاده فى ثروة الآداب العربية ، وما زاده فى شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه ، فاعلم أن الحياة لم تفسد بفساد المتنبى وأن الأدب قد صلح بصلاح شعره .

هنا أيضا أعود إلى العاطفة والحجة وأحسبنى أقرب من الدكتور إلى وفاق الصداقة بينى وبين شيخ المعرة وأقرب إلى الإنصاف .

ويعرض العقاد لرأى طه حسين فى موقف المعرى من باريس لو رآها وإن ذلك لم يغير من تشاؤمه ويقول :

فما باله — أى الدكتور — لا يرضى أن أجعل أبا العلاء يرى في باريس ما يراه السائحون ، ويقول فيها ما يقوله أولئك السائحون ، أنا ذهبت إلى باريس بالخيال فأخذت إليها صاحبى بالخيال، والدكتور طه ذهب إلى باريس حسا وخيالا فأبى على صاحبه المزاملة وهتف به . إلى اللقاء .

ودافع العقاد من المتنبى قال : عندما أصدر طه كتابة (مع المتنبى)

انتى أقرب إلى جانب العذر وطه أقرب إلى جانب الملام ، فهو لم يتهم الرجل بخلق ليس فية ، ولكنه لم يطلب له العذر حيث تتضح معاذيره ، ولم يزل يشتد فى تقنعهده ويمعهد فى اتهامه حيث يكون الاضطرار أغلب على الرجل من الاختيار .

الفصل الخامس

بين زكي مبارك وخصومه

جرت بين زكي مبارك وكتاب عصره معارك ادبية متعددة (١) ، وهذه ثلاث نماذج من نماذج الكتابات : عباس محمود العقاد : وعبد العزيز البشرى وإبراهيم عبد القادر المازنى وطنطاوى جوهرى ، ولقد كان لزكى مبارك اراء فى الزيات سجلها فى خلال كتاباته فى مجلة الرسالة غير انه بعد أن ترك الرسالة هاجم الزيات فى اسلوبه ، وعرض لعبارته التى تقول ·

« قل لأولئك الذين زعموا ان مصر نبت عن العروبة فقطعت الأسباب الموصولة وايبست الارحام المبلولة » .

فقال مبارك : من الذى اباح لك يازيات بأن تتكلم عن الإرحام المبلولة ومن اوحى اليك ذلك . اجبنى ، ايها الرجل الذى لبس بهذه المقولة قفطانا اخضر وجبة خضراء وعدان تدد عناية السجع على المعانى واعراض قال : امن اجل سجعة تافهة تقع فى ذلك الجرم المبلول إلى اقة فى قرائك فلا ترهقيهم بالسجع ولا تقتلهم بالأزدواج.

بين زكى مبارك والعقاد

عرض زكى مبارك للعقاد فى أكثر من مناسبة على نحو فيه ذلك التهيب لقلم العقاد حتى أنه أجاب على سؤال فى هذا المجلة المكشوف (يوليه ١٩٣٩) فقال : أنا لا أنقد مؤلفات الأستاذ عباس العقاد ولا هو ينقد مؤلفاتى ، لأننا كنا تلاحينا مرة على صفحات جريدة الجهاد وأنا غير مستعد لإنصاف الأستاذ عبد العزيز البشرى لأنى سمعت أنه تألم من المناوشة التى وقعت بينى وبينه منذ سنوات وأنا أكره أن أقول كلمة خير فى الدكتور طه حسين لأنه كتب مقالا فى مجلة الرسالة فيه تهوين من شان كتاب النثر الفنى وأنا أحقد على جميع علماء الأزهر لأن فيهم جماعة أرادوا أن يثيروا الغبار حول كتاب التصوف الإسلامى ·

---

(١) أوردنا عدداً من هذه المعارك فى هذا الكتاب .

وقال : أن الناقد الصريح فى مصر يتعرض رزقه ومعاشه لضروب من الزعزعة والأضطهاد وقد يتعرض مسلكه فى الحياة إلى سفاهة القيل والقال . وفى مصر عبارة مألوفة حين تظهر مقالة نقدية : هى : ما الذى بين فلان وفلان ومعنى ذلك أن الناقد لا يتعرض لمؤلف إلا وفى صدره غرض خاص .

وهاجم زكى مبارك العقاد فى مقال له (البلاغ ٢٨ يناير ١٩٤٧) فقال : زعم الأستاذ العقاد أن (سعداً) خلع عليه لقب الكاتب الجبار والعقاد كاتب بلا جدال وشاعر من أكابر الشعراء وله فى نفسى منزلة غالية حفظه الله من جميع الأسواء ، ولكن الكاتب الذى عناه سعد باشا هو « عبد القادر حمزه » كما تشهد بذلك مذكرات كامل سليم سكرتير سعد زغلول .

رأيه فى العقاد(١)

العقاد فى الكتابة والنقد شخصان مختلفان كل الاختلاف ؛ فالعقاد الكاتب السياسى يرمى ويرمى ويظلم ويظلم فى كل وقت ، فهو من أبناء السماء عند قوم ومن أبناء الأرض عند آخرين ، أما العقاد الكاتب الأدبى فهو من الطبقة الأولى بشهادة الجمع . والعقاد الناقد لا ينحرف عن القصد إلا فى حال واحد ، حال الحكم على من يعادى من المعاصرين . أما حكمه على المفكرين الذين بعد عهدهم فى التاريخ . فهو فى غاية من العدل والسداد وقد يصل به الرفق إلى المبالغة فى إظهار المحاسن وإخفاء العيوب .

وإنحراف العقاد فى كتاباته السياسية والنقدية يشهد بأنه سليم الشخصية والكلام هنا مدلول خاص هو اكتمال الحيوية والإحساس ، فالعقاد يصادق بعنف ويعادى بعنف فأصدقائه ملائكة ولو كانوا شياطين، وأعدائه ملائكة

---

(١) الرسالة ـ ١٣ يناير ١٩٤١ .

ولو كانوا ملائكة مقربين ، وهو مستعد لخوض النار مع أصدقائه إن أوجب الوفاء أن يشاطرهم عذاب الحريق .

أما أعداؤه فهو لهم بلاء وعناء ، وهو يلقاهم فى السر والعلانية بأقبح ما يكرهون ، وقد شاع وذاع أن العقاد رجل حقود وهو كذلك ، فالحقد من كبريات الفضائل فى بعض الأحايين وقد يجزى عليه خير الجزاء يوم يقوم الحساب .

والرجولة الحق تفرض الشجاعة الحق ولا تتم الشجاعة لرجل إلا إذا جاز أن تصل به أحيانا إلى حد التهور والجنون .

ما قيمة القلم أن لم تخز بسعادته عيون المتعاقلين والمتغافلين من حين إلى حين وما حظ الأمة فى أن يوصف جميع أبنائها باللف والظرف .

رأى مبارك فى كتاب « مطالعات »

العقاد فى هذا الكتاب ناقد وكاتب، وقد خلص من الشوائب التى تعرض لها فى بعض كتاباته النقدية أو السياسية ، نجده يقول فى هامش بعض الفصول « من مقال نشر بالبلاغ » كان المقال فى الأصل يحوى فكره باقية أضيف إليها التحامل على أحد المعاصرين . وهو حين يجعل مثل هذا المقال فصلا من كتاب يحذف الجزء المشوب بالتحامل ويكتفى بالجزء الذى يصور فكره باقية من أمثلة ذلك مقاله عن « المتأنقين » وهذا الفصل أنشأه العقاد للسخرية من الأستاذ لطفى السيد ، ثم رأى أن يحذف تلك السخرية من جانبها الخاص وأن يكتفى بجانبها الأصيل وهو إحتقار التأنق فى تناول عظائم الأمور .

أما الدكتور طه حسين فقد أساء إلى نفسه وإلى تاريخه حين عجز عن تهذيب مقاله عن عنتره بن شداد فى الجزء الأول من الطبعة الثانية لكتاب

« حديث الأربعاء » فنى ذلك المقال تعريض قبيح بالأستاذ حلمى عيسى .

وما أعيبه على الدكتور طه حسين أعيبه على نفسى . فقد أثبت فى الطبعة الثانية من كتاب البدائع فصلا دمبا عن « طه حسين بين البغى والعقوق » وهو فصل عانيت من شئومه ضروبا من المقابيل ، وعرضنى لمكاره ومتاعب لم أدفع شرها إلا بنضال عنيف .

ومن أعجب العجب أن يكون عباس العقاد اقدر على ضبط النفس من زكى مبارك وطه حسين .

وقال زكى مبارك : أن عيب العقاد وعيب المازنى فى الغرام بالسجع والازدواج عيب مغفور ، لأن هذين الكاتبين لم يكونا إلا شاعرين ضاق عنهما نظام القريض ، وأن غرام المازنى بالشرح والتفصيل فيما يعرضان له من دقائق الشؤون يرجع إلى أنهما إبتدءا حياتهما الأولى باحتراف التدريس ، والتدريس يوجب التفكير فى تفهيم الأغبياء قبل التفكير فى مسامرة الأذكياء ولعل هـذا هو السبب فى اهتمام طه حسين وأحمد أمين بالطواف حول هوامش الكلمات .

رأى مبارك فى كتاب « المختار » للبشرى[1]

إنه كاتب على الطريقة البشرية ، كاتب يذكرك فى كل سطر بأنه أديب يتصيد الأوابد من مجاهيل القاموس واللسان والأساس .

الكاتب الحق الذى يشغلك بنفسك ويوجهك إلى مصيرك المنشود ويفرض عليك درس غرائزك وأهوائك .

والبشرى رجل صخاب ضجاج يدق الأجراس الضخام حين يدخل الغابة

---

(١) الرسالة ٢٠ يناير ١٩٥١ .

للصيد ،هل سمعتم بالرحا التى تطحن القرون، هى البشرى فى بعض نثره القعقاع؟ إذ يندر أن تجد فى نثر هذا الرجل صفحة خلت من التكلف .

والجزء الأول من المختار تراه محصولا من الجهد المحمود فى عرض طوايف كثيرة من صور الدنيا والناس . وأن كان قدم بروح مكدود ، ونفس مجهود لأن الكاتب لا يفصح عما بنفسه إلا بعد أن يعانى من المشقات مالا يطاق .

وقد كافح عبد العزيز البشرى فى ميدان الكتابة كتاب المستميت فلنعرف له هذا الفضل ولنذكر أنه قضى ثلاثين سنة وهو معدو من أبطال القلم فى هذه البلاد .

رأى مبارك فى إبراهيم الكاتب[1] المازنى

المازنى معنى بالسخرية من نفسه . وقد عرف المازنى معرفة أودبية لا شخصية فى أعوام الحرب الماضية . وكان قد أخرج كتابا فى نقد « حافظ إبراهيم » وكان نقد حافظ فى تلك الأيام من شواهد التفوق .

عرفت أن المازنى بروحين . وأرواح . وعرفت أن الذى كان يراسل « الأفكار » وهو فى « الأخبار » هو نفسه الذى يراسل « الأهرام » وهو فى « البلاغ » . ثم تعقبته فعرفت أن بينه وبين أنطوان الجميل صلات وإنه ينشر من الأهرام أشياء بدون إمضاء لمكانه فى البلاغ .

« الكاتب » هو الذى أضاع « المدرس » فى المازنى ، فما كاد يرى بوارق النضال السياسى حتى إندفع إليه بقسوة وعنف ومضى ينشر مقالات سياسية فى تأييد الخطة الوفدية .

وجاء الخلاف بين أمين الرافعى وسعد زغلول فاندفع المازنى فى الهجوم

---

(١) الرسالة ١٠ نوفمبر ١٩٤١ .

على الوفد وكانت مقالاته غاية فى القوة البيانية . ولكن هذا الكاتب الذى يعادى الوفد علانية فى جريدة الأخبار هو نفسه الكاتب الذى يزورالأفكار كل صباح ويقدم إليها فى تأييد الوفد أشياء ثم يثب فجأة فينتقل إلى حزب الاتحاد ويزامل الدكتور طه حسين فى تحرير جريدة الاتحاد ثم ننظر فنراه مع الأحرار الدستوريين فى صحبة الدكتور هيكل ، ونلتفت فنراه انتقل إلى البلاغ .

كان المازنى من أكابر الشعراء . ولكنه انشغل بالكتابة فى جميع الأوقات ولجميع الأحزاب ولم يجد الفرصة للغناء ومتى يخلو إلى نفسه من يعانى ضجيج المجتمع السياسى فى الصباح والمساء .

بدأ المازنى حياته النثرية بالطريقة الجاحظية وهى تقوم أساس الأزدواج وقد وفى المازنى لهذه الطريقة أصدق الوفاء فى أمد يزيد على عشر سنين . ثم جنى المازنى على نفسه بالكتابة اليومية ثم أبتدع المازنى طريقة جديدة هى كتابة أكثر مقالاته وقت أنشائها بالمكتاب .

ثم قال زكى مبارك : أن المازنى رجل جنى عليه قلمه وجنى عليه أحساسه فلم يعرف قيمة الصبر على الإنحياز إلى إحدى الجهات . فى زمن لا يعيش فيه المفكرون إلا بأسلحة من العصبيات السياسية والاجتماعية .

بين زكى مبارك وطنطاوى جوهرى [1]

كتاب (أحلام فى السياسة) للأستاذ طنطاوى جوهرى هو دعوة إلى السلام وقد أرسله إلى الملوك ورؤساء الحكومات .

قال زكى مبارك تحت عنوان : « اسمع يا أستاذ طنطاوى» أن كتابك هذا لن يغنى فتيلا فى الدعوة إلى السلام ، لأنك لم تتكلم الساسة بلغة السياسة ،

---

(١) البلاغ ٥ يوليو ١٩٣٥ .

وإنما كلمتهم بلغة الرفق فى عالم الإنسانية ودعوتهم إلى فهم الجمال ، وأغلب الظن أن كتابك إن ترجم إلى اللغات الأوروبية سيكون أضحوكة لأنه يتكلم عن كل شىء إلا الدعوة إلى السلام .

إن الدعوة إلى السلام فى العصر الحاضر لا تكون إلا عن طريق واحد هو الاقتصاد ، فإن أمكنك يا أستاذ طنطاوى أن تؤلف كتابا جديداً تبين فيه أن المنافع الاقتصادية لاتقوم إلا على السلام وأن الحروب نذير الخراب ، كان من الممكن أن تكون رسول السلام فى هذه الأيام .

أن الجمال الذى تتحدث عنه هو فى أعين الساسة حديث خرافى ولا قيمة لتلك الصور الملائكية التى تعرضها للترغيب فى السلام بين أهل الأرض .

أنت يا أستاذ طنطاوى رجل طيب .. وأكبر عيوبك أنك رجل طيب وإلا فكيف تنتظر أن يترجم كتابك بأمر ملك الإنجليز ليشعر ذلك الملك بالتبعة التى يحملها وهو يسيطر على ربع الأرض فيما قيل .

أن خصوم الإسلام أطالوا القول فى غمزه ولمزه لأنه يبيح القتال . ولوفهم أولئك لعرفوا أن إباحة القتال فى الشريعة الإسلامية هى الدليل أنها أصلح الشرائع لقيادة الحياة الإنسانية . أن السلام العام هو الأمل الباطل الذى يتحدث عنه الفارغون ، والنضال بين الأمم والأفراد والجماعات هو القانون الذى يعيش فى ظله التقدم العلمى والاجتماعى .

طنطاوى جوهرى[1]

لقد كان ينقد كتبى كثيرون فلم أكن لأعبأ بهم ، ولا أرد عليهم ضنا بوقتى ومضيت فى عملى ، فأما أنت فإن منزلتك الخاصة توجب على أن أجاذبك الحديث .

(١) البلاغ ٩ يوليو ١٩٣٥ .

ليس هذا الكتاب بأول ما سطرته فى السلام العالمى ، بل ألفت كتابا قبله بربع قرن أسميته (أين الإنسان) .. وأنا حين كتبته لم تكن فى العالم جمعية للسلام العام — فهل أنت أيها الأستاذ مشفق على من هذا الضحك .. وأى رأى شريف لم يقابل أولى الأمر بالسخرية .

أما كونى مفتونا بالكتاب فهل معنى هذا أكثر من أنى موقن بما فيه لأن سياسة الأمم مبنية على الحقائق العلمية الثابتة وأى قوة فى الأرض تستطيع أن تنتزع الآراء الثابتة بالبرهان .

أما كونى لم أتكلم بلغة السياسة فها أنذا أسمعك آراء علماء الامم فى الكتاب الأول ، وهذا الكتاب الثانى أوسع بيانا وإيضاحا وأوفى حكمة وعلما منه .

الفصل السادس

مبارك ينقد كتابه

الاخلاق عند الغزالى

لعل هذه فى هى المرة الأولى التى ينقد فيها كاتب أحد مولفاته ويعارض ماجاء فيه من آراء كان الدكتور زكى مبارك قد كتب كتابه (الأخلاق عند الغزالى) كاطروحة للدكتوراه من الجامعة المصرية عام ١٩٢٤ وحاول أن يحدث به صيحة حين عارض أراء هذا الفيلسوف الكبير وعندما نوقش فى جلسة علنية قامت ضجة بين علماء الأزهر الشريف وفى مقدمتهم الشيخ عبد المجيد اللبان . يقول زكى مبارك « وانتقلت الثورة من الجمهور إلى أساتذه الجامعة من غير لجنة الامتحان وأسر حلمى عيسى فى أذن منصور فهمى: أن الدكتور طه حسين يريد أن يوجه إلى زكى مبارك ثلاثه أسئلة ، وكانت معركة لم انتصر فيها إلا بأجوبة ثم انتقلت المعركة إلى جريدة المقطم حيث صور زكى مبارك بصورة الثائر على التقاليد الدينية ونصحة منصور فهمى وطه حسين بالسكوت عما أثاره امتحانه من جدال وعاد زكى مبارك فنقض آرائه عن الغزالى فى رسالة تقدم بها للدكتوراه للجامعة المصرية — أيضا — عام ١٩٤٧ عن الإسلامى وقد عاب زكى مبارك كتابه حين نقده بعد ثلاثة وعشرين عاما ووصفه بأنه دعوة صريحة إلى التشكيك فى أصول الأخلاق الموروثة عن القدماء وأن الغزالى لم يعن الا بالفضائل السلبية ولم يشرح الفضائل الايجابية ، وعاب المؤلف على رجال الدين أن يلسحبوا من الميدان السياسى فى الأوقات التى يعرض فيها الجهاد وأن الغزالى لم يؤد واجبه فى التحريض على مقاومة الحملات الصليبية مع أنه حجة الأسلام . وهذا هو نقده لكتابه:

شاع منذ أعوام أن كتاب (الاخلاق عند الغزالى) من تأليف الدكتور منصور فهمى وهى إشاعة تشرفنى وترفع من قدرى ، فأنا تلميذ هذا المفكر الجليل ، ولو قضيت العمر فى الثناء عليه لما وفيته بعض حقه من تعليمى وتثقيفى

ولكن كتاب (الاخلاق عند الغزالى) كتابى لا كتابه بشهادة مافيه من غطرسة واستعلاء وأستاذنا الدكتور منصور فهمى آية فى التواضع المقبول :

ألم يرفض جماعة من علماء العراق مصافحتى بحجة أنى آذيت الغزالى .

ألم يقل جماعة من علماء مصر بأنى وجهت أقوال الغزالى إلى غير ما كان يريد .

ألم يقترح الأستاذ جاد المولى بك أن ينص فى محضر الامتحان أن اللجنة غير مسئولة عما فى الكتاب من آراء .

قدم هذا الكتاب لنيل الدكتوراه فى الفلسفة من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٤ وكانت لجنة الإمتحان مؤلفة من منصور فهمى وأحمد ضيف ومحمد جاد المولى وعبد الوهاب النجار وأحمد عبده خير الدين .

ويظهر أن المؤلف كان يعانى ثورة روحية وعقلية عند تأليف هذا الكتاب فقد صاحب الغزالى فى مؤلفاته نحو خمس سنين . فأسره الغزالى على نحو مايصنع بمن يواجهون ثورة الوهاج .

ورأى المؤلف أن تأليف كتاب فى (الأخلاق عن الغزالى) لا يتيسر إلا بعد النجاة من أسر الغزالى فجمع قواه وكسر باب الأسر ليتنسم روح الحرية الفكرية وليلقى الغزالى لقاء الند للند إن كان للغزالى أنداد .

وفى مدى ثلاث سنين إستطاع ذلك الشاب أن يكتب رسالة للدكتوراه فى الفلسفة عن « الاخلاق عن الغزالى » وهى رسالة شرفت وغربت بحق أو بغير حق ، واهتم الدكتور « سنوك هوجرينه » فنشر فى الثناء عليها بحثا باللغة الهولندية كان طليعة التنويه بالمؤلف فى بيئات المستشرقين .

فى اليوم التالى نوقش فيه المؤلف بجلسة علنية فى الجامعة المصرية كان بين الحاضرين جماعة من أساتذة الأزهر الشريف على رأسهم الأستاذ الجليل

عبد المجيد اللبان شيخنا وشيخ أشياخنا وصاحب الفضل على كثير من العلماء . وقد طاب للشيخ اللبان فى ذلك اليوم ان يعترض من وقت إلى وقت بأسلوب يحرج الممتحن ويحرج لجنة الامتحان

لخص مقدم الكتاب معركة الامتحان بأسلوب صورنى فيه بصورة الثائر على التقاليد الدينية فانبرى لمجادلتى على صفحات المقطم عالمان جليلان أحدهما الشيخ أحمد مكى ، والشيخ يوسف الدجوى فلم أرد عليهما ، لأن الدكتور طه والدكتور منصور نصحانى بالسكوت عما أثار إمتحانى من جدال . وهى نصيحة سجلها الدكتور طه فى جريدة السياسة وهو ينقد كتاب مدامع العشاق فى أوائل عام ١٩٢٥ .

واستطاع كتاب الأخلاق عند الغزالى أن يقاوم هجمات الناقدين عدداً من السنين إلى أن تعرض له ناقد لا يرحم المؤلف ، وإن كان يحمل اسم المؤلف ، ففى اليوم الرابع من أبريل ١٩٣٧ وقف طالب يؤدى امتحان الدكتوراه فى جلسة علنية بالجامعة المصرية ، وكان أكبر همه أن ينقض آراء الطالب الذى وقف هذه الوقفة فى الخامس عشر من شهر مايو ١٩٢٤ فماذا صنع ، أثبت فى كتاب « التصوف الإسلامى » أنه ظلم الغزالى فى كتاب الأخلاق عند الغزالى والحكم على النفس من مظاهر القـــــدرة على مغالبة الأهواء .

وقال زكى مبارك : وهذا كتاب الفته فى أوقات كنت فيها ثائر القلب والعقل على فهم القدماء للأخلاق ، وهى ثورة لم أنج من شرها إلى اليوم ، وقد أسايرها وتسايرنى إلى آخر أيامى وكيف يهدأ من يروعه أن يرى فى رجال الدين من يعرفون خريطة الحياة الآخروية ويجهلون خريطة الحياة الدنيوية .

والواقع أن كتاب « الأخلاق عند الغزالى » لم يكن إلا دعوة صريحة إلى التشكيك فى أصول الأخلاق الموروثة عن القدماء .

يقسم المؤلف الفضائل إلى قسمين : فضائل سلبية وفضائل إيجابية ثم يقرر أن « الغزالى » وجه إهتمامه إلى الفضائل السلبية ولم يعن بشرح الفضائل الإيجابية كالشجاعة والاقدام والحرص وما إلى ذلك مما يحمل المرء على حفظ ما يملك والسعى لنيل مالا يجد ، فإنه لا يكفى أن يسلم الرجل من الآفات النفسية بل يجب أن يزود بكل مقومات الحياة ، وخير للمرء أن يوصم برزائل القوة من أن يتحلى بفضائل الضعف فإن الضعف شر كله ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

• عاب المؤلف على رجال الدين أن ينسحبوا من الميدان السياسى فى الأوقات التى يفرض فيها الجهاد فطوق الغزالى بطوق من حديد حين سجل أنه لم يؤد واجبه فى التحريض على مقاومة الحملات الصليبية ، مع أنه حجة الإسلام ومع أن صوته كان مسموعا فى أكثر الأقطار الإسلامية .

• أنكر المؤلف على الغزالى أن يتعلق بأهداب الآداب السلبية التى دعا إليها الإنجيل . ثم قال : قد رجعت عن بعض الآراء المدونة فى هذا الكتاب حين ألفت كتاب « التصوف الإسلامى » وبين الكتابين أعوام تنقل فيها عقلى من أفق إلى أفق . أما أسلوب الكتاب فيعاب عليه الحذر والتهيب ، وقد يصل إلى الرمز والإيماء لأن المؤلف كان يعانى رقابة عنيفة ، هى رقابة اللجنة المكلفة بالنظر فى صلاحيته لإمتحان الدكتوراه .

وبعد فقد راضتنى الأيام بعد الجموح وانضممت كارها إلى العصابة التى تقول بأن الرياء سيد الأخلاق .

الفصل السابع

بين العقاد وخصومه[1]

ليست معارك العقاد الفكرية مما يمكن أحصائها ، فهى متداخلة مع معاركه السياسية وخلافاته فى الرأى . ولكنها كانت على وجه العموم لاتحمل صورة الدعوة إلى التغريب ولا العمالة الفكرية لحساب الاستعمار . وإذا جاز أن نذكر المقالات التى كتبها خلال الحرب العالمية الثانية فى الهلال والصحف فان كل الكتاب قد أشتركوا فى كتابة مثلها، وكان ظاهرها الدفاع عن الديمقراطية ومقاومة الدكتاتورية النازية ، غير إننا إذا قارنا بين العقاد وبين طه حسين وسلامةموسى ومحمود عزمى وجدنا فارقا واضحا فقد هاجم العقاد الدكتاتورية والشيوعية والصهيونية ولم يدافع عن الاستعمار أن ودافع عن الديمقراطية الغربية .

يقول « نحن نعلم أنه ما من أحد من الغلاة فى التشيع للقديم يقول بأن كل قديم على علاته مفضل على كل جديد ، ولو كملت له محاسن القديم وأربى عليها بفضل محاسن الجديد، كذلك نعلم أن المتشيعين للجديد لا يقولون أن ما يكتب اليوم أجمل وأبلغ مما كتب فى العهد الذى نسميه قديما ، ولو كان هذا لشيخ من شيوخ الكتابة المعدودين وكان ذلك لناشىء من الشداة المترسمين ، أن شرط الأديب عندى أن يكون مطبوعا على القول ، أى غير مقلد فى معناه ولفظه وأن يكون صاحب هبة فى نفسه وعقله لا فى لسانه فحسب » .

وهذا نموذج من معارك العقاد مع خصومه أبان الخلاف السياسى مع حكومة صدقى والقصر .

مساعى الإبراشى فى عالم الأدب العربى[2]

مصطفى أفندى الرافعى ألف كتابا فى التشهير بالدكتور طه وألف كتابا سماه على السفود أفعمه بالطعن الفاحش فى كاتب هذه السطور ، ووقف نفسه

---

(١) الجهاد ـ ١٢ نوفمبر ١٩٣٤ .

(٢) البلاغ ـ ١٥ أبريل ١٩٤٢ .

من سنوات على السرقة من كتبي والانكار علي وعلى ما أكتب وأنظم ، ولم يتورع في سبيل ذلك عن كذب ولا بذاء ولا تشويه ولا تحريف ، فهل يعلم القراء في أي شيء كان هذا الجهاد النبيل ، سلوه عمن تعلم من أبنائه على نفقة الخاصة الملكية التي يديرها الإبراشي باشا وعما طبع من كتبه على نفقة الخاصة الملكية .

وإسماعيل أفندي مظهر صاحب مجلة العصور لم يدخر من وسعه شيئا في التشهير بي والافتراء علي وانتحال المزاعم الخاوية التي يسندها إلي ، فهل يدري القارئ ماذا كان جزاؤه على هذه الحماسة الخالصة لوجه الله .

لم ينقض على آخر مقاله كتبها في ذمي شهراً أو نحو ذلك حتى أصاب وظيفة كتابية في المجمع اللغوي يقدرونه مرتبا لها مائتين وأربعين جنيها في العام .

وهناك رجل جاهل اسمه « غلاب » ولا أدري ماذا قبل غلاب أو بعده من الاسماء والالقاب ، فهذا الرجل الجاهل قد استحق مقام التدريس في الجامعة الازهرية لأنه كان يطبع في القاهرة وريقة يسميها (النهضة الفكرية) ويملأها بالغباء والبذاء على انتقاص طه حسين وعباس العقاد .

والشيخ زكي مبارك رجع إلى الجامعة المصرية بعد فصله منها زهاء خمس سنوات لانهم استخدموه في احتفال يقابلون به احتفال الامة المصرية بالنشيد القومي الذي نظمته في مطلع هذا العام ولانهم رضوا عما كتب في غمز طه حسين وغمز العقاد من كلام معيب في بعض الكتب والمقالات .

وهناك طبيب متشاعر (يقصد الدكتور أبو شادي) سمحوا له بإصدار خمس مجلات في وقت واحد وهو موظف بإحدى المصالح الحكومية فجعل القسم الادبي من مجلاته كلها وقفا على التشهير بالعقاد وأدب العقاد وأخلاق

العقاد وإلى القراء مثل من الإسفاف الذى ينحدر إليه الطبيوب المؤتمن على الأعراض والأرواح ومثل من أدب الصحفيين الذين تغمرهم الوزارة بالرخص الكثيرة حين تضن على غير الموظفين رخصة واحدة لمجلة واحدة لأنها حريصة على الآداب والأعراض .

جاء فى إحدى مجلاته « ومن الناس من يهيم بالإباحية ويؤمن بالشيوعية فى اللذات ومن ذلك قصيدة العقاد ليلة الأربعاء يصف فيها ليلة فى دار » .

والقصيدة مع هذا منشوره فى الصفحة الثمانين من مجموعة شعرى الكبيرة وليس سرا ولا أثرا خطيا مهجورا فيجوز عليه هذا الاختلاق والإفتراء وإنما قيلت فى وصف الاسكندرية .

وليس هذا التلفيق الدنس بالذى يقع فيه الإنسان وهو جاهل بالحقيقة ، غافل عن معنى القصيدة ، وإنما يتعمده ويتعمد تشويه المعنى والتقديم والتأخير فى ترتيب الابيات ليفترع أسباب التشهير إنتزاعا من حيث لا موجب للتشهير وهو أول من يعلم إنه كاذب ملفق مخادع لقرائه ، وذلك حضيض من التبذل لا ينحدر إليه إلا المدخولون الموصومون .

الفصل الثامن

بين سلامة موسى وخصومه

كان لسلامة موسى طابعة المعروف فى الكتابة الأدبية ، مما يضعه فى مكان الكاتب التغريبى الأول . فقد كان عنيف الخصومة للغة العربية والأمة العربية والدين عامة والإسلام والشرق والقيم والمثل العليا والأمجاد التى عرفتها أمتنا وأقامت عليها كيانها .

وقد عمل منذ أن بدء يكتب عام ١٩١٣ على هدم هذه المعالم فى عنف حينا وفى رفق حينا آخر واستمر على ذلك حتى توفى فى أغسطس عام ١٩٥٨ .

وقد سار فى طليعة الدعاة إلى التجديد الذين كانوا خصومه أيضاً نهو لم يكتف بخصومة المحافظين وحدهم ، وكانت له سقطات كثيرة متعددة ومرجعها أندفاعه ويقتضينا الإنصاف أن نذكر له بجانب هذا أن له آثاراً فى الفكر العربى المعاصر ستظل مذكورة فقد كان معنيا بالدعوة إلى التطور والتحليل النفسى فضلا عن أسلوبه التلغرافى وطريقته الدقيقة الواعية فى العرض مهما قيل من أنه كان ينقل من هوامش الصحف والمجلات الغربية وأنه لم يكن كاتباً وضوعياً يتصل بالآثار الكبرى أو يحددهدفه .

وهذه ملامح من خصوماته وآراء الكتاب المحافظين والمجددين فيه .

احلام الفلاسفة لسلامة موسى : محب الدين الخطيب (١)

الكتاب موضوعه أمانى العظماء فى تكوين الإنسان وإبلاغها إلى خبيثه من المثل العليا ، وهذه الفكرة جميلة لولا ما بثه الكاتب فى كتابه من آراء ما يرتجونه كقول سلامه موسى ص ١٨ وكان أفلاطون يبحث عن شيوعية النساء فنى مثل هذا الوسط الحر نشأ أدب تربيه خلو من القيود لا يزال « يوحى إلى الكتاب والأدباء روح التفكير النزيه الحر الجرىء » وقوله : وليس فى هذا النظام ما يخالف الطبيعة البشرية كما يتوهم القارىء لأول وهلة . . فإن العائلة لا تزال موجودة بوجود الام التى هى صلة القرابه بين جميع السكان ، ثم أن

---

(١) مجلة الزهراء جزء ٣ ص ١٩٣ .

الأبناء لايعرفون لهم أبا معينا فالمقعد الشخصية والأثرة الأبوية مختفيه . ثم أن الشهوة الجنسية غير مقيدة لأن لجميع الافراد أن يتمتعوا بها بشرط أن لا يعقب نسلا » .

وكنا نستغرب من الاستاذ المؤلف شدة كراهيته للاسلام والنصرانية معا — مع أن الثانية دين آبائه — إلى أن علمنا من هذا ما أساءت به هاتان الشريعتان إلى حضرته حيث قال له « ثم كان ملوك النصارى وخلفاء المسلمين عائقا آخر يمنع التخيل والبحث عن المثل العليا للحكومات والهيئات الإجتماعية » .

ويقول « وحسبك أن تعرف أن لجزيرة العرب حرمة في نفس المصرى أكثر مما لمنفيس . وأن موسى من الانبياء المكرمون ، وأن فرعون من الظلمة الفاسقين ، ثم اذكر أن الطوبيات الدينية تغمر كل طوبى دينويه أخرى. فهذه كلها عقبات تمنعنا أن نحب مصر ، وتعترض العاطفة الوطنية فى نفوسنا، فمنذ خرج البدوى (يعنى المسلمين) من جزيرة العرب على حضارة المصريين والرومانيين والإغريق ، ووطنيه مصر شائعة فى العالم الإسلامى ومدينتها مغمورة بالبداوة العربية .»

أن تعصب الأستاذ سلامة موسى للباطل قد وصل إلى شغاف قلبه حتى صار لا يرى فظاعة عبودية أبائه المصرين للفراعنة ، بينما هو يشفق على الإنسانية من عبوديتها لله عز وجل .

١ — بين الرافعى وسلامه موسى (١)

مصطفى الرافعى يدافع عن المذهب القديم ويقول بأفضلية الاساليب العربية

(١) الهلال يناير ١٩٢٤ .

القديمة على أساليبها الراقية وهو يجيد الصنعة أيما إجادة ولكنه لا يعنى بالفن فإذا كتب اتسمت عباراته وانتظمت ألفاظه فأتى بالعجب ولكن الحقيقة (أى الجمال) لا تشغله فى نظمه أو نثره، ثم هو لا يكاد يؤمن بالعلم بل لا تجد له أثراً فى جميع كتاباته والقطعة التى انتخبناها منه تشهد بذلك ويمتاز شعر الرافعى بقوة الطبيعة وحسن النظم ولكن خياله مع ذلك عربى تقليدى تعرف ذلك من تشبيهه صفحة البدر بصفحة الامرد وضوء الفجر برونق الصارم، هذا إلى خلوه من مثل أعلى يتوخاه .

أن أهل المذهب القديم يهملون العلم لان العلوم تتعارض ومعتقدات العرب .

رد الرافعى (١)

أرادوا بالمذاهب الجديد أن يكتب الكاتب فى العربية ينصرف إلى المعنى والغرض تاركا للغة وشأنها، متعسفا فيها أخذاً ما يتفق كا يتفق، ما يجرى على قلمه كا يجرى تعبيراً ذلك الممتاز من يرى أن غلاف من عظام رأسه وأن عظام رأسه كعظام رجله .

وأن اللغة اداة ولا باس بالاداة ما انفق منها والواقع أن هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم وقد أجمع الاولون والآخرون على إعجازه بفصاحته ألا من لا حفل به من زيدنق يتجاهل أو جاهل يتزندق.

٣ — رأى طه حسين فى سلامة موسى

أن الاستاذ سلامة موسى ليس من أصحاب الالوان السياسية الظاهرة، قد يكون حراً دستوريا وقد يكون وطنيا، بل قد يكون اتحاديا،

---

(١) الهلال فبراير ١٩٤٢ .

ولكنه على كل حال لايعلن رأيه السياسى أو لا يتكلف اعلانه ولا يتخذ لنفسه لونا .

وهو من أنصار الجديد . وهو يعلم إنى أرى رأيه وأشاركه فيه دون تحفظ ولا احتياط ، ولكن نصره للجديد قد اضطره إلى شىء من الإسراف . كنت أحب وماأزلت أحب – ألا يتورط فية الباحثون المنصفون . وهو مسرف فى ازدراء الأدب العربى القديم والغض منه ، وقد أنهم ألا يكون هذا الأدب القديم كما هو – ملائما كله لذوقنا الحديث أو كافيا لحاجات أنفسنا . ولكن القدماء لم يضعوا أدبهم لنا وإنما وضعوه لأنفسهم . وليس من شك فى أن هذا الادب القديم كان يلائم أذواق القدماء وحاجات نفوسهم ، فإذا لم يلائم أذواقنا وأهوائنا فلنبتغ غيره لا أكثر ولا أقل ، وهو مسرف أيضا حين يقول أن الادباء المصريين لم يكن لهم شأن فى حركة الاستقلال ، لم يقودوا الامة فى هذه الحركة ، وإنما قادتهم الامة بل قادهم الرعاع إلى الاستقلال . وقد يكون هذا حقاً بالقياس إلى هؤلاء الشعراء الذين تبعوا الجمهور ولم يقبلهم .

رد سلامه موسى

لقد اتهمنى الدكتور طه حسين بالشعوبية أو كاد . وكأنه نسى كفاحى لاجل الشعب ضد فاروق الفاسد، هذا الفاروق الذى وقف الدكتور طة حسين نفسه فى حرم الجامعة ومن منبرها يخاطبه بالصوت العالى بقوله : «صاحب مصر» .

واتهمنى عباس العقاد بأنى لست عربياً . مع إنه هو وهو التركى القوبى وصف فاروق بأنه فيلسوف من أعظم الفلاسفة .

أن أدب الملوك والأمراء والباشوات هو الذى يدعو إليه طه حسين .

٤ – من سلامه إلى توفيق الحكيم

أحب أن أسأل توفيق الحكيم : ماهى رسالتك الأدبية فى مصر وهل تستطيع أن تفهم هذه الرسالة مثلا من (أهل الكهف) وأحب ان اسأل عباس محمود العقاد : لقد ألفت نحو خمسين أو سعين كتابا فما هى رسالتك الإنسانية فيها . وأحب ان اسأل طه حسين مثل هذا السؤال .

لقد عشنا فى مجتمع مصرى لابسته ظروف سياسية استعمارته واستبدادية والكاتب الذى وقف بعيدا لايكتب عن هذه الظروف لمصالح الشعب أو الذى كتب فى مدح المستبدين والمستبدين والمستعمرين لايمكن أن يوصف بأنه كان أمينا للانسانية والمجتمع .

وعرض سلامة موسى لخصومه فى كتابه « الأدب والشعب »[1] فرددما أتهمه به توفيق الحكيم من أنه متخلف الفكر وأن طه حسين يرى أن جريمة شوقى فى نظر سلامة موسى فى هذه القصائد التى تغنيها أم كلثوم أى قصائد شوقى فى مدح الرسول .

وقال كامل الشناوى:أن سلامه موسى حاقد موهوب وهو يحقد على الأموات أكثر مما يحقد على الأحياء وحقده على الضعيف أشد من حقده على القوى .

٥ — سلامه موسى فى رأى العقاد

كل ما يهدف إليه سلامه موسى من حملاته على الأدب العربى هو تشويه للأدب العربى عامة ورميه بالقصور والجهل وانحلال مجتمعه .

والذنب الأكبر للادب العربى عند سلامه موسى هو أن هذا الأدب عربى وسلامه موسى ليس بعربى .

---

(١) ص ٢٥٠ .

والواقع أنه (أى سلامه موسى) ليس أديبا وعالما ولكنه قارىء لبعض العلم وبعض الأدب فى بعض الأوقات ومايفهمه أنفه مما لا يفهمه

٦ — رأى سلامة موسى فى طه حسين والمازنى والعقاد

أدب للملوك والأمراء والباشوات هو هذا الأدب الذى يدعو إليه الدكتور طه حسين . ومن أحسن ما اقترحه الدكتور طه حسين قبل نحو عشرين عاما إننا يجب أن تنقل إلى لغتنا ترجمة أدبية لآحد الكتاب الأوروبيين .

إنه لولا إنغماس العقاد وطه حسين فى الأدب العربى القديم لما خاطب طه حسين الفاروق بكلمة « ياصاحب مصر » ولما وصفة العقاد بأنه فيلسوف ذلك لان الأدب العربى القديم هو إلى حد بعيد أدب الملوك .

أن تاريخ أدبائنا فى مصر هو مأساة إنسانية قبل أن يكون مأساة أدبية، ولست أذكر شوقى الذى طعن فى وطنية عرابى و نظم الأشعار فى سبه ومحمد حسين هيكل الذى أيد عدلى فى تحطيم وحدة الامة . ثم بعد ذلك أيد زيور الذى جمع البرلمان فى الظهر ثم حله مساء اليوم نفسه وطرد الأعضاء ثم ايد محمد محمود فى تعطيل البرلمان ثلاث سنوات تقبل التجديد .

واديب آخر هو إبراهيم عبد القادر المازنى فقد أشترك مع الدكتور طه حسين فى تحرير جريدة يومية تخدم زيور فى مكافحة الشعب . (هى جريدة الاتحاد)

وكان طه حسين والمازنى القلمين الفصيحين فى الدعوة إلى هذا التحطيم ووجد فاروق الدكتور طه حسن الذى خاطبه أمام الطلبة « يا صاحب مصر » ووجد عباس محمود العقاد الذى يقول فيه « إننى لم اسعد من قبل بفرصة كهذه الفرصة الواسعة لاستجلاء طلعة المليك عن كثب والأصغاء إلى جلالته على

على إنفراده في جو لا مثيل له بين اجواء اللقاء والحديث لان جو الملك والديمقراطية ممثلين في شخصية الكريم أجمل تمثيل . لقد سمعت في هذا الحديث الواحد كلام فيلسوف . وكلام وطني غيور وكلام محدث ظريف .. وطاف بخاطري الايمان وذكر الوطن »

قال توفيق الحكيم : ان سلامه موسى يتحدى للحكم على قضايا لا يملك أسباب التصدى لها ويخيل إلى إنه قد انقطع القراءه منذ ربع جيل على الأقل فانى كلما قرأت له لمحت أثر تفكير القرن التاسع عشر فى إتجاهات تفكيره والتفاتات ذهنه . إنه لازال يتهم فلسفته ـ أن كانت له فلسفة ـ على الاعتراف بالمادة وإنكار الروح وقال أن ما قرأته لسلامه موسى منذ ثلاثين عاما لا يختلف عما أقرؤه له اليوم نزعة واسلوبا وإتجاها حاداً إلى أنكار كل شيء والاستخفاف بكل شيء .

وقال العقاد : ان كل ما يهدف إلى سلامه موسى بين حملاته على الأدب العربى هو تشويه للادب العربى عامة ورميه بالقصور والجهل وانحلال مجتمعه .

الفصل التاسع

بين المازنى وخصومه

لم تكن للمازنى خصومات واضحه ، ولعل أكبر معاركه الأدبية كانت مع طه حسين (١) ولعل الخلاف السياسى كان مصدراً من مصادرها ، أو سببا من أسبابها ، ومعركته مع عبد الرحمن شكرى تدل على قدرته على ضبط النفس والرجوع إلى الحق ، ولقد ظل على رأيه فى أن مدرسة (شكرى . العقاد . المازنى) كانت هى مطالع النهضه الفكرية الحقيقةوليست مدرسة (طه حسين — هيكل) فى جريدة السياسة. وفى ذلك يقول موجها قوله إلى الدكتور طه حسين :

« أستأذن صديقى الدكتور طه حسين فى أن أقول من غير غمط لأحد أو انكار لفضل أحد أن أدب العقاد وشكرى واخوانهما هو عندى مظهر النشوء الطبيعى للأدب المصرى ، وهو لهذا تيار رئيسى فى رأيى الحركة الادب عهدنا تسايره تيارات أخرى يتعذر الحكم عليها الان لانها صاخبة لم تستقر، فيما عدا هيكل بك فقد اهتدى إلى طريقة وأخذ سمته فيه إلى غايته أما تيار العقاد وشكرى وإخوانهما فقد أخذ الطريق منذ اللحظة الاولى ولا يزال ماضيا فيه على سنته فى هدوء وصراحة وإيمان واطمئنان .

ولا أنكر أنى من هذه المدرسة بحكم مزاجى وتربيتى واطلاعى ولعله من سوء حظها أنى معدود من رجالها . »

وقد منى المازنى بالكتابة فى نقد الكتب ثم أنصرف عنها مغضبا بعد أن أحسن بعجز المثقفين من تقبل النقد، فقد رأى أنهم يريدون منه أن يكتب مدحا خالصا تحت ستار النقد وقد عدد الأضرار التى وقعت له من جزاء بعض كلماته الصريحة من بعض الكتاب وبعض الشعراء ، ولذلك فقد قرر أن يعدل نهائيا عن نقد الكتب حتى لا يقرأ منها مالا يريد وحتى يقتنى منها مايحب فقط وحتى يريح (دماغه) من آلام هو فى غنى عنها وقد حدث هذا بعد مناقشته لكتاب « النثر الفنى » للدكتور زكى مبارك ويقول فى مقاله عن هجر النقد :

---

(١) أقرأ هذه المعركة فى هذا الكتاب .

المازنى والنقد (١)

أقول أنى صرت اعتقد أن هذا النقد هدم وتخريب وقلة حيلة وضيعة وافلاس وما رأيت أحداً زاد علما بالقديم أو نهما له من أجل أن النقاد تناولوه بفلسفتهم وما ضر لو تركنا الناس يقدرون هذا القديم بعقولهم التى خلقها الله لهم ويقدرونه على قدر فهمهم وإدراكهم له .

من أجل هذا آليت إلا أتناول شيئا بنقد - لا جديدا أو قديما - فمن كان له كتاب وكان يشتهى أن يكتب عن الكتاب فليضن به على كفاقد وليحتقب شكرى له كعادتى .

تهمة السرقة

ولعل أبرز الاتهامات التى وجهت إلى المازنى اتهامه بالسرقة فى الشعر وفى القصة . فقد هاجمه عبد الرحمن شكرى بأنه يترجم شعر بعض الشعراء الانجليز وينقله إلى قصائده دون الإشارة إليه (٢) ، كما وجهت إليه الاتهامات بأنه ترجم قصة (ابن الطبيعة) وأنه نقل فصولا كاملة منها فى قصته الاولى (ابراهيم الكاتب) .

وقد حفلت أعداد مجلة (النهضة الفكرية) التى أصدرها الدكتور محمد غلاب سنة ١٩٣٢ بمقالات متعددة تحت عنوان « سرقات المازنى » وقد رد المازنى على هذه الإتهامات فقال :

فى سنة ١٩٢٦ شرعت أكتب فى قصة ابراهيم الكاتب وانتهيت منها ولم أرض عنها فألقيتها فى درج حتى كانت سنة ١٩٣٠ فخطر لى أن أنشرها فدفعت بها إلى المطبعة فاتفق بعد أن طبعت نحو نصفها أن ضاعت بعض

---

(١) ٢٩ سبتمبر ١٩٣٤ - البلاغ .

(٢) اقرأ نص المركة فى معارك الشعر فى هذا الكتاب .

الاصول وكنت لطول العهد قد نسيت موضوعها وأسماء أشخاصها فحرت ماذا أصنع . ثم لم أر بداً من المضى فى الطبع فسددت النقص ووجهت الرواية فيما بقى منها توجيها جديداً ونشرت الرواية .

وبعد شهور تلقيت نسخة من مجلة الحديث التى تصدر فى حلب وإذا فيها فصل يقول فيه كاتبه إنى سرقت فصلا من رواية « ابن الطبيعة » فدهشت ولى العذر وأذكروا أنى أنا مترجم ابن الطبيعة وناقلها إلى العربية وأن ٤ آلاف نسخة نشرت منها فى العالم . وانى أكون أحمق الحمقى إذا سرقت من هذه الرواية على الخصوص فبحثت عن ابن الطبيعة وراجعتها وإذا بالتهمة صحيحة لاشك فى ذلك بل هى أصح مما قاله الناقد الفاضل .

وقد اتضح لى أن أربع أو خمس صفحات منقولة بالحرف الواحد من ابن الطبيعة فى روايتى « ابراهيم الكاتب » أربع أو خمس صفحات سال بها القلم وأنا أحسب أن هذا كلامى ، حرف العطف هنا هو حرفه هناك . أول السطر فى إحدى الروايتين هو أوله فى الرواية الأخرى لااختلاف على الاطلاق فى واو أوفاء . أو اسم أشارة أو ضمير مذكر أو مؤنث ، ومن الذى يصدقنى إذا قلت أن رواية ابن الطبيعة لم تكن أمامى ولا فى بيتى وأنا أكتب روايتى . من الذى يمكن أن يصدقنى وأنا أؤكد له أنى لم أر رواية ابن الطبيعة منذ فرغت من ترجمتها وانى لو كنت أريد اقتباس شىء من معانيها أو مواقفها لما عجزت عن صب ذلك فى عبارات أخرى ! لهذا سكت ولم أقل شيئاً . والواقع أن صفحات أربعا أو خمسا من رواية ابن الطبيعة علقت بذاكرتى — وأنا لا أدرى — لعمق الأثر الذى تركته هذه الرواية فى نفسى فجرى بها القلم وأنا أحسبها لى .

---

* اقرأ الفصل كلا (السرنات الأدبية) فى الرسالة ٢ أغسطس سنة ١٩٣٧ .

حدث ذلك على الرغم من السرعة التى قرأت بها الرواية والسرعة التى ترجمتها بها أيضا ومن شاء أن يصدق فليصدق ومن شاء أن يحسبنى مجنونا فإن له ذلك .

ولست أروى هذه الحادثة لا دافع عن نفسى فما يهمنى هذا ، وإنما أرويها على أنها مثال لما يمكن أن تؤدى إليه معابثة الذاكرة للانسان .

الفصل العاشر

معارك أدبية

بين الدكتورين هيكل وطه حسين

تاريخ طويل من العمل السياسى والفكرى بين هيكل وطه ـ فقد عملا معا فى حزب الأحرار الدستوريين وجريدة السياسة منذ صدورها عام ١٩٢٢ حتى أنفصلا عام ١٩٣٣ عندما ترك طه حزب الأحرار وانضم للوفد وبدأ يكتب فى جريدة « الكوكب » ثم استمرت الصلة بالرغم من أختلاف طه حسين مع الوفد وهيكل مع الأحرار حتى كانت ١٩٤٦ حينما عاد الأحرار إلى الحكم مع السعديين، وما وقع لطه حسين من أزمة أضطرته للسفر إلى أوربا وأن يبقى هناك فترة وأن يوجه من هناك عديد من الرسائل إلى خصوم اليوم وأصدقاء الأمس ومنهم الدكتور هيكل ثم عودة طه حسين بعد ذلك وبقاء الخصومة بينهما، ثم ما كان من تولى طه حسين منصب وزير المعارف فى عهد حكومة الوفد عام ١٩٥٠ ثم زوال الخصومة بعد الثورة وكتب طه حسين مقدمة قصة هيكل الأخيرة « هكذا خلقت » قبيل وفاة هيكل والواقع أن طه وهيكل كانا فى السياسة كفرسى رهان، يتقارضان الثناء والنقد فى كل مناسبة، ولكنهما عندما اختلفا لم يختلفا إلا فى أمر جد خطير، كان ذلك حين تحول هيكل من الإعجاب بالحضارة الغربية إلى النقمة عليها ومقاومة حركة التغريب ومهاجمة المستشرقين والمبشرين الذين غضوا من تراثنا وكياناتنا، وكانت كتاباته عن محمد والإمبراطورية الإسلامية مقدمة هذا التحول، وهذه نماذج من المعارك الأدبية بين هيكل وطه حول كتاب هيكل « جان جاك روسو » و « ثورة الأدب » ثم صورة من خطابات طه المجهولة إلى هيكل ابان الأزمة

١ — جان جاك روسو : نقد طه حسين

« يجب أن يكون هيكل شديد الالتواء على النقاد . مسرف فى ازدراء القراء غاليا فى الاقتناع بأنه وحده موفق للخير حين يفكر وحين يعمل . فقد أذكر إنى تناولت الجزء الأول من كتابه حين ظهر فى سنة ١٩٢١ فقرأته بعد مشقة وكنت انتظر الجزء الثانى من كتابه لأثنى ثناء خالصا من كل عيب، ولكنى اعترف بأنى أحسست شيئا كثيرا مما يسمونه خيبة الأمل حين انتهى إلى هذا الكتاب ذلك إنى رأيت صاحبى هذه المرة كما رأيته فى هذه

للمرة الماضية مزدريا لقراؤه لنقادة . ولا يحفل بأولئك ولا بهؤلاء . وما أحسب ألا أن هذا الازدراء خلق من أخلاقه ليس إلى اصلاحه من سبيل .

ثم لم يقف أمر هذا الكتاب عند سوء الطبع وقبح الورق . فما رأيك فى كتاب يبحث فيه عن فهرست فلا تجد ! وما رأيك فى كتاب لاتستطيع أن تلم بما فيه إلا إذا قرأته من أوله إلى اخره !

ثم لم يقف الأمر فى هذا الكتاب عن هذا الحد . فهيكل لم يكتف بإهمال الطبع والورق . ولا بإهمال الفهرست ولا باهمال التقسيم والترتيب ، بل أضاف إلى هذه الضروب من الإهمال ضربا آخر ليس أقل قبحا عندى . وقد يكون أشد منها قبحا عند غيرى من الأدباء والنقاد ، ذلك هو إهمال الانه .

لقد أعطيت نفسى من الحرية فى نقد هذا الكتاب أكثر مما ينبغى لها فيما يظهر ، وما رأيك فى محرر السياسة الأدبى يتناول بهذا النقد العنيف ، رئيس تحرير السياسة ثم لا يستحى أن ينشر هذا النقد العنيف فى جريدة السياسة نفسها ! (١)

أليس هذا إسراف أو شيئا فوق الإسراف ! كلا ليس إسرافا ، وإنما هو القصد كل القصد والاعتدال كل الاعتدال فهيكل تلميذ لطفى السيد ، ولقد أذكر أن لطفى السيد علمنا حين كان مدير «الجريدة» أن ننقد أصحاب الصحف فى صحفهم ، وعودنا أن ينشر نقدنا راضيا به مبتهجا له معتذراً إن كان فى الأمر ما يدعو إلى الاعتذار ، ولو علمت أن فى هذا النقد ما يغضب صاحبى أو يغيظه لما نشرته لا فى السياسة ولا فى غير السياسة . استغفر الله .

---

(١) نشر هذا النقد فى أثناء غياب هيكل فى أوربا .

بل لو علمت أن فى هذا النقد مايغضب صاحبى أو يغيظه لنشرته ولضحيت بصحبة هيكل فى سبيل ما أعتقد إنه حق .

وليس معنى هذا إنى لن ألقى من رئيس تحرير السياسة شططا ولا عنتا، فأنا أعلم ماينتظرنى منه بعد أن يعود من سفره . ولكنى أعلم أننا سنتحاور ونختصم ، ثم نتضاحك ونفترق .

رد هيكل على طه

أود أن اسألك عما إذا كان القارىء البعيد عنى وعن روسو يشعر بمثل شعورى بعد أن يفرغ من قراءتك ، وقد عرف أن الكتاب مطبوع طبعاسيئا على ورق ردىء ... وأنه على ذلك كتاب دسم مفيد ، ولكن سوء طبعه يصدعن قراءته ، فما الذى يمكن أن يقف عليه من أمر الكتاب . ألا تظن أنه يشعر بأنك لم تقرأ الكتاب بل اكتفيت بتقليب صفحاته . واقتصرت بعد ذلك على الكتابة عن الشكل والصورة الظاهرة من غير أن تكاف نفسك عناءالوقوف على موضوع الكتاب لترى أن كان على سوء شكله يستحق احتمال القراء عناء مطالعته ولتنذر مباحث الكتاب فتحكم له أو عليه

وهب أن قارئك كان من الذين يولعون باستقصاء ما فى الكتب مهما يحملهم هذا الاستقصاء من عناء وهب أنه كان من الذين لايحفلون بالظواهر ولايعنون كثيرا باللباس ولايفهمون قيم الناس بارديتهم ويحسبون التأنق لهوا ، فماذ يكون حكم هذا القارىء على ما كتبت حين يراك اقتصرت على نقد الطبع والورق .

أما نقدك له غياب الفهرس والتبويب فكنت أود أن اشاركك رأيك

فهو لولا أن الجزء الثانى من كتاب جان جاك فى غير حاجه إلى فهرس أو تبويب . فهو يلخص رواية هلويز الجديدة وكتاب التربية وينقدها . وليس فيه شيء آخر .. وهل تحسب أن الفارق كبير فى نظم العلم والأدب إلى حد لا يصبح معه نقدك مشوبا بشيء غير قليل من الإسراف الذى ذكرت انك لا ترضاه .

كنت أرجو أن لا يقف نقدك عند الغضب لى منى، وإظهار هذا الغضب فى ثورة صريحة ، وكنت أود أن تتناول موضوع الكتاب وان تبين لقارئك فى شيء من التفصيل ما تراه من وجوه حسنه وقبحه، وكماله ونقصه وما احسبك حين تعرض لهذا النقد مضيعاً وقتك سدى .

٢ — ثورة الأدب لهيكل : نقد طه حسين

هل أنا فى حاجة إلى أن أصف هيكلا وأحمد قلبه الزكى وعقله القوى وبصيرته النافذة وفهمه الصحيح لحقائق الحياة . فهيكل صاحب صحفية يشرف عليها ويدير أمورها ويكتب فيها فصلا فى كل يوم على أقل تقدير. وهو عضو فى حزب سياسى يشارك زملائه فيما يعملون ويتحدث إليهم كل يوم فى السياسة إذا كان الصباح فإذا كان المساء وهو أديب يقرأ فيكثر فى القراءة وينوعها فيحسن تنويعها ، يقرأ فى الأدب الانجليزى ويقرأ فى الأدب الفرنسى . ويقرأ فى السياسة ويقرأ فى التاريخ ، والغريب إنه لا يكره أن يقرأ فى علوم القانون وهو على هذا كله يكتب فى الأدب فى موضوعات مختلفة منه ، يكتب فى الأدب الإنشائى فإذا هو يصف فيبدع فى الوصف ، وإذا هو يقص فيجيد القصص ويكتب فى الأدب الوصفى فإذا هو ينقد الشعر وينقد النثر . ويوفق فى هذا النقد إلى خير ما يطمع

فيه الناقدون. وهو على ذلك كله أب وزوج لا يبخل على أسرته بحقها عليه، وهو صديق لا يبخل على أصدقائه بحقوقهم عليه، وهو رجل له مكانته الظاهرة فى حياتنا الاجتماعية والسياسية وهو ينهض بما تستتبعه هذه المكانة من حقوق وواجبات، والغريب مع هذا كله انك تلقاه فإذا رجل هادىء مطمئن كأنه أفاق منذ حين قصير من نوم مريح فهو لم ينشط كل النشاط بعد ولكنه بعيد عن الجمود والفتور ولا تكاد تتحدث إليه دقائق حتى يفتنك وتروعك فكأنك تتحدث إلى جنى ولكنه جنى عذب الروح لذيذ الحديث.

لم أجد فى الكتاب شيئاً جديدا وأرجو ألا يغضب هيكل فالكتاب كله جديد ولكنى أعرفه لا لأنى قرأت كثيرا من فصوله، بل لأنى قرأته وسأقرأه كله فى هيكل كلما لقيته أو تحدثت إليه، وأظلم هيكل، وأظلم نفسى أن قلت إنى راض على كتابه كل الرضا فهيكل من أصحاب المعانى بين الكتاب وإنه يهمل لغته إهمالا شديدا ويتورط فى ألوان من الخطأ واضطراب الأسلوب، يدفعه أحيانا من الابتذال، والغريب أنه لا يضيق بذلك ولا يجد به بأساً ولا يعترف بأنه يسىء إلى نفسه وإلى أدبه معا

رد هيكل

ويأخذ هيكل فى عرض موجز للكلمات التى سبق أن كتبها طه مثنيا على أسلوبه وأدبه من قبل عندما صدر فى أوقات الفراغ ١٩٢٦ حيث تقول «كذلك كنت منذ عشرين سنة أو نحو ذلك حين كنت تكتب فى الجريدة وكذلك أنت الآن .. وأن يكن قد جد شىء فهو فهك ازددت فيما أنت فيه من القوة ثباتا ورسوخ قدم، وانك استطعت أن تملك اللغة العربية وتسخرها لأغراضك وقد كانت تستعصى عليك وتلتهى

بك أحيانا إلى ما يسكره سيبويه والخليل وصديقك طه حسين . وانت تذكر ما كان بيني وبينك من جدال متصل فى هذا الموضوع . فقد كنت اتهمك بقلة البلاغة فى اللغة العربية وكنت تجيبنى بأنى أزهرى . وكان استاذنا الملى السيد يسخر منك ومنى فى رفق وحنان . وقد مضيت أيام وأعوام ، ومازالت أنا أزهريا كا كنت أما أنت فقد اتقنت اللغة العربية إتقانا » (١)

من هيكل إلى طه

هذا البحث يشعرنى بمالك من أثر فى مجهودى وانتاجى يجعلك صاحب فضل فيه كبير ، ولست اخفيك إنى مدين فى حياتى ككاتب لأشخاص كثيرين شجعونى وآذرونى وعاونونى بوحيهم ونقدهم وبحسن توجيههم إياى وأنى ما أزال بحاجة إلى هذه المؤاذره وإلى هذا الوحى

ولست اخفيك أن فصلك عن (ثورة الأدب) قد أثار منى ابتسامات دهشة وخجل متصلين ، فقد رأيتك تصورنى فيه بصورة لا أعرفها لنفسى ؛ صورة جلى لاينقطع انتاجه وأب لايبخل على أسرته بحقها عليه . . وصديق لايضن على اصدقائه بحقوقهم عليه ، فلست اعرف لنفسى من هذا كله شيئا ، إنما انا مقصر فى حقوق اصدقائى أكثر من مقصر فى حق اسرتى .

ثم ماذا ترانى يا صديقى أنتجت ، دعك من فصول يومية تكتب فى الصحف أنت اعرف الناس بتفاهة ماينفق من مجهود فى هذه الفصول ، ودعك من العمل فى حزب سياسى فأنت أدرى بالسياسة المصرية . ما هى

---

(١) السياسة ١٧ يونية ١٩٢٣ .

وما مبلغ الجهد فيها ، دعك من هذين وانظر وإياى فيما انتجت . أنه لاشيء ،اولا لا يكاد يكون شيئا فأنا رجل بينى وبين الخامسة والأربعين شهور ، وهذا أنا . .

وما أدرى ياصديقى ما عساى اقول لك فيما كتبت عن (ثورة الأدب) لقد أثار دهشتى وأثار خجلى فما كنت احسبه ينال منك كل هذا التقدير وما كنت أحسبه جديراً به .

ولعلك أنت شعرت بهذا وخشيت أن يتهمك الناس بالإسراف فى فى الثناء على صديقك إسرافا يصرفهم عن حسن الاستماع له ، فاردت أن تحصى عليه وعلى كتابه بعض هنات تحملهم أدنى ألا الايمان بعدالة ثنائك وانت على حق فيما احصيت من بعض الهنات وإن كنت قد أسرفت فى بعضها فقد ذكرت أن هيكلا من أصحاب المعانى بين الكتاب وأنه يهمل لغته إهمالا شديدا . .

والحق ياصديقى انى لا أضيق بأسلوبى ولا أجد به بأسا ولعلك ياصديقى على حق بل انك لعلى حق ، فليكن أسلوبى مايكون فلن أرضى به بديلا ، فأسلوب الكاتب هو الكاتب وان أرضى لنفسى أن أكون الا أنا بما فى من حسن وقبح ، ومن خير وشر ، ومن عرف ونكر ، والحمد لله الذى لم يجعلنى شرا مما أنا .

ومالى اضيق باسلوبى ولم اتخذ الأدب يوما صناعة ، ولا اناتوفرت على دراسة الأدب ، إنما انا رجل درس القانون والاقتصاد والسياسة ومال إلى قراءة الفلسفة والأدب لا إلى دراستهما دراسة انقطاع وتمحيص ، وطبيعى

أن يكون أسلوبى اسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون أن تؤدى المعانى بالفاظ لاتزيد عليها ولاتضيق بها.

والذين لايعنيهم لذلك بهرجة اللفظ وقد زادنى حرصاعلى هذا الأسلوب انى رأيت مثله موضع الاطراء من طائفة كبار الكتاب والفلاسفة .

ولعل ميل العالم الحاضر إلى السرعة فى كل شىء هو الذى عفى على الاطاله ، فمل الاستماع إلى الأشخاص الذين يعجبون بالاستماع . لعل هذا الميل إلى السرعة هو الذى مال حتى بالأدب إلى أسلوب القانون وهو الذى جعل الذين درسوا القانون فى فرنسا وفى مصر وفى كل أمة من الأمم يجددون فى الأساليب كما يجدد فيها الذين توفروا على دراسة الأدب أو أكثر مما يجدد فيها هؤلاء فى بعض الأحايين ولكنى أعترف ياصديقى بأنك على حق حين آخذتنى بأننى أسرع فيفوتنى لذلك التحقق من بعض الشؤون وانك وقعت على هنة ما كان أن اقع فيها حين أردت أن أذكر الاوديسا فذكرت الالياذ .

من طه إلى هيكل

فاخجل ياصديقى ما وسعك الخجل وادهش ماوسعك الدهش واغضب ياصديقى ما استطعت احتمال الغضب ، فأنت كاتب بارع واديب فذ كثير الإنتاج كانك الجنى . فيك اسراع إلى الحكم وفتور عن البحث ورغبة عن الاستقصاء تضطرك أحيانا إلى الخطأ وتصرفك أحيانا عن الحق ، وفى اسلوبك الرائع البارع وبيانك الفائق الرائق شىء من الضعف يقربه احيانا ألا ابتذال ، ويخيل إلى أن هذه الملاحظة وحدها هى التى آلمتك ، فأذن لى فى أن أصر عليها والح فيها ، وإذن لى فى أن أصر أيضا على كل رأى

فيك لا أغير منه حرفا ولا انقص منه شيئا فأنت تجيد حتى تصل إلى الابداع وتضعف حتى تشرف على الإبتذال ، ولك أن تلومنى ماشئت لأنى لم اهدك إلى مواطن الضعف فى اسلوبك فقد يئست من هدايتك لأنك كما يقول محب لأسلوبك كما هو مشغوف به على علاته لا تريد أن تغيره ولا أن تصلح مواضع النقص فية ...

رساله إلى ...

خطاب مجهول من طه إلى هيكل بعد الخلاف والقطيعة

لست أدرى كيف ادعوك ! فقد كنت فيما مضى من الأيام لادعوك بالأخ العزيز والصديق الكريم . وأنا أخشى أن أسوءك وأن أسوء الحق أن دعوتك بهاتين الصفتين . إحداهما أو كلتيهما .

نعم ؛ لست أدرى كيف أدعوك . فلست اريد أن اسوءك ولست اريد أن اسوء الحق ، فالحق يعلم انك كنت لى أخا عزيزا وصديقا كريما ثم انمحت الاخاء انمحاء ومحوت الصداقة محوا .

وكنت أحبك أشد الحب واوثرك على الناس جميعا ولوثرك على نفسى قبل أن اوثرك على الناس . وكنت تحبنى أشد الحب ، وتؤثرنى على الناس جميعا ، وكان كل واحد منا حريصا من أجل ذلك على أن يعرف من أمر صاحبه كل شيء .

انك لتفهم على وأن لم أدعك وانى لاوجه اليك القول وأن لم تسمع دعائى ، فأنت رجل تتحدث عنه الصحف فتكثر الحديث . وتروى أنباءه فتحسن رواية الأنباء ، لا أعرف من امرك الا ما يعرفه كل قارىء للصحف ، ولا القاك إلا حين تفرض علينا ظروف الحياة أن نلتقى فى هذا الحفل أو ذاك .

وقد يقبل أحدنا على الآخر مكرها فيهدى إليه تحية فاترة ملؤها الاستحياء أو الاستخذاء وفيها كثير من التعجل .

ستقرأ هذا الكتاب ما في ذلك شك لانك تقرأ كل ما اكتب كما أقرأ أنا كل ما تكتب ، فأنت مريض بى كما أنى مريض بك ؟ ألا نلتقى ولا نتزاور ولا نتحدث ولكننا نتصل على رغم هذا كله اتصالا يشوبه الرضى حينا ويشوبه السخط حينا ويشوبه الحزن دائما .

الفصل الحادى عشر

معركة لقمة العيش

أضخم معركة فى تاريخ الأدب العربى المعاصر

بين زكى مبارك وطه حسين

هذه أضخم معركة أدبيه دارت من جانب واحد بين زكى مبارك وطه حسين، واستمرت منذ ١٩٣١ إلى ١٩٤٠ على مراحل متعددة منها الخصومة الفكرية ثم خصومة لقمة العيش حين أقصى طه حسين زكى مبارك من الجامعة، وأثار ذلك سلامة موسى وإبراهيم المازنى ثم أصبحت خصومة خفيفة وصداقة تشوبها خصومة ممتدة كلما أنتج طه حسين شيئاً أو كتب عن شى وجملة القول أن زكى مبارك ظل مشدود البصر إلى طه حسين طوال حياته منذ عرف الأزهر والجامعة عام ١٩١٢ وحين ترك الأزهر إلى الجامعة ١٩١٦ ثم بعد ثورة ١٩١٩ واتجاه زكى مبارك إلى الجامعة نهائيا كانت صلته بطه حسين وعمله كسكرتير له ثم موقفه منه ابان ازمة الشعر الجاهلى وهو موقف يصفه زكى مبارك بأنه الرجل الوحيد وقف إلى جوار طه حسين ودافع عنه وكتب فى المقطم والأهرام بذوعته خصومه، إلى ان امره طه بأن يصمت حتى تمر العاصفة بسلام

ويحرز زكى مبارك الدكتوراه من (الاخلاق عند الغزالى) ويهاجم (الغزالى) صاحب الاحياء رغبة فى خلق جو من الشهرة، ثم يحاول أن يسافر إلى أوربا عن طريق الجامعة، فإذا يحيل بينه وبين ذلك سافر عن طريق جريدة البلاغ. ثم يرى رأيا فى النثر الفنى يخالف رأى المستشرقين ورأى طه حسين ويقع الخلاف بينه وبين أساتذته فى السربون ويصر على رأيه ويسجله فى رسالة الدكتوراه (النثر الفنى) ثم يعود إلى مصر مواصلا الحملة على آراء مسيو مرسيه كبير المستشرقين فى السربون. وهنا يصدر كتابه النثر الفنى فيلقاه الكتاب بالنقد ويساجلونه فى آرائه، إلا أن الدكتور طه فهو الذى يشير إليه إشارة عابرة بأنه «كتاب من الكتب ألفه كاتب من الكتاب» ثم تقع المعركة بينهما، ويخرج طه حسين من الجامعة فى أبان حكم صدقى ويدافع مبارك عن طه، ثم يتاح لزكى أن يعود إليها، مدرساً بكلية الآداب ويتغير الجو السياسى ويعود طه حسين ويرفض تجديد عقد زكى مبارك

و يفصل طه حسين زكى مبارك من الجامعة فيهاجم طه حسين هجوما مراً ويكتب تحت عنوان « لوجاع أولادى لشويت طه حسين وأطعمتهم لحمة » وجاء فيها « لقد ظن أن طه حسين انتزع اللقمة من يد أطفالى فليعلم حضرته أن أطفالى لو جاعوا لشويت طه حسين وأطعمتهم لحه ولكنهم لن يجوعوا مادامت أرزاقهم بيد الله » .

ويستمر المعركة بينهما طويلة لاتنتهى ، ويصل فيها زكى مبارك إلى حد بعيد من الأسفاف ويرى النقاد أن هذه المعركة لها صلة بالتغريب ونفوذ المستشرقين وآرائهم وتبعية للمثقفين الذين يتلقون دروسهم فى السربون فى ترويج آراء الغرب والإيمان بها ويقولون أن آراء طه حسين فى الشعر الجاهلى كانت آراء مسيو مرسيه وغيره وأن زكى مبارك حين ناقض هذه الآراء انما أراد أن يتحور من سلطان المستشرقين الفكرى والتغريبى ولذلك أغروا به طه حسين الذى فصله من الجامعة والجأه إلى العمل فى مجال اخر حتى يكون عبرة لغيره ، ويرى بعض النقاد أن « الكرامة » التى حاول زكى مبارك أن يحتفظ بها إزاء طه هى التى صنعت الخصومه ويرون أن زكى مبارك تحول تحولا كبيرا بعد هذه المعركة نهاجم اواء المستشرقين التغريبية وخالفهم وكشف من تعمدهم فى خلق الشبهات ، ودعا إلى بعث امجاد العرب وظاهر القومية العربية ودعا إلى التعليم فى الجامعه باللغة العربية ، وقال النقاد أن المستشرقين واساتذة باريس وطه حسين يرون أن زكى مبارك رجل غير مصقول وعاق لأنه خان امانته للتغريب والحضارة الغربية ورسالة الفكر الفرنسى فى تصميم الفكر العربى وهدمه والتقليــل عن شأنه واثارة الشبهات حوله .

وترسم مجموعه مقالات زكى مبارك التى تضمها هذه المعركة ، صورة

رجل طيب القلب كان يتطلع إلى استاذه فى وفاء ولا يرى أن معارضة رايه تفسد ما بينهما من ود ، فإذا بطه حسين ينتقم منه انتقاما عنيفا يحوله إلى إعصار عاصف ، يا كل الأخضر واليابس .

ويرى زكى مبارك أن كتابه « النثر الفنى » هو نقطة الخلاف ، ولذلك يعلن « أن الدكتور طه علم اليقين أن كل نسخة توزع من كتاب النثرالفنى » هى سهم مسموم يصوب إلى صدره وهو لذلك يتجاهل اسم المؤلف واسم الكتاب » .

ويشير إلى رأى طه حسين فيه حين يصفه بأنه أى زكى مبارك (الرجل الذى لا يخلو إلى قلمه إلا وعلى رأسه عفريت) يقول مبارك : تلك كلمتك وأنا عنها راض وبها مختال فما هو العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى ، أن كان ذلك فأنت تشهد لى بالعبقرية ، وهل تكون العبقرية الا من نصيب من يخاصم رجلا مثلك فى سبيل الحق وما هى المنفعة التى أرجوها من مخاصمتك وانت رجل يضر وينفع .

ويستطيل زكى مبارك فى مساجلاته ويقول لطه حسين :

هل تذكر يادكتور ماوقع فى نوفمبر سنة ١٩١٩ .

هل تذكر ماوقع يوم غاب سكرتيرك وكنت وحدى الطالب الذى يفهم العبارة الفرنسية لكتاب (نظام الاثينيين) لأرسطو .

هل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون فى طلبة الجامعة المصرية من يفهم أسرار اللغة الفرنسية .

ويستعلى فى مناقشة أخرى فيقول :

طلبته بالتليفون لأسأله عن معنى كلمة الزمالك وهو يقيم بالزمالك .

فقال : لا أعرف يادكتور زكى .

فقلت : أن الزمالك جمع زملك بضم الزاى وهى كلمة البانية والأصل فيها أن محمد على اسكن جنده بتلك البقعة فى مواسم الاصطياف والزملك هى الخيمة فى اللغة الألبانية .

وقد هاجم زكى مبارك طه حسين فى أمرين هامين :

الأول : رأيه فى أن الأدب العربى يرجع إلى اصول فارسيه ويونانية .

الثانى : رأيه فى أن عقلية مصر عقلية يونانية (١) .

ومع ذلك فإن زكى مبارك يبدو منصفا لطه حسين مرتين . إبان ازمته الأولى من أجل كتاب الشعر الجاهلى والمرة والثانية عند ماهوجم فى مارس ١٩٣٢ ونقل من الجامعة إلى وزارة المعارف وقد كتب زكى مبارك يقول :

« وطه حسين هذا يزعم فريق أنة ملحد ويزعم آخرون أنه يدعو إلى الفسق والمجون ، واقسم بالله صادقا ما رأيت من هذا الرجل وقدصاحبته اثنى عشر عاما إلا القلب الطيب والأدب البارع والخلق المتين »

بدأت المعركة بينهما بصفة جدية عندما أعيد زكى مبارك إلى الجامعة بعد إخراج طه حسين منها فلما عاد طه مرة أخرى رفض تجديد عقده وقال : أنالم أستشر فى تعيينه فكيف استشار فى تجديد عقده .

وكان ذلك دائما له لكتابه مقالته الناريه (طه حسين بين البغى والعقوق) .

والتى قال فيها « أن عودتى إلى الجامعة لاتدهش لأنى لم أعد إليها من

---

(١) راجع الفصل الخاص بها فى هذا الكتاب ص ١٣٧ .

عرض الطريق فقد ذكانى طه حسين للتدريس فى الجامعة منذ تسع سنين ثم ثم اشتغلت بالتدريس إلى جواره ثلاثة أعوام » .

وقال ان إرادة فوق إرادة والدكتورطه هى التى اخرجته ـ أى مبارك ـ من الجامعة ثم عاتبه على أنه ذكر بأن عودة مبارك إلى الجامعة كانت مكرمة من (حلمى عيسى) وبعد فهذه فصول المعركة :

١ — زكى مبارك : (طلائع المعركة)

مرت [١] المناقشات هادئة فى هذا الكتاب (النثر الفنى) ولم تستعر إلا حين اتصلت برجلين من كرام الرجال ، هما المسيو مرسيه والدكتور طه حسين .

أما المسيو مرسيه فعالم واسع الاطلاع ، وهو رأس المستشرقين الفرنسيين لهذا العهد ، وكانت له اراء مدونة عن نشأة النثر الفنى عند العرب ، وما كدت أصل إلى باريس حتى هممت بمهاجمته فنصحنى المسيو ماسنيون وأفهمنى أنه رجل صعب المراس ، وأن منزلته فى المعهد العلمى عظيمة وأن المستشرقين جميعا يجلونه أعظم الاجلال . ولكن كتب الله أن لا أنتصح برأى المسيو ماسنيون ، فابتدأت رسالتى التى قدمتها للسوربون بفصلين فى نقض آرائه من الأساس فغضب الرجل وثار ، وصمم على حذف الفصلين وصممت على بقائهما بحجة أنهما العماد الذى تنهض عليه نظريتى ن نشأة النثر الفنى .

وكأنما عز عليه أن أهاجمه فى عقر داره فمضى يماديني عداء خفيا كانت له اثار بشعة لا أتذكرها إلا انقبضت رعبا من عجز الرجال عن ضبط النفس وقدرتهم على تقويض دعائم الأنصاف .

---

(١) من كتاب النثر الفنى ص ١٣ ومابعدها .

وقد قابلت خصومته بلدد أقسى وأعنف، ورأيت الحرص على آرائى أفضل من الحرص على رضاه فابقيت الفصلين اللذين أغضباه . وانتهينا إلى عاقبة أفصح عنها المسيو ماسنيون كل الافصاح حين لقيته فى باريس إذ قال « أن المسيو مارسيه لا يحبك ولكنه لا يستطيع أن ينساك »

أما الدكتور طه حسين فما أدرى والله ماذنبه حتى يهاجم أعنف الهجوم فى هذا الكتاب . أن هذا الرجل تربطنى به ألوف من الذكريات ، يرجع بعضها إلى العهد الذى كنت فيه طالبا بالجامعة المصرية القديمة يوم كان يصطنع العدل الذى يلبس ثوب الظلم فى امتحان الطلاب ، فقد ساعد مرة على إسقاطى فى إمتحان الجغرافيا ووصف الشعوب وأسقطنى مرة ثانية فى امتحان تاريخ الشرق القديم ، والسقوط فى الامتحان مما يحفظه الطالب المخلص لأستاذه المنصف .

ويرجع بعض الذكريات إلى العهد الذى كنت فيه مدرسا بالجامعة المصرية الجديدة ، حين كنت أحمل إليه على أكتافى أحجار الأساس لترفع القواعد من كلية الآداب .

وأدق ما يتصل بيننا من الذكريات ما وقع فى ربيع سنة ١٩٢٦ يوم ظهر كتاب الشعر الجاهلى ؟ وثارت الأمة والحكومة والبرلمان ، وكان أصدقاؤه وزملاؤه بين خائف يترقب ، وحاسد يتربص ، وكنت وحدى صديقه الذى لا يهاب وزميله الذى لا يخون .

ولكن حماستى للفكرة التى أدافع عنها ، وغرام الدكتور طه بنقضها فى رسائله وأحاديثه ومحاضراته ، كان مما حملنى على مقاومته بعنف وقوة ، حتى ليحسب القارىء أن بيننا عداوة سقيت لأجلها القلم قطرات من السم الزعاف حين عرضت لدحض آرائه ن فصول هذا الكتاب .

اكتب هذا وقد شرق الدكتور طه وغربت ولم يبق بيننا إلا أطياف من الذكريات .

٢ — طه حسين : النقد والطربوش وزجاج النافذة (١)

• • ذكرت النقد والطربوش وزجاج النافذة ، واعتقدت انا أو خيل إليك إنى أعتقد ، واعتقدت أنت أو خيل إلى انك اعتقدت . واعتقد صديقى المازنى أو خيل إلى نفسه وإلينا أن يعتقد إنى قد امتعت الرسالة وقراء الرسالة بفصل قيم أوغير قيم أوغير قيم ،قوامه الحديث عن النقد والطربوش وزجاج النافذة .

وتسألنى مابال الأستاذ المازنى يقحم هذا اقحاما ، وما خطبه مع النقد والطربوش وزجاج النافذة وورق الفول النابت وماء الخلل وما يتبع هذا كله من الأشياء والأحياء ، فأجيبك بأن هذا السؤال لاينبغى أن يساق إلى وإنما ينبغى أن يساق إلى الأستاذ المازنى فهو الذى تحدث عن هذا كله .

فهل تدرى ماذا دفع الأستاذ المازنى إلى أن يتحدث عن هذه الأشياء وعن هؤلاء الأشخاص فيثيرنى إلى ان اتحدث عنه وعنها وعنهم ؟

هو شىء يسير جدا ، هو انه اديب يقرا فى الكتب ويكتب فى الصحف وينقد الكتاب والمؤلفين . وتتغير الأزمان وتتبدل ظروف الحياة ، ولكن هناك شيئا لا يتغير ولايتبدل فى حقيقة الأمر ، وهو ان الأدب محنة يمتحن بها الأدباء .

---

(١) الرسالة ٢٦ مارس ١٩٣٤ م

وقد امتحن الله صديقنا المازني ووفر له من نعمة الأدب وبلائه حظا عظيما فجعله شاعراً مجيداً وكاتبا بارعا، لا يصدر كتاب إلا اواد الناس أن يعرفوا رأيه فيه وحكمه عليه.

وكان صاحب الكتاب نفسه أحرص الناس وأشدهم طلبا له وإلحاحا فيه، والكتب تمطر على الأستاذ المازني وتمطر معها طلب النقد وطلب التقريظ. والنقد والتقريظ يحتاجان إلى القراءة والدرس، وإذن فالمازني المسكين مصروف عن نفسه وعن فنه وعن كتبه إلى هؤلاء الذين يكتبون

ومن هنا ومن جهات أخرى كان المازني شقيا بالأدب وأن كان الأدب سعيد بالمازني، وأى شيء أدل على شقاء المازني بالأدب وسعادة الأدب بالمازني، أقوى من هذه القصة التي أحدثك عنها الآن، فقد أخرج «كاتب من الكتاب كتابا من الكتب» وأهداه إلى الاستاذ بالطبع، وعرف الناس أن هذا الكتاب قد أهدى إليه فأخذ الناس ينتظرون، وأخذ صاحب الكتاب بنوع خاص ينتظر، فلما طال الإنتظار كان الطلب، ولما كان الطلب ولم يجد شيئاً كان الإلحاح، واضطر المازني أن يذعن، وأكره المازني على أن يكتب ولكنه كان قد أرسل الكتاب إلى من يجلده فلما أشتد عليه الإلحاح ذهب فى طلب الكتاب من المجلد فدفع إلى رحلة غريبة وإلى استكشاف أغرب دفع من هذه الأحياء المتحضرة التى تتسع فيها الشوارع والتى لا تتغطى أرضها بالوحل إلى ازقة ضيقة ملتوية فاسدة الهواء، تعيش فيها أجيال من المردة والشياطين وفى هذه الأزقة عرف المازنى الخوف والفرق. ثم عرف قصة الرجل الذى يطلب كتابا فقفد طربوشه وعاد صفر اليدين. ولكنه السؤال الذى أحب أن اسأله هو: هل يظن المازنى أنه إبرأ ذمته أمام القراء وأمام المؤلف

بهذا الفصل البديع الذى كتبه منذ أيام فحدثنا فيه عن النقد والطربوش وزجاج النافذة وعما تحمل الأرض من وحل وماتمطر السماء من مرق .

وسؤال آخر : أحب ألا يغضب صديقى المازنى حين أسرقه إليه ، مابأله يطغى على نفسه ويسرف عليها فى الطغيان ويصورهاهذاالتصوير الذى لا يلائمها بحال من الأحوال والذى لا نحبه لها . فهل من الحق أنه هياب إلى هذا الحد؟ كلا ولكنه يحب أن يعبث بنفسه فيسرف فى العبث وأكبر الظن أننا أن حدثناه فى ذلك ضاق بنا وضجر .. وأخشى أن لا يكون لشىء من هذا كله أصل ولا فرع كما يقولون ، وأن يكون المازنى قد أراد نقد الكتاب الذى طلب إليه نقده فمضى به الخيال ، ومضت به الدعابة إلى هذه الأزقة الضيقة الملتوية يبحث فيها عن الكتاب وصاحب الكتاب ، فلم تفد الا أن فقد طربوشه وأضاع على صاحبه الشيخ زجاج نافذته ولم يجن لنفسه ولا لصديقه المؤلف شيئا ، وويل للكتاب وللمؤلفين من دعابة المازنى ومجونه وويل والمؤلفين من للكتاب ألغاز المازنى ورموزه بل ويل للمازنى نفسه من طغيان خياله وجموحه فان فى هذا الجسم النحلى الضئيل ، جسم هذا الرجل الهادىء الوديع ماردا لا كالمردة وشيطانا لا كالشياطين .

من زكى مبارك إلى طه حسين

أنا أعرف الدكتور طه حسين [1] أقسم جهد اليمين ليمسخن كتابى مسخا ، وليمحونه من الوجود وليصيرن إسم زكى مبارك مرادفا لأسم عيسى بن هشام ، إسمع مايقول الدكتور طه حسين .

---

(١) البلاغ ٣٠ مارس ١٩٣٤ .

« أخرج كاتب من الكتاب كتابا من الكتب » فمن هو الكاتب وما إسم ذلك الكتاب، لعلكم فهمتهم ان الرجل طوى إسم كتابى فاستطاع بذلك ان يمحوفى وأن يجر على كتابى ذيل النسيان ؛ ولم لا يفعل ذلك وهو يتوهم أنه يرفع أقواما ويخفض آخرين ، وأن المؤلفين لا يعرفون إلا إذا زكاهم وأثنى عليهم .

ساءت جميع الناس أن ينقدوا كتابى (النثر الفنى).

لقد سألت فلان وفلان ... وكان الدكتور طه هو الرجل الوحيد الذى لم أسأله على الأطلاق فكيف تخطيته مع أنه يكتب كل يوم

تخطيته لأنه يقدر على كل شىء إلا الأنصاف ،وهو لا ينصف حين ينصف إلا لحاجة فى النفس . وقد قطعت بينى وبينه الأسباب منذ اعتزمت كشف ماتورط فيه من الاخطاء ، والرجل لا يرضى إلا عمن يؤمنون بأن باطله أشرف من الحق وأن خطأه أفضل من الصواب .

يادكتور طه :

أنا ما أسأت إليك بل أحسنت إليك بعض الاحسان حين ذللت القراء على أنك لم تبتكر ما تورطت فيه من الاخطاء ، وإنما أخطأ جماعة المستشرقين فتبعتهم بلا روية فكان عليهم أثم السنة السيئة وكان عليك إثم التقليد.

كنت أنتظر أن تفرح بكتابى لانه كما تعلم جهد أعوام طوال، ولكن خاب الظن وعرفت أنك وسائر الناس تغضب وتحقد، وكنت أرجو أن يكون عندك شىء من تسامح العلماء .

تعال نتحاسب ياناسى العهد ويامنكر الجميل، لقد مرت أعوام لم يكن

يذكرك فيها بخير أحد غيرى ، وهل كان فى أصحاب الاقلام من أنبرى للدفاع عن طه حسين غير تلميذه وصديقه زكى مبارك . لقد ذكرتك بالخير فى جميع مؤلفاتى . فهل يضيع عندك كل هذا المعروف لانى بددت أوهامك فى كتاب النثر الفنى .

كان فى همى دائما أن أحرص على واجبات المروءة ، وقد رأى الدكتور موقفى يوم أخرجه وزير للمعارف من كلية الآداب ، فقد دافعت عنه فى البلاغ دفاعا ما كان ينتظره ولعله قد دهش منه وكنت فى محضره ومغيبه من المناضلين عنه ، لان المروءة كانت تطالبنى بذلك ... أفيعجز الدكتور وهو أكبر منى سنا وأرفع صوتا عن مقابلة المروءة بالمروءة .

لقد كان يجب أن يكون الضمير العلمى أقوى تؤثر فيه الاحقاد اليومية وكان يجب أن يكون العلماء وارفع من أن يخضعوا للاهواء والشهوات وكان الدكتور طه أولى الناس وأجدرهم بأن يتخلق بالخلق الجميل .

٣ — زكى مبارك : طه حسين بين البغى والعقوق (١).

لقد ذهبت أنت فأتممت دراستك فى باريس وذهبت أنا فأتممت دراستى فى باريس فهى تعلم ما الفرق بينى وبينك ؟ أسمع أيها الصديق القديم البالى :

ذهبت على نفقة الجامعة ومضيت أنا متوكلا على الله فأنفقت ما أدخرت من عرق الجبين . واتصلت أنت بالمسيو كازانوفا ففرض عليك آراءه فرضا ولم تكن رسالتك عن ابن خلدون إلا نسخة من آراء ذلك الاستاذ ، اتصلت أنا بالمسيو مرسيه ففرضت عليه آرائى فرضا ، واتصلت بيننا وبينه الخصومة

(١) البلاغ ٢٣ نوفمبر ١٩٣٤ .

فآذاني إيذاءً شديداً ، ولكن قناتي ظلت صلبة واستطعت أن أقوض كبرياءه في عقر بيته وفوق كرسي السربون .

ولم تمر هذه المعركة بلا غنيمة ، وقد وقف المسيو ماسنيون يوم أديت إمتحان الدكتوراة وقال « إنني حين أقرأ أبحاث طه حسين أقول هذه بضاعتنا ردت إلينا . وحين أقرأ أبحاث زكي مبارك أشعر بأني أواجه شخصية جديدة .

فإن كنت في ريب من ذلك فأسأل من حضروا إمتحاني في السربون وكانوا مئات . وفيهم مدير البعثة المصرية في باريس .

— لقد اشتغلت أنا بالصحافة واشتغلت أنت بالصحافة . وإليك الفرق بين الشخصيتين ، كنت أنا رئيسا لتحرير جريدة الأفكار ، وكانت تدافع عن مبادىء الحزب الوطني وكان يشرف عليها عبد اللطيف بك الصوفاني فكنا نختلف ونختصم كل صباح لأني كنت آبى أن أكتب غير ما رآه من التعليقات السياسية وأنت اليوم رئيس تحرير جريدة وفدية فهل تدري ماذا تصنع !

تدخل إلى مكتبك فلا تكتب سطراً قبل أن تتصل تليفونيا بهذا أو ذاك لتتلقى الوحي ثم تكتب ما يلقى عليك وكأنك الببغاء .

— اشتغلت أنت بالتأليف واشتغلت أنا بالتأليف وإليك الفرق ، مضيت أنت فانتهبت أراء المستشرقين وتوغلت فسرقت حجج المبشرين وكان نصيبك ذلك التقرير الذي دمغتك به النيابة العمومية ، وأنت تعلم أن ليس لك رأي واحد وصلت إليه بعد جهد وبحث .

واشتغلت أنا بالتأليف فكانت أرائي كلها مبتكرة ولم يستطع أحد

أن يتهمني بالسرقة من فلان أو فلان كما أتهموك بالسرقة من جميع الناس .

ومؤلفاتك تموت يوم تولد ، ولك أن تسأل لجنة التأليف لتخبرك أن كتاب الأدب الجاهلي لم يبع منه شيء بعد النسخ التي فرضتها أنت على طلبة كلية الآداب .

ثم رأيت مائدة الوفد أشهى من غيرها وامتع فذهبت وقدمت إليها نفسك وهددت الدكتور هيكل بكشف أسرار الدستوريين .

— كنت لوحة إعلانات لا تذيع الرأى إلا لتغيظ الجمهور لتصبح حديث الناس في الأندية والمجتمعات .

أعلنت بعد إخراج الشعر الجاهلي نداء قلت فيه (أشهد أني أؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) .أنت تؤمن بالله وكتبه يادكتور طه وأنت تكذب التوراة والقرآن اعتماداً على رأى خاطيء سرقته من أحد المبشرين

أنت لم تترك حزبا إلا خدمته ولا جريدة حكومية إلا توددت إليها بعدد عديد من الرسائل الطوال .

٥ — زكي مبارك : الحديد في دم الأديب(١)

سترون أن أبلغهم أثراً في نفس الجماهير وأقدرهم على أسر القلوب وغزو العقول واحتلال النفوس هم الأدباء الذين ابتلتهم الحياة بصنوف من الأرزاء، وعرفوا كيف تقسو الحياة وكيف تلين . أولئك هم الذين يكتبون وفي كل حرف سر ظاهر أو غرض دفين .أما الأدباء المدللون الذين حبتهم الدنيا

(١) البلاغ ٢٥ يولية ١٩٣٥ .

بألوان من الترف والنعيم فهم ينظمون ويكتبون وكأنهم يلعبون ، وليس للألاعيب فى عالم الأدب بقاء . الحياة هى كتاب الأديب ومن حظه أن يعرف البؤس والشقاء . وأن يدرك كيف يكون الضجر والاكتئاب وأن يشهد بعينيه كيف يرتفع السفلة والأغبياء ، وكيف يطيش الحظ الأهوج فيظلل بجناحيه رؤوس المحرومين من أمل الجاه الزيف والمجد المكذوب .

والأديب الذى يتهيب الحياة ويخاف مجاهلها هو أديب رخو ضعيف ليس أهلا لمجد القلم ولا شرف البيان . الأدب الصادق ليس إلا حومة قتال ولكن أى قتال : قتال فى سبيل الحق والخير والجمال . والحياة لم تكن يوما دار سلام ، وإنما السلام فى المقابر ، فمن أراد أن يستريح فليمت . أما الأحياء فقد كتب عليهم أن يناضلوا ويقاتلوا ويصاولوا مابقى فيهم عرق ينبض وقلب ينور ، فإن جنحوا للسلم فقد استعملوا إلى سكرات الموت وبئس المصير ، خذوا وحيكم من الحياة ياطلاب الأدب، وتذكروا دائما أن وقود عقولكم وقلوبكم لا يكون إلا من الألم ومن الصدق .

الأدب الصادق هو الذى يحمى صاحبه من بريق الزيف والبهرج ويصونه من الخضوع لأرباب الألقاب ، وأن أديب واحد بهذه الخلال أجدى على الأدب من ألوف الأدباء

٦ — أول هجوم سافر على طه حسين(١)

أما الأحقاد التى تتلظى فى صدر طه حسين فستقضى عليه شر قضاء وتنكل به تنكيلا ولن تدوم له أيام الطغيان . ولن يبقى له فلان وفلان ، والكرسى الذى يجلس عليه فى الجامعة هو أقل ما أنتظره من الجزاء فى المستقبل

(١) البلاغ ١٥ أغسطس ١٩٣٥ .

القريب ، أن أعظم منصب فى الجامعة لاينيلنى من المجد ما أنالنى كتاب النثر الفنى ، ستفنى أحجار الجامعة المصرية وتبيد ذكرياتها ثم يبقى ذلك الكتاب على مر الزمان ، والذين يحاربوننى لم يطمعوا فى محاربتى إلا لظنهم أنى رجل أعزل لا أنحاز إلى حزب من الأحزاب وليس لى فى الحكومة عم ولا خال ، ولكن خاب ظنهم فإن الحق أعز وأقوى وسيرون كيف أزلزل أرواحهم وكيف أملأ قلوبهم بالرعب وكيف أريهم عواقب ما يصنعون .

أن النصر سيكون حليف من يصلون النهار بالليل فى تثقيف عقولهم ، أما الثرثرة الفارغة التى يعتصم بها طه حسين فلن يكون لها فى عالم المجد بقاء .

٧ — زكى مبارك : كيف هاجمت طه حسين (١)

إنى بدأت أناوش الدكتور طه حسين منذ سنين حين تبين أنه كالطبل الأجوف وأنه لا يعرف من تاريخ الأدب العربى إلا قشورا عديمة المحصول . وكنت كلما هاجمته تخاذل وضعف وخشى عاقبه النضال ، ثم أتفق أنى عينت فى الجامعة المصرية فبدا له أن يتشجع ويناوشنى ظنا منه أنى أخاف المناوشات احتفاظاً بمنصبى فى الجامعة ودفعا لمغبات القتال ، فأمهلته قليلا وتركته يصول فى مناوشتى ويجول وكذلك أمليت له حتى جاءت الموقعة الحاسمة يوم عين نجيب الهلالى وزيراً للمعارف وكان يعرف الصلة التى بينه وبين نجيب الهلالى وفى هذا ماهوى المحالفة بين رجلين لهما خصم لا سند له بين الأحزاب ولا عم له فى الحكومة ولا خال .

فى تلك الأيام أراد طه حسين أن يناوشنى وكان يثق أنى سأسكت فلا أجيب ورأى فريق من زملائى فى الجامعة أن أتسامح مراعاة للظروف ،

(١) البلاغ ٢٦ أغسطس ١٩٣٥ .

فأقسمت لأقذين مشرع حياته ولأجعلنه مثلا فى الآخرين وكذلك كتب مقال « طه حسين بين البغى والعقوق » الذى أبكى طه حسين بالدمع السخين وكان يظن أنه لن يعرف البكاء وعاد طه حسين إلى الجامعة فى زفة لم يسمع بمثلها منذ كان يسكن فى كفر الطماعين ، وظن الناس أنى سألاينه ولكن هيهات فقد تجاهلت عودته سبعة أيام إلى أن جمع بيننا مجلس قسم اللغة العربية .

فى تلك الأثناء أراد الشيخ أمين الخولى أن يصلح بيننا فعرض الفكرة على الدكتور طه فقبل وعرضها على فقبلت وكنت أرى أن الصلح خير وأن الزهد فيه بغى وعدوان .

وكنت أحسب أن الصلح لن يزيد عن المصافحة وتبادل التحيات ولكنى فوجئت مفاجأة لم تخطر على بال ، فإن الأستاذ أمين الخولى انتظر حتى اجتمع بعض الزملاء ثم نهض فقال : هذه أول جلسة يحضرها الدكتور طه حسين بعد عودته وأنا اقترح أن تلقى كلمة ترحيب وأفضل أن يلقيها الدكتور زكى مبارك لأن بينهما أشياء يجب أن تزول .

وكان موقفا فى غاية الحرج ولكنى تحفظت ، إذ كنت أعرف أن العداوة التى بينى وبين الدكتور طه يصعب أن تزول ، ومن الحزم أن لا أقول كلاما ينطوى على تودد أو ترفق فوقفت وقلت :

إنى أرحب بعودة الدكتور طه وقد زاملته من قبل من ثلاث سنين ، وكنت من قبل ذلك من تلاميذه الأوفياء ، والذى وقع بينى وبينه لم يكن فيه شىء جارح إلا المقال الذى نشرته فى البلاغ ، وهو مقال أعرف بأن فيه شيئا من الشطط ولكنى لا أعتذر عنه لأنه من بعض ما علمنى ، ومن الخير

إن تقاسى ما فات لأن مصلحة العمل توجب الوفاق . وقد ابتسم الأساتذة حين ذكرت أن الشطط كان من بعض ما علمنى وعدوها خطبة لبقة فيها ترضيه وفيها احتراس ، وبعد أيام دار طلبة الجامعة على الأساتذة يطالبونهم بدفع قيمة الاشتراك فى تكريم الدكتور طه ، وكانت خمسين قرشا وهو مبلغ زهيد ولكنى رأيت من الأشرف أن لا أدفع خمسين مليما فى تكريم شخص مثل طه حسين .

فلما طالبونى بالاشتراك أبيت وكانت حجتى أنى لا أحب أن أهجو رجل وأكرمة فى أسبوع واحد . وكذلك عصمت نفسى من هذا التكريم.

وبعد شهرين من ذلك التاريخ أقام طلبة قسم اللغة العربية حفلا لتكريم طه حسين وجاء تلاميذى يرجوننى أن أحضر ذلك الاحتفال ودعيت للخطابة فألقيت كلمة حازمة فى الموازنة بين أساتذة دار العلوم وأساتذة كلية الآداب. وكان فى تلك الكلمة درس نافع ، قلت أنى أوجهه إلى نفسى وإلى تلاميذى وإلى الدكتور طه إن شاء ومع مافى ذلك الكلمة من إيذاء الدكتور طه فقد قابلها الطلبة بالتصفيق والإعجاب لأنى ألقيتها فى حزم وإخلاص .

٢ — أما موقفى فى جلسات قسم اللغة العربية فكان دائماً موقف المعارضة الصريحة لنزعات طه حسين ، وكان لا يسلم منى إلا بأخذ الأصوات، وكان أساتذة اللغة العربية لا يرون فائدة فى معارضته إذا كانوا يعرفون أن كل شىء مصيره إلى هواه بفضل الوسائل التى يعرفها الجميع .

٣ — لا أنكر أنى أسرفت ولكن الأيام أرتنى أن الحزم كان أوجب ولولاه ما استطعت الآن أن أناقش من يزعم أنى قابلت الدكتور طه حسين بالترحيب وأنه مع ذلك لم ينس ما كويت به جنبيه من قوارع التثريب ولم

يغفر ما كشفت من سرقاته وكان الناس يحسبونه من المبدعين . . .

وفى أوائل شهر مايو دعانى الأستاذ الدكتور منصور فهمى إلى مكتبه وقال : أرسلت إدارة الجامعة تسأل عن تجديد العقد والنظام يوصى بأخذ رأى الدكتور طه حسين فاذهب يابنى وصف مابينك وبينه وسأحفظ الخطاب حتى يتم بينكما الصفاء. فأجبت الدكتور منصور فهمى بما نصه « أنا على أتم إستعداد لتصفية مابينى وبين الدكتور طه ولكنى لا أفعل ذلك فى هذه الأيام . ولو أنك اقترحت ذلك منذ شهرين لقبلت . أما الآن فلا تسمح نفسى بمصافحة الدكتور طه وأنا أعلم أن لذلك دافعا من الغرض ومع ذلك ما الذى يزعجك ياسيدى العميد ؟

أتظن أن الدكتور طه يتحين هذه الفرصة ويتشفى منى . أنه أعقل من أن يقترف مثل هذا الانتقام المفضوح . .

فابتسم الدكتور منصور إبتسامة مرة وقال :أنت يابنى تسرف فى حسن الظن بالناس .

وفى المساء الذى احتفلنا فيه بتكريم لطفى بك فى فندق ميناهاوس تلفت فرأيت الدكتور طه فصافحته وكان معه الدكتور حسن إبراهيم فوجه إليه الكلام قائلا : الدكتور زكى تلميذك وهو يحبك ياحضرة الأستاذ .

فقلت : أما أنى كنت تلميذ الدكتور فصحيح ولكنى لا أحبه وهو لا يستحق منى غير البغض .

فتكلف الدكتور طه الإبتسام وقال : ألا استحق منك غير البغض يا دكتور زكى .

فقلت أنت تعرف أن مودتنا كانت أطهر من الماء : وتعرف كيف

ختمت أذنيك للدساسين فأفسدوا ما كان بيننا إفساداً لا يرجى له صلاح ، ومزية زكي مبارك أنه لا يجامل ولا يصانع فأعرف الآن أن ما بيننا قد انقضى وأنك كنت من الآثمين » .

والقصة معروفة فقد رفض طه حسين تجديد عقد الدكتور مبارك وإخراجه من الجامعة وبدأت الحملة :

٨ — مقالات مجلة الصباح [١]

الذى بيننا لم يكن خلافا فى الرأى وإنما هو قتال عنيف بين شخصيتين، فالدكتور طه يرى أننى كنت تلميذه ومن واجب التلميذ فيما يزعم أن لا يخالف الأستاذ ، أما أنا فأرى الدكتور طه رجلا قليل العلم والمعرفة بالأدب العربى . وأراه استمرأ السطو على آراء المستشرقين وأراه فى حياته العلمية نموذجا للفوضى والقلق والاضطراب . قد تقولون ؛ وكيف سكت زكى مبارك عن نشر عيوب طه حسين وهو يصاحبه منذ خمسة عشر عاما وأجيب بأن الدكتور طه إبتدأ التدريس فى الجامعة المصرية قبل أن يقدم الدراسات الأدبية فكان منذ سنين مستور العيوب . على أن الخواص يعرفون أننى بدأت أعارضه منذ ١٩٢٧ حين أطلعت على عجزه الفاضح وعرفت أنه يعيش من سرقة آراء الأدباء والعلماء .

وأنتم تعرفون أنى رجل صريح لم تستطع الأيام أن تروضنى على المجاملة وللمداراة فلم يكن بد من أن يعرف الدكتور طه أننى لا أحترمه ولا أحترم مسالكه الأدبية ولا أحترم تهافته الفاحش على موائد الأحزاب . وكذلك هدته غريزته إلى وجوب محاربتى فى عملى فى الجامعة وساعده على ذلك ناس كنت شجا فى حلوقهم . وكان هو فى أنفسهم مثال الخادم الأمين .

---

(١) قدم الدكتور زكى مبارك حملة أخرى فى مجلة الصباح بدأت فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٥ .

فإذا كان الدكتور طه قد انتصر حين وجد من يساعدونه على إخراجى من الجامعة فليذكر وليذكر من عاونوه على شفاء صدره أن انتصارهم ليس إلا هزيمة شنعاء وسوف يعلمون .

٢ — مثال من جهل طه حسين(١)

لقد انكشف أمر طه حسين منذ أصدرت كتاب النثر الفنى فقد بينت أغلاطه وسرقاته ، وتحديته أن يدافع عن نفسه ، فتخاذلت قواه ولم يملك الجواب وعرف الأدباء فى المشرق والمغرب أنه لا يملك شيئا أصيلا ، وأن مؤلفاته ليست إلا هلاهيل انتزعها من كلام الناس، وأن مايدعيه من الآراء ليس إلا صوراً ملفقة انتزعها مما يقرأ ويسمع لأن قلمى ليس إلا محنة صبها الله على طه حسين . ولعله إنتقام من الله على طه حسين . ولعله إنتقام من الله صوبه إلى صدر ذلك الشخص الذى إجترأ على التوراة والقرآن واستطاع أن يقول فى وقاحة « للتوراة أن تحدثنا وللقرآن أن يحدثنا » كأن العلم لا يكون إلا حيث تقع مساقط هواه . أما التوراة والقرآن فهى ظنون فى ظنه ؛ طه حسين جاهل . سبحان الله . وكيف يكون جاهلا وهو رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المصرية ، من الذى وضع طه حسين فى ذلك المنصب أن الذى وضعه فيه هو لطفى السيد مدير الجامعة المصرية . ولطفى السيد ليس حجة فى الأدب العربى ولم ير فى حياته جامعة أوربية حتى يعرف كيف تكون الدراسات العالية .

(١) الصباح ١٣ سبتمبر ١٩٣٥ .

طه حسين جاهل . نعم طه حسين جاهل أشنع الجهل وإليكم اليوم مثالا من جهله الميمون .

ألقى حضرته محاضرة فى الجامعة الأمريكية عن شعر البحترى ونشرها فى جريدة كوكب الشرق فهل تصدقون أنه وقع فى خمس غلطات جوهرية فى محاضرة واحدة . الخ الخ .

٢ — وقال فى المقال الثانى : أن مصر(١) لا يسرها أن يقوم مجدها الأدبى على أساس من خيوط العنكبوت وطه حسين أديب مزيف ومن الواجب أن يسبق المصريون إلى كشف القناع عن وجهه قبل أن يتقدم أدباء الشرق فيعدونا بسيطرة هذا الجاهل على الحياة الأدبية وهل خلت مصر من الرجال حتى يكون طه حسين عنوانا على مجدها الأدبى .

أن(٢) هذا الرجل لم يكن فى جميع أدوار حياته العلمية إلا مرتزقا يطلس فتات العلماء كلما نصبوا موائدهم أو أوقدوا نارهم ، ولم يستطع حتى اليوم أن يواجه تلاميذه ببحث أصيل يشعرهم بأنه من أهل الفكر والبيان . أن كشف القناع عن معلومات طه حسين واجب أدبى يقوم به أحرار الأدباء ولو كان طه حسين من الخاملين لأعفيت نفسى من تمزيق ما على وجهه من مختلف البراقع .

٣ — وقال فى مقاله الثالث أنه فى عام ١٩٣٢ كنت يومئذ على وفاق مع الدكتور طه ، ولكنى كنت أحب أن أداعبه بالنقد من حين إلى حين لأنى كنت أعرف أنه فى حاجة شديدة إلى من يذكره بالواجب ، وهو كما

---

(١) الصباح ٢٠ سبتمبر العدد ٤٦٩ .

(٢) الصباح ٤ أكتوبر ١٩٣٥ — العدد ٤٧١ .

عرفته رجل قليل الإطلاع ولا يفهم الشعر إلا بعنف شديد ، فلما سمعت محاضرته عن البحترى ورأيت ماتورط فيه من الأخطاء لم أجد بدأ من تنبيهه إلى عواقب الـكسل والتفريط وكتبت عموداً واحداً فى جريدة البلاغ تحت عنوان (الدكتور طه يخطىء خمس مرات فقط فى محاضرة واحدة) فلما ظهرت تلك الـكلمة إنزعج الدكتور طه أشنع إنزعاج ، وسارع أصدقائه فرجونى أن أكف عنه ، وأن أدع تقويمه إلى الأيام ولا سيما وهو رجل أخرجه وزير المعارف من الجامعة وهو يحاول أن يكسب قوته وكشف أغلاطه فى جريدة البلاغ قد يصرف عنه طائفة من القراء .

وعندئذ تبينت أن من الذوق أن أترك طه حسين يخطىء كيف يشاء إلى أن تصلح حاله ويستطيع النضال ، وذهبت إلى الجامعة الأمريكية لأسمع محاضرته الثانية فلما انتهى من إلقاء الدرس نظرت فرأيته قادما فاسرعت إليه وحييته فلما وضع يده فى يدى شعرت بأنه يرتجف ارتجافا عنيفا وكاد يسقط من شدة الاصطراب ولـكنه تمالك نفسه وقال :

أنت مخطىء ، قلت صدقت .

ولما خرج الدكتور طه[1] أقبل تلاميذى بالجامعة الأمريـكية وقالوا هاتفين : كيف تسكت عن مناقشة الدكتور طه وتعترف بأنك مخطىء وأنه مصيب : فقلت : انتظروا حتى أشترى بخمسة تعريفة ذوق وأوزعه عليـكم . أتظنون أن أدبى يسمح لى بملاحاة طه حسين أمام الناس . إن مـكان ذلك فى جريدة البلاغ ثم علمت أن الدكتور طه راح يزهو ويختال ويقول أنه فقد مزاعم زكى مبارك على رءوس الأشهاد .

---

(١) كان زكى مبارك قد كتب فى البلاغ الأسبوعى (٣ ديسمبر ١٩٢٦) مقالا عن كتاب الشعر الجاهلى الذى ألفه الدكتور طه حسين وصفه بأنه فاتحة عهد جديد فى دراسة الآداب الأدلة العربية .

إننى سكت عنه يومئذ إيثاراً للترفق برجل ضعيف . أما اليوم فهو بخير وعافية وكشف أغلاطه من الواجبات فليجيبها إن كان يملك الجواب .

وقال زكى مبارك فى مقاله الرابع(١) .

لقد درست طه حسين من جميع نواحيه فوجدته قليل العلم جداً ورأيته ضعيفاً أبشع الضعف فى فهم النصوص .

وأوردت الصباح رسالة بقلم أديب قال فيها « قرأنا للدكتور طه بحوثا فى الكتب المنزلة عامة والقرآن المحفوظ خاصة ثم قرأنا أشياء — كأنها هى — للمستشرق الإنجليزى (جورجس سال) وكتاب هذا المستشرق مطبوع بعد ترجمته والتعليق عليه منذ ثلاثين عاما .

لحظة قصيرة مع المنصفين فى قرائى(٢)

أسارع فأقرر بأن طه حسين لم يكن يوما من المفكرين، وإنما هو أديب قليل الفكر قليل الإطلاع نشأ فى أوقات لم يكن يعرف الناس فيها غير المجادلات السياسية وكان النقد فيها قليلا فتظاهر بالعلم غفلة القراء من العلماء .

لم يقرأ فى حياته كتابا كاملا وإنما قرأ فقرات من هنا ومن هناك. وأخذ يشطح ذات اليمين وذات الشمال إلى أن اتصل بالمرحوم ثروت باشا فوضعه فى الجامعة المصرية

ظل طول عامين ظلا من الظلال فى عالم السياسة ولم يترك حزبا إلا خدمة وديج فى تقريظه ألوانا من الوسائل الطوال . والاتجاه السياسى صورة من الاتجاه العقلى والرجل الذى يتردد بين المذاهب السياسية لا يبعد أن

(١) الصباح ١١ اكتوبر سنة ١٩٣٥ العدد ٤٧٢ .
(٢) الصباح ١٨ اكتوبر سنة ١٩٣٥ العدد ٤٧٣ .

يعيش فريسة الحيرة بين المذاهب الأدبية . وقد اتفق للرجل الصالح جدا طه حسين أن يخدم قبل الحرب ثلاثة أحزاب : وأن يخدم بعد الحرب أربعة أحزاب . وحظه من الثبات فى المذاهب الأدبية يشبه حظه فى الثبات على المذاهب السياسية : تردد هنا وحيرة هناك .

وقد بذل الدكتور طه جهوداً عنيفة فى إخفاء حقيقته الأدبية عله يستر ماظهر عنه فى حياته السياسية ولكن هيهات فلن ينفع الكتمان .

إن الدكتور طه مقلد فى كل شىء ، حتى لتراه يهز كتفيه على الطريقة الفرنسية .

خصومتى للدكتور طه ستعود عليه بأجزل النفع فأنا واثق أنه سيحضر دروسه بعد اليوم وسيرى قلمى مصوبا فوق رأسه فى اليقظة والمنام فلا يستسلم للجهل أو التفريط .

كيف ينظر الأحفاد إلى تاريخ الجامعة المصرية حين يعرفون أن أكبر أستاذ فيها لم تقم أستاذيته إلا بفضل انتهاب أثار المستشرقين .

النقل من المستشرقين (١)

كتب الدكتور طه فى جريدة السياسة فقال : ولكن شجرت بين الفريقين اليمانيين والقيسيين معركة « مرجرات » ومرجرات كلمة لا يعرفها العرب وإنما هى مرج راهط .

وكتبت مجلة الجامعة الإسلامية بحلب (عدد ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٤) مقالا ردت فيها على مقالة نشرها طه حسين فى جريدة السياسة يوم ٢٢ فبراير عن الحياة العربية وأثرها فى الشعر أيام بنى أمية .

---

(١) البلاغ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥ العدد ٤٧٨ .

للمعركة إذن مرج واسع ولكن الدكتور طه نقل كلمتها بل سرقها من أحد المستشرقين ولم يفطن إلى الأصل العربي لهذه الكلمة فجاءت أعجمية .

إنني أنفق على الحبر والورق مالا يستطيع طه حسين إنفاقه على الطعام والشباب ، إن صفحة واحدة من كتاب النثر الفني تساوي كل ما كتبه طه حسين في عمره الطويل فلا يحتوي أجهل مقدار ما أبذل من جهد في حياتي الأدبية ولا تظنوا أني أبالي طغيان تلك الشخصيات الضعيفة التي لا تنهض بلا عون ولا سناد .

القديم والجديد(1)

نحن نعلم أنه مامن أحد من الغلاة في التشيع للقديم يقول بأن كل قديم على علاته مفضل على كل جديد ولو كملت محاسن القديم وأربى عليها بفضل من محاسن الجديد . كذلك نعلم أن المتشيعين للجديد لا يقولون أن كل ما يكتب اليوم أجمل وأبلغ مما كتب في العهد الذي نسميه قديما .

إن شرط الأديب عندي أن يكون مطبوعاً على القول أي غير متكلف في معناه ولفظه وأن يكون له هبة في نفسه وعقله وليس لسانه فحسب .

إن أطفالي لو جاعوا لشويت طه حسين وأطعمتهم من لحمه(2)

قالت مجلة الصباح يعرف القراء حديث طه حسين وزكي مبارك وكيف أن الأول اجترأ على الثاني لمحاربة في أدبه فلم يفلح لمحاربة في رزقه فأفلح ،لأن العيش أراد أن يكون زكي مبارك معيداً وأن يكون طه حسين كبيراً من أساتذة الجامعة فيكون للأول الغلبة على الثاني

---

(1) الصباح ١٥ ابريل ١٩٢٤

(2) الصباح ١٢ يناير ١٩٣٦ العدد ٤٨٦

ودارت رحى الحرب فى وجود الصحف فتكلم زكى وحده فلم يجد أنصاراً وسكت طه وتكلم أنصاره حتى تحرك إبراهيم المازنى فقال ما قال إلى أن قال كلمة سب هى من جوامع الكلم قال (وإنى لأحدث نفسى أحياناً بأنى لو كنت أقول الشعر فى هذه الأيام لرثيت طه حسين فإنه يخيل إلى أنه قد مات طه حسين الذى عرفته وأحببته وأكبرته وجاء غيره الذى أنكره حين يقول المازنى — وهو من خلصاء طه — ذلك فقد حكم فى القضية وانتصر زكى مبارك .

إلى الدكتور طه حسين من المازنى (١)

أما عتابك يا أخى فمقام عين ، وما قصرت لبخل فى أو تمال منى . أو قلة إدراك للواجب نحو الزملاء والأصدقاء . ولا لأنى نسيتك أو أنى أرى أن أهملك أو أتكلف الإغضاء عنك فما كان هذا قط ولن يكون فى طباعى . ولكن أمرين حرمانى من أن أفوز برضى الصديق وارتياح الزميل . أما الأول فهو أنى أرانى كلما كبرت صغرت فى نفسى ، نعم زادت معارفى وكثرت تجاربى وعظمت احاطتى ورحب أفقى . ولكن كنت — ومازلت — امرءاً دأبه أن يدير عينيه فى نفسه والشاهد أنى مغرى بحساب نفسى .

أما الأمر الثانى فذاك أنى أرى الدكتور طه قد خرج من زمرتنا معشر الأدباء الأحرار ودخل فى زمرة الملقبين وذوى الجاه والسطوة والسلطان . ولست أعنى أنه اكتسب لقباً جديداً ، فما حدث له شىء من ذلك ولكن أعنى أنه محشور — بكرهه أو رضاه — فى هذه الزمرة وأنا أكرهها ولا أطيقها أو احتملها لما بلوت من سخافة أخلاق أهلها وما عرفت رجلا علت

---

(١) بلاغ ٣١ ديسمبر ١٩٣٥ .

به الألقاب أو المناصب إلا رأيته يشيل فى ميزانى .. وإلا وجدتنى أتفهه وأنبذه .

ألفيتنى أشعر أن ما بينى وبينك من قرابة الأدب ونسبه يكاد ينفصم على الأيام والأدب ينكر الارستقراطية ولا يعرفها . ولست أصانعك أو أتملقك فما تملك لى نفعاً أو ضراً فإن أمرى بيد الله ثم بيدى .

ويعز على يا صاحبى أن أقول أنى إزاء عدوك ببعض ما نبهم ، فما كدت ترجع إلى الجامعة حتى صببت نقمتك على الدكتور زكى مبارك تلميذك القديم الذى كان من حقك أن تفرح به ولكنك قطعت عيشه وحرمته وظيفته الصغيرة فى الجامعة لأنك صرت ذا سلطان وأصبح بقاؤه وطرده فى يديك ، ووسعك أن تعاقبه على تسحبه عليك . وقد كنت أصدق أنك تفعل كل شىء إلا هذا فلما كان منك ما كان من زكى مبارك صعقت ولا أزال من هذا كالمضروب على أم رأسه ، وأقسم لقد فجعتنى ودفعتنى إلى الكفر بالخير فى هذه الدنيا . وأقسم مرة أخرى أنك المسئول — لا بما أصاب زكى مبارك أو يصيبه فنفسى أن يكون الأمر أهون مما أظن — بل بما أصابنى أنا فى نفسى من التحول وما اضطرم فيها من الثورة .

إنك إذن من أصحاب السلطان يا صاحبى ومن يملكون أن يقطعوا أرزاق العباد أو يصلوها فلست اليوم بالأديب الذى عرفته وأحببته وأجللته وحدثت الناس عن رجولته ومروءته وحسن شمائله ، وإنما أنت رجل يدنى ويقصى . ويرزق ويحرم ، ويطعم العيال أو يجيعهم ، ويضرب اليد التى ترتفع باللقمة إلى الفم فيطيرها ويوقعها على التراب لتلتقطها الكلاب والقطط ويأباها على أخيه الإنسان

وإنى لأحدث نفسى أحيانا بأنى لو كنت أقول الشعر فى هذه الأيام

لرثيت طه حسين فإنه يخيل إلى أنه قد مات طه الذى عرفته وأحببته وأكبرته وجاء غيره الذى أنكره.

زكى مبارك : هل مات طه حسين[١]

شغلت الأندية الأدبية بالفصال الممتع أو الخطاب النفيس الذى وجهه الأستاذ إبراهيم المازنى[٢] إلى الدكتور طه حسين . ومن النادر أن يخرج الأستاذ المازنى من صومعة السخرية بالحياة والاحياء ليكتب مثل هذا الخطاب وأغلب الظن أن الدكتور طه حسين لم يكن ينتظر ذلك الذى صب على رأسه صاحب (خيوط العنكبوت) ولكن الدكتور طه حسين يعانى فى أعوامه الأخيرة أزمة روحية لم يشهد مثلها من قبل . فقد تفرق عنه أصحابه جميعاً ، ولم يبق حوله غير المرائين المشفقين الذين يعز عليهم أن يتركوه للوحدة والاكتئاب ، وهو يحاول اليوم رأب ماصدعته الاثرة والنفقة عن عواقب الاجحاف وسبيله إلى ذلك أن يتخذ محطة الإذاعة مطية لوصف المؤلفات الجديدة على طريقة شوبش ياحبايب .

إنه لايسرف فى المدح حبا فى تشجيع المؤلفين ولكن يريد أن يمدحهم جميعاً ليؤلف منهم جمعية أدبية يقارع بها خصمه الذى يعرفون .

---

(١) البلاغ ٣ يناير ١٩٣٦ .

(١) ردد زكى مبارك كلمة المازنى « وانى لاحدث نفسى أحياناً بأنى لوكنت اقول الشعر فى هذه الايام لرثيت طه حسين . فإنه يخيل إلى انه قد مات طه الذى عرفته واحببته واكبرته وجاء غيره الذى انكره » ثم قال :

فإن كان المازنى يود أن ينظم قصيدة فى رثاء الدكتور طه حسين فأنا والله أولى منه بتأدية هذا الواجب فقد كان لى صديق اسمه طه حسين صاحبته عشر سنين . وكان كما وصفه الاستاذ المازنى حلو الشمائل دمث الطباع لم ضيعته الأيام .

وأقسم ماتذكرت طه حسين القديم إلا تشوقت إليه فقد كان رحمه الله مثلا المروءة والوفاء أما طه حسين الجديد فهو لا يرعى العهد ولايحفظ الجميل .

.. ولـكن رأسه انبطح حين اصطدم بالصخرة المازنية وانـكشف للناس عواره حين أراد التقرب من صاحب (حصاد الهشيم) .

من المازنى إلى طه حسين(٢)

لما كتبت أعاتب الدكتور طه حسين فى فصل الدكتور زكى مبارك من الجامعة أقول أن الدكتور زكى مبارك من الجامعة ، وأقول أن الدكتور طه أصبح ممن يملكون إشباع البطون وإجاعتها وأنه صار يضرب اللقمة التى ترتفع بها اليد إلى الفم ويطيرها فتسقط على الأرض فيعثر بها الكلاب ويحرمها الإنسان — لما قلت هذا لم أكن أعنى أنى أخشى على الدكتور زكى مبارك وأولاده الجوع من أجل أنه حرم وظيفة صغيرة فى الجامعة ومعاذ الله أن يخطر لى على بال لا لأن الأدباء لا يتفق أن يعدموا القوت إلى أكثر من جاع منهم فى حياته ، بل لأنى أعلم أن الدكتور زكى مبارك رجل كفء للحياة قادر على الاضطلاع بأعبائها وأنه أزكى وأعظم رجولة من أن يبالى كيف يكسب رزقه ما دامت وسيلة الكسب مشروعة لا عيب فيها ولا دنس يعلق بها .

وقد أعجبنى من الدكتور زكى مبارك قوله أنه لو خاف الجوع على عياله لشوى لحم الدكتور طه وأطعم عياله . وليس الذى أعجبنى أنه مستعد لشى لحم الدكتور طه ، كلا ، ولو أنه هم بذلك . لكنت أول من يقاتله عليه ويحمى طه منه وإنما الذى أعجبنى هذه الفحولة الساذجة التى لم تفسدها باريس .

---

(٢) البلاغ ٣ يناير ١٩٣٦ .

زكي مبارك[1] يواصل حملته

يادكتور طه تذكر أن الدنيا تغرب وأن انتهاب آراء الناس لا يغني ولا يفيد . وتذكر أنك تتكلم باسم الجامعة وهي توجب على مثلك أن يدرس ويبحث ولا تقنع منه بالطواف حول ما كتب الناقدون عن المتنبي .

لقد أثبت آراء الباحثين المصريين وسطوت على آراء المستشرقين ثم مضيت في تعثر واضطراب لا يليقان بمن يفهم الكلام عن المتنبي أي تقدير .

٢ — إنما[2] نشاغب عبدالله القائلين من أدعياء البيان — وأنا أسعى إلى غرض هو شغل الناس بالأدب وجعل الأفكار الأدبية والاجتماعيه والفلسفة ضرورة عقلية لا يستغني عنها أحد من المثقفين .

إن شهرة كتابنا لا ترجع في الأغلب إلى الناحية العقلية وإنما ترجع إلى مايتصل بها من الأحداث السياسية وكذلك نهضة الأدب متصلة بالنهضة السياسية أوثق اتصال .

أنا لا يرضيني الإنصاف ، لأن الظلم أشهى قريحتي ولو كنت لقيت العدل في حياتي لعشت منزويا في كلية الآداب أحقق الخلاف بين ابن جني وابن خروف

٣ — إن مابيني[3] وبين الدكتور طه لا يصرفني عن التنويه بكتاب « على هامش السيرة » هذا الكتاب النفيس . فإنني أحب أعدائي وأتمنى لهم طيب الأحدوثة وبعد الصيت .

---

(١) البلاغ ١٤ مارس ١٩٣٦
(٢) البلاغ ٥ يولية ١٩٣٦
(٣) البلاغ ٥ يولية ١٩٣٦

٤ — هاجم[1] زكى مبارك مؤلف كتاب المجمل : وقال أن الدكتور طه حسين لا يعرف عقلية التلاميذ فى المدارس الثانوية ، وأن عمله فى التدريس لا يزيد عن إلقاء المحاضرات فى كلية الآداب ، أما أحمد الأسكندرى فهو باحث مفضال ولكن ترك المدارس الثانوية منذ ثلاثين عاما ، أما عبدالعزيز البشرى فهو كاتب بليغ ولكن لم يدخل فى حياته مدرسة أميرية ولا يعرف كيف يخاطب التلاميذ

وأحمد ضيف لم يشتغل بالتدريس فى غير الجامعة ودار العلوم .

وأحمد أمين لا يعرف المدارس الثانوية إلا بمقدار ما يعرفها عبد العزيز البشرى .

وعلى الجارم أديب وشاعر ولكن صلته بالتعليم الثانوى وقفت عن التفتيش والمفتش يتوهم أنه يعرف المدارس

١٦ — إلى الدكتور طه حسين بك من الدكتور زكى مبارك [2]

يظهر أن المقادير لا تريد أن أسكت عنك أو تسكت عنى وفى ذلك الخير كل الخير لو تعرف وأعرف ، وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف . وهل يتصور الناس وجوداً للحيوية التشريعية لو لم يثر الخلاف بين الشافعية والحنفية وهل تأصلت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين وهل تفوق العقل المصرى فى العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية .

---

(٢) البلاغ ١٢ يولية ١٩٣٦

(١) الرسالة ٢ فبراير ١٩٤٠

إن بداوة الطبع التى كثر الكلام فى ذمها و تجريحها لم تكن من المثالب إلا فى كلام الشعوبية وهم قوم أراد الغض من شمائل العربية ، ولولا ذلك الهجوم لبقيت من المحامد ، فكيف تفكر على رجل مثلى أن يظل بدوى الطبع فى زمن توارت فيه الصراحة وكثر فيه تدميق الأحاديث

لابد من خلاف بينى وبينك لتجد الأبحاث الأدبية والفلسفية وقوداً يحيا به اللهب المقدس فى حياة العقل والوجدان .

فإذا ضاق صدرك بهذه الحقيقة واكتفيت بمحاورة الرجل اللطيف الذى يقول أن الصحراء تشكو الظمأ وأن البحر يشكو الرى وأن الخير فى امتزاج البحر بالصحراء . إن كان ذلك ما يرضيك فشرق فى محاوته وغرب كيف شئت وكيف شاء .

٢ — يا دكتور طه : ماسبب الخصومة بينى وبينك :

منذ أكثر من سبعة أعوام ألقيت محاضرة فى الجامعة الأمريكية عن البحترى وسجلتها جريدة كوكب الشرق وشاء (العفريت الذى يجعل رأسى حين أخلو إلى قلمى) أن أنشر فى جريدة البلاغ مقالا عنوانه (الدكتور طه حسين يغلط خمس مرات فقط فى محاضرة واحدة) .

ثم لقيتنى بعد ذلك فى الجامعة الأمريكية وجادلتنى فى تلك الأغلاط فأعلنت أنى أخطأت ، وكان ذلك لأن الجمهور قد أحاط بنا من كل جانب ليرى كيف أدفع هجومك وما كان يجوز لى أن أصنع غير الذى صنعت لأن أدبى لا يسمح لى بمجادلتك أمام الناس ولأن وجهك بشفع لك فهو وجه لايلقاه الرجل الحر بغير الإعزاز والتبجيل .

فما الذى صنعت أنت فى تصحيح الأغلاط التى أخذتها عليك ! مضيت

فنشرت محاضرتك عن البحترى فى كتابك حديث النثر والشعر وأبقيت تلك الأغلاط . استغفر الله . بل تفضلت فشكلت الكلمات المغلوطة لتقول : أنك لا تعبأ بأى نقد يوجه إليك .

٢ — ثم ماذا ، ثم حدث فى صيف عام ١٩٢٩ أن أنكرت على أن آخذ شواهد لتطور النثر الفني من رسائل عبد الحميد بن يحيى وقلت أن عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرىءالقيس وكان ذلك بمسمع من شابين واعيين هو محمد مندور وعلى حافظ وكانت حجتك أن عبد الحميد بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ ، فرجعت إليك بعد أيام وأخبرتك أن الجاحظ تكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة . وأن مؤلفات الجاحظ تعرف رجلين أحدهما عبد الحميد الأكبر والثانى عبد الحميد الأصغر فلم تجب بحرف واحد .

ثم ألقيت وأنا فى باريس محاضرة قلت فيها : إن عبد الحميد بن يحيى أخذ أشياء من أدب اليونان وفاتك أن تنص على اسم الرجل الذى أقنعك بأنه لم يكن شخصية خرافية

وقد حملني المفويت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلبى على أن أسجل هذه القصة فى أحد هوامش كتاب النثر الفنى فكانت فرصة اغتنمها صديقك الأستاذ أحمد أمين ليقول فى مقال كتبه فى مجلة الرسالة : إن زكى مبارك يعوزه الذوق فى بعض الأحيان .

٤ — أنت تعرف أنى لم أنل ألقاب الجامعة المصرية بلا جهاد .

وأنت نفسك أسقطتنى فى امتحان الليسانس مرتين واشتركت فى امتحان الدكتوراه الذى أديته أول مرة مع أنك لم تكن عضواً فى لجنة الامتحان .

وكان لخصومتك الصورية تأثير فى الدكتوراه التى ظفرت بها للمرة الثالثة فلم أصل إليها إلا بعد جهاد سبع سنين .

٥ — هل تذكر يادكتور ما وقع فى نوفمبر ١٩١٩.

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك ، وكنت وحدى الطالب الذى يفهم العبارة الفرنسية لـكتاب الأثينيين لأرسطو . هل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون فى طلبة الجامعة المصرية من يفهم أسرار اللغة الفرنسية فمن يبلغك أن الشاب العربى أدخل السرور على قلبك فى ١٩١٩ هو الكهل الذى تتنكره سنة ١٩٤٠ .

أنا أعرف ما تنكره منى . أنت تنكره الكبرياء وكيف أتواضع وقد أعانى الله على بناء نفسى . وكيف وقد أقمت الدليل على أن الشباب المصرى خليق بعظمة الاعتماد على النفس ، وهل رأيت رجلا قبلى أتم دراسته فى أوربا وهو مثقل بتكاليف الأهل والأبناء ، هل رأيت رجلا قبلى يهتز بأوطار الشباب وهو مثخن بجراح الزمان بعد الأربعين ، وهل رأيت رجلا قبلى يؤلف الكتب الجيدة فى البواخر والقطارات والسيارات .

ومن يصدق أنى أنفق فى سبيل الورق والمداد أضعاف ماينفق بعض الناس فى سبيل الطعام والشراب .

أحمد الله إليك (من مبارك إلى طه)[1]

فى شهر يوليو ١٩٢٨ تلقيت وأنا فى باريس خطابا من الدكتور طه حسين جاءت فيه عبارة « أحمد الله إليك » فالتفت ذهنى إلى هذه العبارة لأنها لم تكن من العبارات المألوفة فى رسائله إلى .

(١) الرسالة ١٥ يولية ١٩٤٠ .

وصح عندى بعد التأمل أن الدكتور طه قد يكون مشغولا بمواجهات متصلة بالسيرة النبوية لأن عبارة « أحمد الله إليك » تكثر فى الرسائل المأثورة عن عصر النبوة وعصر الخلفاء.

وبعد أعوام أخرج الدكتور طه كتابه « على هامش السيرة » فكتبت فى جريدة البلاغ فقلت أن الدكتور طه يجيد أعظم الإجادة حين يتروى فى التأليف وكتابه الجديد أثر من آثاره الجيدة فى تروية فهو مشغول بموضوعه منذ ١٩٢٨ وإن لم يقل ذلك فقد كتب إلى خطابا فى يولية من تلك السنة يقول « أحمد الله إليك » .

وقال الدكتور طه أنه إختراع من اختراعات زكى مبارك فى الأسمار والأحاديث .

وهذا نص الخطاب كما رواه زكى مبارك :

« أحمد الله إليك على ما أنت فيه من رضا بالإقامة فى باريس . وأتمنى لك المزيد من هذه الرضا كما أتمنى أن تنتفع بأيامك فى فرنسا إلى أبعد حد ممكن وتقبل من السيدة ومنى تحية خالصاً وشكراً جميلا .

وسرد زكى مبارك نص خطاب آخر وجده فى أوراقه جاء فيه :

« لست أدرى كيف أشكر لك عنايتك بفلسفة ابن خلدون وأنا مقتنع فيما بينى وبين نفسى بأنها لا تستحق هذه العناية ، ومع ذلك فسأشترى المقطم منذ اليوم لأقرأ ما تكتب لأنك أنت الذى ستكتبه لا لأنى أنا موضوعه .

وكل ما أرجوه لك أن تصدر فيما تكتبه عن الحرية الصادقة القاسية ، لا عن الإخاء والمودة اللذين يدفعان فى كثير من الأحيان إلى شيء من الرفق الذى لا يخلو من إثم . وأنا أعيذ أصدقائى من أن يتورطوا من أجلى فى إثم

الإسراف فى البر كما أكره أن يتورطوا فى إثم العقوق » . وتاريخ هذا الخطاب أغسطس ١٩٢٥ .

فإن قيل : وكيف أمكن بعد ذلك الوداد الوثيق أن تفسد العلائق بينى وبين الدكتور طه حسين فإنى أجيب بأن الله حكمة فيما وقع بينى وبين الصديق .

لم يكن لى بد من خصومة آخذ منها فرصة لتوجيه الجمهور إلى الحقائق الأدبية وكذلك خاصمت عدداً من رجال الأدب كان أظهرهم الدكتور طه حسين .

الأيام : لطه حسين[1]

هذا الرجل موهوب بلا جدال ولكنه قليل الصبر على تكاليف المواهب فهو يطمع فى الصفحة الأولى ثم يجنح إلى الأفول .

ترجم لأبى العلاء فأفلح . ثم ترجم للمتنبى فأخفق لأنه لم يصحب المتنبى بقدر ما صحب أبا العلاء .

وأخرج الجزء الأول من الأيام فكان أعجوبة ثم فتر فى الجزء الثانى .

والجزء الأول من هامش السيرة سفر نفيس أما الجزء الثانى فهو أيضاً « سفر نفيس » .

وكان أستاذاً فى الجامعة المصرية القديمة . أستاذاً عظيما . أستاذاً يملك القدرة على أسقاط زكى مبارك فى امتحانات الليسانس مرتين . أما فى الجامعة المصرية الجديدة فهو أستاذ هيوب يستر كسله الجميل بالتغاضى عن ضعف الطلاب .

(١) الرسالة ١٦ ديسمبر ١٩٤٠ .

وأمره في الصداقة أعجب من العجب ، فهو يؤاخيك ويصافيك إلى أن تظن أنه قطعة من قلبك ، ثم يتحول في مثل ومضة البرق إلى عدو مبين ، وهو على الرغم من ضعفه في الاضطلاع بتكاليف المواهب ، رجل جذاب لأنه معسول الحديث ولأنه قد يصدق في الحب وفي البغض إلا أنه تهديه حاسة النفع إلى أن يعادي من يعادي ويصادق من يصادق كالذي صنع في طوافه بأركان الأحزاب .

ولشعوره بأن لسانه مصدر قوة يلح في الحديث وفي الإملاء إلحاحاً يترك سامعيه وقارئيه على أهبة الاقتناع بما يملي وبما يقول .

وللدكتور طه أسلوبان : أسلوب حين يملي ، وأسلوب حين يتكلم . أما أسلوبه حين يملي فلا يخلو من ركاكة واضطراب لأنه رهين بما في الإملاء من سرعة وإبطاء .

٣ — إن للشير كتاب الأيام تاريخ هو تاريخ مجهول ولأنه يصور كيف رجع الدكتور طه إلى القاف ماضيه لينشر منه صفحات تنير مسير الأمثال من حيث لا يقصد ولا يريد .

في مطلع الربيع من سنة ١٩٢٧ ثار الأزهريون وتبعهم فريق من النواب على الدكتور طه حسين لآرائه في الشعر الجاهلي واشتدت الثورة ثم رحل إلى فرنسا مع الصيف ليتفاسى كروبه الداجية في ربوعها الفيح .

وهنالك خطر له أن يملي أشياء بعيدة كل البعد عن الشعر الجاهلي والأزهريين والنواب فكانت تلك الأمالي وهي تاريخ طفولته بلا تزيين ولا تهويل .

وفي صباح يوم من أيام الخريف في سنة ١٩٢٦ عرفت من الدكتور طه أنه كتب مذكراته عن حداثته وأنه قدمها للأستاذ عبد الحميد العبادي

ليطمئن إلى أنها مما يجوز إذاعته بين الناس ، وفي صباح يوم آخر حضر الأستاذ العبادي ومعه أصول المذكرات وهو يقترح أن تحذف الفقرة الخاصة بالضريرة نفيسة ؛ فلم ير الدكتور طه أن تحذف ، وفي ليلة شاتية جلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث ، فسألته عن موضوع تلك المذكرات ، فوقفت وقفة الخطيب المكروب وقص علي قصته يوم بدا له أن يتقل اللقمة إلى فيه بيديه الاثنين وكيف أضحك إخوته وبكت أمه وانزعج أبوه فعرفت أن المذكرات سيكون لها في تاريخ الأدب مكان .

يزيد من طرافة هذه الاعترافات أن بعضها معيب فصدورها من رجل مثل طه حسين يشهد بأنه فنان يقيم فنه على قواعد من الصراحة والصدق ، وأن طه حسين قد التزم الصدق إلتزاماً في كتاب الأيام .

لعلي أريد القول بأن طه حسين من أساتذة الأخلاق فهو يقصد إلى إفهام الشباب بأن العظيم لم ينشأ عظيماً وإنما هو عظيم بفضل الصبر على متاعب الجهاد ، لعلي أريد القـــــول بأن طه حسين أراد محاكاة جان جاك روسو وأناطول فرانس .

١٩ — « الحب الضائع »(١)

هو كتاب يصور العواطف الطبيعية في الريف الفرنسي لعهد الحرب الماضية والكتاب ليس بجديد لا في الروح ولا في الأسلوب ، فله أمثال تعد بالعشرات أو بالمئات ومع ذلك فلن يقول الفرنسيون حين يترجم إلى لغتهم هذه بضاعتنا ردت إلينا لأن طه حسين حين يقتبس لا يفوته أن يضفي ثوب الابتكار على الاقتباس .

(١) الرسالة ٨ يونية ١٩٤٢ .

تلك الصفحة تصور مايقع فيه الدكتور طه من وقت إلى وقت فهو يقطع مابينه وبين أصدقاء لا يجود بأمثالهم الزمان ، وهو قد يصل أقواما لا يمتون إلى روحه بسبب قريب أو بعيد ولعله أكثر الناس إبتلاء بالخادعين والمرائين لأنهم أحرص على مراعاة الظواهر من الصافين والوافين والكاذب يسبق الصادق إلى امتلاك القلوب الخواضع لخوادع الوداد .

وهنالك صفحة عجيبة تذكر بأدب أبى حيان التوحيدى فى تشريح العواطف ، وهى الصفحة الخاصة بالشوائب التى تفسر الوداد ومن تلك الصفحة نعرف كيف جاز أن يتعرض الدكتور طه حسين لتقلبات فى المودات والصداقات يستغلها من لا يعرف مافطر عليه من توهج الإحساس .

٢٠ — طه حسين وإمارة الشعر

إن الدكتور طه حسين « مسيو » بالفعل نلغته ولغة زوجته وأبنائه هى اللغة الفرنسية ، ولكنه برغم ذلك من أعاظم الرجال فى اللغة والدين . ولو كان الأمر بيدى لقتلت الدكتور طه حسين ، ولو كان الأمر بيده لقتلنى فقد تحاربنا سنين ، أردت أن أقتله فيها فما استطعت وأراد أن يقتلنى فما استطاع ، نحن ياسيدى الدكتور لم نخلق للموت وإنما للحياة والمجد ، فمن واجبك أن تكف شرك عنى لأكف شرى عنك وأنا على الشر أقدر منك.

أشعت أن إمارة الشعر بعد شوقى قد انتقلت إلى العراق .

أخطأت ياسيدى الدكتور إن الشعر لمصر حتى آخر الزمان ، أنت نفسك حاولت أن تكفر عن ذنبك فخلعت إمارة الشعر على الأستاذ العقاد وهو أديب فاضل بدليل أنك أهديت أحد كتبك إليه ، ولكنه شاعر صغير بالقياس إلى العبقرية المصرية .

العقاد فى الشعر كالزيات فى النثر كلاهما يأخذ قوته من الإنفعال وهذا لا يمنع من الاعتراف بأنهما أديا خدمات عظيمة للحياة الأدبية .

٢١ — زكى مبارك : عدوّى طه حسين

نشرت الهلال مبحثا من فصلين : صديقى طه حسين للدكتور أمير بقطر وكتب زكى مبارك : (عدوى طه حسين)

إنه عدو عزيز ! إى والله ، فمـا أذكر أنى عاديت إنسانا أحبه قبل الدكتور طه حسين ، والعداوة والحب يجتمعان فى القلب الواحد ، وإن عجب من ذلك من لا يفقهون ، وآية الصدق فى هذه القضية أنى لم أتورط فى عداوة الدكتور طه حسين إلا منذ أشفقت عليه ، فقد ابتدأ هذا الرجل حياته الأدبية بداية حسنة ، ولـكنه لم يستطع الصبر على مكاره الجد ، ولم تقو نفسه على معالجة البحث العميق وعندئذ عرفت أن الرجل سيضيع نصيبه من الخلود ، وعز علىّ ذلك فأردت أن يبقى اسمه فى الدنيا بعد أن تبيد ملايين الأسماء ولا يبقى إلا من أشار إليهم صاحب « النثر الفنى » .

وكان الدكتور طه فى بداية هذه العداوة يظنها جمرة سريعة الخمود ، ولـكنها تضرمت ، واستطارت أقباسها من الشرق والغرب ، ولم يبق إنسان يقرأ ويفهم إلا عرف أن فى الدنيا رجلا اسمه طه حسين ، وصار لا يدخل فى محفل ، ولا يتكلم فى مجتمع ، ولا ينشر مقالا فى جريدة ، إلا قال الناس : هذا هو الرجل الذى رأينا اسمه فى مؤلفات زكى مبارك .

والدكتور طه رجل فيه شىء من الذكاء ، وقد هداه ذكاؤه إلى هذه الحقيقة فاندفع يعاديني بلا ترفق ليتم له من نباهة الذكر ما يريد .

* * *

ولـكن هل يستحق الدكتور طه أن يشغل رجلا مثلى ؟

هذا هو السؤال !

وأعجب بأنه يستحق ذلك الاستحقاق ، فما يمكن أحد أن هذا الرجل شخصية قوية ، وأنه استطاع أن يكون غرضا ترميه الأقلام ، وهذا دليل على ماله من وجود ملحوظ .

ومن مظاهر القوة فى هذا الرجل أنه تماسك فى أزمات كثيرة ، وأنه عرف كيف يقارع الأحداث والخطوب ، حتى أصبح رجلا يحسب له حساب .

ومن مظاهر القوة أيضا فى هذا الرجل أنه حلو المودة ، مر العداوة ، يضر وينفع ، وبعض الناس تغلب عليهم الفهاهة فلا ينفعون ولا يضرون .

ولا يمكن أن نعرف قيمة الدكتور طه إلا أن نظرنا فى مهارته الأدبية ، وبيان ذلك أن هذا الرجل قليل المحصول ، ولعلى لم أر فى حياتى رجلا قليل العلم مع الصيت البعيد ، كما رأيت طه حسين ، ومع قلة محصوله العلمى نراه يتكلم كلام المحققين ، ويمضى فيبنى ويهدم ، ويبرم وينقض ، كأنه عالم محقق أخذ بنواحى المعارف الإنسانية فى القديم والحديث ، وهذا لا يتم إلا من رجل وصل فى المهارة إلى أبعد حدود .

يضاف إلى ذلك كله لسان يحكى ملاسة المرمر ، وليونة الماء ، فإذا سمعت طه حسين وهو يحاضر شعرت بأنك إمام إنسان يملك ناصية الحديث ، وليس ذلك بالقليل .

* * *

ولكن الشخصية العلمية شىء غير ذلك ، فالدكتور طه الذى يضر وينفع ويبرم وينقض ، ويحدث فيحسن الحديث ، هذا الرجل قد انهزم فى الميادين العلمية ، ولم يظفر من المجد الأدبى بأيسر نصيب .. وأعيذكم أن تفتنوا بأنه ألف أقصوصة اسمها « الأيام » نشرها الهلال ثم ترجمت إلى الإنجليزية والروسية ، فإن تأليف الأقاصيص ليس من الفنون العالية ، وإنما هو فن

يمثل سذاجة الإنسان الأول يوم كان يملأ الدنيا أساطير وأحاديث — وهل رأيتم في الدنيا كلها رجلا يرأس كلية آداب ثم يقف مجده عند الأقاصيص ؟ ؟

انظروا ما وقع للدكتور طه يوم قرر المشاركة في تأليف كتاب فجر الإسلام ، فقد كانت النية أن يؤلف في الناحية الأدبية ، أتعرفون ما وقع ؟ كانت النتيجة أن نشر أحمد أمين أربعة مجلدات وطه حسين ساكت يترقب .

وكيف تفسرون ذلك السكوت ؟ إن تفسيره سهل : وهو يتلخص في أن طه حسين لا يحسن الكتابة العلمية ، وإنما يحسن تلخيص الأقاصيص .

وهناك جانب آخر من ضعف هذا الرجل ، وهو حرمانه من حاسة العدل ، فما أعرف أن هذا الرجل استطاع أن يقهر أهواءه وهو يعامل الناس ، وقد اتفق أن يصطنع النقد الأدبي حيناً من الزمان ، فكانت أحكامه كلها وليدة الهوى والغرض ، ولم يستطع أن يكشف للناس عن موهبة مستورة أو نبوغ مكنون .

ولو سئل طه حسين عما صنع في النقد الأدبي لعجز عن الجواب ، وهل من النزاهة أن يقصر محاضراته في الراديو على ما أخرجته لجنة النشر والتأليف ؟

إن طه حسين تسامى إلى منزلة أدبية عالية يوم سعى إلى الظفر بعمادة كلية الآداب ، ولكن هل استطاع أن يخلق لتلك الكلية نصيراً واحداً ؟ هل استطاع أن يخرج من عمره كله بكتاب جيد يضيفه إلى منازل الباحثين من عمداء الكليات ؟

وليته اكتفى بهذه المزايا العظيمة من الضعف ! بل رأيناه يتكلم عن البحتري فيقع في أغلاط ، فلما نبهناه أصر واستكبر ونشر المحاضرة في كتاب ، وشكل الأغلاط ليدلنا على أنه لا يهتم بالنقد ، ولا يحسب للحق أي حساب .

وقد ظن من لا يفهمون أننا نعنى شخصه حين نجادله ، وهيهات أن يكون الأمر كذلك ، إنما يهمنا أن نحاسب من يشغل أ كبر المناصب الأدبية حين يسيطر على كلية الآداب ، ولا يرضيها من عمادة مثل هذا الرجل إلا أن يكون باحثا نرى فى وجهه وجه برونو ودي لا كروا من الذين تولوا كلية الآداب جامعة باريس .

نحن قوم غلبتنا الأقدار فى الميادين السياسية ، فمن العيب أن نرضى عثل ذلك الحظ فى الميادين العلمية ، وإذا قيل إن الإنجليز غلبونا فى السياسة فلا يصح أن يقال أن العجز غلبنا فى العلوم والآداب .

المعارك الأدبية

بين شباب الأدب وشيوخه

جرت معارك متعددة بين شباب الأدب وشيوخه ، وتنوعت ، وتنوعت ، ولكنها لم تصل إلى مجال المعارك الكبرى إلا في معركة واحدة : هي معركة أنصار العقاد وأنصار الرافعي وكانت مناوشات كتاب الشباب تمثل الهجوم على « نفوذ » كبار الكتاب وعلى اتجاهاتهم الغربية .

ولقد اشترك فيها عدد كبير منهم محمد علي غريب وعبد الله عفيفي ومحمد امين حسونة ووثيف خوري ومحمود شاكر وفريني حشيه .

محمد علي غريب (١)

ابناء المدرسة الحديثة يهدمون القديم والجديد

وللأدب عند إخواننا مقياس غير محدود فهم يطلبون التجديد من الأدب ولكنهم لا يكلفون أنفسهم عناء في الخلق والإبتكار ويكادون يجمعون على أنه ليس في مصر أدب ترضيه عقولهم أو تستسيغه نفوسهم ، ولهذا تراهم يشيدون بأدباء الغرب من شكسبير فنازلا أو فصاعداً ولكنهم لا يعيشون طويلا على تمجيد أولئك الأدباء ومن ثم تسمع واحد منهم يلقى بيديه على حافتي المقعد ويميل برأسه إلى الوراء متحدثاً في وقار وحلم قائلا: أنا لا يعجبني من نيتشه تطرفه بالنسبة للمرأة .

٢ — محمد خصار — المغرب(١)

ومنذ سنوات كانت جماعة المجددين المصريين تبرق وترعد بمحاسن المدنية الغربية وأفضليتها وسوء الحضارة الشرقية ولما أراد الله رفع الستار عن مساوىء الأولى وظهر إفلاسها بعد الحرب فبرز كتاب أوربيون عظام التنديد بها

---

(١) البلاغ ١٥ سبتمبر ١٩٣١ .

وتفضيل الحضارة الشرقية في عدة نواح خصوصا الروحية منها أخذت هذه الجماعة نفسها بعدها تقليداً لهؤلاء لا عن عقيدة .

٢ — عبد الله عفيفي (١)

بائع احذية مؤلف في الأدب

يا أساتذة الجامعة المصرية ، يا أساتذة الجامعة الأزهرية ، يا أساتذة دار العلوم العليا ، يا أعلام الأدب وأقطاب البيان .

اطووا أوراقكم وحطموا أقلامكم واشتغلوا إن شئتم بالبقل والخضر أو اعملوا إن شئتم في الحجر والمدر فقد تولى مئونة التأليف عنكم بائع أحذية في محل سمعان ، أتحسبونني أهزل ، وهل أبقت الحياة مكانا للهزل .

أي والله لقد فرغ صاحبكم أو نقيبكم بائع الأحذية في محل سمعان ساعة أو بعض ساعة وقت قيلولة العمال في الظهر فأخرج كتابا في فلسفة الأدب ونقد الأدب لا في الأدب وحده ولا في الشعر وحده .

وأشهد لقد رأيت هذا البائع الأحذية في محل سمعان فيلسوفا في فقه لبقا في مهنته فهو يريك أن الجزمة المصنوعة في شارع بين الصورين ثم واردات الالزاس واللورين .

وحسب صاحبنا البائع الباتع أن هذا كله من الأدب أو فلسفة الأدب فظهر على الناس مؤلفا في الأدب وفلسفة الأدب .

ويا أشراط الساعة هل بقي فيك شرط واحد لم يظهر للناس بعد أن أخرج بائع الأحذية في سمعان كتابا في فلسفة الأدب ونقد الأدباء بعشرة قروش صاغ .

---

(١) البلاغ ٨ مايو ١٩٣٨ .

هل تحب أن تسمع شيئاً من أدب هذا البائع الأحذية : قال فى وصف شاعر شاب « لقد سلم الناس من شعره ولم يسلموا من علله للعدية وأمراضه المتبقلة . ويقول فيه : لقد نفخه .. الأثيم المغرور؟ هذا أسلوب بائع الأحذية فى كتابه فى فلسفة الأدب ونقد الأدباء ، لقد احتملنا رغم أنوفنا فساد الجو الأدبى حتى سأمه من لا يحسن كتابة اسمه فهل نرضى أن يسوء أدب الباعة والبقال وهم يقدمون السلع المرغوبة للانسات والسيدات وذوى الكرامات ، اللهم عونك ورحمتك[1] .

٤ — محمد أمين حسونة[2]

مدارس التفكير فى الأدب المصرى

نادى أنصار الجديد بقطع الصلة بالماضي واستندوا إلى محاكاة الغرب دون أن يحاولوا الابتكار لأن الأفكار الأوربية لم تكن قد تأصلت فى نفوسهم ومن ناحية أخرى لم يكن فى وسعهم أن يهزوا الوسط الذى عاد إليه ولا البيئة التى يعيشون فيها ، لأن هذه البيئة كانت لا تزال فطرية ، للماضى سلطان قوى عليها وهو حى فى أعماق عقولهم .

وأول من سعت لحل قيود العقل والتخلص من الأسار الضيقة نتيجة التأثر بمظاهر الحركات السياسية التى لمسوها فى الغرب وقوى فيهم هذا الميل إطلاعهم على الآداب الفرنسية .

وهناك فريق أدرك بعد التبصر وانعام النظر أن الثبات على القديم سيؤدى إلى الفناء فقالوا إذا كان للقديم حق وللتراث قيمة بارزة فلا يجوز نبذه والقضاء عليه ويمكن إعادة تنظيمه وفق الأصول والدراسات الخصبة .

(١) المؤلف المقصود هو الناقد القصاص : (حبيب الزحلاوى)

(٢) الكشوف ١٩٣٩

٥ — وديع خوري(١)

من عهد الجرأة إلى عهد التراجع

الذي يبدو لي أن حياة الدكتور طه حسين الأدبية حتى الآن تقع في قسمين بينين :

فالقسم الأول هو ما يجوز أن ندعوه دور الجرأة على الأساليب والآراء القديمة ، وهي جرأة نلمس فيها حب الدهش والمفاجأة والظهور . أكثر من الحرص المتزن على إبراز الحقيقة .

في هذا الدور ألف كتاب في الشعر الجاهلي . والحق أن الكتاب بحد ذاته يسير الإبتكار ، فالمستشرقون قبل الدكتور طه حسين كتبوا اما كتب بصورة أقوى علماً . ثم إن كون الشعر الجاهلي منحولا أو غير منحول قضية قليلا ما هي خطيرة .. ولكن طارئاً طرأ فخرج الدكتور طه حسين من هذا الدور الأول من حياته إلى دوره الثاني اليوم ، هنالك كثيرون من الكتاب في مطلع حياتهم الأدبية خلعوا على أنفسهم جبة الجرأة : لماذا ، لأن الجرأة في الكتاب كما هي في غيرهم فضيلة . أقول أن كثيراً من الكتاب يخلعون على أنفسهم جبة الجرأة من اجل هذا المورد : مورد الشهرة فإذا ظفر أولئك الكتاب بما يطمعون فيه عمدوا إلى طرح جبة الجرأة عنهم وهم يعتقدون أن سوقهم نافقة .

أجل إن كثيرين من الكتاب يصيرون في دور من أدوارهم إلى استغباء القراء أو استحمارهم إذا صح الاشتقاق .

المفروغ منه أن الدكتور طه حسين لبس جبة الجرأة في دوره الأول .

---

(١) المكشوف ٦ شباط ١٩٣٩

وهو الآن لا يقبل مهما كان الأمر أن يقال عنه أنه خلعها .

لذلك يبدو فى الدكتور تهالك على أن يظهر أبداً بمظهر الشهيد المضحى به . كان الدكتور طه فى دوره الأول مشهورا بشقة الخلاف الواسعة بينه وبين الأزهر على أن الدكتور طه فى دورة الثانى قد رغب فى التسوية. ولست اعترف أكان حقا هو القائل هذه الكلمة التى شاعت مؤخرا . أن الدكتور طه يعتبر أنحس أيامه ذلك اليوم الذى رمى فيه بعمته إلى البحر .

أما اثر هذا التحول فى أدبه فنجد واضح ملموس ، فإن الدكتور أخذ يمده بأسباب نوع من إنشاء دعاة الإنشاء الخالص فى مقدمة كتابه « على هامش السيرة » وهو نوع من الإنشاء لايقوم فى أساسه على فكرة تؤدى بل على جمال رصف ووصف .

والدكتور زكى مبارك قد سجل على الباحثين فى مصر (الحديث ، كانون الثانى ١٩٢٩) أنهم اليوم انصرفوا عن المسائل التى تصدمهم برجال الدين .

والمؤسف[١] أن الدكتور طه حسين قد أوشك أن يتوصل إلى تلك الدرجة التى يستغبى فيها الكتاب قراءهم أو يستحمرونهم وعندى على ذلك دلائل عامة وشواهد معينة

١ — كان فى إنشاء الدكتور طه صفة الأطناب والتكرير ، وكنا نقول أن الآفة التى حرمته البصر لا تمكنه من مراجعة ما يكتب . على أنى يسوؤنى الآن أن اقرر أن صفة الأطناب والتكرير فى إنشاء الدكتور قد اصبحت شيئا يتوخاه توخيا وهو مطمئن إلى أن القراء لن يفطنوا إليه .

أن خوف الدكتور من أن تمحى عروبة مصر هدم أبى الهول والأهرام

---

(١) المكشوف ١٢ شباط ١٩٢٩ — العدد ١٧٥

والتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفها ومتاحف العالم، خوف يدعو إلى القهقهة وأنا أدعو الدكتور إلى الاطمئنان. فالعروبة كما يعلم قد دخلت فى ماضيها مصر ولم تهدم أبا الهول ولا الأهرام.

وكم كنت أحب أن يكون الدكتور قد استغنى عن هذا التصريح الذى أذاعه بخصوص حديثه مع الدكتور نجيب صدقة وأظهر عليهم غضبا لأنهم لم يستأذنوه فى نشر مانشروا فقد نشتم من وراء ذلك أن الدكتور يقول فى سره مالا يقوله فى علانيته. وأنا لا أقبل أن اعتقد بأن فيه شيئا من الدجل يقف أنى تبعث لى عادته السكرية فى استغباء القراء.

ولعل كلمة إلى الدكتور هى أن يقوى ثقته بالشعب المصرى فثقته به ضعيفة إلى حد بعيد، فالمصرى عنده يمتاز بتسرعه وإهماله وخفة دمه لا يستطيع إجهاد نفسه فى قراءة بحث مفيد والمصرى عنده يأنف ويتقاعس عن القيام بالأعمال البسيطة التى تسهل للمرء سبل الحياة (المستقبل ١٧٥) وكل هذا كلام لا ينصف الشعب المصرى من ناحية وفيه ماهو غير صحيح من ناحية أخرى وفيه أيضا مايرتد إرتداداً على طه حسين ولا شك أن الشعب المصرى شعب كبير فيه كوامن نهضة جبارة إذا خلصت عنه كوابيسه يا دكتور.

٦ — محمود شاكر: تعارض المقالات(١)

قرأت أخيراً مقالتين إحداهما للدكتور طه والأخرى للأستاذ أحمد أمين وقعا بهذا العنوان «رحلة» وقد تعود الأستاذان أن يتعارضا المقالات منذ أسابيع طويلة سواء أكثر من ذلك أكثاراً لا يمكن أن نمضى عنه، وكنت أحب ألا أعرض له لعله ينتهى إلى نهاية، فإذا هو شىء لا ينقطع.

(١) الرسالة ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٠

فمن يوم أن كتب الأستاذ أحمد أمين ما كتب وسماه «مدرسة الزوجات» وقارضه الدكتور طه بمدرسة الأزواج ثم مدرسة الروجة ثم «مدرسة . . .» إلى آخر هذه الأشياء ، وانعقدا بهذه الطاحون التى تدور على دقيق منخول قد فرغ منه — ومن ذلك اليوم وأنا لا أرى فيما يكتبان إلا استسلاماً للقلم وبدواته وبوادره ، واجفلها فى ذلك من الرأى مالا يصنعو ولا يناسك . .

. . وفى هاتين الرسالتين رأيت العجب ! فالدكتور طه مثلا قد أطال فى تحقير مصر والزراية عليها وعلى أرضها بما احتمله عليه الغضب الذى رغب فى إنشاء مدرسة له لسميها (مدرسة الغضب) رحل الدكتور طه بالسيارة فى الطريق الزراعية فغاظه التراب الذى يثور من حوله فيطلق لسانه بهذه الأسئلة (لماذا تدفع الضرائب) فليخبرنا الدكتور طه عن السبيل الذى تتقى به الزراية على أرض مصر ! ماذا تصنع الدولة عن طريق جابيه من تلك الأرض الخصبة الواسعة التى تسعى لتطعم أهل مصر من خيراتها . والأستاذ أحمد أمين هو الذى حمل على الأدب العربى وحقر الشعر الجاهلى ودفع بحجته فى وجوب نبذ هذا الأدب وذلك الشعر الجاهلى لأنه كان جناية على أدبنا وأنا كنت هممت أن أؤدى واجبى للأدب العربى بإظهار فساد هذه الآراء التى لم تنضج ثمراتها.

٧ — درني خشبه(١)

وأظرف ما فى معسكر الشيوخ من فتنة مكبوتة تلك النذر الضاحكة التى يلوكها الدكتور زكى مبارك فزكى مبارك جرىء عن المازنى جرأة لا حد لها والمازنى لائذ بأذيال الصمت . والمازنى بهذا الصمت يمكر بزكى مبارك الذى لا ينال منه إلا صمت مناوشيه ، ونادى زكى بأعلى صوته فقال : أنا أكتب منك ياعقاد ، وأنا أشعر منك يا عقاد ، ومؤلفاتى لا تسمو إليها

---

(١) الرسالة — ٩ مايو ١٩٣٨ .

مؤلفاتك، ثم لم يلبث أن ختم صحيفته بكلمات هي إلى الملاينة والاسترضاء أقرب منهن إلى ما هو دون الملاينة والاسترضاء ثم عاد في كلمة أخرى فسأل بعض القراء ألا يوقعوا بينه وبين العقاد ليتصدوا هم ويتفرجوا ولست أدرى العلة في جرأة زكي مبارك على المازني وإشفاقه من العقاد على هذا النحو المكشوف لقصح يا دكتور طه ولا تحسبن أن أحداً قد صدقك حينما رفعت عقيرتك بأنك أشعر شعراء هذا الزمان ولا أكتب أهله بل أنت اجرأ كاتب في الشرق العربي فما علة اشفاقك من العقاد.

انتهى المجلد الأول : المعارك الأدبية

ويليه المجلد الثاني : للساجلات والمعارك الأدبية

ويضم خمسون معركة أخرى

محتويات الكتاب

مدخل ٥

الفصل الأول : ١٥

معارك الوحدة والتجزئة

١ — معركة الوحدة العربية (طه حسين وعزام والخطيب) . ١٦

٢ — مصر بين العربية والفرعونية (الزيات وعثمان) . ٢٨

٣ — معركة العروبة والمصرية (ساطع الحصري وطه حسين) ٥٩

الفصل الثاني : ٧١

معارك اللغة العربية

١ — تمصير اللغة العربية (مصطفى الرافعي ولطفي السيد) . ٧٣

٢ — مجمع اللغة : ماهي مهمته (منصور فهمي وطه حسين) . ٨٢

٣ — معركة الكتابة بالحروف اللاتينية (عبدالعزيز فهمي وكردعلي) ٩٠

الفصل الثالث : ١٠٣

معارك مفاهيم الثقافة

١ — ثقافة الشرق وثقافة الغرب ١٠٤

معركة بين فيلكس فارس واسماعيل أدهم ١٠٤

الموضوع | الصفحة

— لايتنيون وسكسونيون : بين العقاد وطه حسين . . ١٢٧
— النزعة اليونانية : بين زكي مبارك وطه حسين . . ١٣٧
— كتابة السيرة : بين التاريخ والأسطورة ١٤٨
بين هيكل وطه حسين
— كتابة التاريخ : بين رفيق العظم وطه حسين . . . ١٥٥
— معركة الترجمة : بين منصور فهمي وطه حسين . . ١٦٣
— أدب الساندويش : بين أمين الزيات والمازني والعقاد . ١٦٩
— أدبنا هل يمثلنا : بين أحمد أمين وأمين الخولي . . ١٧٤
— غاية الأدب : ماهي ؟
بين زكي مبارك وسلامة موسى ١٧٨
— متى يزدهر الأدب : بين لطفي جمعة وزكي مبارك . . ١٨١
— الأدب المكشوف : بين توفيق دياب وسلامة موسى . ١٨٥
— التراث الشرقي : يكفي أو لايكفي
بين عبد الرحمن الرافعي وعباس محمود العقاد . . . ١٩٤
— ثقافة دار العلوم : بين أحمد أمين ومهدي علام . . ١٩٨

الباب الرابع

معارك الاسلوب والمضمون

الفصل الأول : الأسلوب والمضمون
١ — بين الرافعي وسلامة موسى وطه حسين ٢٠٥

الموضوع — الصفحة

— أسلوب الكتابة

معركة بين شكيب أرسلان وخليل السكاكيني ٢١٣

— أساليب الكتابة

بين شكيب أرسلان ومحمد كرد علي ٢٢٢

الباب الخامس

معارك النقد

الفصل الأول : أسلوب طه حسين

معركة بين المازني وطه حسين ٢٣١

الفصل الثاني : مقومات الأدب العربي

معركة بين زكي مبارك وأحمد أمين ٢٤١

الفصل الثالث : مذهبان في الأدب

معركة بين أنصار الرافعي وأنصار العقاد ٢٦٦

الفصل الرابع : بين النقد الذاتي والموضوعي .

بين أحمد أمين وطه حسين ٢٩٦

الفصل الخامس : الأدب بين التجديد والانحراف

بين زكي مبارك وزكي أبو شادي ٢٩٩

الفصل السادس : هل نقتبس أم نقلد ؟

بين منصور فهمي وطه حسين ٢٠٧

الموضوع — الصفحة

الفصل السابع : معركة فقدان الثقة
بين الدكتور محمد حسنين هيكل وطه حسين ٣١٠

الفصل الثامن : الفن للفن والفن للجميع
بين أحمد أمين وتوفيق الحكيم وعبد الوهاب عزام . ٣١٩

الباب السادس

معارك النقد حول الكتب

الفصل الأول : رسالة منصور فهمى للدكتوراه ٣٢٩

الفصل الثانى : الخلافة وأصول الحكم
معركة حول كتاب على عبد الرزاق ٣٣٤

الفصل الثالث : معركة الشعر الجاهلى ٣٤٦

الفصل الرابع . كتاب النثر الفنى
بين زكى مبارك وفريد وجدى ولطفى جمعة . . . ٣٧٩

الفصل الخامس : كتاب أوراق الورد
بين مصطفى صادق الرافعى ولطفى جمعة وإبراهيم المصرى . ٣٨٨

الفصل السادس : كتاب ثورة الأدب
بين فريد وجدى والدكتور هيكل ٣٩٤

الفصل السابع : كتاب مع المتنبى
بين محمود شاكر وطه حسين ٤٠٤

الموضوع — الصفحة

الفصل الثامن : معركة مستقبل الثقافة
بين طه حسين وساطع الحصري وزكي مبارك ومحمد حسين . ٤٠٩

الباب السابع

المعارك بين المجددين المحافظين

الفصل الأول : معارك الرافعي
مع العقاد وطه حسين وزكي مبارك وعبد الله عفيفي . ٤٢٧

الفصل الثاني : معركة فضل العرب على الحضارة
بين طه حسين وأحمد زكي باشا وشكيب إرسلان . . ٤٤٥

الفصل الثالث : الدين والمدنية
بين محمود عزمي وعلماء الأزهر ٤٥١

الفصل الرابع : التعريب
بين حسين فوزي وسعيد العريان ٤٥٥

الفصل الخامس : حقوق المرأة
مساجلة بين رشيد رضا ومحمود عزمي ٤٥٧

الفصل السادس : معركة حول التراث القديم
بين زكي مبارك والسباعي بيومي ٤٦٣

الفصل السابع : معركة الخلاف بين الدين والعلم ٤٧٥

الموضوع — الصفحة

الفصل الثامن : جمال الدين الأفغانى ورينان
معركة بين رشيد رضا ومصطفى عبدالرزاق ٤٩٠
الفصل التاسع : خم النوم
معركة ساخرة بين أحمد زكى باشا وزكى مبارك . . . ٥٠٢
الفصل العاشر : بين النقدوالتقريط
بين زكى مبارك وعبد الله عفيفى ٥١١

الباب الثامن

معارك بين المحافظين حول اللغة

بين أحمد زكى باشا ومحمد مسعود ٥١٨

الباب التاسع ٥٣٥

معارك نقد الشعر

الفصل الأول : بين شوقى ونقاده ٥٢٧
الفصل الثانى : بين عبد الرحمن شكرى والمازنى ٥٤٧
الفصل الثالث : أمازة الشعر
بين الزهاوى والعقاد ومطران ٥٦٥
الفصل الرابع : ديوان وحى الأربعين
بين مصطفى صادق الرافعى وعباس محمود العقاد ٥٧٠

الموضوع | الصفحة

الباب العاشر ٥٨٥

معارك النقد في المجددين

الفصل الأول : بين التغريب والتجديد

مساجلة بين توفيق الحكيم وطه حسين ٥٨٧

الفصل الثاني : معركة الكرامة .

بين توفيق الحكيم وطه حسين ٥٩٥

الفصل الثالث : معركة الصفاء بين الأدباء

بين توفيق الحكيم وزكي مبارك والعقاد والزيات . . . ٦٠٧

الفصل الرابع : معارك النقد

بين العقاد وطه حسين ٦٢٤

الفصل الخامس

بين زكي مبارك وخصومه ٦٣٤

الفصل السادس : مبارك ينقد كتابه

الأخلاق عند الغزالي ٦٤٢

الفصل السابع : بين العقاد وخصومه ٦٤٦

الفصل الثامن : بين سلامة موسى وخصومه ٦٤٩

الموضوع	الصفحة
الفصل التاسع : بين المازنى وخصومة	٦٥٦
الفصل العاشر : معارك أدبية	
بين الدكتور حسين هيكل وطه حسين	٦٦٠
الفصل الحادى عشر	
أضخم معركة فى تاريخ الادب العربى المعاصر	٦٧٠
الفصل الثانى عشر	
المعارك الأدبية بين شباب الأدب وشيوخه . . .	٧١٣





